٣

العقائد الإسلامية

الطبعة الأولى ١٤١٩

بسم الله الرحمن الرحیم

العقائد الاسلامیه:عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادر السنه و الشیعه

کاتب:

آیت الله سید علی حسینی سیستانی

نشرت فی الطباعهٔ:

مرکز المصطفی للدراسات الاسلامیه

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

العقائد الاسلامیه عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادر السنه والشیعه المجلد۳

اشارة

عنوان و نـام پديـدآور : العقائـد الاسـلاميه: عرض مقـارن لاـهم موضوعاتهـا من مصادرالسـنه والشـيعه/ قـام باعـداده مركزالمصـطفى للدراسات الاسلاميه؛ برعايه على السيد السيستانى.

مشخصات نشر : قم: مركز المصطفى للدراسات الاسلاميه، ۱۴۱۹ق= -.۱۳۷۷

مشخصات ظاهرى : ۵ ج.

شابك : دوره۶-۱۱۷-۳۱۹-۹۶۴ ؛ :۷۰۰۰ ريال: ج. ۴۱-۱۱۸-۳۱۹-۹۶۴ ؛ :۷۰۰۰ ريال: ج. ۲۲-۱۱۹-۳۱۹-۹۶۴ ؛ :۷۰۰۰ ريال: ج. ۴۴-۱۲۱-۳۱۹-۹۶۴ :

يادداشت : عربى.

يادداشت : ج. ۲ (چاپ اول: ۱۴۱۹ق = ۱۳۷۷).

يادداشت : ج. ۴ (چاپ اول: ۱۴۲۰ق. = ۱۳۷۸).

يادداشت : كتابنامه.

مندرجات : ج. ۱. الفطره والمعرفه.- ج. ۳. الشفاعه.- ج. ۴. يشتمل على مسائل: شفاعه اهل‌البيت عليهم‌السلام والاستشفاع والتوسل

موضوع : اسلام -- عقايد

شناسه افزوده : سيستانى، على، ۱۳۰۹ -، مصحح

شناسه افزوده : مركز المصطفى للدراسات الاسلاميه

رده بندى كنگره : BP۲۰۳/ع۷ ۱۳۷۷

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۴۱

شماره كتابشناسى ملى : م۷۷-۱۴۴۸۶

فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ۳)

مقدمة

بســـم الله الرحمن الرحیم
الحمد لله رب العالمین، وأفضل الصلاة وأتم السلام علی سیدنا ونبینا محمد وآله الطیبین الطاهرین
وبعد، فهذا هو المجلد الثالث من کتاب العقائد الإسلامیة، وقد اشتمل علی أکثر مسائل الشفاعة، وعدد من البحوث النافعة فیها.
ونظراً لاهمیة مسائل الشفاعة، فقد حاولنا استقصاء الآراء فیها، وتعرضنا أحیاناً لاراء غیر المسلمین.
وتلاحظ ما تعرضت له من تحریفات کبیرة بعد الأنبیاء علیهم السلام خدمةً لاغراض سیاسیة وثقافیة، بعیدة عن الدین الإلهی!!
وقد ساعد علی ذلک أنها من عقائد الغیب والآخرة غیر المنظورة، التی یسهل علی المحرفین التحریف فیها، ویصعب کشف عملهم.
نسأله تعالی أن یجعلنا من المشمولین بشفاعة سید المرسلین وآله الطیبین الطاهرین، وأن یصلی علیهم أجمعین.
مرکز المصطفی للدراسات الإسلامیة
علی الکورانی العاملی

تعریف الشفاعة و تاریخها

موقع الشفاعة من الرحمة الإلهیة

الرحمة الإلهیة وسعت کل شیء، ولا یمکن للبشر أن یحصوا أعدادها.. ولا أنواعها.. لکن نشیر إلی ستة أنواع کبری منها، لیتضح موقع الشفاعة من بینها.
النوع الأول: التوبة، التی تمحو السیئات.
النوع الثانی: أن السیئة بواحدة والحسنة بعشرة.
النوع الثالث: أن نیة الحسنة تکتب، ونیة السیئة لا تکتب.

النوع الرابع: أن الحسنات يذهبن السيئات.

النوع الخامس: أنواع الرحمة الإلهية الخاصة بالآخرة.

النوع السادس: الشفاعة، وهي نوع من الوساطة إلى الله تعالى من وليٍّ مقرب عنده ليغفر لمذنب ويسامحه.

شبهة حول أصل الشفاعة

يدور في ذهن البعض سؤال عن أصل الشفاعة مفاده: أن رحمة الله تعالى ومغفرته وسعت وتسع كل شيء، وهي تتم بشكل مباشر، فلماذا يجعلها الله تعالى تحتاج إلى واسطة عباده مثل الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)؟

والجواب: أن الرحمة الإلهية المباشرة في الدنيا والآخرة أنواع كثيرة لا تحصى، ولا يمنع أن يكون منها رحمة غير مباشرة جعلها الله تعالى مرتبطة بالدعاء والشفاعة لمصالح يعلمها سبحانه، كأن يريد رحمة عدد كبير من عباده بالشفاعة، ويُظهر كرامة أنبيائه وأوليائه عنده..

فالشفاعة من ناحية عقلية لا مانع منها ولا إشكال فيها، نعم، لا تثبت إلا بدليل، وفي الحدود والدائرة التي يدل عليها الدليل.

مثال لتقريب فهم عقيدة الشفاعة

يمكن تقريب الشفاعة إلى الذهن بأنها (قاعدة الإستفادة من الدرجات الإضافية) كأن يقال للطالب الذي حصل على معدل عال: يمكنك أن تستفيد من النمرات الإضافية على معدل النجاح فتعطيها إلى أصدقائك، الاقرب فالأقرب من النجاح..

ولنفرض أن الإنسان يحتاج للنجاة من النار ودخول الجنة إلى ۵۱ درجة (من رجحت حسناته على سيئاته) فالذي بلغ عمله ۴۰۰ درجة مثلاً ـ يسمح له أن يوزع ۳۴۹ درجة على أعزائه، ولكن ضمن شروط، مثل أن يكونوا من أقربائه القريبين، وأن يكون عند أحدهم ثلاثين درجة فما فوق، وذلك لتحقيق أفضل استفادة وأوسعها من هذه الدرجات الاضافية.

وقد نصت بعض الأحاديث عن الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) على أن شفاعة المؤمن تكون على قدر عمله، ففي مناقب آل أبي طالب:۲/۱۵ عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً.. الآية، قال: ذلك النبي صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام يقوم على كوم قد علا الخلايق فيشفع ثم يقول: يا علي إشفع، فيشفع الرجل في القبيلة، ويشفع الرجل لأهل البيت ويشفع الرجل للرجلين على قدر عمله. فذلك المقام المحمود. انتهى. وورد شبيه به في مصادر السنة أيضاً.

وعلى هذا، فالشفاعة مقننة بقوانين دقيقة حكيمة مثل كل الأعمال الإلهية الدقيقة والحكيمة، وليست كما يتصوره البعض من نوع الوساطات والمحسوبيات والمنسوبيات الدنيوية.

وبما أن درجات الملائكة والأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم ودرجات المؤمنين متفاوتة، وأعظمهم عملًا وأعلاهم درجةً نبينا صلى الله عليه وآله فليس غريباً أن يكون أعظمهم شفاعة عند الله تعالى.

وبما أن سيئات الناس تتفاوت دركاتها ويصل بعضها إلى تحت الصفر بألوف الدرجات مثلًا..فإن الذين تشملهم الشفاعة هم الأقرب إلى النجاح والافضل من مجموع المسيئين، وقد وردت في شروطهم عدة أحاديث، منها عن النبي صلى الله عليه وآله (إن أدناكم مني وأوجبكم عليَّ شفاعةً: أصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانةً، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس). مستدرك الوسائل:۱۱/۱۷۱.

قال أبو الصلاح الحلبي في الكافي/۴۹۷:

إن قيل: فإذا كانت الإثابة والمعاقبة مختصتين به تعالى، فكيف يصح لكم ما تذهبون إليه من الحوض واللواء والوقوف على الاعراف، وقسمة النار وإدخال بعض إليها وإخراج بعض منها، مع كون ذلك ثواباً وعقاباً؟

قيل: لا ـ شبهة في اختصاص أمور الآخرة أجمع به تعالى، غير أنه تعالى ردَّها أو ردَّ منها إلى المصطفين من خلقه: رسول الله وأمير

المؤمنین والأئمة من آلهما صلوات الله علیهم، فأوردوها عن أمره وأصدروها. کما یضاف تعذیب أهل النار وتنزیل أهل الجنة حاصلاً بالملائکة المأذون لهم فیه... ولیس لأحد أن یقول: فأی میزة لهم بتولی هذه الأمور علی غیرهم فی الفضل وهی موقوفة علی إذنه تعالی، لأن الآخرة لما کانت أفضل الدارین بکونها دار الجزاء وغایة المستحقین، وجعل الله سبحانه إلی هؤلاء المصطفین أفضل منازله وأسنی درجاته من اللواء والحوض والشفاعة وقسمة النار، دل علی تخصصهم من الفضل بما لا مشارک لهم فیه.

محاولات المستشرقین التشکیک فی الشفاعة

وقد حاول بعضهم الإشکال علی قانون الشفاعة فی الإسلام فتصوره أو صوره بأنه من نوع الوساطات الدنیویة المخالفة للعدالة، التی یفعلها الناس عند الحکام الظلمة لمن یحبونه من المجرمین..وقد مدح جولد تسیهر فی کتابه مذاهب التفسیر الإسلامی/۱۹۲ المعتزلة وزعم أنهم لم یقبلوا الشفاعة لأنها تنافی العدالة، قال: والمعتزلة.. لا یریدون التسلیم بقبول الشفاعة علی وجه أساسی حتی لمحمد ذلک بأنه یتعارض مع اقتناعهم بالعدل الإلهی المطلق. انتهی.

ولکن لایمکن لعاقل أن یدعی بأن زیادة الرحمة الإلهیة والمغفرة للمذنبین بأسباب متعددة، أمرٌ یتنافی مع العدالة الإلهیة!!

ثم إن الذی نفاه المعتزلة هو شمول الشفاعة لأهل الکبائر، ولم ینفوا الشفاعة لمرتکبی المعاصی الصغائر، کما سیأتی فی محله.

علی أن تسیهر الیهودی نفسه یعتقد بالشفاعة التی یزعمها الیهود لکل بنی إسرائیل دون سواهم من البشر، ولایراها منافیة للعدالة الإلهیة، فلا معنی لمدحه المعتزلة بأنهم یرفضون الشفاعة لأنهم طلاب مساواة!

تهافت منطق الوهابیین فی الشفاعة والاستشفاع

والأعجب من المستشرقین الوهابیون.. حیث یتوسعون فی الشفاعة فیجعلونها تشمل الیهود والنصاری وجمیع الخلق، علی حد تعبیر ابن تیمیة، قال فی مجموعة رسائله:۱/۱۰: أجمع المسلمون علی أن النبی (ص) یشفع للخلق یوم القیامة بعد أن یسأله الناس ذلک وبعد أن یأذن الله فی الشفاعة. ثم أهل السنة والجماعة متفقون علی ما اتفقت علیه الصحابة... أنه یشفع لأهل الکبائر، ویشفع أیضاً لعموم الخلق. انتهی.

ولکنهم فی نفس الوقت یحرّمون الاستشفاع والتوسل بالنبی صلی الله علیه وآله ویعتبرونه شرکاً، مع أن الاستشفاع هو طلب شفاعة النبی صلی الله علیه وآله إلی الله تعالی فی الآخرة، أو فی أمر من أمور الدنیا!

إن التناسب بین الإعتقاد بسعة الشفاعة فی الآخرة یقتضی تجویز الإستشفاع بأهلها فی الدنیا!

وبتعبیر آخر: إن تحریم الإستشفاع والتوسل فی الدنیا، یناسبه إنکار الشفاعة فی الآخرة، لا القول بسعتها لجمیع الخلق!

وقد التفت إلی ضرورة هذا التناسب بعض المتأثرین بالفکر الوهابی فی تحریم التوسل والاستشفاع، فأنکر شفاعة نبینا صلی الله علیه وآله بمعناها المعروف، وفسرها بتفسیر شاذٍّ جعل منها أمراً شکلیاً بعیداً عن أفعال الله تعالی.

قال فیما قال: إن الشفاعة هی کرامة من الله لبعض عباده فیما یرید أن یظهره من فضلهم فی الآخرة فیشفعهم فی من یرید المغفرة له ورفع درجته عنده، لتکون المسألة فی الشکل واسطة فی النتائج التی یتمثل فیها العفو الإلهی الربانی، تماماً کما لو کان النبی السبب أو الولی هو الواسطة.

إلی أن قال: وفی ضوء ذلک لا معنی للتقرب للأنبیاء والأولیاء لیحصل الناس علی شفاعتهم، لأنهم لا یملکون من أمرها شیئاً بالمعنی الذاتی المستقل. بل الله هو المالک لذلک کله علی جمیع المستویات، فهو الذی یأذن لهم بذلک فی مواقع محددة لیس لهم أن یتجاوزوها. الأمر الذی یفرض التقرب إلی الله فی أن یجعلنا ممن یأذن لهم بالشفاعة له. انتهی.

ولم یصرح صاحب هذا القول بحرمة طلب الشفاعة من الأنبیاء والأولیاء (علیهم السلام)، ولکن محمد ابن عبد الوهاب صرح بذلک،

واعتبر طلب الشفاعة منهم (عليهم السلام)شركاً! قال (فالشفاعة كلها لله فاطلبها منه، وقل: اللهم لا تحرمنى شفاعته اللهم شفعه فىَّ. وأمثال هذا.

فإن قال: النبى (ص) أعطى الشفاعة، وأنا أطلب مما أعطاه الله.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا، وقال: فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا... الخ.).

وقد قسم ابن عبد الوهاب الشفاعة إلى شفاعة منفية، وهى التى (تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله) وشفاعة مثبتة، وهى (التى تطلب من الله الشافع المكرم بالشفاعة... الخ.) انتهى.

والجواب الكلى على هذه المقولة أنها دعوى بدون دليل، نشأت من سوء الفهم لمعنى الشفاعة، ومعنى طلبها من الشافع، ومعنى الاستشفاع والتوسل إلى الله تعالى بالنبى وآله صلى الله عليه وآله وأوليائه المقربين! فافترضت فيها معان لا توجد فيها!!

والجواب عنها بشىء من التفصيل، أنها تتضمن شبهتين ينبغى التفكيك بينهما:

فالشبهة الأولى حول الشفاعة، ومفادها أن آيات الشفاعة وأحاديثها، يجب أن تحمل على المجاز، لأن الشفاعة فيها أمرٌ شكلى لا حقيقى!

ولم يذكر صاحب هذه الشبهة دليلاًـ على لزوم ترك المعنى الحقيقى وحمل نصوص الشفاعة على المجاز، بل لم نجد أحداً من الوهابيين ذكر ذلك.. نعم ذكر محمد رشيد رضا إشكال بعضهم على ذلك وأجاب عنه بما قد يفهم منه أن الشفاعة أمرٌ شكلى!

قال فى تفسير المنار:۸/۱۳:

فإن قيل: أليس الشفعاء يؤثرون فى إرادته تعالى، فيحملونه على العفو عن المشفوع لهم والمغفرة لهم؟

قلنا: كلا إن المخلوق لا يقدر على التأثير فى صفات الخالق الأزلية الكاملة... فيكون ذلك إظهار كرامة وجاه لهم عنده، لا إحداث تأثير الحادث فى صفات القديم وسلطان له عليها، تعالى الله عن ذلك. انتهى.

ومفاد هذه الشبهة أن القول بالشفاعة الحقيقية يستلزم أن تكون إرادة الخالق متأثرة بإرادة المخلوق، وهو محال، فلا بد من القول بأن الشفاعة شكلية!!

وكذلك القول بتعليق بعض أفعاله تعالى على طلب أنبيائه وأوليائه منه، مثل الرزق، والشفاء، والمغفرة، والنجاة من النار وإدخال الجنة.. لابد أن يكون شكلياً، لأن الحقيقى منه محال.

والجواب عنها: أن أصحاب هذه الشبهة أخطأوا فى تخيلهم أن تعليق الله تعالى لمغفرته أو عطائه على طلب مخلوق، معناه تأثير المخلوق فى إرادته سبحانه وتعالى! فإن تعليق الإرادة على شىء ممكنٌ بالوجدان، ولاـ محذور فيه، لأنه بذاته فعلٌ إرادى وتأكيدٌ للارادة لا سلبها، أو جعلها متأثرة بفعل آخر، أو شىء آخر.. لقد تصور هؤلاء أن الشفاعة من الله، إذا أعطيت لاحد تصير شفاعةً من دون الله تعالى، فوقعوا فى هذه الشبهة!

أما إذا قالوا إن ذلك ممكنٌ ولكن الله تعالى لا يفعله لأنه لا يجوز له، فلا دليل لهم عليه من عقل، ولا قول الله تعالى ولا قول رسوله صلى الله عليه وآله.

وإن كانوا يمنعونه من عند أنفسهم، فهو تعدٍّ على الله تعالى، وتحديدٌ لصلاحيات من لايسأل عما يفعل، وهم يسألون!

ثم إن اللغة تأبى عليهم ما قالوه، فآيات الشفاعة وأحاديثها ظاهرة فى الشفاعة الحقيقية لا الشكلية، ولا يمكنهم صرفها عن ظاهرها!

والشبهة الثانية حول الاستشفاع بالنبى وآله صلى الله عليه وآله، وهى الشبهة التى يكررها ابن تيمية والوهابيون، وهى غير شبهة الشفاعة وإن كانت مرتبطة بها.

ومفادها أن طلب الشفاعة حتى ممن ثبت أن الله تعالى أعطاهم إياها حرامٌ، لأنه شركٌ بالله، وادعاءٌ لهؤلاء المخلوقين بأنهم يملكون الشفاعة من دون الله تعالى!!

وقد استدل ابن عبد الوهاب على ذلك بآيات النهى عن اتخاذ شريك مع الله كقوله تعالى (فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا).

والجواب عنها: أنه ثبت من القرآن والسنة أن كثيراً من الأفعال الإلهية تتم بواسطة الملائكة، وليس فى ذلك أى شرك لهم مع الله تعالى، لا ـ فى ملكه، ولا ـ فى أمره، بل هم عبادٌ مكرمون مطيعون. ولا ـ مانع من العقل أو النقل أن يجعل الله تعالى أنواعاً من أفعاله وعطائه بواسطة الأنبياء والاوصياء (عليهم السلام) أو يجعلها معلقةً على طلبهم منه!

ولا ـ يصح التفريق بين الأمرين والقول بأن ذلك إن كان بواسطة الملائكة فهو إيمان لانهم لايصيرون شركاء، أما إن كان بواسطة غيرهم فيصيرون شركاء لله تعالى!

أو القول بأن تعليق العطاء الالهى على طلب الأنبياء والاوصياء (عليهم السلام) شراكةٌ لله تعالى وشركٌ به، لكن شراكة الملائكة لله تعالى والشرك بهم لا بأس به!!

نقول لأصحاب هذه الشبهة: إقرؤوا قول الله تعالى: وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. الفتح: ۴.

وقوله تعالى: وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. الفتح: ۷.

وقوله تعالى: وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ. المدثر: ۳۱.

ثم نقول لهم: نحن وأنتم لا ـ يحق لنا أن نقسم رحمة الله تعالى أو نحصرها، أو نحصر طرقها، أو نضع له لائحة فتاوى لما يجوز له أن يفعله وما لايجوز!

ومعرفتنا ومعرفتكم بما يمكن له تعالى أن يفعله وما لا يمكن، إنما جاءت مما دلنا عليه العقل دلالةً قطعية، أو دلنا عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله.

والعقل لا ـ يرى مانعاً فى أن يربط الله تعالى أفعاله بطلب ملائكته أو أوليائه، فيجعلهم أدوات رحمته، ووسائط فيضه، ووسائل عطائه.. وذلك لا يعنى تشريكهم فى ألوهيته، بل هم عباده المكرمون المطيعون، ووسائله وأدواته التى يرحم بها عباده.

هذا من ناحية نظرية.. وأما من ناحية الوقوع والثبوت، فقد دل الدليل على أن أنظمة الفعل الالهى وقوانينه واسعةٌ ومعقدةٌ، ودل على أنه تعالى جعل كثيراً من عطائه – إن لم يكن كله – عن طريق خِيَرةِ عباده من الملائكة والأنبياء والاوصياء (عليهم السلام) ودل الدليل على جواز الاستشفاع والتوسل بنبينا وآله صلى الله عليه وآله والطلب من الله تعالى بحقهم وحرمتهم وواسطتهم، سواءً فى ذلك أمور الدنيا والآخرة..

ودل الدليل على أن موتهم (عليهم السلام) ليس كموت غيرهم، وأن حرمتهم أمواتاً كحرمتهم أحياء صلوات الله عليهم.

وقد قال تعالى فى آخر سورة أنزلها من كتابه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. المائدة: ۳۵، ولا فرق فى أصحاب الوسيلة إلى الله تعالى بين الملائكة وغيرهم، بل التوسل بنبينا صلى الله عليه وآله أفضل وأرجى من التوسل بالملائكة، لأنه أفضل مقاماً عند الله منهم.

وسيأتى ذلك فى بحث التوسل والإستشفاع، إن شاء الله تعالى. ويأتى أنه يجوز لنا أن نطلب العطاء الإلهى المعلق على شفاعة الأنبياء والأولياء، أو غير المعلق، منهم أنفسهم (عليهم السلام) ولا يعتبر ذلك شركاً، بل هو طلبٌ من الله تعالى.

وأن حكم التوسل بالأنبياء والأولياء والإستشفاع بهم إلى الله تعالى، لا يختلف بين الاموات منهم والاحياء (عليهم السلام).. إلى آخر المسائل التى خالف فيها الوهابيون عامة المسلمين.

وقد أجاب السيد جعفر مرتضى فى كتابه خلفيات مأساة الزهراء عليها السلام / ۲۲۱ – ۲۲۵ على الشبهتين المذكورتين، ومما قاله:

۱ – إن الكل يعلم: أن لا أحد يدعو محمداً صلى الله عليه وآله أو علياً عليه السلام أو أى نبى أو ولى كوجودات منفصلة عن الله تعالى ومستقلة عنه بالتأثير، ولم تحدث فى كل هذا التاريخ الطويل أن تكونت ذهنية شرك عند الشيعة نتيجة لذلك فضلاً عن غيرهم.

۲ – إننا نوضح معنى الشفاعة فى ضمن النقاط التالية:

أ – إن الإنسان المذنب قد لا یجد فی نفسه الاهلیة أو الشجاعة لمخاطبة ذلک الذی أحسن إلیه وأجرم هو فی حقه، أو هکذا ینبغی أن یکون شعوره فی مواقع کهذه، فیوسط له من یحل مشکلته معه ممن لا یرد هذا المحسن طلبهم ولا یخیب مسألتهم..

ب – إن الله إنما یرید المغفرة للعبد المذنب بعد شفاعة الشفیع له.. ولم تکن تلک الإرادة لتتعلق بالمغفرة لولا تحقق الشفاعة..فلو أن الشفیع لم یبادر إلی الشفاعة لکان العذاب قد نال ذلک العبد المذنب.

وهذا کما لو صدر من أحد أولادک ذنب فتبادر إلی عقوبته، فإذا وقف فی وجهک من یعز علیک وتشفع به فإنک تعفو عنه إکراماً له، وإن لم یفعل ذلک کما لو لم یکن حاضراً مثلاً فإنک ستمضی عقوبتک فی ذلک الولد المذنب لا محالة..فالشفاعة علی هذا سبب فی العفو أو جزء سببه له.

إذن فلیس صحیحاً ما یقوله البعض من أن الله تعالی له قد تعلقت إرادته بالمغفرة للعبد قبل الشفاعة بحیث تکون المغفرة له حاصلة علی کل حال، ثم یکرم الله نبیه ویقول له: هذا العبد أرید أن أغفر له فتعال وتشفع إلی فیه..

ج – إذا کان الشخص المذنب قد أقام علاقة طیبة مع ذلک الشافع وتودد إلیه ورأی منه سلوکاً حسناً واستقامة وانقیاداً، فإن الشافع یری أن من اللائق المبادرة إلی مساعدته فی حل مشکلته أما إذا کان قد أغضبه وأساء إلیه أو تعامل معه بصورة لا توحی بالثقة ولا تشیر إلی الإستقامة، فإنه لا یبادر إلی مساعدته ولا یلتفت إلیه.. فسلوک المشفوع له أثر کبیر فی مبادرة الشافع إلی الشفاعة.

د – وحین یکون الشفیع لا ـ یرید شیئاً لنفسه من ذلک الشخص ولا من غیره ویکون ما یرضیه هو ما یرضی الله سبحانه فإن تقدیم الصدقات والقربات للفقراء والإهتمام بما یرضی الشافع، هو فی الواقع إثباتات عملیة علی أن ذلک المذنب راغبٌ فی تصحیح خطئه وتدارک مافاته، وهو براهین وإثباتات علی أنه قد التزم جادة الإستقامة وندم علی ما فرط منه، فإذا قدم مالاً للفقراء أو أطعم أو ذبح شاة وفرقها علی المحتاجین، فإن ذلک لا یکون رشوةً للنبی أو الولی.. وهو یعلم أن النبی والولی لا یأخذ ذلک لنفسه بل یعود نفعه إلی الفقراء والمحتاجین أو یستثمر فی سبیل الله وفی نشر الدین والباذل إنما یبذل ذلک رغبة فی الحصول علی رضا الشافع الذی رضاه رضا الله.

ه– أما إذا أدار ذلک المذنب ظهره للنبی والوصی ولم یلمس الشافع منه أنه یتحرق لتحصیل العفو والرضا عنه، ویقرع کل باب ویتوسل بکل ما من شأنه أن یحل هذا الإشکال، ویبادر إلی العمل بکل مایعلم أنه یرضی سیده عنه، فإنه لا یشفع له ولا کرامة..

و – ومن الواضح: أن من یکون جرمه هائلاً ـ وعظیماً فإن إمکانیة وفرص الاقدام علی الشفاعة له تتضاءل وتضعف.. فلا یضع النبی والوصی نفسه فی مواضع کهذه ولا ـ یرضی الله سبحانه له ذلک. کما أن من یدیر ظهره لأولیاء الله ولا ـ یهتم لرضاهم ولا یزعجه سخطهم فإنه لا یستحق شفاعتهم قطعاً، لأن الإهتمام بهم وبرضاهم جزء من عبادته تعالی ومن المقربات إلیه وموجبات رضاه.. فالتوسل إلیهم والفوز بمحبتهم وبرضاهم سبیل نجاة وطریق هدی وسلامة وسعادة.

ز – إن من الواضح أن المجرم لا یمکن أن یتشفع فی مجرم مثله، وأن المقصر لا یتشفع بنظیره، لأن الشفاعة مقامٌ عظیمٌ وکرامةٌ إلهیة فلا یقبل الله سبحانه شفاعة کل أحد، بل الذین یشفعون هم أناسٌ مخصصون بکرامة الله سبحانه لانهم یستحقونها..

ح – قد ظهر مما تقدم: أن إرادة الله لم تکن قد تعلقت بالمغفرة للمذنب قبل الشفاعة لتکون شفاعة النبی أو الوصی بعدها – بالشکل – ومن دون أن یکون لها تسبیب حقیقی.. بل هناک تسبیب حقیقی للشفاعة، فإنها هی سبب المغفرة وهی سبب إرادة الله بأن یغفر لذلک المذنب ولو لم یقم الشافع بها لم یغفر الله لذلک المذنب.

ولولا ذلک فإنه لا یبقی معنی للشفاعة..ولا یکون العفو إکراماً للشافع واستجابة له. انتهی.

تعریف الشفاعة فی اللغة

قال الخلیل فی کتاب العین: ۱/۲۶۰:

الشافع: الطالب لغیره، وتقول استشفعت بفلان فتشفع لی إلیه فشفعه فیَّ. والاسم: الشفاعة. واسم الطالب: الشفیع. قال:

زعمت معاشر أننی مستشفع لما خرجت أزوره أقلامه

أی: زعموا أنی أستشفع (بأقلامهم) أی بکتبهم إلی الممدوح، لا بل إنی أستغنی عن کتب المعاشر بنفسی عند الملک. والشفعة فی الدار ونحوها معروفة یقضی لصاحبها. والشافع: المعین، یقال فلان یشفع لی بالعداوة، أی یعین علی ویضادنی قال النابغة:أتاک امرؤ مستعلن شنآنهله من عدوٍّ مثل ذلک شافع أی: معین. وقال الاحوص:بأنَّ من لامَنِی لاصْرمهاکانوا علینا بلومهم شفعواأی: أعانوا.

وقال الراغب فی المفردات/۲۶۳:

الشفع: ضم الشئ إلی مثله ویقال للمشفوع شفع. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ: قیل الشفع المخلوقات من حیث إنها مرکبات کما قال: ومن کل شئ خلقنا زوجین. والوتر هو الله من حیث إن له الوحدة من کل وجه.

وقیل: الشفع یوم النحر من حیث إن له نظیراً یلیه، والوتر یوم عرفة. وقیل الشفع ولد آدم والوتر آدم لأنه لا عن والد.

والشفاعة: الإنضمام إلی آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأکثر ما یستعمل فی انضمام من هو أعلی حرمة ومرتبة إلی من هو أدنی. ومنه الشفاعة فی القیامة قال (لا یَمْلِکُونَ الشَّفَاعَةَ إلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحمَنِ عَهْدًا. لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ. لا تُغْنِی شَفَاعَتُهُمْ شَیْئًا وَلا یَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَی فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِینَ، أی لا یشفع لهم. وَلا یَمْلِکُ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ. مِنْ حَمِیمٍ وَ لا شَفِیعٍ مَنْ یَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً. وَمَنْ یَشْفَعْ شَفَاعَةً سَیِّئَةً، أی من انضم إلی غیره وعاونه وصار شفعاً له أو شفعیاً فی فعل الخیر والشر فعاونه وقواه وشارکه فی نفعه وضره.

وقیل الشفاعة هاهنا أن یشرع الإنسان للآخر طریق خیر أو طریق شر فیقتدی به، فصار کأنه شفع له وذلک کما قال علیه السلام: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سیئة فعلیه وزرها ووزر من عمل بها، أی إثمها وإثم من عمل بها وقوله: ما من شفیع إلاـ من بعد إذنه، أی یدبر الأمر وحده لاـ ثانی له فی فصل الأمر إلا أن یأذن للمدبرات والمقسمات من الملائکة فیفعلون ما یفعلونه بعد إذنه. واستشفعت بفلان علی فلان فتشفع لی، وشفعه أجاب شفاعته، ومنه قوله علیه السلام: القرآن شافع مشفع.

والشفعة: هو طلب مبیع فی شرکته بما بیع به لیضمه إلی ملکه، وهو من الشفع وقال علیه السلام: إذا وقعت الحدود فلا شفعة.

وقال فی المفردات/۴۳۶:

وأما قوله: مَنْ یَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً إلی قوله: یَکُنْ لَهُ کِفْلٌ مِنْهَا، فإن الکفل ههنا لیس بمعنی الأول بل هو مستعار من الکفل وهو الشئ الردی.

وقال الزبیدی فی تاج العروس:۵/۴۰۱:

وشفعته فیه تشفیعاً حین شفع کمنع شفاعة، أی قبلت شفاعته، کما فی العباب قال حاتم یخاطب النعمان:

فَکَکْتَ عدیّاً کلها من إسارها فأفضلْ وشفعنی بقیسِ بن جُحْدرِ

وفی حدیث الحدود: إذا بلغ الحد السلطان فلعن الله الشافع والمشفع.

وفی حدیث أبی مسعود (رض): القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، أی من اتبعه وعمل بما فیه فهو شافع له مقبول الشفاعة من العفو عن فرطاته، ومن ترک العمل به ندم علی إساءته وصدق علیه فیما یرفع من مساویه، فالمشفع الذی یقبل الشفاعة.

والمشفع الذی تقبل شفاعته، ومنه حدیث الشفاعة: إشفع تشفع، واستشفعه إلینا، وعبارة الصحاح واستشفعه إلی فلان أی سأله أن یشفع له إلیه، وأنشد الصاغانی للاعشی:

تقول بنتی وقد قربت مرتحلًا یا رب جنِّب أبی الاوصاب والوجع

واستشفعت من سراة الحی ذا شرف فقد عصاها أبوها والذی شفع

یرید والذی أعان وطلب الشفاعة فیها. وأنشد أبو لیلی:

زعمت معاشر أننی مستشفعٌ لما خرجت أزوره أقلامه

قال زعموا أنی أستشفع بأقلامهم فی الممدوح أی بكتبهم.

ومما يستدرك عليه الشفيع من الأعداد ما كان زوجاً، والشفع ما شفع به سمی بالمصدر، وجمعه شفاع، قال كثير:

وأخو الاباءة إذ رأی خلانه تلی شفاعاً حوله كالاذخر

شبههم بالأذخر لأنه لا يكاد ينبت إلا زوجاً زوجاً. وشاة شفوع كشافع ويقال هذه شاة الشافع كقولهم صلاة الأولی ومسجد الجامع. وهكذا روی فی الحديث الذی تقدم عن سعر بن ديسم (رض)، وشاة مشفع كمكرم ترضع كل بهيمة، عن ابن الأعرابی. وتشفع إليه فی فلان: طلب الشفاعة، نقله الجوهری. وتشفعه أيضاً مطاوع استشفع به كما فی المفردات. وتشفع صار شافعی المذهب وهذه مولدة. والشفاعة ذكرها المصنف ولم يفسرها وهی كلام الشفيع للملك فی حاجة يسألها لغيره. وشفع اليه فی معنی طلب إليه. وقال الراغب: الشفع ضم الشئ إلی مثله، والشفاعة الإنضمام إلی آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما تستعمل فی إنضمام من هو أعلی مرتبة إلی من هو أدنی ومنه الشفاعة فی القيامة. وقال غيره: الشفاعة التجاوز عن الذنوب والجرائم. وقال ابن القطاع: الشفاعة المطالبة بوسيلة أو ذمام.

تعريف الشفاعة عند المتكلمين

قال الشريف المرتضی فی رسائله: ۱/۱۵۰:

وحقيقة الشفاعة وفائدتها: طلب إسقاط العقاب عن مستحقه، وإنما تستعمل فی طلب إيصال المنافع مجازاً وتوسعاً، ولا خلاف فی أن طلب إسقاط الضرر والعقاب يكون شفاعة علی الحقيقة.

وقال فی:۳/۱۷:

وشفاعة النبی صلی الله عليه وآله إنما هی فی إسقاط عقاب العاصی لا فی زيادة المنافع، لأن حقيقة الشفاعة تختص بذلك، من جهة أنها لو اشتركت لكنا شافعين فی النبی صلی الله عليه وآله إذا سألنا فی زيادة درجاته ومنازله. انتهی.

وقال فی:۲/۲۷۳:

الشفاعة: طلب رفع المضار عن الغير ممن هو أعلی رتبة منه، لاجل طلبه.

وقال أبو الصلاح الحلبی فی الكافی/۴۶۹:

وقلنا: إن الشفاعة وجهٌ عندنا لإجماع الأمة علی ثبوتها له صلی الله عليه وآله ومضی إلی زمان حدوث المعتزلة علی الفتوی بتخصيصها بإسقاط العقاب، فيجب الحكم بكونها حقيقة فی ذلك، لانعقاد الإجماع فی الازمان السابقة لحدوث هذه الفرقة.

تفسير التبيان:۵/۳۳۴:

قوله تعالی: إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ...

وقوله: مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ، فالشفيع هو السائل فی غيره لاسقاط الضرر عنه. وعند قوم أنه متی سأله فی زيادة منفعة توصل إليه كان شفيعاً. والذی اقتضی ذكره هاهنا صفات التعظيم مع اليأس من الإتكال فی دفع الحق علی الشفيع.

والمعنی هاهنا أن تدبيره للاشياء وصنعته لها، ليس يكون منه بشفاعة شفيع، ولا تدبير مدبر لها سواه، وأنه لا يجسر أحدٌ أن يشفع اليه إلا بعد أن يأذن له فيه، من حيث كان تعالی أعلم بموضع الحكمة والصواب من خلقه بمصالحهم...

وإنما ذكر الشفيع فی الآية ولم يجر له ذكر، لأن المخاطبين بذلك كانوا يقولون الأصنام شفعاؤهم عند الله، وذكر بعدها: ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وإذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة! مع أنه لا يشفع عنده إلا من ارتضاه الله.

کنز الدقائق:۱/۲۳۸:

واتقوا یوماً لا تجزی نفس عن نفس شیئاً ولا یقبل منها شفاعة ولا یؤخذ منها عدل ولا هم ینصرون. واستدلت المعتزلة بهذه الآیة علی نفی الشفاعة لأهل الکبائر.

قال البیضاوی: وأجیب بأنها مخصوصة بالکفار للآیات والأحادیث الواردة فی الشفاعة، قال: ویؤیده أن الخطاب معهم، والآیة نزلت رداً لما کانت الیهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم.

أقول: الآیة یحتمل أن تکون مخصصة للآیات والأحادیث الواردة فی الشفاعة الدالة علی عمومها، کما أن کون الخطاب معهم یحتمل أن یکون مؤیداً للتخصیص بالکفار، فلا یتم الإستدلال من الجانبین، فتأمل.

مجمع البحرین:۲/۵۲۲:

قال تعالی: مَنْ یَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً یَکُنْ لَهُ نَصِیبٌ مِنْهَا، قیل معناه من یصلح بین اثنین یکن له جزء منها. ومن یشفع شفاعة سیئة، أی یمشیء بالنمیمة مثلاً، یکن له کفل منها أی إثم منها.

وقیل المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنین، وبالشفاعة السیئة الدعاء علیهم.

قوله: وَلا یَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَی، دینه، وهو مروی عن الرضا علیه السلام وعن بعض المفسرین ولایشفعون إلا لمن ارتضی دینه من أهل الکبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغیر محتاجین إلی الشفاعة. قال الصدوق: المؤمن من تسره حسنته وتسوءه سیئته لقول النبی صلی الله علیه وآله: من سرته حسنته وساءته سیئته فهو مؤمن، ومتی ساءته سیئته ندم علیها والندم توبة، والتائب مستحق الشفاعة والغفران. ومن لم تسوؤه سیئته فلیس بمؤمن ومن لم یکن مؤمناً لم یستحق الشفاعة، لأن الله تعالی غیر مرتض دینه.

قوله: فما تنفعهم شفاعة الشافعین قیل فی معناه لا ـ شافع ولا شفاعة، فالنفی راجع إلی الموصوف والصفة، کقوله لا یسألون الناس إلحافاً.

وفی الحدیث تکرر ذکر الشفاعة فیما یتعلق بأمور الدنیا والآخرة، وهی السؤال فی التجاوز عن الذنوب والجرائم، ومنه قوله صلی الله علیه وآله: أعطیت الشفاعة.

قال الشیخ أبو علی: واختلفت الأمة فی کیفیة شفاعة النبی صلی الله علیه وآله یوم القیامة فقالت المعتزلة ومن تابعهم: یشفع لأهل الجنة لیزید فی درجاتهم. وقال غیرهم من فرق الأمة: بل یشفع لمذنبی أمته ممن ارتضی الله دینهم، لیسقط عقابهم بشفاعته.

وفی حدیث الصلاة علی المیت: وإن کان المستضعف بسبیل منک فاستغفر له علی وجه الولایة. وفی الخبر: إشفع تشفع، أی تقبل شفاعتک، وفیه: أنت أول شافع وأول مشفع، هو بفتح الفاء، أی أنت أول من یشفع وأول من تقبل شفاعته. وفی الحدیث: لا تشفع فی حق امرئ مسلم إلا بإذنه. وفیه: یشفعون الملائکة لإجابة دعاء من یسعی فی المسعی کأنهم یقولون: اللهم استجب دعاء هذا العبد.

تفسیر الرازی:۲ جزء ۳/۵۵:

أجمعت الأمة علی أن لمحمد (ص) شفاعة فی الآخرة، وحمل علی ذلک قوله تعالی: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، وقوله تعالی: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی... ثم اختلفوا بعد هذا فی أن شفاعته علیه السلام لمن تکون؟ أتکون للمؤمنین المستحقین للثواب، أم تکون لأهل الکبائر المستحقین للعقاب؟ فذهب المعتزلة إلی أنها للمستحقین للثواب... وقال أصحابنا تأثیرها فی إسقاط العذاب عن المستحقین للعقاب.

تحریف الیهود والنصاری للشفاعة

مقولاتهم فی الشفاعة من مصادرهم

عراقة عقیدة الشفاعة

قاموس الكتاب المقدس/۵۱۳:

شفع - شفيع - شفاعة: وهى التوسط بين شخص وآخر. وهى دليل محبة الإنسان لأخيه الإنسان. كما أنها مؤسسة على أن معاملة الله للبشر معاملة ليست فردية فحسب بل جماعية أيضاً.

والصلاة الشفاعية قديمة قدم نوح (تك ۸: ۲۰ و ۲۲) وإبراهيم (تك ۱۷: ۱۸ و۲۳-۳۳) وموسى (خر ۱۵: ۲۵).

وخليفة موسى الذى رفع صلواته كقاضى وكاهن ونبى هو صموئيل (۱ صم ۵:۷ و ۸) وحياة المسيح كانت مليئة بالصلوات الشفاعية.

بل إن الصلاة الربانية تحمل روح الشفاعة فى طلب الملكوت ومغفرة ذنوب الآخرين.

والصلاة الشفاعية يرفعها الإنسان لاجل صديق أو لاجل عدو (مت ۵: ۴۴) أما الروح القدس فهو يشفع فينا (رو ۸: ۲۶) أما المسيح فى حياته الشخصية وموته على الصليب فهو شفيعنا الذى ساقته شفاعته للموت على الصليب كفارة لخطايا البشرية. أنظر (وسيط).

قاموس الكتاب المقدس/۹۳۳:

وكان موسى وسيطاً بين الله وشعب بنى إسرائيل وهكذا المسيح هو وسيط بين الله والناس.

العهد القديم والجديد:۳/۳۰۷:

۱۸ - لأنه إن كانت الوراثة من الناموس فلم تكن أيضاً من موعد. ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعد.

۱۹ - لماذا الناموس. قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتى النسل الذى قد وعد له مرتباً بملائكة فى يد وسيط.

۲۰ - وأما الوسيط فلا يكون لواحد ولكن الله واحد.

شفاعة ابراهيم للمؤمنين و لاسماعيل و لوط

قاموس الكتاب المقدس/۱۱:

ثم أعلن الرب لإبراهيم خراب سدوم وعمورة بسبب شرهما فتشفع إبراهيم لاجل الابرار هناك فأنقذ الرب لوطاً بيد ملاكين (تك/۱۸ و ۱۹)... وحيثما سكن إبراهيم كان يقيم مذبحاً للرب ويدعو باسمه (تك ۱۲: ۷ و ۸) وقد قدم صلوات تشفعية لأجل الآخرين ففى تك ۱۷:۲۰ صلى لأجل إسماعيل وفى تك ۱۸: ۲۳ - ۳۲ تشفع لاجل لوط.

شفاعة زكريا لبنى إسرائيل

قاموس الكتاب المقدس/۴۴۱:

كما ظهر لزكريا بروح النبوة واقفاً على هذا الجبل شافعاً فى شعبه (زك ۱۴: ۴).

البشارة بالشفيع الذى سيأتى (البراقليطس)

قاموس الكتاب المقدس/۶۲۷:

معز: (يو ۱۴: ۱۶ و ۱۵: ۲۶ و ۱۶: ۷) وهو الروح القدس. ولم ترد إلا فى إنجيل يوحنا. والكلمة الأصلية اليونانية (پرا كليتيس) وتعنى (معز ومعين وشفيع ومحام) وتشير إلى عمل الروح القدس لأجلنا.

توسيع بولس للشفاعة و حصرها بالمسيح

قاموس الكتاب المقدس/۱۲۴:

ومع أن بنى الإنسان قد فقدوا الصورة الإلهية التى خلقوا عليها، ومع أنهم وقعوا تحت طائلة العقاب الإلهى الرهيب، إلا أنهم بسبب عمل الفداء أهل لأن ينالوا غفران خطاياهم غفراناً تاماً كاملاً إذا آمنوا بالرب يسوع المسيح (الشفيع الوحيد بين الله والناس) وندموا على خطاياهم ندامة صحيحة حقيقية، وأصبحوا أهلاً للتحرر من عبودية الخطيئة ورقها والانتقال إلى حرية أبناء الله بالنعمة المجانية.

قاموس الكتاب المقدس/۷۹۵:

وقد وصف يسوع بأنه رئيس كهنة المؤمنين العظيم الذى نضح قدس الاقداس السماوى بدمه، والذى جلس عن يمين الاب هناك حيث هو الان يشفع فيهم (عب ۴: ۱۴ و۷: ۲۵ و ۹: ۱۲) الخ.

قاموس الكتاب المقدس/۸۶۹:

وأعلن لهم أن يهوذا الذى كان واحداً منهم سيسلمه (مر ۱۴: ۱۸-۲۱ ويو ۱۳ ۲۱ - ۳۰) ورسم لهم فريضة العشاء الربانى (مت ۲۶: ۲۶-۲۹ وما يليه) ثم قدم صلاته الشفاعية العظمى من أجل أتباعه (يو ۱۷: ۱-۲۶. من ثم قدم نفسه نهائياً للاب وسلم إرادته تسليماً كلياً له فى بستان جثسيمانى (مت ۲۶: ۳۹-۴۶ غيره).

قاموس الكتاب المقدس/۸۸۹:

وسيط ۱ تى ۲: ۵ وسيط العهد الجديد عب ۱۲: ۲۴.

قاموس الكتاب المقدس/۹۰۴:

وكذلك يذكر فيلو (ملكى صادق) كرمز ومجاز للعقل الصائب الخير، بينما يذكره كاتب الرسالة إلى العبرانيين رمزاً للمسيح الفادى والوسيط الأعظم.

العهد القديم والجديد:۲/۵۷:

لأن معاصينا كثرت أمامك وخطايانا تشهد علينا لأن معاصينا معنا وآثامنا نعرفها.

۱۳ - تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلهنا. تكلمنا بالظلم والمعصية، حبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب.

۱۴ - وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيداً. لأن الصدق سقط فى الشارع والإستقامة لا تستطيع الدخول.

۱۵ - وصار الصدق معدوماً والحائد عن الشر يسلب، فرأى الرب وساء.

۱۶ - فرأى أنه ليس إنسان وتحير من أنه ليس شفيع...

۳۴ - من هو الذى يدين. المسيح هو الذى مات بل بالحرى قام أيضاً الذى هو أيضاً عن يمين الله الذى أيضاً يشفع فينا.

العهد القديم والجديد:۳/۳۳۹:

۵ - لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح.

۶ - الذى بذل نفسه فدية لاجل الجميع، الشهادة فى أوقاتها الخاصة.

۷ـ التى جعلت أنا لها كارزاً ورسولاً. الحق أقول فى المسيح ولا أكذب. معلماً للأمم فى الإيمان والحق.

۸ـفأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال

العهد القديم والجديد:۳/۲۵۶:

۲۶ ـ وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاءنا، لاننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها.

۲۷ ـ ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين.

العهد القديم والجديد:۳/۳۵۸:

۲۵ ـ فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم.

۲۶- - لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات.

۲۷ – الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه.

العهد القديم والجديد:۳/۳۶۱:

۱۱ – وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أى الذين ليس من هذه الخليقة.

۱۲ – وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً.

العهد القديم والجديد:۳/۳۶۲:

ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد، لكى يكون المدعوون إذ صار موت لفداء التعديات التى فى العهد الأول، ينالون وعد الميراث الأبدى.

العهد القديم والجديد:۳/۳۶۷:

۲۲ – بل قد أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة.

۲۳ – وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات، وإلى الله ديان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكملين.

۲۴ – وإلى وسيط العهد الجديد يسوع، وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل.

۲۵ – انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم. لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلم على الأرض، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن الذى من السماء.

العهد القديم والجديد:۳/۳۸۶:

۱ – يا أولادى أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب، يسوع المسيح البار. ۲ – وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً.

۳ – وبهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه.

نفهم من هذه النصوص ملامح حقائق عديدة أهمها:

أولاً: أن أصل شفاعة الأنبياء والاوصياء وخيار المؤمنين للخاطئين، هى عندهم كما عندنا، أمرٌ ثابتٌ فى الرسالات الإلهية من عهد إبراهيم، بل من عهد نوح (عليهما السلام).

ثانياً: أنها أخذت فى اليهود شكل شفاعة رؤساء الكهنة ومسؤولى القرابين فى المعابد، ثم وصلت إلى ادعاء اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعب الله المختار، وأنهم لا تمسهم النار إلا أياماً معدودة.. فلا يحتاجون إلى شفاعة!

ثالثًا: أن (عقيدة الفداء المسيحية) التى تدعى أن المسيح عليه السلام قد شفع فى خطايا كل البشر بتحمله الصلب والقتل.. هى توسيع لعقيدة الشفاعة اليهودية، وقد اخترعها بولس الذى نصَّرَ النصارى، وعممها لغير القومية اليهودية.

قال الدكتور أحمد شلبى فى كتابه مقارنة بين الأديان: ۲/۲۴۵ تحت عنوان: الله فى التفكير المسيحى:

ومن أجل هذا كان نقل المسيحية من الوحدانية إلى التثليث ونقل عيسى من رسول إلى إله، والقول بأن المسيحية رسالة عامة، والقول بأن عيسى ابن الله نزل ليضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر، وأنه عاد مرة أخرى إلى السماء ليجلس على يمين أبيه، كان هذا كله عملًا جديداً على المسيحية التى جاء بها عيسى.

كيف انتقلت المسيحية من حال إلى حال ومن الذى قام بذلك ومتى؟

هذا ما سنحاول إبرازه فيما يلى:

ترتبط هذه الأمور بشخصية مهمة فى المسيحية هى شخصية شاؤول (بولس) ولذلك يرى الباحثون الغربيون أن المسيحية الحالية بهذه

العناصر الجديدة من صنع هذا الرجل...!

وبولس كما يقول عن نفسه (يهودى فريسى ابن فريسى على رجاء قيامة الأموات - أعمال الرسل ۲۳: ۶) وكان عدواً للمسيحيين وهو فى ذلك يقول (سمعتم بسيرتى قبلاً فى الديانة اليهودية، إنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى، إذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى (غلاطية ۱: ۱۳-۱۴).

ويبدو أنه كان من وسائل بولس لتدمير المسيحية أن يحطم معتقداتها واتجاهاتها المقدسة، ووضع لذلك طريقة تكفل له الوقوف فى وجه معارضيه عندما يظهر بأفكاره الجديدة،

فادعى شاؤول أن السيد المسيح - بعد نهايته على الأرض - ظهر له وصاح فيه وهو فى طريقه إلى دمشق: لماذا تضطهدنى، فخاف شاؤول وصرخ: من أنت يا سيد؟ قال: أنا يسوع الذى تضطهده! قال شاؤول: ماذا تريد أن أفعل؟ قال يسوع: قم وكرز بالمسيحية!!

ويقول لوقا فى ختام هذه القصة جملة ذات بال غيرت وجه التاريخ هى:

وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أنه ابن الله(أعمال ۹: ۳-۳۰) انتهى.

رابعاً: أن الإتجاه العام عند محرفى الأديان بعد أنبيائهم هو تسهيل أمر المغفرة الإلهية ودخول الجنة لاتباعهم، والافراط فى ذلك إلى حد إلغاء قانون العقوبة الإلهية، وفى المقابل التشدد مع خصومهم ومخالفيهم من التابعين لنفس الدين، والحكم عليهم بأنهم من أهل النار!

خامساً: بما أنه ثبت عن النبى صلى الله عليه وآله بأحاديث صحيحة عند الجميع، أن الأمة الإسلامية سوف تتبع سنن اليهود والنصارى فى انحرافها عن الإسلام وتحريفها له، وفى صراعاتها الداخلية.. فإن على الباحث أن يكون حذراً متثبتاً فى أحاديث الصحابة فى الشفاعة، لكى يميز بين الثابت منها بنصوص متفق عليها عند جميع المسلمين، وبين الذى يتبناه صحابى نافذ، أو فئة حاكمة، وفى نفس الوقت يوجد فى الصحابة من ينفيه أو يكذبه!

مقولاتهم فى الشفاعة من مصادرن

قال الله تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. المائدة ۱۸-۱۹.

تفسير التبيان:۳/۴۷۷:

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ... روى عن ابن عباس أن جماعة من اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وآله حين حذرهم بنقمات الله وعقوباته فقالوا: لا تخوفنا فإنا أبناء الله وأحباؤه.

وقال السدى: إن اليهود تزعم أن الله عز وجل أوحى إلى بنى اسرائيل أن ولدك بكر من الولد. وقال الحسن: إنما قالوا ذلك على معنى قرب الولد من الوالد.

وأما قول النصارى فقيل فيه: إنهم تأولوا ما فى الإنجيل من قول عيسى أذهب إلى أبى وأبيكم. وقال قوم: لما قالوا المسيح ابن الله أجرى ذلك على جميعهم كما يقولون: هذيل شعراء، أى منهم شعراء...

وقوله: وأحباؤه، جمع حبيب فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: قل لهؤلاء المفترين على ربهم: فلم يعذبكم بذنوبكم؟ فلاى شئ يعذبكم بذنوبكم إن كان الأمر على ما زعمتم، فإن الاب يشفق على ولده والحبيب على حبيبه.

واليهود تقرُّ أنهم يعذبون أربعين يوماً، وهى عدد الأيام التى عبدوا فيها العجل!

وقوله: بل أنتم بشر، معناه قل لهم ليس الأمر على ما زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه، بل أنتم بشر ممن خلق من بنى آدم، إن أحسنتم

جوزيتم على إحسانكم مثلهم، وإن أسأتم جوزيتم على إساءتكم، كما يجازى غيركم، وليس لكم عند الله إلا ما لغيركم من خلقه.

تفسير التبيان:۱/۴۸۶:

أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ... وكانت محاجتهم له صلى الله عليه وآله أنهم زعموا أنهم أولى بالحق لانهم راسخون فى العلم وفى الدين، لتقدم النبوة فيهم والكتاب، فهم أولى بأن يكون الرسول منهم.

وقال قوم: بل قالوا نحن أحق بالإيمان، لأنا لسنا من العرب الذين عبدوا الأوثان. وقال الحسن: كانت محاجتهم أن قالوا نحن أولى بالله منكم، وقالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا. وغرضهم بذلك الإحتجاج بأن الدين ينبغى أن يلتمس من جهتهم، وأن النبوة أولى أن تكون فيهم. وليس الأمر على ما ظنوا، لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته، ومن الذى يقوم بأعبائها ويتحملها على وجه يكون أصلح للخلق وأولى بتدبيرهم. وقوله: لنا أعمالنا، معناه الإنكار لإحتجاجهم بأعمالهم، لأنهم مشركون ونحن له مخلصون. وقيل معناه الإنكار للإحتجاج بعبادة العرب للاوثان، فقيل: لا حجة فى ذلك، إذ لكل أحد عمله لا يؤخذ بجرم غيره.

سيرة ابن هشام:۲/۴۰۳:

وأتى رسول الله(ص)نعمان بن أضاء، وبحرى بن عمرو، وشاس بن عدى، فكلموه وكلمهم رسول الله(ص)ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد؟! نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى فأنزل الله تعالى فيهم: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ... الخ. ورواه فى الدر المنثور:۲/۲۶۹ عن ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى الدلائل، عن ابن عباس.

الدر المنثور:۲/۱۴:

عن قتادة: وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون، حين قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد: وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون، قال: غرهم قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة.

الدر المنثور:۲/۱۷۰:

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم عن الحسن فى قوله: أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، قال: هم اليهود والنصارى، قالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى.

وأخرج ابن جرير عن السدى فى قوله: أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، قال: نزلت فى اليهود قالوا: إنا نعلم أبناءنا التوراة صغاراً فلا يكون لهم ذنوب، وذنوبنا مثل ذنوب أبنائنا، ما عملنا بالنهار كُفِّرَ عنا بالليل.

الدر المنثور:۳/۳۷:

وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ، قال كذبوا له، أما اليهود والنصارى فقالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وأما مشركوا العرب فكانوا يعبدون اللات والعزى، فيقولون: العزى بنات الله، سبحانه وتعالى عما يصفون، أى عما يكذبون..

وأخرج الطستى عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرنى عن قوله: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَنَاتٍ، قال: وصفوا لله بنين وبنات افتراء عليه، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم، أما سمعت حسان بن ثابت يقول:

اخترق القول بها لاهياً مستقبلاً أشعث عذب الكلام

الدر المنثور:۱/۸۹:

أخرج ابن جرير عن أبى العالية قال: قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، فأنزل الله: قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين، فلم يفعلوا.

وأخرج البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس فى هذه الآية قال: قُلْ إنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ، يعنى الجنة كما زعمتم خالصة من دون

الناس، يعنى المؤمنين فتمنوا الموت إن كنتم صادقين أنها لكم خالصة من دون المؤمنين. فقال لهم رسول الله (ص): إن كنتم فى مقالتكم صادقين قولوا: اللهم أمتنا، فوالذى نفسى بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه، فأبوا أن يفعلوا وكرهوا ما قال لهم، فنزل: وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ، يعنى عملته أيديهم وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ.

وأخرج ابن اسحق وابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله: فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ، أى ادعوا بالموت على أى الفريقين أكذب، فأبوا ذلك، ولو تمنوه يوم قال ذلك ما بقى على وجه الأرض يهودى إلا مات.

وأخرج ابن اسحق وابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله: وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ، يعنى اليهود، ومن الذين أشركوا، وذلك أن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت فهو يحب طول الحياة، وأن اليهودى قد عرف ماله فى الآخرة من الخزى بما ضيع ما عنده من العلم.

وقال الله تعالى: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ. بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۸۰ – ۸۲.

تفسير التبيان:۱/۳۲۳:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، وإنما لم يبين عددها فى التنزيل لأنه تعالى أخبر عنهم بذلك وهم عارفون بعدد الأيام التى يوقتونها فى النار، فلذلك نزل تسمية عدد الأيام وسماها معدودة لما وصفنا. وقال أبو العالية وعكرمة والسدى وقتادة: هى أربعون يوماً. ورواه الضحاك عن ابن عباس. ومنهم قال: إنها عدد الأيام التى عبدوا فيها العجل.

وقال ابن عباس: إن اليهود تزعم أنهم وجدوا فى التوراة مكتوباً إن ما بين طرفى جهنم مسيرة أربعين سنة، وهم يقطعون مسيرة كل سنة فى يوم واحد، فإذا انقطع المسير انقطع العذاب، وهلكت النار.

وقال مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس: إنها سبعة أيام، لأن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنهم يعذبون بعدد كل ألف سنة يوماً واحداً من أيام الآخرة، وهو كألف سنة من أيام الدنيا.

ولما قالت اليهود ما قالت من قولها: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلاأَيَّامًا مَعْدُودَةً على ما بيناه، قال الله تعالى لنبيه: قل أتخذتم عند الله عهداً بما تقولون من ذلك أو ميثاقاً، فالله لا ينقض عهده، أم تقولون على الله ما لا تعلمون من الباطل جهلاً وجرأة عليه...

قوله تعالى: بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ... قوله بلى جواب لقوله لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، فرد الله عليهم بأن قال: بلى من أحاطت به خطيئته...

كنز الدقائق:۲/۴۷:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً: بسبب تسهيلهم أمر العذاب. وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون، من قولهم السابق، أو أن آبائهم الأنبياء يشفعون لهم، أو أنه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم، وتكرير الكذب والإفتراء يصيره فى صورة الصدق عند قائله ومفتريه.

تفسير نور الثقلين:۱/۹۳:

فى تفسير على بن ابراهيم قوله: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، قال: قال بنو اسرائيل: لن تمسنا النار ولن نعذب إلا الايام المعدودات التى عبدنا فيها العجل، فرد الله عليهم: قُلْ – يا محمد لهم – أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ.

سيرة ابن هشام:۲/۳۸۰:

وقالوا: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ.

قال ابن إسحاق: وحدثنى مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قدم رسول الله(ص)المدينة واليهود

تقول: إنمـا مـدة الـدنيا سـبعة آلاف سـنة، وإنما يعـذب الله الناس فى النار بكل ألف سـنة من أيام الـدنيا يوماً واحـداً فى النار من أيام الآخرة، وإنما هى سبعة أيام ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله فى ذلك من قولهم: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ. بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، أى من عمـل بمثل أعمالكم وكفر بمثـل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بماله عنـد الله من حسـنة، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، أى خلـداً أبـداً. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. أى من آمن بمـا كفرتم به وعمـل بمـا تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً ولا انقطاع له.

قـال ابن إسـحاق: ثم قال الله عز وجل يؤنبهم: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَائِيلَ، أى ميثاقكم، لا تَعْبُدُونَ إلا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إلا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ. أى تركتم ذلك كله...

الدر المنثور:۱/۸۴:

قوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ الآية. أخرج ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والواحدى عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة... الخ.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عكرمة قال: اجتمعت يهود يوماً فخاصموا النبى(ص)فقالوا: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، وسـموا أربعين يوماً ثم يخلفنا فيها ناس وأشاروا إلى النبى(ص) وأصـحابه! فقال رسول الله(ص)ورد يده على رؤسـهم: كـذبتم بل أنتم خالدون مخلدون فيها لا نخلفكم فيها إن شاء الله تعالى أبداً، ففيهم أنزلت هذه الآية: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، يعنون أربعين ليلة.

وأخرج ابن جرير عن زيد بن أسـلم أن رسول الله(ص)قال لليهود: أنشدكم بالله وبالتوراة التى أنزل الله على موسـى يوم طور سيناء: من أهـل النـار الـذين أنزلهم الله فى التوراة قـالوا: إن ربهم غضب عليهم غضـبة فنمكث فى النار أربعين ليلـة ثم نخرج فتخلفوننا فيها! فقال رسول الله (ص): كذبتم والله لا نخلفكم فيها أبداً، فنزل القرآن تصديقاً لقول النبى(ص)وتكذيباً لهم: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلى قوله هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

مجمع الزوائد:۶/۳۱۴:

قوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً عن ابن عباس أن يهوداً كانوا يقولون هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب لكل سنة يوماً فى النار وإنما سبعة أيام معدودات، فأ نزل الله عز وجل: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، إلى قوله: فِيهَا خَالِدُونَ.

وقـال الله تعـالى: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ. البقرة: ۱۱۱ – ۱۱۲.

يَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ. البقرة: ۴۷ – ۴۸.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. آل عمران: ۳۱.

إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا. أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّى مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً. انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا. أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً. النساء: ۴۸ – ۵۱.

تفسير التبيان:۱/۲۲۱:

وقـالوا لن يـدخل الجنـة إلا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم. قال الزجاج: اليهود جاؤوا إلى النبى صـلى الله عليه وآله بأولادهم

الأطفال فقالوا: یامحمد أعلی هؤلاء ذنوب؟ فقال صلی الله علیه وآله: لا، فقالوا: کذلک نحن مانعمل باللیل یغفر بالنهار، وما نعمل بالنهار یغفر باللیل، فقال الله تعالی: بَلِ اللهُ یُزَکِّی مَنْ یَشَاءُ.

وقال: مجاهد وأبو مالک: کانوا یقدمونهم فی الصلاة ویقولون: هؤلاء لا ذنب لهم. وقال ابن عباس: کانوا یقولون: أطفالنا یشفعون لنا عند الله.

کنز الدقائق:۲/۵۸:

قال الله تعالی: إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللهُ وَیَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ...

قال البیضاوی: روی أنها نزلت لما قالت الیهود: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وقیل: نزلت فی وفد نجران لما قالوا: إنا نعبد المسیح حباً لله..انتهی.

حقائق التأویل/۱۲۶:

وقال بعضهم إنهم قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، فالخلائق غیرنا عبید لنا ومنخفضون عن علونا، فلیس علینا جناح فی أکل أموال عبیدنا ومن هم فی الرتبة دوننا. قال صاحب هذا القول: والیهود یتدینون باستحلال أموال کل من خالفهم باستعمال الغش فی معاملاتهم، ویدعون أن ذلک فرض علیهم فی دینهم، ولیس تأولهم لذلک علی حد ما یتأوله المسلمون فی أهل الحرب.

وذهب أبو علی إلی أن قولهم: لَیْسَ عَلَیْنَا فِی الْأُمِّیِّینَ سَبِیلٌ، إنما یعنون به لیس علینا لهم سلطان ولا قدرة، فلا یجب علینا اتباعهم ولا النزول تحت حکمهم، یریدون بذلک النبی صلی الله علیه وآله وأصحابه، فلذلک استحلوا أموالهم. انتهی.

تفسیر التبیان:۱/۲۱۳:

وقوله: وَلا یُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ، مخصوص عندنا بالکفار، لأن حقیقة الشفاعة عندنا أن یکون فی إسقاط المضار دون زیادة المنافع. والمؤمنون عندنا یشفع لهم النبی صلی الله علیه وآله فیشفعه الله تعالی ویسقط بها العقاب عن المستحقین من أهل الصلاة، لما روی من قوله صلی الله علیه وآله: ادخرت شفاعتی لأهل الکبائر من أمتی...

والشفاعة ثبتت عندنا للنبی صلی الله علیه وآله وکثیر من أصحابه، ولجمیع الأئمة المعصومین، وکثیر من المؤمنین الصالحین.

وقیل إن نفی الشفاعة فی هذه الآیة یختص بالیهود من بنی إسرائیل، لأنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبیائه، وأن آباءهم یشفعون إلیه، فآیسهم الله من ذلک فأخرج الکلام مخرج العموم والمراد به الخصوص.

تفسیر التبیان:۳/۲۲۱:

قوله تعالی: أَلَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ یُزَکُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ یُزَکِّی مَنْ یَشَاءُ وَلا یُظْلَمُونَ فَتِیلًا... قال الحسن والضحاک وقتادة وابن زید وهو المروی عن أبی جعفر علیه السلام: إنهم الیهود والنصاری فی قولهم: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَقَالُوا لَنْ یَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلا مَنْ کَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَی تِلْکَ أَمَانِیُّهُمْ.

قال الزجاج: الیهود جاؤوا إلی النبی صلی الله علیه وآله بأولادهم الاطفال فقالوا: یا محمد أعلی هؤلاء ذنوب؟ فقال صلی الله علیه وآله: لا، فقالوا: کذلک نحن ما نعمل باللیل یغفر بالنهار وما نعمل بالنهار یغفر باللیل، فقال الله تعالی: بَلِ اللهُ یُزَکِّی مَنْ یَشَاءُ. وقال: مجاهد وأبو مالک: کانوا یقدمونهم فی الصلاة ویقولون: هؤلاء لا ذنب لهم. وقال ابن عباس: کانوا یقولون: أطفالنا یشفعون لنا عند الله.

تفسیر التبیان:۳/۲۲۲:

وافتراؤهم الکذب علی الله هاهنا المراد به تزکیتهم لانفسهم بأنا أبناء الله وأحباؤه، وأنه لن یدخل الجنة إلا من کان هوداً أو نصاری، ذکره ابن جریج. وقوله: وَکَفَی بِهِ إِثْمًا مُبِینًا، معناه تعظیم إثمه، وإنما یقال کفی به فی العظم علی جهة المدح أو الذم کقولک کفی بحال المؤمن نبلًا، وکفی بحال الکافر إثماً.

تفسیر التبیان:۳/۷۶:

وقوله: وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا... قال البلخی: إنهم قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ وأهل الصوم والصلاة. وليسوا بأولياء الله ولا أحباؤه ولا أهل الصلاة والصيام، ولكنهم أهل شرک ونفاق. وهو المروی عن أبی جعفر علیه السلام...

تفسير نور الثقلين:۱/۴۸۹:

فی نهج البلاغة من کلام له علیه السلام يصف فيه المتقين: لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير، فهم لانفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زُكِّيَ أحد منهم خاف مما يقال له، فيقول أنا أعلم بنفسی من غيری وربی أعلم بی من نفسی، اللهم لا تؤاخذنی بما يقولون واجعلنی أفضل مما يظنون، واغفر لی ما لا يعلمون. انتهى.

هذا، والآيات والأحاديث فی تحريفات اليهود للشفاعة ومقولاتهم فيها كثيرة، وسوف نرى أن بعض الصحابة قد أخذوا أفكار اليهود وتحريفاتهم للشفاعة حرفاً بحرف، حَذْوَ القُذَّةِ بالقذة، والنعل بالنعل..كما أخبر به الصادق الامين صلى الله عليه وآله!

الشفاعة عند عرب الجاهلية

عبد العرب الأصنام أملا بشفاعتهن

تدل آيات القرآن الكريم على أن عبادة العرب للأصنام كانت على أساس أنها رموز لمخلوقات مقربة عند الله تعالى تشفع لهم عنده. قال الله عز وجل:

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ. الروم: ۱۲ ـ ۱۳.

أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّی شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونَ. إِنِّی إِذًا لَفِی ضَلالٍ مُبِينٍ. يس: ۲۳ ـ ۲۴.

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ. قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخرة وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. الزمر: ۴۳-۴۵.

أَلا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِی مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِی مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. الزمر: ۳ ـ ۴.

رسائل الشريف المرتضى:۳/۲۲۳:

حكى أبو عيسى الوراق فی كتابه كتاب المقالات أن العرب صنوف شتى: صنف أقر بالخالق وبالإبتداء والإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام، زعموا لتقربهم إلى الله زلفى ومعبراً إليها، ونحروا لها الهدايا ونسكوا لها النسائک، وأحلوا لها وحرموا.

ومنهم صنف أقروا بالخالق وبابتداء الخلق وأنكروا الإعادة والبعث والنشور.

ومنهم صنف أنكروا الخالق والبعث والاعادة، ومالوا إلى التعطيل والقول بالدهر، وهم الذين أخبر القرآن عن قولهم: ما هی إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر. ومنهم صنف مالوا إلى اليهودية، وآخر إلى النصرانية.

رسائل الشريف المرتضى:۳/۲۲۸:

وقد عبد الأصنام قوم من الأمم الماضية من أهل الهند والسند وغيرها، وقد أخبر الله تعالى عن قوم نوح أنهم عبدوها أيضاً فقال: لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا... وكان (سواع) لهذيل وكان (برهاط) وكان بدومة الجندل، وكان (يغوث) لمذحج ولقبائل اليمن، وكان (نسر) لذی الكلاع بأرض حمير، وكان (يعوق) لهمدان، وكانت (اللات) لثقيف وكانت بالطائف، وكانت (العزى) لقريش وجميع بنی كنانة وسدنتها من بنی سليم، وكانت (مناة) للاوس والخزرج وغسان وكانت بالمسلک، وكان (الهبل) أعظم أصنامهم عند أنفسهم وكان على الكعبة. وكان (أساف ونائلة) على الصفا والمروة، ووضعهما عمرو بن يحيى فكان يذبح عليهما تجاه الكعبة.

مجمع الزوائد:٧/١١٥:

عن ابن عباس أن العزى كانت ببطن نخلة، وأن اللات كانت بالطائف، وأن مناة كانت بقديد، قال على بن الجعد: بطن نخلة هو بستان بنى عامر.

تفسير القمى: ٢/٢٥٠:

قوله: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ، يعنى الأصنام ليشفعوا لهم يوم القيامة، وقالوا إن فلاناً وفلاناً يشفعون لنا عند الله يوم القيامة. وقوله: قل لله الشفاعة جميعاً، قال: لا يشفع أحد إلا بإذن الله تعالى.

تفسير القمى:٢/٢٨٩:

وقال على بن ابراهيم: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة، قال: هم الذين قد عبدوا فى الدنيا، لا يملكون الشفاعة لمن عبدهم.

تفسير التبيان:٤/٢٠٧:

وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ... يقول تعالى لهؤلاء الكفار: مَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ، الذين كنتم تزعمون فى الدنيا أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة. وقال عكرمة: إن الآية نزلت فى النضر بن الحارث بن كلدة حيث قال: سوف يشفع فيَّ اللات والعزى، فنزلت الآية.

وقوله: لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ، أى وصلكم. وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ، أى جار عن طريقكم ما كنتم تزعمون من آلهتكم أنه شريك لله تعالى، وأنه يشفع لكم عند ربكم، فلا شفيع لكم اليوم.

تفسير التبيان:٩/٣٣:

ثم أخبر عن هؤلاء الكفار فقال (أم اتخذوا) معناه بل اتخذ هؤلاء الكفار (من دون الله شفعاء) بزعمهم من الأصنام والأوثان فقال (قل) لهم يا محمد: أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ، تنبيهاً لهم على أنهم يتخذونهم شفعاء وإن كانوا لا يقدرون على شئ من الشفاعة، ولا غيرهما ولا يعقلون شيئاً. والألف فى (أ ولو) ألف الإستفهام يراد به التنبيه.

ثم قال (قل) لهم يا محمد (لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) أى الشفاعة لمن له التدبير والتصرف فى السموات والأرض، ليس لأحد الإعتراض عليه فى ذلك.

ثم إليه ترجعون، معاشر الخلق أى إلى حيث لا يملك أحد التصرف والأمر والنهى سواه، وهو يوم القيامة فيجازى كل إنسان على عمله على الطاعات بالثواب وعلى المعاصى بالعقاب.

الدر المنثور:٣/٣٠٢:

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا... أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال قال النضر: إذا كان يوم القيامة شفعت لى اللات والعزى، فأنزل الله تعالى: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ. وَيَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ. ومثله فى:٣/٨

الدر المنثور:٥/٣٢٩:

قوله تعالى: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ.. أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة (رض) فى قوله: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قال: الإلهة.

الدر المنثور:٣/١٤٩:

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله: ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ قال: اشتقوا العزى من العزيز، واشتقوا اللات من الله.

مكانة اللات والعزى عند مشركى العرب

كان لصنمی اللات والعزی مكانة عظیمة عند قریش خاصة، وعند بعض قبائل العرب، ویلیهما صنم مناة، أما هبل فهو وإن كان الإله الأكبر عندهم ولكن ارتباطهم المباشر وقَسَمَهُم الرسمی ومراسم عبادتهم الاساسیة إنما كانت للات والعزی، ولیس لهبل..

قال المحدث البحرانی فی حلیة الابرار:۱/۱۲۷:

الشیخ فی أمالیه بإسناده عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلی الله علیه وآله علی قتلی بدر فقال: جزاكم الله من عصابة شراً! لقد كذَّبتمونی صادقاً، وخوَّنتمونی أمیناً. ثم التفت إلی أبی جهل بن هشام فقال: إن هذا أعتی علی الله من فرعون! إن فرعون لما أیقن بالهلاك وَحَّدَ الله، وهذا لما أیقن بالهلاك دعا باللات والعزی!! راجع أمالی الطوسی:۱ ـ ۳۱۶ والبحار: ۱۹ ـ ۲۷۲ ح ۱۱ ومثله فی مجمع الزوائد:۶/۹۱).

وقال فی مجمع الزوائد:۶/۲۱:

وعن رجل من بنی مالك بن كنانة قال: رأیت رسول الله(ص)بسوق ذی المجاز یتخللها یقول: یا أیها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، قال وأبو جهل یحثی علیه التراب ویقول: لا یغوینكم هذا عن دینكم فإنما یرید لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزی، وما یلتفت إلیه رسول الله(ص)! قلت: إنعت لنا رسول الله(ص). قال: بین بردین أحمرین، مربوع، كثیر اللحم، حسن الوجه، شدید سواد الشعر، أبیض شدید البیاض، سابغ الشعر. رواه أحمد ورجاله رجال الصحیح.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۶/۴۰۸:

وأخرج أبونعیم فی الدلائل عن ابن عباس قال: ما كان أبولهب إلا من كفار قریش، ما هو حتی خرج من الشعب حین تمالات قریش حتی حصرونا فی الشعب وظاهرهم، فلما خرج أبو لهب من الشعب لقی هنداً بنت عتبة بن ربیعة حین فارق قومه فقال: یا ابنة عتبة هل نصرتُ اللات والعزی؟ قالت: نعم فجزاك الله خیراً یا أبا عتبة! قال: إن محمداً یعدنا أشیاء لا نراها كائنة، یزعم أنها كائنة بعد الموت فما ذاك! وصنع فی یدی ثم نفخ فی یدیه، ثم قال: تباً لكما ما أری فیكما شیئاً مما یقول محمد! فنزلت: تبت یدا أبی لهب. قال ابن عباس: فحصرونا فی الشعب ثلاث سنین وقطعوا عنا المیرة، حتی أن الرجل لیخرج منا بالنفقة فما یبایع حتی یرجع، حتی هلك فینا من هلك!!

الیمین الرسمی المقدس عند قریش باللات والعزی

روی الحاكم فی المستدرك:۱/۱۶۳:

عن ابن عباس قال دخلت فاطمة علی رسول الله (صلی الله علیه وآله) وهی تبكی فقال: یابنیة ما یبكیك قالت: یا أبت مالی لا أبكی وهؤلاء الملأ من قریش فی الحجر یتعاقدون باللات والعزی ومناة الثالثة الأخری لو قد رأوك لقاموا إلیك فیقتلونك، ولیس منهم رجل إلا وقد عرف نصیبه من دمك! فقال یا بنیة إئتنی بوضوء فتوضأ رسول الله (صلی الله علیه وآله) ثم خرج إلی المسجد فلما رأوه قالوا: ها هوذا، فطأطأوا رؤوسهم وسقطت أذقانهم بین یدیهم، فلم یرفعوا أبصارهم! فتناول رسول الله (صلی الله علیه وآله) قبضة من تراب فحصبهم بها وقال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم حصاة من حصاته إلا قتل یوم بدر كافراً. هذا حدیث صحیح، قد احتجا جمیعاً بیحیی بن سلیم. واحتج مسلم بعبد الله بن عثمان بن خثیم ولم یخرجاه. انتهی. ورواه الهیثمی فی مجمع الزوائد: ۸/۲۲۸ وقال: رواه أحمد بإسنادین، ورجال أحدهما رجال الصحیح.

وروی العیاشی فی تفسیره:۲/۲۵۹:

عن أبی بصیر عن أبی عبدالله علیه السلام فی قوله: وأقسموا بالله جهد أیمانهم لا یبعث الله من یموت، قال: ما یقولون فیها؟ قلت: یزعمون أن المشركین كانوا یحلفون لرسول الله أن الله لا یبعث الموتی. قال: تباً لمن قال هذا، ویلهم هل كان المشركون یحلفون بالله أم باللات والعزی؟ قلت: جعلت فداك فأوجدنیه أعرفه. قال: لو قد قام قائمنا بعث الله إلیه قوماً من شیعتنا قَبَایِعُ سیوفهم علی عواتقهم،

فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا فيقولون: بعث فلان وفلان من قبورهم مع القائم، فيبلغ ذلك قوماً من أعدائنا فيقولون: يا معشر الشيعة ما أكذبكم! هذه دولتكم وأنتم تكذبون فيها، لا والله ما عاشوا ولا تعيشوا إلى يوم القيامة، فحكى الله قولهم فقال: وأقسموا بالله جهد أيمانهم. انتهى.

المسألة...

بعض الصحابة كانوا يقسمون باللات والعزى

تدل مصادر الفقه السنى على أن عادة القسم باللات والعزى بقيت فى أذهان القرشيين وعلى ألسنتهم حتى بعد إسلامهم! فقد روى البخارى فى صحيحه: ۶/۵۱: عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص): من حلف فقال فى حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق.انتهى. (ورواه أيضاً فى: ۷/۹۷ وص۱۴۴ وص۲۲۲ و۲۲۳.

ورواه مسلم فى: ۵/۸۱ وص۸۲ ورواه ابن ماجة فى: ۱/۶۷۸، وروى بعده عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبى وقاص قال: حلفت باللات والعزى فقال رسول الله (ص) قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم انفث عن يسارك ثلاثاً، وتعوَّذ ولا تعد). (ورواه أبو داود فى:۲/۹۰، والترمذى فى: ۳/ ۴۶ وص۵۱، والنسائى فى: ۷/۷، وأحمد: ۱/ ۱۸۳ و۱۸۶ و:۲/ ۳۰۹، والبيهقى:۱/ ۱۴۹ و:۱۰/۳۰، ومالك فى المدونة: ۲/۱۰۸).

الأسئلة

۱ ـ هذا يدلنا على أن الصحابة كانوا حديثى عهد بالإسلام، وأن رواسب الجاهلية حتى عبادة الأصنام كانت ما تزال فى مشاعرهم وعلى ألسنة بعض كبارهم كسعد بن وقاص، ومن يخلف النبى صلى الله عليه وآله لابد أن يكون كرم الله وجهه عن السجود للأصنام، حتى يكون نقياً من هذه الرواسب الجاهلية.. فهل تعرفون هذه الصفة فى غير على عليه السلام؟

۲ ـ نحن نفتى بأن اليمين الشرعى لاينعقد إلا بالله تعالى، ومن حلف بغيره فلا يمين له ولا شئ عليه. وقد أفتى ابن حزم فى المحلى: ۸/۵۱ وابن قدامة فى المغنى:۱/۱۶۹ و:۱۱/۱۶۲،بأن من حلف باللات والعزى فلا شئ عليه إلا الإستغفار، وعلله ابن حزم فى:۱۱/ ۱۶۳ بقوله: (لأن الحلف بغير الله سيئة والحسنة تمحو السيئة، وقد قال الله تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، وقال النبى (ص): إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها. ولأن من حلف بغير الله فقد عظم غير الله تعظيماً يشبه تعظيم الرب تبارك وتعالى، ولهذا سمى شركاً لكونه أشرك غير الله مع الله تعالى فى تعظيمه بالقسم به، فيقول لا إله إلا الله توحيداً لله تعالى وبراءة من الشرك).

فهل تفتون بأن من حلف بصنم لا يخرج عن الملة، ومن حلف بالنبى صلى الله عليه وآله أو بأحد من عترته عليهم السلام فهو مشرك يخرج من الملة؟!

اعتقاد قريش بنفع اللات والعزى و ضرهم

مناقب آل أبى طالب:۱/۱۰۲ عن امرأة يقال لها زهرة قال:

أسلمت فأصيب بصرها، فقالوا لها أصابك اللات والعزى، فرد صلى الله عليه وآله عليها بصرها فقالت قريش: لو كان ما جاء محمد خيراً ما سبقتنا إليه زهرة! فنزل: وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه.

مسند أحمد:۱/۲۶۴:

عن عبدالله بن عباس قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله(ص)فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله(ص)جالس فى أصحابه، وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غريرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله(ص)فى أصحابه فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله (ص): أنا ابن عبد المطلب. قال محمد؟ قال نعم فقال: يا ابن عبد

المطلب إنی سائلك ومغلظ فی المسألـة فلا تجدن فی نفسك. قال: لا أجد فی نفسـی فسل عما بدا لك. قال: أنشدك الله إلهك وإله من كـان قبلك وإله من هو كائن بعـدك، آلله بعثك إلينا رسولاً؟ فقال: اللهم نعم. قال: فأنشـدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لانشـرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التی كانت آباؤنا يعبدونها معه؟ قال: اللهم نعم. قال: فأنشـدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن نصـلی هذه الصـلوات الخمس؟ قال: اللهم نعم. قال ثم جعل يذكر فرائض الإسـلام فريضة فريضة الزكاة والصـيام والحج وشـرائع الإسـلام كلها يناشده عند كل فريضة كما يناشـده فی التی قبلهـا، حتی إذا فرغ قـال: فـإنی أشـهد أن لاـ إله إلاـ الله وأشـهد أن سـيدنا محمـداً رسول الله، وسأؤدی هـذه الفرائض وأجتنب ما نهيتنی عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص.

قال ثم انصـرف راجعاً إلی بعيره فقال رسول الله(ص)حين ولی: إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة. قال فأتی إلی بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتی قدم علی قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزی! قالوا مه يا ضمام، إتق البرص والجذام، إتق الجنون. قال: ويلكم إنهما والله لا يضـران ولا ينفعان، إن الله عز وجل قـد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استـنقذكم به مما كنتم فيه، وإنی أشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له وأن محمـداً عبـده ورسوله، إنی قـد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه. قال فوالله ما أمسی من ذلك اليوم وفی حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً!

قال يقول ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

مصادرنا تروی بغض النبی لأصنام قريش

كمال الدين وتمام النعمة:١/١٨۴:

قـال بحيری: ياغلاـم أسألـك عن ثلاـث خصـال بحق اللاـت والعزی إلا ما أخبرتنيها. فغضب رسول الله صـلی الله عليه وآله عنـد ذكر اللات والعزی وقال: لا تسألنی بهما فوالله ما أبغضت شـيئاً كبغضـهما، وإنما هما صـنمان من حجارة لقومی! فقال بحيری: هـذه واحدة، ثم قال: فبالله إلا ما أخبرتنی، فقال: سل عما بدا لك فإنك قد سألتنی بإلهی وإلهك الذی ليس كمثله شـئ، فقال: أسألك عن نومك ويقظتـك، فـأخبره عن نومه ويقظته وأموره وجميع شـأنه، فوافق ذلـك ما عنـد بحيری من صـفته التی عنـده، فانكب عليه بحيری فقبل رجليه وقال: يا بنی ما أطيبك وأطيب ريحك، يا أكثر النبيين أتباعاً...

الخرائج والجرائح:١/٧١:

فی خبر الراهب بحيری مع النبی صـلی الله عليه وآله: قـال: يـا غلاـم أتخبرنی عن أشـياء أسألـك عنهـا قال: سل. قال: أنشـدك باللات والعزی إلاـ أخبرتنی عمـا أسألك عنه، وإنما أراد أن يعرف لأنه سـمعهم يحلفون بهما فـذكروا أن النبی صـلی الله عليه وآله قال له: لا تسألنی باللاـت والعزی فـإنی والله لم أبغض بغضـهما شـيئاً قـط. قال: فبالله إلا أخبرتنی عما أسألك عنه قال: فجعل يسأله عن حاله فی نومه وهيئته وأموره فجعـل رسول الله صـلی الله عليه وآله يخـبره فكـان يجـدها موافقـة لمـا عنـده... فأخـذه الافكـل وهو الرعـدة واهتز الـديرانی فقـال: من أبو هـذا الغلاـم؟ قـال أبو طالب: هو ابنی. قال: لا والله لا يكون أبوه حياً. قال أبو طالب: إنه ابن أخی. قال: فما فعل أبوه قال: مات وهو ابن شـهرين. قال صدقت!-وروی فی:٣/١٠٨٩ تتمـة قول الراهب: كأنی بك قـد قدت الاجناب والخيل وقد تبعك العرب والعجم طوعاً وكرها، وكأنی باللات والعزی قد كسـرتهما وقد صار البيت العتيق تضع مفاتيحه حيث تريد... معك الذبح الأكبر وهلاك الأصنام. أنت الذی لا تقوم الساعة حتی تدخل الملوك كلها فی دينك صاغِرَةً قَمِئَة.

و تمسك سدنة اللات والعزی بهما إلی آخر نفس

شرح الأخبار:٢/١۶٣:

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله الطائف سأله أهلها أن يدع لهم اللات ـ وكانوا يعبدونها ـ لمدة ذكروها وقالوا: إنا نخشى فى هدمها سفهاءنا، فأبى عليهم.

مناقب آل أبى طالب:۱/۵۲:

ابن عباس فى قوله: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا، قال وفد ثقيف: نبايعك على ثلاث: لا ننحنى، ولا نكسر إلهاً بأيدينا، وتمتعنا باللات سنة. فقال صلى الله عليه وآله: لا خير فى دين ليس فيه ركوع وسجود، فأما كسر أصنامكم بأيديكم فذاك لكم، وأما الطاغية اللات فإنى غير ممتعكم بها.

و حطم النبى كل الأصنام

مناقب آل أبى طالب:۱/۳۹۹:

وحدثنى أبو الحسن على بن أحمد العاصمى، عن اسماعيل بن أحمد الواعظ، عن أبى بكر البيهقى بإسناده عن أبى مريم عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إحملنى لنطرح الأصنام عن الكعبة، فلم أطق حمله! فحملنى فلو شئت أتناول السماء فعلت! وفى خبر والله لو شئت أن أنال السماء بيدى لنلتها.

وروى القاضى أبو عمرو عثمان بن أحمد، عن شيوخ بإسناده عن ابن عباس قال قال النبى صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام: قم بنا إلى الصنم فى أعلى الكعبة لنكسره، فقاما جميعاً فلما أتياه قال له النبى: قم على عاتقى حتى أرفعك عليه، فأعطاه على ثوبه فوضعه رسول الله على عاتقه ثم رفعه حتى وضعه على البيت، فأخذ على الصنم وهو من نحاس فرمى به من فوق الكعبة...

حلية الابرار:۲/۱۲۵:

عن على عليه السلام: أنا الذى قال فىَّ الامين جبرئيل عليه السلام: لا سيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا على، أنا صاحب فتح مكة، أنا كاسر اللات والعزى، أنا هادم الهبل الاعلى، ومناة الثالثة الأخرى، أنا علوت على كتف النبى صلى الله عليه وآله وكسرت الأصنام، أنا الذى كسرت يغوث ويعوق ونسراً.

و اخترعت قريش قصة الغرانيق انتصارا للات والعزى

قال الله عز وجل: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى. أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى. إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى. أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى. فَلِلَّهِ الآخرة وَالأُولَى. وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى. إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخرة لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى. وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى. وَللهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. النجم: ۸ ـ ۳۱.

نزلت هذه الآيات فى مكة بعد مرحلة (أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وبعد مرحلة (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) وإعلان النبى صلى الله عليه وآله دعوته لجميع الناس ودخول عدد من المستضعفين فى الإسلام وتضييق قريش عليهم وتعذيبهم، وهجرة بعضهم إلى الحبشة.. ومن الواضح أن الصراع فى تلك المرحلة كان يتفاقم بين الإسلام والمشركين، وكان أهم ما يتسلح به المشركون ويطرحونه سبباً لمقاومتهم الإسلام هو (أن محمداً قد سبَّ آلهتنا وسفَّه أحلامنا).

وقد كان موقف النبى صلى الله عليه وآله من آلهتهم موقفاً صريحاً قوياً لامساومة فيه ولامهادنة.. وقد اتضح ذلك من السور الأولى للقرآن، وآياتها القاطعة فى مسألة الأصنام.. ولم تكن سورة النجم إلا استمراراً لذلك الخط الربانى الصريح القوى، بل هى الحسم الالهى النهائى فى المسألة، ووضع النقاط على الحروف بتسمية أصنام قريش المفضلة (اللات والعزى ومناة) بأسمائها، وإسقاطها إلى الابد!

ومن الطبيعى أن تكون هذه الآيات شديدة جداً على قريش، وأن تثير كبرياءها وعواطفها لأصنامها، وأن تقوم بردة فعل بإشكال متعددة. وقصة الغرانيق ما هى إلا واحدة من ردات الفعل القرشية..!

لكن متى اختُرِعَتْ ومن اخترعها؟!

يغلب على الظن ماذكره الشريف المرتضى من أن المشركين عبدة هذه الأصنام الثلاثة لما سمعوا ذمها فى آيات السورة حرَّفَ بعضهم الآيات، ووضع بعد أسماء الأصنام الثلاثة عبارة (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) فأعجب ذلك القرشيين، وتمنوا لو يضاف هذا المديح لآلهتهم فى السورة!

ولكن كيف يمكن ذلك؟ وكيف ينسجم مع السياق، والسياق كله حملة شديدة على فكر الأصنام وأهلها؟!!

هكذا ولدت قصة الغرانيق على ألسنة القرشيين، ولكنها كانت هذياناً ولغواً فى القرآن من قريش المشركة لا أكثر!

ولكن الجريمة الكبرى عندما حولت قريش المنافقة هذا اللغو فى القرآن إلى آيات الغرانيق واتهمت بها النبى بعد وفاته صلى الله عليه وآله لإثبات أنه لم يكن معصوماً عصمة مطلقة لتكون كل تصرفاته وأقواله حجة، بل كان يخطئ حتى فى تبليغ الوحى! وفى ذلك فوائد عديدة لقريش للالتفاف على أوامر النبى صلى الله عليه وآله وتبرير أخطاء حكامها ومخالفاتهم لسنته!!

وهكذا سجلت مصادر السنيين قصة الغرانيق التى تزعم أن النبى صلى الله عليه وآله قد ارتكب خيانة والعياذ بالله فى نص القرآن، وشهد بالشفاعة لأصنام اللات والعزى ومناة، وسجد لها لكى ترضى عنه قريش!

وقد طار منافقو قريش بهذه القصة فرحاً، ثم طار بها فرحاً ورثتهم الغربيون!!

وقد روى الهيثمى فى مجمع الزوائد:۶/۳۲ بعض روايات الغرانيق، وروى السيوطى عدداً وافراً منها فى الدر المنثور: ۴/۱۹۴ وص ۳۶۶ وبعضها صحيح السند، خلافاً لمن برّأ منها الرواة المعتمدين عند حكام قريش! قال السيوطى فى/۳۶۶:

وأخرج البزار والطبرانى وابن مردويه والضياء فى المختارة بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن رسول الله(ص)قرأ أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! ففرح المشركون بذلك وقالوا قد ذكر آلهتنا! فجاء جبريل فقال: إقرأ علىَّ ما جئتك به، فقرأ: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى. تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! فقال ما أتيتك بهذا، هذا من الشيطان!! فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى.. إلى آخر الآية. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه بسند صحيح عن سعيد بن جبير... الخ!! انتهى.

وقد ورد فى بعض رواياتهم الافتراء على النبى صلى الله عليه وآله بأنه سجد للاصنام! (فقال: وإنهن لهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لهى التى ترتجى، فكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك بمكة، وذلقت بها ألسنتهم وتباشروا بها، وقالوا إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه. فلما بلغ رسول الله(ص)آخر النجم سجد وسجد كل من حضر من مسلم ومشرك، ففشت تلك الكلمة فى الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ...).

وفى بعضها (ألقى الشيطان على لسانه: وهى الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى فلما فرغ من السورة سجد وسجد المسلمون والمشركون إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص فإنه أخذ كفاً من تراب فسجد عليه وقال: قد آن لابن أبى كبشة أن يذكر آلهتنا بخير، فبلغ ذلك المسلمين الذين كانوا بالحبشة أن قريشاً قد أسلمت، فأرادوا أن يُقْبِلوا واشتد على رسول الله(ص)وعلى أصحابه ما ألقى الشيطان على لسانه فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ.. الآية) انتهى.

وقد تجرأ بعض العلماء السنيين وردُّوا روايات الغرانيق ولكنهم ضعفوا سندها رغم صحته عندهم، من أجل أن لا يطعنوا فى مؤلفى صحاحهم والموثقين من رواتهم!

قال المجلسى فى بحار الأنوار:۱۷/۵۶:

قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ... قال الرازى: ذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الآيهٔ أن الرسول لما رأى إعراض قومه عنه شق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به تمنى فى نفسه أن يأتيهم من الله ما يقارب بينه وبين قومه، وذلك لحرصه على إيمانهم فجلس ذات يوم فى ناد من أنديهٔ قريش كثير أهله وأحب يومئذ أن لا يأتيه من الله شئ ينفروا عنه وتمنى ذلك! فأنزل تعالى سورهٔ والنجم إذا هوى، فقرأها رسول الله(ص)حتى بلغ: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى منها الشفاعهٔ ترتجى! فلما سمعت قريش فرحوا ومضى رسول الله(ص)فى قراءته وقرأ السورهٔ كلها، فسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من فى المسجد من المشركين، فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد، سوى الوليد بن المغيرهٔ وسعيد بن العاص، فإنهما أخذا حفنةً من البطحاء ورفعاها إلى جبهتيهما وسجدا عليها، لأنهما كانا شيخين كبيرين لم يستطيعا السجود، وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، فلما أمسى رسول الله أتاه جبرئيل فقال: ماذا صنعت! تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، وقلت ما لم أقل لك! فحزن رسول الله(ص)حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً عظيماً حتى نزل قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ.. الآيهٔ.

هذا روايهٔ عامهٔ المفسرين الظاهريين، وأما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الروايهٔ باطلةٌ موضوعةٌ واحتجوا بالقرآن، والسنهٔ، والمعقول، أما القرآن فوجوه:

أحدها: قوله تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ.

وثانيها: قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى.

وثالثها: قوله: وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى.

فلو أنه قرأ عقيب هذه الآيهٔ تلك الغرانيق العلى لكان قد أظهر كذب الله تعالى فى الحال، وذلك لا يقول به مسلم.

ورابعها: قوله تعالى: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ، وكاد معناه قرب أن يكون لأمر كذلك مع أنه لم يحصل.

وخامسها: قوله: ولولا أن ثبتناك، وكلمهٔ (لولا) تفيد انتفاء الشئ لإنتفاء غيره، فدل على أن الركون القليل لم يحصل.

وسادسها: قوله: كذلك لنثبت به فؤادك.

وسابعها: قوله: سنقرئك فلا تنسى.

وأما السنهٔ فهى أنه روى عن محمد بن إسحاق بن خزيمهٔ أنه سئل عن هذه القصهٔ فقال: هذا من وضع الزنادقهٔ، وصنف فيه كتاباً.

وقال الإمام أبوبكر البيهقى: هذه القصهٔ غير ثابتهٔ من جههٔ النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواهٔ هذه القصهٔ مطعونون، وأيضاً فقد روى البخارى فى صحيحه أنه صلى الله عليه وآله قرأ سورهٔ (والنجم) وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق، وروى هذا الحديث من طرق كثيرهٔ وليس فيها البتهٔ حديث الغرانيق.

وأما المعقول فمن وجوه: أحدها: أن من جوز على الرسول(ص)تعظيم الأوثان فقد كفر، لأن من المعلوم بالضرورهٔ أن أعظم سعيه(ص)كان فى نفى الأوثان.

وثانيها: أنه(ص)ما كان يمكنه فى أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبهٔ آمناً لأذى المشركين له، حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه، وإنما كان يصلى إذا لم يحضروها ليلاً أو فى أوقات خلوهٔ، وذلك يبطل قولهم.

وثالثها: أن معاداتهم للرسول صلى الله عليه وآله كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءهٔ دون أن يقفوا على حقيقهٔ الأمر، فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً، مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم.

ورابعها: قوله: فینسخ الله ما یلقی الشیطان ثم یحکم الله آیاته، وذلک أن أحکام الآیات بإزالة تلقیة الشیطان عن الرسول أقوی من نسخه بهذه الآیات التی تنتفی الشبهة معها، فإذا أراد الله تعالی إحکام الآیات لئلا یلتبس ما لیس بقرآن قرآناً، فبأن یمنع الشیطان من ذلک أصلاً، أولی.

وخامسها: وهو أقوی الوجوه: أنا لو جوزنا ذلک ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا فی کل واحد من الأحکام والشرائع أن یکون کذلک، ویبطل قوله تعالی: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ، فإنه لا فرق بین النقصان من الوحی وبین الزیادة فیه!

فبهذه الوجوه عرفنا علی سبیل الإجمال أن هذه القصة موضوعة، أکثر ما فی الباب أن جمعاً من المفسرین ذکروها لکنهم ما بلغوا حد التواتر. وخبر الواحد لا یعارض الدلائل العقلیة والنقلیة المتواترة... انتهی.

ولم یلتفت هذا المفسر الکبیر إلی أن الآیة التی ادعوا أنها نزلت علی أثر القصة مدنیة، نزلت بعد النجم بنحو عشر سنوات! کما لم یلتفت إلی أن روایة البخاری وغیره التی ذکرها هی قصة الغرانیق بعینها!

البخاری و مسلم رویا فریة الغرانیق

وینبغی أن نحسن الظن بالرازی وأمثاله الذین دافعوا عن البخاری والصحاح فقالوا إنهم لم یرووا قصة الغرانیق، حیث لم یقرؤوا الصحاح جیداً، وإلا لوجدوا فیها قصة الغرانیق بأکثر من روایة! غایة الأمر أن أصحابها حذفوا منها أن النبی صلی الله علیه وآله زاد فی السورة مدح أصنام المشرکین، ولکنهم ذکروا دلیلاً علیه وهو سجود المسلمین والمشرکین وحتی سجود أبی أحیحة أو أمیة بن خلف أو غیرهما علی کف من تراب أو حصی!! فإن سجود المشرکین بعد سماع القرآن لم ینقله أی مصدر علی الإطلاق فی أی روایة علی الإطلاق، إلا فی روایة الغرانیق! ومضافاً إلی روایة البخاری الفظیعة التی ذکرها الرازی فقد روی البخاری أیضاً فی:۵/۷: عن عبدالله (رض) عن النبی(ص)أنه قرأ والنجم فسجد بها وسجد من معه، غیر أن شیخاً أخذ کفاً من تراب فرفعه إلی جبهته فقال یکفینی هذا! قال عبد الله: فلقد رأیته بعد قتل کافراً. انتهی. ورواه مسلم فی /۸۸.

وروی البخاری أیضاً فی:۶/۵۲:

عن الأسود بن یزید عن عبد الله (رض) قال: أول سورة أنزلت فیها سجدة والنجم، قال فسجد رسول الله(ص)وسجد من خلفه إلا رجلاً رأیته أخذ کفاً من تراب فسجد علیه، فرأیته بعد ذلک قتل کافراً، وهو أمیة بن خلف.

وقال الحاکم فی المستدرک:۱/۲۲۱:

عن أبی إسحاق عن الاسود عن عبد الله قال: أول سورة قرأها رسول الله صلی الله علیه وآله علی الناس الحج، حتی إذا قرأها سجد فسجد الناس إلا رجل أخذ التراب فسجد علیه فرأیته قتل کافراً. هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین بالإسنادین جمیعاً ولم یخرجاه، إنما اتفقا علی حدیث شعبة عن أبی اسحاق عن الأسود عن عبد الله أن النبی صلی الله علیه وآله قرأ والنجم فذکره بنحوه، ولیس یعلل أحد الحدیثین الآخرین فإنی لا أعلم أحداً تابع شعبة علی ذکره النجم غیر قیس بن الربیع. والذی یؤدی إلیه الإجتهاد صحة الحدیثین، والله أعلم.

ومعنی کلام الحاکم: أنه کان الأولی بالبخاری ومسلم أن یرویا روایة السجود فی سورة الحج لأنها أصح، ولکنهما ترکاها ورویا روایة سورة النجم!!

وقال البیهقی فی سننه:۲/۳۱۴:

عن عکرمة عن ابن عباس أن النبی(ص)سجد فیها، یعنی والنجم وسجد فیها المسلمون والمشرکون والجن والإنس. رواه البخاری فی الصحیح عن أبی معمر وغیره، عن عبد الوارث.

ورواها فی مجمع الزوائد:۷/۱۱۵ أیضاً وصححها، قال:

قوله تعالی (أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی) عن ابن عباس فیما یحسب سعید بن جبیر أن النبی(ص)کان بمکة فقرأ سورة والنجم حتی انتهی إلی (أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَی) فجری علی لسانه: تلک الغرانیق العلی الشفاعة منهم ترتجی، قال فسمع بذلک مشرکو أهل مکة فسروا بذلک، فاشتد علی رسول الله(ص)فأنزل الله تبارک وتعالی (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِیٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللهُ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللهُ آیَاتِهِ) رواه البزار والطبرانی وزاد إلی قوله (عَذَابُ یَوْمٍ عَقِیمٍ) یوم بدر. ورجالهما رجال الصحیح إلا أن الطبرانی قال لا أعلمه إلا عن ابن عباس عن النبی(ص)، وقد تقدم حدیث مرسل فی سورة الحج أطول من هذا، ولکنه ضعیف الإسناد. انتهی.

ویقصد بالروایة الطویلة الضعیفة ما رواه فی مجمع الزوائد:۷/۷۰ وقد ورد فیها:

حین أنزل الله السورة التی یذکر فیها (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَی) فقال المشرکون لو کان هذا الرجل یذکر آلهتنا بخیر أقررناه وأصحابه، فإنه لا یذکر أحداً ممن خالف دینه من الیهود والنصاری بمثل الذی یذکر به آلهتنا من الشتم والشر، فلما أنزل الله السورة التی یذکر فیها والنجم وقرأ (أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَی) ألقی الشیطان فیها عند ذلک ذکر الطواغیت فقال: وإنهم من الغرانیق العلی، وإن شفاعتهم لترتجی، وذلک من سجع الشیطان وفتنته، فوقعت هاتان الکلمتان فی قلب کل مشرک وذلقت بها ألسنتهم واستبشروا بها وقالوا إن محمداً قد رجع إلی دینه الأول ودین قومه، فلما بلغ رسول الله(ص)آخر السورة التی فیها النجم سجد وسجد معه کل من حضره من مسلم ومشرک غیر أن الولید بن المغیرة کان کبیراً فرفع ملء کفه تراب فسجد علیه، فعجب الفریقان کلاهما من جماعتهم فی السجود لسجود رسول الله(ص)، فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشرکین من غیر إیمان ولا یقین، ولم یکن المسلمون سمعوا الذی ألقی الشیطان علی ألسنة المشرکین، وأما المشرکون فاطمأنت أنفسهم إلی النبی(ص)، وحدثهم الشیطان أن النبی(ص)قد قرأها فی السجدة، فسجدوا لتعظیم آلهتهم، ففشت تلک الکلمة فی الناس وأظهرها الشیطان حتی بلغت الحبشة! فلما سمع عثمان بن مظعون وعبدالله بن مسعود ومن کان معهم من أهل مکة أن الناس أسلموا وصاروا مع رسول الله(ص)، وبلغهم سجود الولید بن المغیرة علی التراب علی کفه، أقبلوا سراعاً! فکبر ذلک علی رسول الله(ص)، فلما أمسی أتاه جبریل علیه السلام فشکا إلیه فأمره فقرأ له، فلما بلغها تبرأ منها جبریل وقال: معاذ الله من هاتین ما أنزلهما ربی ولا أمرنی بهما ربک!! فلما رأی ذلک رسول الله(ص)شق علیه وقال: أطعت الشیطان وتکلمت بکلامه وشرکنی فی أمر الله!! فنسخ الله ما یلقی الشیطان وأنزل علیه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِیٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللَّهُ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللَّهُ آیَاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ، لِیَجْعَلَ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقَاسِیَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِینَ لَفِی شِقَاقٍ بَعِیدٍ) فلما برأه الله عز وجل من سجع الشیطان وفتنته، انقلب المشرکون بضلالهم وعداوتهم، فذکر الحدیث، وقد تقدم فی الهجرة إلی الحبشة. رواه الطبرانی مرسلاً وفیه ابن لهیعة، ولا یحتمل هذا من ابن لهیعة. انتهی.

فتبین من مجموع ذلک أن سند القصة فی مصادر السنیین صحیح، ولا یصح القول بأن الواقدی تفرد بها، أو أن الصحاح لم تروها!!

نماذج من ردود علماء مذهب أهل البیت علی فریة الغرانیق

قال الشریف المرتضی فی تنزیه الأنبیاء/۱۰۶:

مسألة: فإن قال فما معنی قوله تعالی: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِیٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللهُ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللهُ آیَاتِهِ وَاللهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ.

أو لیس قد روی فی ذلک أن رسول الله صلی الله علیه وآله لما رأی تولی قومه عنه شق علیه ما هم علیه من المباعدة والمنافرة وتمنی فی نفسه أن یأتیه من الله تعالی ما یقارب بینه وبینهم وتمکن حب ذلک فی قلبه، فلما أنزل الله تعالی علیه: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَی، وتلاها

عليهم، ألقى الشيطان على لسانه لما كان تمكن فى نفسه من محبة مقاربتهم: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فلما سمعت قريش ذلك سرت به وأعجبهم ما زكى به آلهتهم، حتى انتهى إلى السجدة فسجد المؤمنون وسجد أيضاً المشركون لما سمعوا من ذكر آلهتهم بما أعجبهم، فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا ـ مشرك إلا ـ سجد، إلا ـ الوليد بن المغيرة فإنه كان شيخاً كبيراً لا يستطيع السجود فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها، ثم تفرق الناس من المسجد وقريش مسرورة بما سمعت. وأتى جبرائيل عليه السلام إلى النبى صلى الله عليه وآله معاتباً على ذلك فحزن له حزناً شديداً. فأنزل الله تعالى عليه معزياً له ومسلياً: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ.. الآية.

قلنا: أما الآية فلا دلالة فى ظاهرها على هذه الخرافة التى قَصُّوها، وليس يقتضى الظاهر إلا أحد أمرين: إما أن يريد بالتمنى التلاوة كما قال حسان بن ثابت:

تمنى كتاب الله أول ليله وآخره لاقى حمام المقادر

أو أريد بالتمنى تمنى القلب.

فإن أراد التلاوة، كان المراد من أرسلنا قبلك من الرسل، كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرفوا عليه وزادوا فيما يقوله ونقصوا، كما فعلت اليهود فى الكذب على نبيهم فأضاف ذلك إلى الشيطان، لأنه يقع بوسوسته وغروره. ثم بين أن الله تعالى يزيل ذلك ويدحضه بظهور حجته وينسخه، ويحسم مادة الشبهة به.

وإنما خرجت الآية على هذا الوجه مخرج التسلية له صلى الله عليه وآله لما كذب المشركون عليه وأضافوا إلى تلاوته مدح آلهتهم ما لم يكن فيها.

وإن كان المراد تمنى القلب، فالوجه فى الآية أن الشيطان متى تمنى النبى صلى الله عليه وآله بقلبه بعض مايتمناه من الأمور يوسوس إليه بالباطل ويحدثه بالمعاصى ويغريه بها ويدعوه اليها، وأن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله بما يرشده إليه من مخالفة الشيطان وعصيانه وترك استماع غروره.

وأما الأحاديث المروية فى هذا الباب، فلا يلتفت إليها من حيث تضمنت ما قد نزهت العقول الرسل (عليهم السلام) عنه. هذا لو لم يكن فى أنفسها مطعونة ضعيفة عند أصحاب الحديث بما يستغنى عن ذكره.

وكيف يجيز ذلك على النبى صلى الله عليه وآله من يسمع الله تعالى يقول: كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ يعنى القرآن، وقوله تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، وقوله تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى!

على أن من يجيز السهو على الأنبياء (عليهم السلام) يجب أن لا يجيز ما تضمنته هذه الرواية المنكرة لما فيها من غاية التنفير عن النبى صلى الله عليه وآله لأن الله تعالى قد جنب نبيه من الأمور الخارجة عن باب المعاصى كالغلظة والفظاظة وقول الشعر، وغير ذلك مما هو دون مدح الأصنام المعبودة دون الله تعالى.

على أنه لا يخلو صلى الله عليه وآله ـ وحوشى مما قذف به ـ من أن يكون تعمد ما حكوه وفعله قاصداً أو فعله ساهياً. ولا حاجة بنا إلى إبطال القصد فى هذا الباب والعمد لظهوره، وإن كان فعله ساهياً فالساهى لا يجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقة لوزن السورة وطريقها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام، لأنا نعلم ضرورةً أن من كان ساهياً لو أنشد قصيدة لما جاز أن يسهو حتى يتفق منه بيت شعر فى وزنها وفى معنى البيت الذى تقدمه، وعلى الوجه الذى يقتضيه فائدته، وهو مع ذلك يظن أنه من القصيدة التى ينشدها. وهذا ظاهر فى بطلان هذه الدعوى على النبى صلى الله عليه وآله على أن الموحى إليه من الله النازل بالوحى وتلاوة القرآن جبرائيل عليه السلام وكيف يجوز السهو عليه؟!

على أن بعض أهل العلم قد قال: يمكن أن يكون وجه التباس الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما تلا هذه السورة فى ناد غاصٍّ بأهله وكان أكثر الحاضرين من قريش المشركين فانتهى إلى قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى، وعلم فى قرب مكانه منه من قريش أنه سيورد بعدها ما يسوؤهم به فيهن قال كالمعارض له والراد عليه:

تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فظن كثير ممن حضر أن ذلك من قوله صلى الله عليه وآله واشتبه علهيم الأمر، لانهم كانوا يلغطون عند قراءته صلى الله عليه وآله ويكثر كلامهم وضجاجهم طلباً لتغليطه وإخفاء قراءته.

ويمكن أن يكون هذا أيضاً في الصلاة لانهم كانوا يقربون منه في حال صلاته عند الكعبة ويسمعون قراءته ويلغون فيها.

وقيل أيضاً إنه صلى الله عليه وآله كان إذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات وأتى بكلام على سبيل الحجاج لهم، فلما تلا: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَ الْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى قال: تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى؟! على سبيل الإنكار عليهم وأن الأمر بخلاف ما ظنوه من ذلك. وليس يمتنع أن يكون هذا في الصلاة لأن الكلام في الصلاة حينئذ كان مباحاً وإنما نسخ من بعد.

وقيل إن المراد بالغرانيق الملائكة، وقد جاء مثل ذلك في بعض الحديث فتوهم المشركون أنه يريد آلهتهم.

وقيل إن ذلك كان قرآناً منزلاً في وصف الملائكة فتلاه الرسول صلى الله عليه وآله فلما ظن المشركون أن المراد به آلهتهم نسخت تلاوته.

وكل هذا يطابق ما ذكرناه من تأويل قوله: إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، لأن بغرور الشيطان ووسوسته أضيف إلى تلاوته صلى الله عليه وآله مالم يرده بها. وكل هذا واضح بحمد الله تعالى.

نهج الحق للعلامة الحلي/۱۳۹:

ذهبت الإمامية كافة إلى أن الأنبياء (عليهم السلام) معصومون عن الصغائر والكبائر ومنزهون عن المعاصي قبل النبوة وبعدها، على سبيل العمد والنسيان، وعن كل رذيلة ومنقصة، وما يدل على الخسة والضعة.

وخالفت الأشاعرة في ذلك وجوزوا عليهم المعاصي. وبعضهم جوزوا الكفر عليهم قبل النبوة وبعدها، وجوزوا عليهم السهو والغلط، ونسبوا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السهو في القرآن بما يوجب الكفر فقالوا: إنه صلى يوماً وقرأ في سورة النجم عند قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى. تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى. وهذا اعتراف منه بأن تلك الأصنام ترتجى الشفاعة منها!

نعوذ بالله من هذه المقالة التي نسب النبي إليها، وهي توجب الشرك، فما عذرهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

مجمع البحرين للطريحي:۴/۲۳۹:

رووا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في الصلاة فقرأ سورة النجم في المسجد الحرام وقريش يستمعون لقراءته، فلما انتهى إلى هذه الآية: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى، أجرى إبليس على لسانه: فإنها الغرانيق العلى وشفاعتهن لترتجى! ففرحت قريش وسجدوا وكان في ذلك القوم الوليد بن المغيرة المخزومي وهو شيخ كبير فأخذ كفاً من حصى فسجد عليه وهو قاعد، وقالت قريش: قد أقر محمد بشفاعة اللات والعزى. قال فنزل جبرئيل فقال له: قرأت ما لم أنزل به عليك! انتهى.

وقد طار أعداء الإسلام بهذه القصة كما أشرنا وشنعوا بها على الإسلام ورسوله، محتجين بأنها وردت في مصادر المسلمين! وكان آخر من استغلها المرتد سلمان رشدي والدول التي وراءه! وقد أخذها من المستشرقين بروكلمان ومونتغمري وأمثالهما، وأخذها هؤلاء من مصادر السنيين!!

وقد نقد الباحث السوداني الدكتور عبدالله النعيم في كتابه (الاستشراق في السيرة النبوية) ـ المعهد العالمي للفكر الإسلامي ۱۴۱۷، استغلال المستشرقين لحديث الغرانيق ونقل في/۵۱، افتراء بروكلمان حيث قال عن النبي صلى الله عليه وآله (ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونهن بنات الله، وقد أشار اليهن في إحدى الآيات الموحاة اليه بقوله: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترجى... ثم مالبث أن أنكر ذلك وتبرأ منه في اليوم التالي)!!

ونقل الدكتور النعيم في/۹۶ زعم مونتغمري وات (تلا محمد الآيات الشيطانية باعتبارها جزءاً من القرآن إذ ليس من المتصور أن تكون القصة من تأليف المسلمين أو غير المسلمين، وأن انزعاج محمد حينما علم بأن الآيات الشيطانية ليست جزء من القرآن يدل

على أنه تلاها، وأن عبادة محمـد بمكـة لاتختلف عن عبادة العرب فى نخلة والطائف..ولقد كان توحيد محمد غامضاً (!) ولا شك أنه يعد اللات والعزى ومناة كائنات سماوية أقل من الله) انتهى.

أما نحن فإننا تبعاً لأهل البيت (عليهم السلام) نرفض رواية الغرانيق من أصلها، ونعتقد أنها واحدة من افتراءات قريش الكثيرة على النبى صلى الله عليه وآله فى حيـاته وبعـد وفـاته.. ونسـتدل بوجودهـا على أن مطلب قريش كـان الإـعتراف بآلهتهـا وشـفاعتهن، وأن منافقى قريش وضعوا هذه الروايات طعناً فى عصمة النبى صلى الله عليه وآله فخدموا بذلك هدف قريش المشركة، وهدف أعداء الإسلام فى كل العصور!

ومع أن المستشـرقين لاـ يحتـاجون إلى الروايات الموضوعـة ليتمسـكوا بها، فهم يكـذبون على نبينا صـلى الله عليه وآله وعلى مصادرنا جهـاراً نهـاراً، ولكنا نأسف لأن مصادر إخواننا السـنيين روت عـدة افتراءات على النبى صـلى الله عليه وآله على أنها حقائق، منها قصـة الغرانيق، ومنها قصـة ورقـة بن نوفل فى بـدء الوحى، وغيرها من الروايات المخالفـة للعقل والتهذيب والاحترام الذى ينبغى لمقام النبى صلى الله عليه وآله..ثم لم يرووا ما ورد فى مصادرنا من بغض النبى لاصـنام قريش منـذ طفولته، ولم يرووا تكـذيب أهل البيت (عليهم السلام)لرواية ورقة بن نوفل، وتأكيدهم على الأفق المبين الذى نص عليه القرآن وبدأ فيه الوحى.

وقـد ذكر الـدكتور النعيـم فى هـامش كتـابه المـذكور المصـادر الـتى روت حـديث الغرانيـق وهى طبقـات ابـن سـعد:۱/۲۰۵ وتاريخ الطبرى:۲/۲۲۶ وتاريخ ابن الاثير:۲/۷۷ وسيرة ابن سيد الناس:۱/۱۵۷.. وقال فى/۹۷ (يعتبر الواقدى أول من روج لهذه الفرية ثم أخذها عنه ابن سـعد والطبرى وغيرهم) وقـال فى/۹۸ (ولم يرو ابن إسـحاق وابن هشام هـذه الواقعـة إطلاقاً، ومهما يكن من أمر فالواقـدى هو أصلها. إن ما يدعو للتساؤل هو كيف أمكن تمرير هذه الواقعة مع علم أصحابها بعصمة الرسل!) انتهى.

ولكن عرفت أن أصحاب الصحاح رووها، فعلى الذى يرد سندها أن يرد جميع أسانيدها، لا سند الواقدى وحده!

ثم نقل الـدكتور النعيم نقـد القاضـى عياض فى كتابه (الشـفا) لحـديث الغرانيق سـنداً ومتناً، وكـذلك نقد القرضاوى فى كتابه (كيف نتعامـل مع السـنة النبويـة) ونقل عنه قوله فى/۹۳ (ومعنى هـذا أن تفهم السـنة فى ضوء القرآن ولهـذا كـان حـديث الغرانيق مردوداً بلا ريب، لأنه مناف للقرآن) انتهى.

وليت بقيـة البـاحثين من إخواننـا السـنيين يتمسـكون بـدليل مخالفـة القرآن ويردون به المكـذوبات التى وضـعها المنـافقون، وروجتها الخلافة القرشية ورواتها، وما زالت إلى عصرنا صحيحة أو موثقة!!

تنبؤ عميق للنبى حول اللات والعزى

روت مصادر السنيين بأسانيد صحيحة عندهم أن النبى صلى الله عليه وآله أخبر أن العرب سوف يعبدون اللات والعزى مرة أخرى!

فقد روى مسلم فى صحيحه:۸/۱۸۲:

عن أبى سـلمة عن عائشـة قالت: سـمعت رسول الله(ص)يقول: لا يـذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى! فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ، أن ذلك تاماً. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله انتهى.

ورواه الحاكم فى مستدركه:۴/۴۴۶ وص ۵۴۹ وقال فى الموردين (هذا حديث صحيح على شـرط مسلم ولم يخرجاه) ورواه البيهقى فى سنه:۹/۱۸۱ ورواه الهنـدى فى كنز العمـال:۱۴/۲۱۱ وقال عنه السيوطى فى الـدر المنثور:۶/۶۱: وأخرج مسلم والحاكم وصححه.. وقال عن الحديث الأول فى:۳/۲۳۱ أخرج أحمد ومسلم والحاكم وابن مردويه عن عائشة. انتهى.

وإذا صحت هذه الأحاديث فتفسيرها أن بعض العرب سوف يكفرون فى المستقبل، ويرجعون إلى عبادة اللات والعزى!

ولكن الاقرب أن يكون مقصوده صـلى الله عليه وآله أن الأمة سوف تنحرف من بعده وتطيع شخصين من دون الله تعالى، ويكون لهما

تأثیر اللات والعزی.. لأن من أطاع شخصاً فی معصیة الله تعالی أو من دون أمره، فقد عبده من دون الله تعالی!!

والنتیجة التی نخلص بها من هذا البحث، أن الشفاعة كانت معروفة عند مشركی العرب، وكان یهمهم أن یثبتوا هذه المنزلة لاصنامهم..وهی نقطة تنفعنا فی فهم السبب لوضع بعض الأحادیث التی تدعی توسیع شفاعة نبینا صلی الله علیه وآله لتشمل كل قریش وكل المنافقین وغیرهم، وتحل محل شفاعة اللات والعزی، وتضاهی شفاعة الیهود المزعومة لقومیتهم!!

كلیات الشفاعة فی القرآن

آیات الشفاعة و عناوینها

الشفاعة الحسنة والشفاعة السیئة فی الدنی

مَنْ یَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً یَكُنْ لَهُ نَصِیبٌ مِنْهَا وَ مَنْ یَشْفَعْ شَفَاعَةً سَیِّئَةً یَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَی كُلِّ شَیْءٍ مُقِیتًا. النساء: ۸۵.

الشفعاء یوم القیامة یشفعون بعهد من الله تعالی

لا یَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا. مریم: ۸۷.

یَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِیَ لَهُ قَوْلا. طه: ۱۰۹.

الاولیاء المكرمون ینفعون موالیهم بفاعتهم

إنَّ یَوْمَ الْفَصْلِ مِیقَاتُهُمْ أَجْمَعِینَ. یَوْمَ لا یُغْنِی مَوْلًی عَنْ مَوْلًی شَیْئًا وَلا هُمْ یُنْصَرُونَ. إلا مَنْ رَحِمَ الله إنَّهُ هُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ. الدخان: ۴۰ـ ۴۲.

عباد الله المكرمون كلهم شفعاء

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ. یَعْلَمُ مَا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا یَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَی وَهُمْ مِنْ خَشْیَتِهِ مُشْفِقُونَ. الأنبیاء: ۲۶ ـ ۲۸.

الشهداء بالحق شفعاء

وَلا یَمْلِكُ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ یَعْلَمُونَ. الزخرف: ۸۶.

الملائكة یشفعون للناس بإذن الله تعالی

وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِی السَّمَوَاتِ لا تُغْنِی شَفَاعَتُهُمْ شَیْئًا إلا مِنْ بَعْدِ أنْ یَأْذَنَ الله لِمَنْ یَشَاءُ وَ یَرْضَی. النجم: ۲۶

الشفیع الأكبر

عَسَی أنْ یَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ۷۹

وَلَسَوْفَ یُعْطِیكَ رَبُّكَ فَتَرْضَی. الضحی: ۵

لا شفاعة من دون الله تعالی

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِینَ یَخَافُونَ أَنْ یُحْشَرُوا إلی رَبِّهِمْ لَیْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِیٌّ وَلا شَفِیعٌ لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ. الانعام: ۵۱

اللهُ الَّذِی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَیْنَهُمَا فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ مَا لَکُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِیٍّ و لا شَفِیعٍ أَفَلا تَتَذَکَّرُونَ. السجدهٔ: ۴

لا شفاعهٔ إلا بإذنه و من بعد إذنه

اللهُ لا إلَهَ إلا هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ لا تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِی السَّمَوَاتِ وَمَا فِی الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإِذْنِهِ یَعْلَمُ مَا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا یَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِیُّ الْعَظِیمُ. البقرهٔ: ۲۵۵

إنَّ رَبَّکُمْ اللهُ الَّذِی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ یُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِیعٍ إلا مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ ذَلِکُمْ اللهُ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَکَّرُونَ. یونس: ۳

وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّی إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّکُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِیُّ الْکَبِیرُ. سبأ: ۲۳

وَکَمْ مِنْ مَلَکٍ فِی السَّمَوَاتِ لا تُغْنِی شَفَاعَتُهُمْ شَیْئًا إلا مِنْ بَعْدِ أَنْ یَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ یَشَاءُ وَیَرْضَی. النجم: ۲۶

الشفعاء المزعومون لا شفاعهٔ لهم

وَیَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا یَضُرُّهُمْ وَلا یَنْفَعُهُمْ وَیَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا یَعْلَمُ فِی السَّمَوَاتِ وَلا فِی الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَی عَمَّا یُشْرِکُونَ. یونس: ۱۸

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَی کَمَا خَلَقْنَاکُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَکْتُمْ مَا خَوَّلْنَاکُمْ وَرَاءَ ظُهُورِکُمْ وَمَا نَرَی مَعَکُمْ شُفَعَاءَکُمُ الَّذِینَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِیکُمْ شُرَکَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَیْنَکُمْ وَضَلَّ عَنْکُمْ مَا کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. الأنعام: ۹۴

وَلَمْ یَکُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَکَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَکَانُوا بِشُرَکَائِهِمْ کَافِرِینَ. الروم: ۱۳

أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إنْ یُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّی شَفَاعَتُهُمْ شَیْئًا وَلا یُنْقِذُونَ. یس: ۲۳

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ کَانُوا لا یَمْلِکُونَ شَیْئًا وَلا یَعْقِلُونَ. قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِیعًا لَهُ مُلْکُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إلَیْهِ تُرْجَعُونَ. الزمر: ۴۳ ـ ۴۴

لا شفاعهٔ فی یوم القیامهٔ کشفاعهٔ الدنی

وَاتَّقُوا یَوْمًا لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئًا وَلا یُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا یُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ یُنصَرُونَ. البقرهٔ: ۴۸

وَاتَّقُوا یَوْمًا لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئًا وَلا یُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا یُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ یُنصَرُونَ. البقرهٔ: ۱۲۳

یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاکُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَاتِیَ یَوْمٌ لا بَیْعٌ فِیهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْکَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ. البقرهٔ: ۲۵۴

وَذَرِ الَّذِینَ اتَّخَذُوا دِینَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَیَاةُ الدُّنْیَا وَذَکِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا کَسَبَتْ لَیْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِیٌّ وَلا شَفِیعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ کُلَّ عَدْلٍ لا یُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِکَ الَّذِینَ أُبْسِلُوا بِمَا کَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِیمٍ وَعَذَابٌ أَلِیمٌ بِمَا کَانُوا یَکْفُرُونَ. الأنعام: ۷۰

فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِینَ، وَلا صَدِیقٍ حَمِیمٍ. الشعراء: ۱۰۰ ـ ۱۰۱

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِینَ. المدثر: ۴۸

الکفار یبحثون بحثا حثیثا عن الشفعاء

هَلْ يَنْظُرُونَ إلا تَاوِيلَهُ يَوْمَ يَاتِى تَاوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ. الأعراف: ۵۳

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا. النبأ: ۳۸

لا شفاعة للظالمين

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الأَزِفَةِ إذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ. غافر: ۱۸

وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ. المدثر: ۴۶-۴۸

شفاعة نبينا

تفسير (المقام المحمود) لنبينا

قال الله تعالى: أَقِمِ الصَّلَوةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا.وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ۷۹

مصادرنا تصف المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وآله فى المحشر

لعل أقوى نص فى متنه يبين أهمية المقام المحمود الذى وعد الله رسوله صلى الله عليه وآله بأن يكرمه به يوم القيامة، ما رواه الصدوق عن على عليه السلام، فقد بين فيه أن ليوم القيامة مراحل ومراسم قبل الحساب، وأن المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وآله يبدأ فى أوائل مراحل ذلك اليوم العظيم بتلك الخطبة (الفريدة) التى يفتتح بها نبينا المحشر ويلهمه الله تعالى فيها أنواع المحامد لربه تعالى نيابة عن الخلائق، ويعطى على أثرها لواء الحمد الذى هو رئاسة المحشر، وذلك قبل الحساب والشفاعة وحوض الكوثر..

قال الصدوق فى التوحيد فى حديث طويل/۲۵۵ – ۲۶۲:

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا أحمد بن يحيى عن بكر بن عبدالله بن حبيب قال: حدثنى أحمد بن يعقوب بن مطر قال: حدثنا محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الأحدب الجند بنيسابور قال: وجدت فى كتاب أبى بخطه: حدثنا طلحة بن يزيد عن عبيد الله بن عبيد عن أبى معمر السعدانى أن رجلاً أتى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فقال:

يا أمير المؤمنين إنى قد شككت فى كتاب الله المنزل.

قال له عليه السلام: ثكلتك أمك وكيف شككت فى كتاب الله المنزل!

قال: لأنى وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لا أشك فيه.

فقال على بن أبى طالب عليه السلام: إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً ولكنك لم ترزق عقلاً تنتفع به، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عز وجل.

قال له الرجل: إنى وجدت الله يقول: فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا، وقال أيضاً: نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ، وقال: وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا. فمرة يخبر أنه ينسى ومرة يخبر أنه لا ينسى، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين!

قال: هات ما شككت فيه أيضاً....

فقال على عليه السلام: قُدُّوسٌ ربنا قدوس، تبارك وتعالى علواً كبيراً، نشهد أنه هو الدائم الذى لا يزول، ولا نشك فيه، وليس كمثله شئ وهو السميع البصير، وأن الكتاب حق، والرسل حق، وأن الثواب والعقاب حق، فإن رزقت زيادة إيمان أو حرمته فإن ذلك بيد الله إن شاء رزقك وإن شاء حرمك ذلك، ولكن سأعلمك ما شككت فيه ولا قوة إلا بالله، فإن أراد الله بك خيراً أعلمك بعلمه وثبتك،

وإن يكن شراً ضللت وهلكت.

أما قوله: نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إنما يعنى نسوا الله فى دار الدنيا لم يعملوا بطاعته فنسيهم فى الآخرة أى لم يجعل لهم فى ثوابه شيئاً، فصاروا منسيين من الخير

وكذلك تفسير قوله عز وجل: فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا، يعنى بالنسيان أنه لم يثبهم كما يثيب أولياءه الذين كانوا فى دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسله وخافوه بالغيب. وأما قوله: وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا، فإن ربنا تبارك وتعالى علواً كبيراً ليس بالذى ينسى ولا يغفل، بل هو الحفيظ العليم، وقد يقول العرب فى باب النسيان: قد نَسِيَنَا فلان فلا يذكرنا أى أنه لا يأمر لنا بخير ولا يذكرنا به، فهل فهمت ما ذكر الله عز وجل؟ قال: نعم، فرجت عنى فرج الله عنك، وحللت عنى عقدة فعظم الله أجرك.

فقال عليه السلام: وأما قوله: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا، وقوله: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ، وقوله: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وقوله: إنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ، وقوله: لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وقوله: الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فإن ذلك فى موطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذى كان مقداره خمسين ألف سنة! يجمع الله عز وجل الخلائق يومئذ فى مواطن يتفرقون ويكلم بعضهم بعضاً، ويستغفر بعضهم لبعض، أولئك الذين كان منهم الطاعة فى دار الدنيا. ويلعن أهل المعاصى الذين بدت منهم البغضاء وتعاونوا على الظلم والعدوان فى دار الدنيا، الرؤساء والأتباع من المستكبرين والمستضعفين يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً. والكفر فى هذه الآية: البراءة يقول يبرأ بعضهم من بعض، ونظيرها فى سورة إبراهيم قول الشيطان: إنى كفرت بما أشركتمون من قبل، وقول إبراهيم خليل الرحمن: كفرنا بكم، يعنى تبرأنا منكم.

ثم يجتمعون فى موطن آخر يبكون فيه، فلو أن تلك الاصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلق عن معائشهم، ولتصدعت قلوبهم إلا ما شاء الله، فلا يزالون يبكون الدم.

ثم يجتمعون فى موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم الله تبارك وتعالى على أفواههم ويستنطق الأيدى والأرجل والجلود فتشهد بكل معصية كانت منهم، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم: لم شهدتم علينا، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ.

ثم يجتمعون فى موطن آخر فيستنطقون، فيفر بعضهم من بعض، فذلك قوله عز وجل: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، فيستنطقون فلا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فيقوم الرسل صلى الله عليهم فيشهدون فى هذا الموطن، فذلك قوله: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا.

ثم يجتمعون فى موطن آخر يكون فيه مقام محمد صلى الله عليه وآله وهو المقام المحمود فيثنى على الله تبارك وتعالى بما لم يثن عليه أحد قبله، ثم يثنى على الملائكة كلهم فلا يبقى ملك إلا أثنى عليه محمد صلى الله عليه وآله، ثم يثنى على الرسل: بما لم يثن عليهم أحد قبله، ثم يثنى على كل مؤمن ومؤمنة، يبدأ بالصديقين والشهداء ثم بالصالحين، فيحمده أهل السماوات والأرض، فذلك قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، فطوبى لمن كان له فى ذلك المقام حظ، وويل لمن لم يكن له فى ذلك المقام حظ ولا نصيب.

ثم يجتمعون فى موطن آخر ويدال بعضهم من بعض، وهذا كله قبل الحساب، فإذا أخذ فى الحساب شغل كل إنسان بما لديه. نسأل الله بركة ذلك اليوم.

قال: فرجت عنى فرج الله عنك يا أمير المؤمنين، وحللت عنى عقدةً، فعظم الله أجرك. انتهى. ورواه فى بحار الأنوار:۷/۱۱۹

الصحيفة السجادية:۱/۳۷:

اللهم واجعله خطيب وفد المؤمنين إليك، والمكسو حلل الأمان إذا وقف بين يديك، والناطق إذا خرست الألسن فى الثناء عليك.

اللهم وابسط لسانه فی الشفاعة لامته، وأرِ أهل الموقف من النبیین وأتباعهم تمکن منزلته، وأوهل أبصار أهل المعروف العلی بشعاع نور درجته، وقفه فی المقام المحمود الذی وعدته، واغفر ما أحدث المحدثون بعده فی أمته، مما کان اجتهادهم فیه تحریاً لمرضاتک ومرضاته، وما لم یکن تألیباً علی دینک ونقضاً لشریعته، واحفظ من قبل بالتسلیم والرضا دعوته، واجعلنا ممن تکثر به واردیه، ولا یذاد عن حوضه إذا ورده، واسقنا منه کأساً روياً لا نظمأ بعده.

وروی فی بحار الأنوار:۷/۳۳۵ عن تفسیر فرات الکوفی:

عن الإمام جعفر الصادق علیه السلام عن أبیه عن آبائه (علیهم السلام) قال: قال النبی صلی الله علیه وآله: إن الله تبارک وتعالی إذا جمع الناس یوم القیامة وعدنی المقام المحمود، وهو واف لی به. إذا کان یوم القیامة نصب لی منبر له ألف درجة فأصعد حتی أعلو فوقه فیأتینی جبرئیل علیه السلام بلواء الحمد فیضعه فی یدی ویقول: یا محمد هذا المقام المحمود الذی وعدک الله تعالی، فأقول لعلی: إصعد فیکون أسفل منی بدرجة، فأضع لواء الحمد فی یده، ثم یأتی رضوان بمفاتیح الجنة فیقول: یا محمد هذا المقام المحمود الذی وعدک الله تعالی، فیضعها فی یدی فأضعها فی حجر علی بن أبی طالب، ثم یأتی مالک خازن النار فیقول: یا محمد هذا المقام المحمود الذی وعدک الله تعالی هذه مفاتیح النار أدخل عدوک وعدو أمتک النار، فآخذها وأضعها فی حجر علی بن أبی طالب، فالنار والجنة یومئذ أسمع لی ولعلی من العروس لزوجها، فهی قول الله تعالی: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. انتهی.

ویؤید هذا الحدیث أنک لا تجد تفسیراً مقنعاً لتثنیة الخطاب فی هذه الآیة، إلا هذا الحدیث!

تفسیر القمی:۲/۲۵:

وأما قوله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، فإنه حدثنی أبی عن الحسن بن محبوب، عن زرعة، عن سماعة، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: سألته عن شفاعة النبی صلی الله علیه وآله یوم القیامة؟ فقال: یلجم الناس یوم القیامة العرق فیقولون: إنطلقوا بنا إلی آدم یشفع لنا عند ربنا فیأتون آدم فیقولون: یا آدم إشفع لنا عند ربک، فیقول: إن لی ذنباً وخطیئة فعلیکم بنوح، فیأتون نوحاً فیردهم إلی من یلیه، ویردهم کل نبی إلی من یلیه، حتی ینتهوا إلی عیسی فیقول: علیکم بمحمد رسول الله، فیعرضون أنفسهم علیه ویسألونه فیقول: إنطلقوا، فینطلق بهم إلی باب الجنة ویستقبل باب الرحمة ویخر ساجداً فیمکث ما شاء الله، فیقول الله: إرفع رأسک واشفع تشفع، واسأل تعط، وذلک هو قوله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا. انتهی. ورواه فی تفسیر نور الثقلین: ۳/۲۰۶.

تفسیر العیاشی:۲/۳۱۴:

عن عبید بن زرارة قال: سئل أبو عبدالله علیه السلام عن المؤمن هل له شفاعة؟ قال: نعم فقال له رجل من القوم: هل یحتاج المؤمن إلی شفاعة محمد یومئذ؟ قال: نعم إن للمؤمنین خطایا وذنوباً، وما من أحد إلا ویحتاج إلی شفاعة محمد یومئذ. قال وسأله رجل عن قول رسول الله صلی الله علیه وآله: أنا سید ولد آدم ولا فخر؟ قال: نعم یأخذ حلقة باب الجنة فیفتحها فیخر ساجداً فیقول الله: إرفع رأسک إشفع تشفع، أطلب تعط، فیرفع رأسه ثم یخر ساجداً فیقول الله: إرفع رأسک، إشفع تشفع واطلب تعط، ثم یرفع رأسه فیشفع، فیشفع ویطلب فیعطی.

روضة الواعظین/۵۰۰:

وقال رسول الله صلی الله علیه وآله: المقام الذی أشفع فیه لامتی.

وفی/۲۷۳: وقال رسول الله صلی الله علیه وآله: إذا قمت المقام المحمود تشفعت فی أصحاب الکبائر من أمتی فیشفعنی الله فیهم، والله لا تشفعت فیمن آذی ذریتی

تفسیر التبیان:۶/۵۱۲:

وقوله: عسی أن یبعثک ربک مقاماً محموداً، معناه متی فعلت ما ندبناک إلیه من التهجد یبعثک الله مقاماً محموداً، وهی الشفاعة فی قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وقال قوم: المقام المحمود: إعطاؤه لواء الحمد. وعسی من الله واجبة.

وقال أبو الصلاح الحلبی فی الکافی/۴۹۱:

ولرسول الله صلی الله علیه وآله محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، صلوات الله علیه وآله فی ذلک الیوم المقام الأشرف والمحل الأعظم، له اللواء المعقود لواء الحمد، والحوض المورود، والمقام المحمود، والشفاعة المقبولة والمنزلة العلیة، والدرجة المنیعة علی جمیع النبیین وأتباعهم. وکل شئ خص به من التفضیل ورشح له من التأهیل فأخوه وصنوه ووارث علمه ووصیه فی أمته وخلیفته علی رعیته أمیرالمؤمنین وسید المسلمین علی بن أبی طالب بن عبد المطلب علیه السلام شریک فیه، وهو صاحب الاعراف، وقسیم الجنة والنار، بنصه الصریح وقوله الفصیح.

وأعلام الأزمنة وتراجمة الملة بعدهما صلوات الله علیهم أعوانٌ علیه ومساهمون فیه، حسب ما أخبر به وأشار بذکره.

ولشیعتهم من ذلک الحظ الأوفر والقسط الأکبر، لتحققهم بالإسلام ممن عداهم وتخصصهم بالإیمان دون من سواهم.

ونختم ما اخترناه من مصادرنا بحدیث طریف ورد عن أهل البیت (علیهم السلام) فی مواعظ الله تعالی لنبیه عیسی علیه السلام وشاهدنا منه الفقرة الأخیرة المتعلقة ببشارته بنبینا صلی الله علیه وآله وشفاعته، لکن نورده کاملاً لکثرة فوائده.

فقد روی الکلینی فی الکافی:۸/۱۳۱:

عن علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن علی بن أسباط، عنهم (علیهم السلام) فیما وعظ الله عز وجل به عیسی علیه السلام:

یا عیسی، أنا ربک ورب آبائک إسمی واحد، وأنا الاحد المتفرد بخلق کل شی، وکل شئ من صنعی، وکل إلیَّ راجع.

یا عیسی، أنت المسیح بأمری، وأنت تخلق من الطین کهیئة الطیر بإذنی، وأنت تحیی الموتی بکلامی، فکن إلیَّ راغباً ومنی راهباً، ولن تجد منی ملجأً إلا إلیَّ.

یا عیسی، أوصیک وصیة المتحنن علیک بالرحمة حتی حقت لک منی الولایة بتحرِّیک منی المسرة، فبورکت کبیراً وبورکت صغیراً حیث ما کنت، إشهد أنک عبدی ابن أمتی، أنزلنی من نفسک کهمک واجعل ذکری لمعادک، وتقرب إلی بالنوافل، وتوکل علیَّ أکفک، ولا توکل علی غیری فآخذ لک.

یا عیسی، إصبر علی البلاء وارض بالقضاء، وکن کمسرتی فیک، فإن مسرتی أن أطاع فلا أعصی.

یا عیسی، أحی ذکری بلسانک، ولیکن ودی فی قلبک.

یا عیسی، تیقظ فی ساعات الغفلة، واحکم لی لطیف الحکمة.

یا عیسی، کن راغباً راهباً، وأمت قلبک بالخشیة.

یا عیسی، راع اللیل لتحری مسرتی، واظمأ نهارک لیوم حاجتک عندی.

یا عیسی، نافس فی الخیر جهدک، تعرف بالخیر حیثما توجهت.

یا عیسی، أحکم فی عبادی بنصحی، وقم فیهم بعدلی، فقد أنزلت علیک شفاء لما فی الصدور من مرض الشیطان.

یا عیسی، لا تکن جلیساً لکل مفتون.

یا عیسی، حقاً أقول: ما آمنت بی خلیقة إلا خشعت لی، ولا خشعت لی إلا رجوت ثوابی، فاشهد أنها آمنة من عقابی ما لم تبدل أو تغیر سنتی.

یا عیسی ابن البکر البتول، إبک علی نفسک بکاء من ودع الاهل وقلی الدنیا وترکها لاهلها، وصارت رغبته فیما عند إلهه.

یا عیسی، کن مع ذلک لین الکلام وتفشئ السلام، یقظان إذا نامت عیون الابرار، حذراً للمعاد والزلازل الشداد، وأهوال یوم القیامة، حیث لا ینفع أهل ولا ولد ولا مال.

یا عیسی، أکحل عینک بمیل الحزن إذا ضحک البطالون.

یا عیسی، کن خاشعاً صابراً، فطوبی لک إن نالک ما وعد الصابرون.

یا عیسی، رح من الدنیا یوماً فیوماً، وذق لما قد ذهب طعمه، فحقاً أقول: ما أنت إلا بساعتک ویومک، فرح من الدنیا ببلغة، ولیکفک الخشن الجشب، فقد رأیت إلی ما تصیر، ومکتوب ما أخذت وکیف أتلفت.

یا عیسی، إنک مسؤول فارحم الضعیف کرحمتی إیاک، ولا تقهر الیتیم.

یا عیسی، إبک علی نفسک فی الخلوات، وانقل قدمیک إلی مواقیت الصلوات واسمعنی لذاذة نطقک بذکری، فإن صنیعی إلیک حسن.

یا عیسی، کم من أمة قد أهلکتها بسالف ذنوب قد عصمتک منها.

یا عیسی، إرفق بالضعیف، وارفع طرفک الکلیل إلی السماء وادعنی، فإنی منک قریب، ولا تدعنی إلا متضرعاً إلیَّ، وهمک هماً واحداً، فإنک متی تدعنی کذلک أجبک.

یا عیسی، إنی لم أرض بالدنیا ثواباً لمن کان قبلک، ولا عقاباً لمن انتقمت منه.

یا عیسی، إنک تفنی وأنا أبقی، ومنی رزقک، وعندی میقات أجلک، وإلیَّ إیابک، وعلیَّ حسابک، فسلنی ولا تسأل غیری فیحسن منک الدعاء ومنی الإجابة.

یا عیسی، ما أکثر البشر وأقل عدد من صبر، الأشجار کثیرة وطیبها قلیل، فلا یغرنک حسن شجرة حتی تذوق ثمرها.

یا عیسی، لا یغرنک المتمرد علیَّ بالعصیان، یأکل رزقی ویعبد غیری، ثم یدعونی عند الکرب فأجیبه، ثم یرجع إلی ما کان علیه، فعلیَّ یتمرد؟ أم بسخطی یتعرض! فبی حلفت لاخذنه أخذةً لیس له منها منجاً ولا دونی ملجأ، أین یهرب من سمائی وأرضی؟!

یا عیسی، قل لظلمة بنی إسرائیل: لا تدعونی والسحت تحت أحضانکم، والأصنام فی بیوتکم، فإنی آلیت أن أجیب من دعانی، وأن أجعل إجابتی إیاهم لعناً علیهم حتی یتفرقوا.

یا عیسی، کم أطیل النظر، وأحسن الطلب والقوم فی غفلة لا ـ یرجعون، تخرج الکلمة من أفواههم لا تعیها قلوبهم، یتعرضون لمقتی ویتحببون بقربی إلی المؤمنین یا عیسی، لتکن فی السر والعلانیة واحداً، وکذلک فلیکن قلبک وبصرک، واطو قلبک ولسانک عن المحارم، وکف بصرک عما لا خیر فیه، فکم من ناظر نظرة قد زرعت فی قلبه شهوة، ووردت به موارد حیاض الهلکة.

یا عیسی، کن رحیماً مترحماً، وکن کما تشاء أن یکون العباد لک، وأکثر ذکر الموت ومفارقة الأهلین، ولا تَلْهُ فإن اللهو یفسد صاحبه، ولا تغفل فإن الغافل منی بعید، واذکرنی بالصالحات حتی أذکرک.

یا عیسی، تب إلیَّ بعد الذنب، وذکر بی الأوابین، وآمن بی وتقرب بی إلی المؤمنین، ومرهم یدعونی معک، وإیاک ودعوة المظلوم، فإنی آلیت علی نفسی أن أفتح لها باباً من السماء بالقبول، وأن أجیبه ولو بعد حین.

یا عیسی، إعلم أن صاحب السوء یُعدی، وقرین السوء یردی، واعلم من تقارن واختر لنفسک إخواناً من المؤمنین.

یا عیسی، تب إلی، فإنی لا ـ یتعاظمنی ذنب أن أغفره، وأنا أرحم الراحمین. إعمل لنفسک فی مهلة من أجلک قبل أن لا یعمل لها غیرک، واعبدنی لیوم کألف سنة مما تعدون، فیه أجزی بالحسنة أضعافها، وإن السیئة توبق صاحبها، فامهد لنفسک فی مهلة، ونافس فی العمل الصالح، فکم من مجلس قد نهض أهله وهم مجارون من النار.

یا عیسی، إزهد فی الفانی المنقطع، وطأ رسوم منازل من کان قبلک، فادعهم وناجهم، هل تحس منهم من أحد، وخذ موعظتک منهم، واعلم أنک ستلحقهم فی اللاحقین.

یا عیسی، قل لمن تمرد علی بالعصیان وعمل بالأدهان: لیتوقع عقوبتی وینتظر إهلاکی إیاه، سیصطلم مع الهالکین.

طوبی لک یا ابن مریم ثم طوبی لک إن أخذت بأدب إلهک الذی یتحنن علیک ترحماً، وبدأ النعم منه تکرماً، وکان لک فی الشدائد. لا تعصه یا عیسی فإنه لا یحلک عصیانه. قد عهدت إلیک ما عهدت إلی من کان قبلک وأنا علی ذلک من الشاهدین.

یا عیسی، ما أکرمت خلیقة بمثل دینی، ولا أنعمت علیها بمثل رحمتی.

یا عیسی، إغسل بالماء منک ما ظهر وداو بالحسنات منک ما بطن، فإنک إلیَّ راجع.

یا عیسی، أعطیتک ما أنعمت به علیک فیضاً من غیر تکدیر، وطلبت منک قرضاً لنفسک فبخلت به علیها، لتکون من الهالکین.

یا عیسی، تزین بالدین وحب المساکین، وامش علی الأرض هوناً، وصل علی البقاع، فکلها طاهر.

یا عیسی، شمر فکل ما هو آت قریب، واقرأ کتابی وأنت طاهر، وأسمعنی منک صوتاً حزیناً.

یا عیسی، لا خیر فی لذاذة لا تدوم، وعیش من صاحبه یزول.

یا ابن مریم، لو رأت عینک ما أعددت لاولیائی الصالحین ذاب قلبک وزهقت نفسک شوقاً إلیه، فلیس کدار الآخرة دار، تجاور فیها الطیبون، ویدخل علیهم فیها الملائکة المقربون، وهم مما یأتی یوم القیامة من أهوالهما آمنون، دارٌ لا یتغیر فیها النعیم، ولا یزول عن أهلها.

یا ابن مریم، نافس فیها مع المتنافسین، فإنها أمنیة المتمنین، حسنة المنظر، طوبی لک یا ابن مریم إن کنت لها من العاملین، مع آبائک آدم وإبراهیم فی جنات ونعیم، لا تبغی لها بدلاً ولا تحویلاً، کذلک أفعل بالمتقین.

یا عیسی، أهرب إلی مع من یهرب من نار ذات لهب، ونار ذات أغلال وأنکال، لا یدخلها روح، ولا یخرج منها غم أبداً، قطع کقطع اللیل المظلم، من ینج منها یفز، ولن ینجو منها من کان من الهالکین، هی دار الجبارین والعتاة الظالمین، وکل فظ غلیظ، وکل مختار فخور.

یا عیسی، بئست الدار لمن رکن إلیها، وبئس القرار دار الظالمین، إنی أحذرک نفسک فکن بی خبیراً.

یا عیسی، کن حیث ما کنت مراقباً لی، واشهد علی أنی خلقتک وأنت عبدی.

یا عیسی لا یصلح لسانان فی فم واحد، ولا قلبان فی صدر واحد، وکذلک الأذهان.

یا عیسی، لا تستیقظن عاصیاً، ولا تستنبهن لاهیاً، وافطم نفسک عن الشهوات الموبقات، وکل شهوة تباعدک منی فاهجرها، واعلم أنک منی بمکان الرسول الأمین، فکن منی علی حذو العم. إن دنیاک مؤدیتک إلیَّ وإنی آخذک بعلمی، فکن ذلیل النفس عند ذکری، خاشع القلب حین تذکرنی، یقظاناً عند نوم الغافلین.

یا عیسی، هذه نصیحتی إیاک وموعظتی لک، فخذها منی، وإنی رب العالمین.

یا عیسی، إذا صبر عبدی فی جنبی کان ثواب عمله علیَّ، وکنت عنده حین یدعونی، وکفی بی منتقماً ممن عصانی، أین یهرب منی الظالمون؟

یا عیسی، أطب الکلام، وکن حیثما کنت عالماً متعلماً.

یا عیسی، أفض بالحسنات إلیَّ، حتی یکون لک ذکرها عندی، وتمسک بوصیتی فإن فیها شفاء للقلوب.

یا عیسی، لا تأمن إذا مکرت مکری، ولا تنس عند خلوات الدنیا ذکری.

یا عیسی، حاسب نفسک بالرجوع إلی، حتی تتنجز ثواب ما عمله العاملون، أولئک یؤتون أجرهم وأنا خیر المؤتین.

یا عیسی، کنت خلقاً بکلامی، ولدتک مریم بأمری المرسل إلیها روحی جبرئیل، الامین من ملائکتی، حتی قمت علی الأرض حیاً تمشئ کل ذلک فی سابق علمی.

یا عیسی، زکریا بمنزلة أبیک وکفیل أمک، إذ یدخل علیها المحراب فیجد عندها رزقاً، ونظیرک یحیی من خلقی، وهبته لامه بعد الکبر من غیر قوة بها، أردت بذلک أن یظهر لها سلطانی وتظهر قدرتی. أحبکم إلی أطوعکم لی، وأشدکم خوفاً منی.

یا عیسی، تیقظ ولا تیأس من روحی، وسبحنی مع من یسبحنی، وبطیب الکلام فقدّسنی.

یا عیسی، کیف یکفر العباد بی ونواصیهم فی قبضتی، وتقلبهم فی أرضی، یجهلون نعمتی ویتولون عدوی، وکذلک یهلک الکافرون.

یا عیسی، إن الدنیا سجن منتن الریح، وحسن فیها ما قد تری مما قد تذابح علیه الجبارون، وإیاک والدنیا فکل نعیمها یزول، وما نعیمها

إلا قليل.

يا عيسى، إبغنى عند وسادك تجدنى، وادعنى وأنت لى محب، فإنى أسمع السامعين، أستجيب للداعين إذا دعونى.

يا عيسى، خفنى وخوف بى عبادى، لعل المذنبين أن يمسكوا عما هم عاملون به، فلا يهلكوا إلا وهم يعلمون.

يا عيسى، إرهبنى رهبتك من السبع والموت الذى أنت لاقيه، فكل هذا أنا خلقته، فإياى فارهبون.

يا عيسى، إن الملك لى وبيدى، وأنا الملك فإن تطعنى أدخلتك جنتى فى جوار الصالحين.

يا عيسى، إنى إذا غضبت عليك لم ينفعك رضى من رضى عنك، وإن رضيت عنك لم يضرك غضب المغضبين.

يا عيسى، أذكرنى فى نفسك أذكرك فى نفسى، واذكرنى فى ملاك أذكرك فى ملا خير من ملا الآدميين.

يا عيسى، أدعنى دعاء الغريق الحزين، الذى ليس له مغيث.

يا عيسى، لا تحلف بى كاذباً فيهتز عرشئ غضباً. الدنيا قصيرة العمر طويلة الامل وعندى دار خير مما تجمعون.

يا عيسى، كيف أنتم صانعون إذا أخرجت لكم كتاباً ينطق بالحق وأنتم تشهدون بسرائر قد كتمتموها وأعمال كنتم بها عاملين.

يا عيسى، قل لظلمة بنى إسرائيل: غسلتم وجوهكم ودنستم قلوبكم، أبى تغترون أم على تجترئون؟! تطيبون بالطيب لأهل الدنيا وأجوافكم عندى بمنزلة الجيف المنتنة، كأنكم أقوام ميتون!

يا عيسى، قل لهم: قلموا أظفاركم من كسب الحرام، وأصموا أسماعكم عن ذكر الخنا، وأقبلوا على بقلوبكم، فإنى لست أريد صوركم.

يا عيسى، إفرح بالحسنة فإنها لى رضى، وابك على السيئة فإنها شين، وما لا تحب أن يصنع بك فلا تصنعه بغيرك، وإن لطم خدك الأيمن فأعطه الايسر، وتقرب إلىَّ بالمودة جهدك، وأعرض عن الجاهلين.

يا عيسى، ذُلَّ لأهل الحسنة وشاركهم فيها، وكن عليهم شهيداً. وقل لظلمة بنى إسرائيل: يا أخدان السوء والجلساء عليه، إن لم تنتهوا أمسخكم قردة وخنازير.

يا عيسى، قل لظلمة بنى إسرائيل: الحكمة تبكى فرقاً منى، وأنتم بالضحك تهجرون، أتتكم براءتى، أم لديكم أمان من عذابى، أم تعرضون لعقوبتى؟! فبى حلفت لاتركنكم مثلاً للغابرين.

ثم أوصيك يابن مريم البكر البتول، بسيد المرسلين وحبيبى، فهو أحمد صاحب الجمل الأحمر، والوجه الأقمر، المشرق بالنور، الطاهر القلب، الشديد البأس، الحيى المتكرم، فإنه رحمة للعالمين، وسيد ولد آدم يوم يلقانى، أكرم السابقين علىَّ وأقرب المرسلين منى، العربى الامين، الديان بدينى، الصابر فى ذاتى، المجاهد المشركين بيده عن دينى، أن تخبر به بنى إسرائيل، وتأمرهم أن يصدقوا به وأن يؤمنوا به وأن يتبعوه، وأن ينصروه.

قال عيسى: إلهى من هو حتى أرضيه، فلك الرضا؟ قال: هو محمد رسول الله إلى الناس كافة، أقربهم منى منزلة، وأحضرهم شفاعة، طوبى له من نبى، وطوبى لامته إن هم لقونى على سبيله، يحمده أهل الأرض ويستغفر له أهل السماء، أمين ميمون، طيب مطيب، خير الباقين عندى، يكون فى آخر الزمان، إذا خرج أرخت السماء عزاليها، وأخرجت الأرض زهرتها، حتى يروا البركة، وأبارك لهم فيما وضع يده عليه، كثير الازواج، قليل الأولاد، يسكن بكة، موضع أساس إبراهيم.

يا عيسى، دينه الحنيفية، وقبلته يمانية، وهو من حزبى وأنا معه، فطوبى له ثم طوبى له، له الكوثر والمقام الأكبر فى جنات عدن، يعيش أكرم من عاش ويقبض شهيداً، له حوض أكبر من بكة إلى مطلع الشمس، من رحيق مختوم، فيه آنية مثل نجوم السماء، وأكواب مثل مدر الأرض، عذب فيه من كل شراب، وطعم كل ثمار فى الجنة، من شرب منه شربة لم يظمأ أبداً، وذلك من قسمى له وتفضيلى إياه. على فترة بينك وبينه، يوافق سره علانيته، وقوله فعله، لايأمر الناس إلا ـ بما يبدأهم به، دينه الجهاد فى عسر ويسر، تنقاد له البلاد ويخضع له صاحب الروم. على دين إبراهيم، يسمى عند الطعام، ويفشئ السلام، ويصلى والناس نيام، له كل يوم خمس صلوات

متواليات، ينادى إلى الصلاة كنداء الجيش بالشعار، ويفتتح بالتكبير ويختتم بالتسليم، ويصف قدميه فى الصلاة كما تصف الملائكة أقدامها، ويخشع لى قلبه ورأسه، النور فى صدره والحق على لسانه، وهو على الحق حيثما كان أصله. يتيمٌ ضال برهة من زمانه عما يراد به، تنام عيناه ولاينام قلبه، له الشفاعة، وعلى أمته تقوم الساعة، ويدى فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه أوفيت له بالجنة، فمر ظلمة بنى إسرائيل ألا يدرسوا كتبه، ولا يحرفوا سنته، وأن يقرؤوه السلام، فإن له فى المقام شأناً من الشأن. انتهى.

وقد يكون حدث فى هذا النص تغيير ما من الرواة، ولكن فيه أفكاراً وأموراً مهمة يحسن مقارنتها وأمثالها مما ورد فى مصادرنا عن عيسى عليه السلام بالنصوص التى تشابهها من الانجيل والتوراة، لمعرفة التفاوت والتغيير فيها.

تفسير إخواننا السنيين القريب من تفسيرنا

مسند أحمد:۲/۴۴۱:

عن أبى هريرة عن النبى(ص)فى قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال: هو المقام الذى أشفع لامتى فيه.

الدر المنثور:۴/۱۹۷:

أخرج سعيد بن منصور والبخارى وابن جرير وابن مردويه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء، كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان إشفع لنا، حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى(ص)، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

وأخرج أحمد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن أبى هريرة (رض) عن النبى(ص)فى قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، وسئل عنه قال: هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى.

وأخرج ابن جرير والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة (رض) أن رسول الله(ص)قال: المقام المحمود الشفاعة.

وأخرج ابن جرير والطبرانى وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال مقام الشفاعة.

وأخرج ابن مردويه عن سعد بن أبى وقاص (رض) قال: سئل رسول الله(ص)عن المقام المحمود فقال: هو الشفاعة.

الدر المنثور:۴/۱۹۸:

وأخرج ابن أبى شيبة عن سلمان (رض) قال: يقال له: سل تعطه، يعنى النبى(ص)، واشفع تشفع، وادع تجب، فيرفع رأسه فيقول: أمتى مرتين أو ثلاثاً فقال سلمان (رض): يشفع فى كل من فى قلبه مثقال حبة حنطة من إيمان، أو مثقال شعيرة من إيمان، أو مثقال حبة خردل من إيمان. قال سلمان (رض): فذلكم المقام المحمود.

الدر المنثور:۵/۹۸:

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: سألت رسول الله(ص)فقلت: بأبى أنت وأمى أين كنت وآدم فى الجنة؟ فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال: إنى كنت فى صلبه، وهبط إلى الأرض وأنا فى صلبه، وركبت السفينة فى صلب أبى نوح، وقذفت فى النار فى صلب أبى ابراهيم، لم يلتق أبواى قط على سفاح، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الارحام الطاهرة، مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام هدانى وبين فى التوراة والإنجيل ذكرى، وبين كل شئ من صفتى فى شرق الأرض وغربها، وعلمنى كتابه، ورقى بى فى سمائه، وشق لى من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد، ووعدنى أن يحبونى بالحوض وأعطانى الكوثر، وأنا أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجنى فى خير قرون أمتى، وأمتى الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. انتهى.

ورواه فى كنز العمال:۱۲/۴۲۷ وأضاف فيه: قال ابن عباس: فقال حسان بن ثابت فى النبى (ص):

من قبلها طبت فی الظلال وفی مستودع حیث یخصف الورقُ
ثم سکنت البلاد لا بشرٌ أنت ولا نطفة ولا علـق
مطهر ترکب السفین وقـد ألجم أهل الضلالة الغـرق
تنقل من صلب إلی رحم إذا مضی عالم بدا طبق

تفسیر الطبری:۱۵/۹۷:

وقوله: عَسَی أنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، عن ابن عباس قال: المقام المحمود مقام الشفاعة..

ومثله فی طبقات المحدثین بأصبهان:۱/۲۰۱ عن جابر وأبی سعید مرفوعاً وفی مختصر تاریخ دمشق لابن منظور:۱ جزء ۲/۱۶۵ عن ابن عباس.

الشفا للقاضی عیاض:۱/۱۸۸:

فصل فی تفضیله(ص)بالشفاعة والمقام المحمود، قال الله تعالی: عَسَی أنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا... عن آدم بن علی قال سمعت ابن عمر یقول: إن الناس یصیرون یوم القیامة جثی، کل أمة تتبع نبیها یقولون یا فلان إشفع لنا یا فلان إشفع لنا، حتی تنتهی الشفاعة إلی النبی(ص)، فذلک یوم یبعثه الله المقام المحمود.

تفسیر الرازی:۱۱ جزء ۲۱/۳۱:

قال الواحدی: أجمع المفسرون علی أنه (المقام المحمود) مقام الشفاعة... إن احتیاج الإنسان إلی دفع الآلام العظیمة عن النفس فوق احتیاجه إلی تحصیل المنافع الزائدة التی لا حاجة به إلی تحصیلها. وإذا ثبت هذا وجب أن یکون المراد من قوله: عَسَی أنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، هو الشفاعة فی إسقاط العقاب. انتهی. وراجع التفسیر الوسیط للنیسابوری:۳/۱۲۲.

وقال فی: ۱۶ جزء ۳۲/۱۲۷: قوله تعالی: إِنَّا أَعْطَیْنَاکَ الْکَوْثَرَ، الکوثر هو المقام المحمود الذی هو الشفاعة... شفاعتی لأهل الکبائر من أمتی.

تفسیرهم الذی فیه تجسیم

صحیح البخاری:۸/۱۸۳:

فأستأذن علی ربی فی داره! فیؤذن لی علیه، فإذا رأیته وقعت ساجداً، فیدعنی ما شاء الله أن یدعنی فیقول: إرفع یا محمد وقل یسمع واشفع تشفع وسل تعط. قال فأرفع رأسی فأثنی علی ربی بثناء وتحمید یعلمنیه، ثم أشفع فیحد لی حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وسمعته أیضاً یقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فاستأذن علی ربی فی داره! فیؤذن لی علیه فإذا رأیته وقعت ساجداً، فیدعنی ماشاء الله أن یدعنی ثم یقول: إرفع محمد وقل یسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال فأرفع رأسی فأثنی علی ربی بثناء وتحمید یعلمنیه، قال ثم أشفع، فیحد لی حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وسمعته یقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن إلی ربی فی داره! فیؤذن لی علیه فإذا رأیته وقعت ساجداً فیدعنی ماشاء الله أن یدعنی، ثم یقول إرفع محمد وقل یسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال فأرفع رأسی فأثنی علی ربی بثناء وتحمید یعلمنیه، قال ثم أشفع فیحد لی حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وقد سمعته یقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، حتی ما یبقی فی النار إلا من حبسه القرآن، أی وجب علیه الخلود.قال: ثم تلا الآیة: عسی أن یبعثک ربک مقاماً محموداً، قال وهذا المقام المحمود الذی وعده نبیکم(ص). ونحوه فی صحیح مسلم:۱/۱۲۳ ومسند أحمد: ۳/۲۴۴ وشبیهه فی مسند أحمد:۱/۳۹۸ وسنن الترمذی:۴/۳۷۰ ومستدرک الحاکم:۴/۴۹۶ والدر المنثور:۳/۸۷ عن الطبری.

وفی الدر المنثور:۶/۲۵۷ فی قصة الدجال:

عن ابن أبی شیبة وعبد بن حمید وابن أبی حاتم والطبرانی والحاکم وصححه والبیهقی فی البعث والنشور عن ابن مسعود أنه ذکر عنده الدجال فقال... إلی آخر الروایة. وستأتی بتمامها فی بحث الخلود فی الجنة والنار وفی بعض نصوصها تجسیم صریح وفی بعضها رائحة التجسیم.

وکذلک ما رواه البخاری فی تسعة مواضع من صحیحه:۲ جزء ۴/۱۰۵ وج ۳ جزء ۵/۱۴۶ وص ۲۲۵ وص ۲۲۸ وج ۷/۲۰۳ وج ۸/۱۷۲ وص ۱۸۳ وص ۲۰۰ وص ۲۰۳ من حدیث الشدة التی تکون علی الناس فی المحشر حتی یلجؤون (کذا) إلی آدم وغیره من الأنبیاء فیحولونهم علی نبینا صلی الله علیه وآله فیشفع إلی الله تعالی فیشفعه. وروی ذلک فی کنز العمال:۲/۲۶ وغیره.

سنن الدارمی:۲/۳۲۵:

عن ابن مسعود عن النبی(ص)قال قیل له: ما المقام المحمود؟ قال: ذاک یوم ینزل الله تعالی علی کرسیه یئط کما یئط الرحل الجدید من تضایقه به، وهو کسعة ما بین السماء والأرض، ویجاء بکم حفاة عراة غرلاً، فیکون أول من یکسی إبراهیم، یقول الله تعالی إکسوا خلیلی فیؤتی بریطتین بیضاوین من ریاط الجنة، ثم أکسی علی أثره، ثم أقوم عن یمین الله مقاماً یغبطنی الأولون والآخرون. انتهی.

ورواه الحاکم فی:۲/۳۶۴ والبغوی فی مصابیحه:۳/۵۵۲ والهندی فی کنز العمال:۱۴/۴۱۲ والسیوطی فی الدر المنثور:۳/۸۴ وروی نحوه فی الدر المنثور:۱/۳۴ وص ۳۲۸ وص ۳۲۴ قال: وأخرج ابن المنذر وأبوالشیخ عن ابن مسعود قال قال رجل: یا رسول الله ما المقام المحمود؟ قال...

وأخرج ابن جریر عن الضحاک قال کان الحسن یقول: الکرسی هو العرش..فقال رسول الله(ص)... وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فهی تئط من عظمته وجلاله کما یئط الرحل الجدید! انتهی. ورواه فی کنز العمال: ۱۴/۶۳۶.

وفی فردوس الأخبار:۳/۸۵:

عن ابن عمر: عسی الله أن یبعثک ربک مقاماً محموداً، یجلسنی معه علی السریر.

وفی:۴/۲۹۸ عن أنس بن مالک: من کرامتی علی ربی عز وجل قعودی علی العرش.

مجمع الزوائد:۷/۵۱:

وعن ابن عباس أنه قال فی قول الله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، یجلسه بینه وبین جبریل ویشفع لأمته، فذلک المقام المحمود. ورواه السیوطی فی الدر المنثور:۴/۱۹۸.

وروی البیهقی فی دلائل النبوة:۵/۴۸۱:

یأتی رسول الله (ص) یوم القیامة إلی الله وهو جالس علی کرسیه.

وقال الشوکانی فی فتح القدیر:۳/۳۱۶:

إن المقام المحمود هو أن الله سبحانه یجلس محمداً معه علی کرسیه حکاه ابن جریر... وقد ورد فی ذلک حدیث.

وفی تاریخ بغداد:۳/۲۲ عن لیث بن مجاهد فی قوله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا قال: یقعده معه علی العرش..

وفی تاریخ بغداد:۸/۵۲:

عن عبدالله بن خلیفة قال قال رسول الله (ص): الکرسی الذی یجلس علیه الرب عز وجل وما یفضل منه إلا قدر أربع أصابع، وإن له أطیطاً کأطیط الرحل الجدید!

قال أبوبکر المروذی قال لی أبو علی الحسین بن شبیب قال لی أبوبکر بن سلم العابد حین قدمنا إلی بغداد: أخرج ذلک الحدیث الذی کتبناه عن أبی حمزة، فکتبه أبوبکر بن سلم بخطه وسمعناه جمیعاً، وقال أبوبکر بن سلم: إن الموضع الذی یفضل لمحمد(ص)لیجلسه علیه! قال أبوبکر الصیدلانی: من رد هذا فإنما أراد الطعن علی أبی بکر المروزی، وعلی أبی بکر بن سلم العابد!!

القعود علی العرش فکرة یهودیة مسیحیة

قال جولد تسيهر في مذاهب التفسير الإسلامي/١٢٢:
سجلت فتنة ببغداد أثارها نزاع على مسألة من التفسير ذلك هو تفسير الآية ٧٩ من سورة الاسراء: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، ما المراد من المقام المحمود؟ ذهب الحنابلة... إلى أن الذي يفهم من ذلك هو أن الله يقعد النبي معه على العرش... ربما كان هذا متأثراً بما جاء في انجيل مرقص ١٦ – ١٩، وآخرون ذهبوا إلى أن المقام المحمود... هو مرتبة الشفاعة التي يرفع إليها النبي. انتهى.
وقد أوردنا في المجلد الثاني من العقائد الإسلامية أن أفكار التجسيم والصفات المادية لله تعالى وعرشه قد أخذها بعض المسلمين من اليهود وأدخلوها في الثقافة الإسلامية، وأضاف اليها هؤلاء المقلدة إجلاس نبيهم إلى جنب الله تعالى! بينما روى اليهود إجلاس موسى وداود إلى جنبه! وروى المسيحيون جلوس عيسى على السرير إلى جنب أبيه!! وقد تقدم ذلك في الشفاعة عند اليهود والنصارى.
ونلاحظ أن ابن سلام اليهودي الذي أسلم يقول عن نبينا صلى الله عليه وآله إنه لا يجلس إلى جنب الله تعالى بل (يلقى) له كرسيٌّ في جنب المجلس مثلًا فيجلس عليه!
قال البيهقي في دلائل النبوة:٥/٤٨٦: عن عبد الله بن سلام: وينجو النبي (ص) والصالحون معه، وتتلقاهم الملائكة يرونهم منازلهم.. حتى ينتهي إلى الله عز وجل فيلقى له كرسي. انتهى.
وسوف تعرف في بحث الشفيع الأول أن مصادر السنيين تأثرت بالاسرائيليات وصححت رواياتها وجعلت شفاعة أنبياء بني إسرائيل قبل نبينا صلى الله عليه وآله وجعلته الشفيع الرابع.
قال السيوطي في الدر المنثور:٤/١٩٨: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن مسعود (رض) قال: يأذن الله تعالى في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام ثم يقوم عيسى وموسى (عليهم السلام) ثم يقوم نبيكم(ص)رابعاً ليشفع... ورواه الحاكم في المستدرك: ٤/٤٩٦ بسند صحيح على شرط الشيخين!!
أما الفتنة التي ذكرها تسيهر فقد ذكرها ابن الأثير في تاريخه:٥/١٢١ فقال: (في سنة ٣١٧ هـ) وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي وبين غيرهم من العامة، ودخل كثير من الجند فيها، وسبب ذلك أصحاب المروزي قالوا في تفسير قوله تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، هو أن الله سبحانه يقعد النبي (ص) معه على العرش! وقالت طائفة إنما هو الشفاعة، فوقعت الفتنة فقتل بينهم قتلى كثيرة. انتهى.
وذكرها الذهبي في تاريخ الإسلام: ٢٣/٣٨٤ وأنها بسبب تفسير آية المقام المحمود، حيث قالت الحنابلة إنها تعني أن الله يقعده على عرشه كما قال مجاهد. وقال غيرهم: بل هي الشفاعة العظمى.

انتقاد بعض علماء السنة التفسير بالقعود على العرش

قال السقاف في صحيح شرح العقيدة الطحاوية: ١/٥٧٠:
قال الإمام الطحاوي رحمه الله: والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الأخبار ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم ولا نقنّطهم.
الشرح: لقد ثبتت الشفاعة منطوقاً ومفهوماً في القرآن الكريم وخاصة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)ومن تلك الآيات قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. الضحى: ٣ وقال تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ٧٩ وتفسير المقام المحمود بالشفاعة ثابت في الصحيحين وغيرهما [١] .
وقال الله تعالى: يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا.طه: ١٠٩. وقال تعالى: مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ.

يونس: ٣.

وفى شفاعة الملائكة قوله تعالى: بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ.. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. الأنبياء: ٧٨.

وقال السقاف فى شرح العقيدة الطحاوية/١٧٠:

وهذا الخلال يقول فى سنته/٢٣٢ ناقلاً: لا أعلم أحداً من أهل العلم ممن تقدم ولا فى عصرنا هذا إلا وهو منكر لما أحدث الترمذى [٢] من رد حديث محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، قال يقعده على العرش [٣] فهو عندنا جهمى يهجر ونحذر عنه.

أقول: ومن العجيب الغريب أن الآلبانى ينكر هذا، ويقول بعدم صحته وأنه لم يثبت كما سيأتى، وكذلك محقق الكتاب وهو متمسلف معاصر ينكر ذلك أيضاً ويحكم على هذا الأثر بالضعف حيث يقول فى هامش تلك الصحيفة تعليق رقم ١٩: إسناده ضعيف! فهل هؤلاء جهمية! وما هذا الخلاف الواقع بين هؤلاء فى أصول اعتقادهم!

ومن الغريب العجيب أيضاً أنهم اعتبروا أن نفى قعود سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) بجنب الله نافياً ودافعاً لفضيلة من فضائل النبى (صلى الله عليه وآله) والدليل على ما قلناه قول الخلال هناك/٢٣٧: (وقال أبو على إسماعيل بن إبراهيم الهاشمى (وهو مجهول بنظر المحقق): إن هذا المعروف بالترمذى عندنا مبتدع جهمى، ومن رد حديث مجاهد فقد دفع فضل رسول الله(ص)، ومن رد فضيلة الرسول(ص)فهو عندنا كافر مرتد عن الإسلام!!) وقال/٢٣۴ ناقلاً (وأنا أشهد على هذا الترمذى أنه جهمى خبيث)! انتهى.

[١] أنظر البخارى ٣ – ٣٣٨ و ٨ – ٣٩٩ و ١٣ – ۴٢٢ ومسلم ١ – ١٧٩. ومن الغريب العجيب أن يعرض المجسمة والمشبهة عن هذا الوارد الثابت فى الصحيحين، ويفسروا المقام المحمود بجلوس سيدنا محمد على العرش بجنب الله! تعالى الله عن إفكهم وكذبهم علواً كبيراً، وهم يعتمدون على ذلك على ما يروى عن مجاهد بسند ضعيف من أنه قال ما ذكرناه من التفسير المنكر المستشنع، وتكفل الخلال فى كتابه السنة ١ – ٢٠٩ بنصرة التفسير المخطئ المستبشع، وقد نطق بما هو مستنشع عند جميع العقلاء!.

[٢] مع أن التأويل والتفويض لم يحدثه ولم يخترعه الترمذى. ; ومن الغريب العجيب أيضاً أن محقق سنة الخلال عطية الزهرانى حاول أن ينفى أن كون الترمذى المراد هنا هو الإمام المعروف صاحب السنن فقال/٢٢۴ فى الهامش تعليق رقم ۴ هو جهم بن صفوان ثم تراجع عن ذلك/٢٣٢ فقال فى الهامش التعليق رقم ٨ (كنت أظنه جهم، ولكن اتضح من الروايات أنه يقصد رجلاً آخر لم أتوصل إلى معرفته) فيا للعجب!!.

[٣] وهذا القعود الذى يتحدثون عنه هو قعود سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) بجنب الله تعالى على العرش! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! والدليل عليه قول الخلال هناك/٢۴۴: حدثنا أبو معمر ثنا أبو الهذيل عن محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد قال: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال: يجلسه معه على العرش قال عبد الله: سمعت هذا الحديث من جماعة وما رأيت أحداً من المحدثين ينكره، وكان عندنا فى وقت ما سمعناه من المشائخ أن هذا الحديث إنما تنكره الجهمية.

تفسير قوله تعالى (و لسوف يعطيك ربك فترضى)

قال الله تعالى: وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. الضحى: ١ – ۵.

والعطاء فى الآية مطلق شامل لانواع ما يعطيه الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله ومن الطبيعى أن يكون عطاء عظيماً متناسباً مع كرم الله تعالى على حبيبه أشرف الخلق وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله.. ولم تنص الآية على أنه الشفاعة ولكن بعض الأحاديث نصت على ذلك، وبعضها نص على أنها الشفاعة فى أهل بيته وبنى هاشم وعبد المطلب، وبعضها نص على أنه العطاء فى الجنة، وبعضها

أطلق..وبعضها قال إنها الشفاعة فی أهل بیته وأمته..وجعلها بعضهم الشفاعة فی جمیع أمته صلی الله علیه وآله بحیث لا یدخل أحد منها النار أبداً! ولکن ذلک لا یصح لأنه مخالف لما ثبت عنه صلی الله علیه وآله من دخول بعض أمته النار ومخالف لقانون الجزاء الإلهی، کما ستعرف.

تفسیر الآیة بالعطاء الالهی الاعم من الشفاعة

تفسیر القمی:۲/۴۲۷:

حدثنا جعفر بن أحمد قال: حدثنا عبد الله بن موسی بن الحسن بن علی بن أبی حمزة، عن أبیه، عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السلام فی قوله: وللآخرة خیر لک من الأولی، قال: یعنی الکرة هی الآخرة للنبی صلی الله علیه وآله. قلت قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: یعطیک من الجنة فترضی. ورواه فی مختصر بصائر الدرجات/۴۷ وفی بحار الأنوار:۵۳/۵۹ وفی تفسیر نور الثقلین:۵/۵۹۴.

تفسیر التبیان:۱۰/۳۶۹:

قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، وعد من الله له أن یعطیه من النعیم والثواب وفنون النعم ما یرضی النبی صلی الله علیه وآله به ویؤثره.

تأویل الآیات:۲/۸۱۰:

قوله تعالی: وَلَلأخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولَی وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی. تأویله ما رواه محمد بن العباس رحمه الله عن أبی داود، عن بکار، عن عبد الرحمان، عن إسماعیل بن عبدالله، عن علی بن عبد الله بن العباس قال: عرض علی رسول الله صلی الله علیه وآله ما هو مفتوح علی أمته من بعده کفراً کفراً فسرَّ بذلک فأنزل الله عز وجل: وَلَلأخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولَی، وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: فأعطاه الله عز وجل ألف قصر فی الجنة ترابه المسک، وفی کل قصر ما ینبغی له من الأزواج والخدم. وقوله: کفراً کفراً أی قریة، والقریة تسمی کفراً. انتهی.

ورواه فی الدر المنثور:۶/۳۶۱:

عن ابن أبی حاتم وعبد بن حمید وابن جریر والطبرانی والحاکم وصححه والبیهقی وابن مردویه وأبو نعیم کلاهما فی الدلائل عن ابن عباس قال... الخ.

وقال: أخرج الطبرانی فی الأوسط والبیهقی فی الدلائل عن ابن عباس رضی الله عنهما قال قال رسول الله (ص): عرض علیَّ ما هو مفتوح لأمتی بعدی فسرنی، فأنزل الله: وَلَلأخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولَی.

بحار الأنوار:۱۶/۱۳۶:

وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، أی من الحوض والشفاعة وسائر ما أعد له من الکرامة، أو فی الدنیا أیضاً من إعلاء الدین وقمع الکافرین.

سیرة ابن هشام:۱/۲۷۸:

قال ابن إسحاق: ثم فتر الوحی عن رسول الله(ص)فترةً من ذلک حتی شق ذلک علیه فأحزنه، فجاءه جبریل بسورة الضحی یقسم له ربه وهو الذی أکرمه بما أکرمه به: ما ودَّعه وماقلاه، فقال تعالی: وَالضُّحَی وَاللَّیْلِ إِذَا سَجَی، مَا وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَمَا قَلَی، یقول: ما صرمک فترکک، وما أبغضک منذ أحبک. وللآخرة خیر لک من الأولی، أی لَمَا عندی من مرجعک إلیَّ خیرٌ لک مما عجلت لک من الکرامة فی الدنیا. ولسوف یعطیک ربک فترضی، من الفلج فی الدنیا والثواب فی الآخرة.

تفسیرها بالشفاعة لامته أو بالشفاعة مطلقا

تفسير فرات الكوفى/۵۷۰:

فرات قال: حدثنى محمد بن القاسم بن عبيد معنعناً: عن حرب بن شريح البصرى قال: قلت لمحمد بن على (عليهما السلام): أى آية فى كتاب الله أرجى؟ قال: مايقول فيها قومك قال قلت يقولون: يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، قال: لكنا أهل البيت لاـ نقول ذلك. قال قلت: فأيش تقولون فيها؟ قال نقول: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، الشفاعة والله، الشفاعة والله الشفاعة. ورواه فى بحار الأنوار:۸/۵۷.

وقال فى هامش تفسير فرات:

وأخرج الحسكانى فى شواهد التنزيل عن الحسين بن محمد الثقفى عن الحسين بن محمد بن حبيش المقرى، عن محمد بن عمران بن أسد الموصلى، عن محمد بن أحمد المرادى، عن حرب بن شريح البزاز، عن محمد بن على الباقر، عن ابن الحنفية، عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشفع لامتى حتى ينادى ربى: رضيت يا محمد؟ فأقول: رب رضيت. ثم قال الباقر: إنكم معشر أهل العراق تقولون إن أرجى آية فى القرآن: يا عبادى الذين أسرفوا.. قلت: إنا لنقول ذلك. قال: ولكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية فى كتاب الله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، وهى الشفاعة.

وفى الدر المنثور:۶/۳۶۱:

وأخرج ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية من طريق حرب بن شريح (رض) قال قلت: لابى جعفر محمد بن على بن الحسين: أرأيت هذه الشفاعة التى يتحدث بها أهل العراق أحق هى؟ قال: إى والله، حدثنى عمى محمد بن الحنفية، عن على أن رسول.. (بما يشبه رواية الحسكانى). انتهى.

وقال أيضاً:

وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن (رض) أنه سئل عن قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى؟ قال: هى الشفاعة. انتهى. وروى الأول منهما فى كنز العمال:۱۴/۶۳۶ عن مسند على، ورواه الواحدى النيسابورى فى تفسيره:۴/۵۱۰ والكاندهلوى فى حياة الصحابة:۳/۴۶ والشوكانى فى فتح القدير:۵/۵۶۸.

مناقب آل أبى طالب:۱/۱۹۰، قال حسان:

لئن كلم الله موسى على شريف من الطور يوم الند

فإن النبى أبا قاسم حبى بالرسالة فوق السم

وقد صار بالقرب من ربه على قاب قوسين لما دن

وإن فجَّر الماء موسى لهم عيوناً من الصخر ضرب العص

فمن كفِّ أحمد قد فجرت عيونٌ من الماء يوم الظم

وإن كان هارون من بعده حبى بالوزارة يوم المل

فإن الوزارة قد نالها على بلا شك يوم الفد

وقال كعب بن مالك الأنصارى:

فإن يك موسى كلم الله جهرةً على جبل الطور المنيف المعظم

فقد كلم الله النبى محمداً على الموضع الاعلى الرفيع المسوم

داود عليه السلام كان له سلسلة الحكومة ليميز الحق من الباطل، ولمحمد القرآن: ما فرطنا فى الكتاب من شئ، وليست السلسلة كالكتاب، والسلسلة قد فنيت والقرآن بقى إلى آخر الدهر. وكان له النغمة، ولمحمد الحلاوة: وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول... قال حسان:

وإن کان داود قد أوبت جبال لدیه وطیر الهو

ففی کف أحمد قد سبحت بتقدیس ربی صغار الحصی

... وسلیمان کان یصفدهم لعصیانهم، ونبینا أتوه طائعین راغبین. وسأل سلیمان ملک دنیا: رب هب لی ملکاً... وعرض مفاتیح خزائن الدنیا علی محمد فردها، فشتان بین من یسأل وبین من یعطی فلا یقبل، فأعطاه الله الکوثر والشفاعة والمقام المحمود: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی.

وقال لسلیمان: أمنن أو امسک بغیر حساب، وقال لنبینا: ما آتاکم الرسول فخذوه وما نهاکم عنه فانتهوا. قال حسان بن ثابت:

وإن کانت الجن قد ساسها سلیمان والریح تجری رخ

فشهر غدوٌّ به رابیاً وشهر رواحٌ به إن یش

فإن النبی سری لیلةً من المسجدین إلی المرتقی

وقال کعب بن مالک:

وإن تک نمل البر بالوهم کلمت سلیمان ذا الملک الذی لیس بالعمی

فهذا نبی الله أحمدُ سبحت صغار الحصی فی کفه بالترنم

ورواه فی بحار الأنوار:۱۶/۴۱۵.

مناقب آل ابی طالب:۳/۱۰۳:

وکان رسول الله صلی الله علیه وآله یهتم لعشرة أشیاء فآمنه الله منها وبشره بها:

لفراقه وطنه فأنزل الله: إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لَرَادُّکَ إلی مَعَادٍ.

ولتبدیل القرآن بعده کما فعل بسائر الکتب، فنزل: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.

ولامته من العذاب، فنزل: وَمَا کَانَ اللهُ لِیُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِیهِمْ.

ولظهور الدین، فنزل: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ.

وللمؤمنین بعده، فنزل: یُثَبِّتُ اللهُ الَّذِینَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِی الْحَیَاةِ الدُّنْیَا وَفِی الآخرة.

ولخصمائهم، فنزل: یَوْمَ لا یُخْزِی اللهُ النَّبِیَّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا.

وللشفاعة، فنزل: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی.

وللفتنة بعده علی وصیه، فنزل: فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِکَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ.یعنی بعلی.

ولثبات الخلافة فی أولاده، فنزل: لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الأَرْضِ.

ولابنته حال الهجرة، فنزل: الَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللَّهَ قِیَامًا وَقُعُودًا... الآیات. انتهی.

وقال الفخر الرازی فی تفسیره:۱۶ جزء ۳۱/۲۱۳:

قوله تعالی: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، فالمروی عن علی بن أبی طالب وابن عباس أن هذا هو الشفاعة فی الأمة... واعلم أن الحمل علی الشفاعة متعین ویدل علیه وجوه (أحدها) أنه تعالی أمره (ص) فی الدنیا بالاستغفار... عن جعفر الصادق أنه قال: رضا جدی أن لا یدخل النار موحد، وعن الباقر: أهل العراق یقولون: أرجی آیة قوله (یَا عِبَادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلَی أَنْفُسِهِمْ)... الخ.

تفسیرها بشفاعة النبی لأهل بیته خاصة

تفسیر فرات الکوفی/۵۷۰:

قال حدثنی جعفر بن محمد الفزاری قال: حدثنا عباد، عن نصر، عن محمد بن مروان، عن الکلبی، عن أبی صالح، عن ابن

عباس(رض) فی قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: یدخل الله ذریته الجنهٔ.

تأویل الآیات:۲/۸۱۰:

وروی أیضاً عن محمد بن أحمد بن الحکم، عن محمد بن یونس، عن حماد بن عیسی، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبیه صلی الله علیهما، عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله صلی الله علیه وآله علی فاطمهٔ علیها السلام وهی تطحن بالرحی وعلیها کساء من جلَّهٔ الإبل فلما نظر إلیها بکی وقال لها: یا فاطمهٔ تعجلی مرارهٔ الدنیا لنعیم الآخرهٔ غداً، فأنزل الله علیه: وَلَلأخِرَهُٔ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الأُولَی، وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی.

وروی أیضاً عن أحمد بن محمد النوفلی، عن أحمد بن محمد الکاتب، عن عیسی بن مهران بإسناده إلی زید بن علی علیه السلام فی قول الله عز وجل: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: إن رضی رسول الله صلی الله علیه وآله إدخال الله أهل بیته وشیعتهم الجنهٔ، وکیف لا وإنما خلقت الجنهٔ لهم والنار لأعدائهم. فعلی أعدائهم لعنهٔ الله والملائکهٔ والناس أجمعین.

مناقب آل أبی طالب:۳/۱۲۰:

تفسیر الثعلبی عن جعفر بن محمد علیه السلام وتفسیر القشیری عن جابر الأنصاری أنه رأی النبی صلی الله علیه وآله فاطمهٔ وعلیها کساء من جلهٔ الإبل... الخ.

ورواه فی تفسیر نور الثقلین:۵/۵۹۴ عن المناقب لابن شهر آشوب عن تفسیر الثعلبی، وفی بحار الأنوار: ۳۹/۸۵ عن تفسیر الثعلبی وعن تفسیر القشیری عن جابر الأنصاری.

ورواه فی الدر المنثور:۶/۳۶۱ قال: وأخرج العسکری فی المواعظ وابن مردویه وابن هلال وابن النجار عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله (ص)علی فاطمهٔ وهی تطحن بالرحی... الخ.

مناقب أمیر المؤمنین:۱/۱۵۳:

محمد بن سلیمان قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: وحدثنی محمد بن الصباح الدولابی قال: حدثنا الحکم بن ظهیر، عن السدی فی قوله تعالی: ومن یقترف حسنهٔ نزد له فیها حسناً، قال: المودهٔ فی آل الرسول. وفی قوله تعالی: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: یدخل أهل بیته الجنهٔ.

أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إجازهٔ أن أبا أحمد عمر بن عبد الله بن شوذب أخبرهم قال: حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبی العوام، حدثنا محمد بن الصباح الدولابی، حدثنا الحکم بن ظهیر، عن السدی فی قوله عز وجل: وَمَنْ یَقْتَرِفْ حَسَنَهًٔ نَزِدْ لَهُ فِیهَا حُسْنًا، قال: المودهٔ فی آل الرسول صلی الله علیه وآله. وفی قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، فقال: رضی محمد صلی الله علیه وآله أن یدخل أهل بیته الجنهٔ. انتهی.

وقال فی هامشه: أقول: وقریباً منه رواه الحافظ الحسکانی فی تفسیر الآیهٔ ۲۳ من سورهٔ الشوری والآیهٔ ۵ من سورهٔ الضحی فی کتاب شواهد التنزیل: ۲/۱۴۷ و ۳۴۴.

مناقب آل أبی طالب:۲/۱۵:

تفسیر وکیع، قال ابن عباس فی قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، یعنی ولسوف یشفعک یا محمد یوم القیامهٔ فی جمیع أهل بیتک فتدخلهم کلهم الجنهٔ ترضی بذلک عن ربک. انتهی. ورواه فی بحار الأنوار: ۸/۴۳.

بحار الأنوار:۲۴/۴۸:

وروی عن ابن المغازلی أیضاً بإسناده عن السدی مثله، وزاد فی آخره: وقال فی قوله تعالی: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: رضی محمد صلی الله علیه وآله أن یدخل أهل بیته الجنهٔ.

الدر المنثور:۶/۳۶۱:

وأخرج ابن جریر من طریق السدی عن ابن عباس رضی الله عنهما فی قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: من رضا محمد أن لا یدخل أحد من أهل بیته النار.

وأخرج ابن أبی شیبة عن ابن مسعود (رض) قال قال رسول الله (ص): إنا أهل بیت اختار الله لنا الآخرة علی الدنیا، وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی..

تفسیرها بشفاعة النبی لجمیع أمته

شعب الإیمان للبیهقی:۲/۱۶۴:

عن ابن عباس من قوله عز وجل: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی. قال: رضاه أن یدخل أمته کلهم الجنة.

الدر المنثور:۶/۳۶۱:

وأخرج البیهقی فی شعب الإیمان من طریق سعید بن جبیر عن ابن عباس رضی الله عنهما فی قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی.، قال: رضاه أن تدخل أمته الجنة کلهم.

وأخرج الخطیب فی تلخیص المتشابه من وجه آخر عن ابن عباس رضی الله عنهما فی قوله وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: لا یرضی محمد واحد من أمته فی النار.

وأخرج مسلم عن ابن عمرو (رض) أن النبی(ص) تلا قول الله فی إبراهیم: فمن تبعنی فإنه منی، وقول عیسی: إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُکَ.. الآیة، فرفع یدیه وقال: اللهم أمتی أمتی وبکی، فقال الله: یا جبریل إذهب إلی محمد فقل له إنا سنرضیک فی أمتک، ولا نسوؤک.

تفسیر نور الثقلین:۵/۵۹۵:

فی مجمع البیان عن الصادق علیه السلام قال: دخل رسول الله صلی الله علیه وآله علی فاطمة علیها السلام وعلیها کساء من جلة الابل وهی تطحن بیدها وترضع ولدها فدمعت عینا رسول الله صلی الله علیه وآله لما أبصرها فقال: یا بنتاه تعجلی مرارة الدنیا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله علی: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی.

وقال الصادق علیه السلام: رضا جدی أن لا یبقی فی النار موحد.

وروی حریث بن شریح، عن محمد بن علی بن الحنفیة أنه قال: یا أهل العراق تزعمون أن أرجی آیة فی کتاب الله عز وجل: یَا عِبَادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلَی أَنْفُسِهِمْ.. الآیة، وإنا أهل البیت نقول: أرجی آیة فی کتاب الله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، وهی والله الشفاعة لیعطاها فی أهل لا إله إلا الله حتی یقول: رب رضیت.

مجمع البحرین:۱/۱۱۵:

وفی حدیث النبی صلی الله علیه وآله: کساه الله من حلل الأمان. قال بعض الشارحین: المراد أمان أمته من النار، فإن الله تعالی قال له: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی.، وهو صلی الله علیه وآله لا یرضی بدخول أحد من أمته إلی النار، کما ورد فی الحدیث.

مجمع البحرین:۲/۱۸۶:

قوله تعالی: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال المفسرون: اللام فی (ولسوف) لام الإبتداء المؤکدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف، والتقدیر: ولانت سوف یعطیک، ولیست بلام قسم لأنها لا تدخل علی المضارع إلا مع نون التأکید. وفی الروایة: إن أرجی آیة فی کتاب الله هذه الآیة، لأنه لا یرضی بدخول أحد من أمته النار.

بحار الأنوار:۷۹/۹۱:

(المکسو حلل الأمان) قال الشیخ البهائی رحمه الله: المراد أمان أمته من النار، فإن الله تعالی قال له: ولسوف یعطیک ربک فترضی،

وهو صلى الله عليه وآله لا يرضى بدخول أحد من أمته فى النار، كما ورد فى الحديث، وحلل الأمان استعارة.

ملاحظتان

الأولى: قد يشكل على بعض هذه الأحاديث بأن سورة الضحى مكية فكيف نزلت فى المدينة بعد ما قاله النبى للزهراء صلى الله عليه وعليها؟ أو بعد أن سب بعض القرشيين بنى هاشم وقال (إنما مثل محمد فيهم كمثل شجرة فى كبا) كما ذكرت بعض الروايات؟.

والجواب: أنه لا ـ مانع من القول بنزول بعض الآيات مرتين أو مرات، كما قرر ذلك علماء التفسير فى أسباب النزول، فيكون النزول الثانى مؤكداً، أو مبيناً لمصاديق الآية، أو تأويلاً لها.. ومن الواضح أن هذه الآية من النوع الذى يصح نزوله فى أكثر من مناسبة لتطمين النبى صلى الله عليه وآله وتذكيره بنعم الله تعالى الآتية، ليتحمل أحقاد المشركين ومؤامراتهم، ومتاعب الأمة وأذاياها، ومصاعب الدنيا ومراراتها.

ويؤيد نزولها مرة ثانية ما رواه السيوطى فى الدر المنثور:۶/۳۶۱: وأخرج ابن مردويه عن عكرمة (رض) قال: لما نزلت وللاخرة خير لك من الأولى، قال العباس بن عبد المطلب: لا يدع الله نبيه فيكم إلا قليلاً لما هو خير له. انتهى.

ويؤيده أيضاً ما رواه المجلسى فى بحار الأنوار:۲۲/۵۳۳: عن أبى جعفر عليه السلام قال: لما حضرت النبى الوفاة استأذن عليه رجل فخرج إليه على عليه السلام فقال: حاجتك؟ قال: أردت الدخول إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال على عليه السلام: لست تصل إليه فما حاجتك؟ فقال الرجل: إنه لابد من الدخول عليه، فدخل على فاستأذن النبى (عليهما السلام) فأذن له فدخل وجلس عند رأس رسول الله ثم قال: يا نبى الله إنى رسول الله إليك، قال: وأى رسل الله أنت قال: أنا ملك الموت، أرسلنى إليك يخيِّرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا، فقال له النبى صلى الله عليه وآله: فأمهلنى حتى ينزل جبرئيل فأستشيره، ونزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله الآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى، لقاء الله خير لك، فقال صلى الله عليه وآله: لقاء ربى خير لى، فامض لما أمرت به، فقال جبرئيل لملك الموت: لا تعجل حتى أعرج إلى ربى وأهبط... الخ. انتهى.

على أنا نلاحظ فى بعض رواياتها أن النبى صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام (يا بنتاه تعجلى مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله على: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.) وهو يدل على أن النبى ذكَّر فاطمة بنزول الآية، لا أنها نزلت فى ذلك الوقت.

الثانية: نلاحظ فى تفسير هذه الآية ملامح الاتجاه إلى توسيع الشفاعة لكل المسلمين، مؤمنهم ومنافقهم ظالمهم ومظلومهم محسنهم ومسيئهم! وأنها وأمثالها لم تستثن الظالمين والجبارين والطغاة ومحرفى الدين والمفسدين فى أمور البلاد والعباد! ولا اشترطت شروطاً لنيل الشفاعة والنجاة فقالت مثلاً: من مات على الشهادتين وكان من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ولم يكن فى رقبته ظلم للعباد.. ولو أنها اشتملت على ذلك لكان لعمومها وجه يمكن الدفاع عنه.. ولكنها وأمثالها من الروايات تريد أن تقول إن المسلمين كلهم يدخلون الجنة مهما ارتكبوا من معاص ومظالم، ومهما انحرفوا عن فى سلوكهم الخاص والعام عن الإسلام وخالفوا الله تعالى ورسوله! بل مهما حرَّفوا الإسلام وأعملوا معاولهم فى هدم أصوله وتغيير فروعه..! فما داموا مسلمين بالاسم منتمين إلى أمة النبى فإن النبى صلى الله عليه وآله لا يرضى يوم القيامة حتى يدخلهم الجنة إلى آخر نفر!!

وهذه نفس مقولة اليهود (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) ولا ـ يمكن التوفيق بينها وبين آيات القرآن والأحاديث التى اتفق الجميع على صدورها عن النبى صلى الله عليه وآله.. مثل إخباره بأن بعض أصحابه يمنعون من ورود الحوض، ويؤمر بهم إلى النار.. كما سيأتى فى محاولات توسيع الشفاعة، إن شاء الله تعالى، وستعرف أن عدداً من الآيات والأحاديث الثابتة عند الجميع تنص على أن شفاعة النبى صلى الله عليه وآله لا يمكن أن تشمل أنواعاً من المجرمين والظالمين، حتى لو كانوا من أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحابته، وحتى لو كان عندهم بعض الأعمال الحسنة، لأن إجراء قوانين الجزاء والعقاب من مقتضيات العدل الالهى.

ولذلك فإن مقولة (أن النبى لا يرضى مادام أحد من أمته محكوماً عليه بدخول النار) مقولةٌ باطلة لا تصح نسبتها إلى النبى وآله صلى

الله علیه وعلیهم، لأن الآیات والأحادیث القطعیة تعارضـها، ویعارضها حکم العقل أیضاً، لأنها تساوی بین المحسنین والفجار، بل تبطل القانون الالهی فی العقاب!

وبسبب ذلک نستظهر أن أصل الحدیث شـفاعته صلی الله علیه وآله لأهل بیته فجعلوه لأمته، کما حرفوا غیره من الأحادیث والمناقب الخاصـة ببنی هاشم أو بالعترة وجعلوه لکل قریش أو لکل الأمـة، ومن ذلک حدیث (الأئمة من بعدی اثنا عشـر من أهل بیتی) فجعلوه من قریش! ولا یتسع المجال للتفصیل.

نعم یمکن القول بشـمول شـفاعته صلی الله علیه وآله لکل أمته إذا حددنا مفهوم أمته صلی الله علیه وآله بمن یقبلهم ویرتضیهم بسبب صحة عقیدتهم وصـحة خطهم العام، فتشمل شفاعته خیار الموحدین الذین خلطوا عملًا صالحاً وآخر سیئاً، فهؤلاء قد یصح القول فیهم ان النبی صلی الله علیه وآله لا یرضی أن یدخلوا النار.

وقد ورد معنی قریب مما ذکرنا فی دعاء فی بحار الأنوار: ۹۴/۱۱۹ یقول: اللهم إنک قلت لنبیک صلی الله علیه وآله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی. اللهم إن نبیـک ورسولک وحبیبک وخیرتک من خلقک لا یرضـی بأن تعـذب أحـداً من أمته دانک بموالاته وموالاة الأئمـة من أهـل بیته وإن کـان مـذنباً خاطئاً فی نـار جهنم، فـأجرنی یـا رب من جهنم وعـذابها، وهبنی لمحمـد وآل محمـد، یا أرحم الراحمین. انتهی.

حدود الشفاعة

من الطبیعی للبـاحث فی مسائـل الآخرة والحساب والشـفاعة والجنـة والنار، أن یتـذکر دائماً أن مصـدر معلوماته عن ذلک العالم وکل عوالم الغیب إنما هو النصوص الشـریفة من القرآن والسنة، وأن بحثه فی مسائله یعنی الاهتداء بالعقل والفکر فی إطار هذه النصوص لا خارجها.. ولـذلک یحتاج فی کثیر من التفاصـیل وأحیاناً فی أمر أساسـی، إلی التوقف عنـد القدر المتیقن من النصوص، حتی لا یقول فی دین الله تعالی بغیر علم.

ومن الملاحظ فی آیات الجنة والنار والشـفاعة أن أحادیثها التی تصـنف الناس بأنهم من أهل النار أو من أهل الجنة، لا تسـتوعب کل أصـناف النـاس، بـل تبقی أصـناف کثیرة خارجـة عن القـدر المتیقن من الطرفین.. وکـذلک الأمر فی الشـفاعة حیث نجـد فی القرآن الکریم شـروطاً للشـفعاء وللمشـفوع لهم، ونجد فی السـنة تفصـیلات لها وذکراً لأصـناف من الناس تشـملهم الشـفاعة، أو لا تشـملهم.. وتبقی أصناف أخری من الناس لا تذکرها النصوص ولا تشملها.

والحـل فی مثـل هـذه الحالـة التوقف وعـدم التورط فی تصـنیف عبـاد الله فی الجنـة أو النـار، أو داخـل الشـفاعة أو خارجهـا، بالظنون والاحتمالات، کما یفعل البعض!

المذاهب فی حدود الشفاعة (من ارتضی)

هذا البحث من أهم بحوث الشـفاعة من ناحیة نظریة، کما أنه بحث حساس من ناحیة تطبیقیة، لأنه یصـنِّف المسلمین إلی مرضیین عند الله ورسوله وغیر مرضـیین..ولـذلک اختلفت فیه آراء المذاهب والفئات، وکثر فی تاریخ المسـلمین وکتبهم البحث فی الذین تشـملهم شفاعة النبی صلی الله علیه وآله والذین لا تشملهم..

وأهم الأقوال أو المذاهب فی المسألة أربعة:

القول الأول: قول أهل البیت (علیهم السـلام) الذی یشترط للشـفاعة: الإسلام، وعدم الشرک، وعدم الظلم، وإطاعة النبی صلی الله علیه وآله فی مودة أهل بیته (علیهم السلام).

القول الثـانی: القول بتوسیع الشـفاعة، وهو قول أکـثر المـذاهب السـنیة الـتی توسـعها إلی جمیع المسـلمین، بـل إلی غیرهم من الیهود

والنصاری.. وستعرف أن فیه عدة آراء بل مذاهب.

القول الثالث: إنکار شفاعة النبی صلی الله علیه وآله أصلاً، وهو قول قدماء الخوارج، وقد رد علیهم أهل البیت (علیهم السلام) وبقیة المذاهب. وقد ولد هذا الرأی ردةَ فعل علی مذهب توسعة الشفاعة الذی تبنته الدولة وأفرطت فیه.

القول الرابع: قول المعتزلة بأن الشفاعة لا تشمل المسلم الذی یرتکب المعاصی الکبائر لأنه یستحق النار، بل تختص بالمسلم الذی یرتکب المحرمات الصغائر المعفو عنها، وفائدتها رفع درجته فی الجنة.

وسوف نستعرض هذه المذاهب فی الفقرات التالیة إن شاء الله تعالی.

حدود الشفاعة عند أهل البیت

ما دل علی استثناء المشرک والظالم من الشفاعة

التوحید للصدوق/۴۰۷:

حدثنا أحمد بن زیاد بن جعفر الهمدانی (رض) قال: حدثنا علی بن إبراهیم بن هاشم، عن أبیه، عن محمد بن أبی عمیر قال: سمعت موسی بن جعفر (علیهما السلام) یقول: لا یخلد الله فی النار إلا أهل الکفر والجحود، وأهل الضلال والشرک. ومن اجتنب الکبائر من المؤمنین لم یسأل عن الصغائر، قال الله تبارک وتعالی: إِنْ تَجْتَنِبُوا کَبائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُکَفِّرْ عَنْکُمْ سَیِّئَاتِکُمْ وَنُدْخِلْکُمْ مُدْخَلًا کَرِیمًا.

قال فقلت له: یابن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المذنبین؟

قال: حدثنی أبی عن آبائه عن علی (علیهم السلام) قال: سمعت رسول الله (صلی الله علیه وآله) یقول: إنما شفاعتی لأهل الکبائر من أمتی، فأما المحسنون منهم فما علیهم من سبیل.

قال ابن أبی عمیر فقلت له: یابن رسول الله فکیف تکون الشفاعة لأهل الکبائر والله تعالی ذکره یقول: وَلا یَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَی وَهُمْ مِنْ خَشْیَتِهِ مُشْفِقُونَ؟ ومن یرتکب الکبائر لا یکون مرتضی!

فقال: یا أبا أحمد مامن مؤمن یرتکب ذنباً إلا ساءه ذلک وندم علیه، وقد قال النبی صلی الله علیه وآله: کفی بالندم توبة.

وقال صلی الله علیه وآله: من سرته حسنته وساءته سیئته فهو مؤمن، فمن لم یندم علی ذنب یرتکبه فلیس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة، وکان ظالماً والله تعالی ذکره یقول: ما للظالمین من حمیم ولا شفیع یطاع.

فقلت له: یا ابن رسول الله وکیف لا یکون مؤمناً من لم یندم علی ذنب یرتکبه؟ فقال: یا أبا أحمد ما من أحد یرتکب کبیرة من المعاصی وهو یعلم أنه سیعاقب علیها إلا ندم علی ما ارتکب، ومتی ندم کان تائباً مستحقاً للشفاعة، ومتی لم یندم علیها کان مصراً، والمصر لا یغفر له، لأنه غیر مؤمن بعقوبة ما ارتکب، ولو کان مؤمناً بالعقوبة لندم. وقد قال النبی صلی الله علیه وآله: لا کبیرة مع الإستغفار، ولا صغیرة مع الإصرار. وأما قول الله عز وجل: وَلا یَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَی، فإنهم لا یشفعون إلا لمن ارتضی الله دینه، والدین الإقرار بالجزاء علی الحسنات والسیئات، فمن ارتضی الله دینه ندم علی ما ارتکبه من الذنوب، لمعرفته بعاقبته فی القیامة. انتهی.

ورواه فی وسائل الشیعة:۱۱/۲۶۶، وفی تفسیر نور الثقلین:۴/۵۱۷.

الإعتقادات للصدوق/۴۴:

إعتقادنا فی الشفاعة: أنها لمن ارتضی دینه من أهل الکبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغیر محتاجین إلی الشفاعة.

قال النبی صلی الله علیه وآله: من لم یؤمن بشفاعتی فلا أناله الله شفاعتی.

وقال صلی الله علیه وآله: لا شفیع أنجح من التوبة.

والشفاعة للأنبیاء والاوصیاء (علیهم السلام)، وفی المؤمنین من یشفع مثل ربیعة ومضر، وأقل المؤمنین من یشفع ثلاثین ألفاً.

والشفاعة لا تكون لأهل الشك والشرك، ولا لأهل الكفر والجحود، بل تكون للمذنبين من أهل التوحيد.

من لا يحضره الفقيه:۳/۵۷۴:

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى.

وقال الصادق عليه السلام: شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا، وأما التائبون فإن الله عز وجل يقول: مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ. ورواهما فى وسائل الشيعة:۱۱/۲۶۴.

روضة الواعظين/۵۰۱:

قيل للرضا عليه السلام: يابن رسول الله فما معنى قول الله تعالى: وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى؟ قال: لا يشفعون إلا لمن ارتضى دينه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ما خلا الشرك والظلم.

الاختصاص للمفيد/۳۳: باب فيه مسائل اليهودى التى ألقاها على النبى صلى الله عليه وآله

حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم قال: حدثنا الحسين بن مهران قال: حدثنى الحسين بن عبدالله، عن أبيه، عن جده، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام قال: جاء رجل من اليهود إلى النبى صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد أنت الذى تزعم أنك رسول الله وأنه يوحى إليك كما أوحى إلى موسى بن عمران؟ قال: نعم، أنا سيد ولد آدم ولا فخر، أنا خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين.

فقال: يا محمد إلى العرب أرسلت أم إلى العجم أم إلينا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى رسول الله إلى الناس كافة.

فقال: إنى أسألك عن عشر كلمات أعطاها موسى فى البقعة المباركة حيث ناجاه لا يعلمها إلا نبىٌّ مرسل أو ملكٌ مقرب.

فقال النبى صلى الله عليه وآله: سل عما بدا لك.

فقال: يا محمد أخبرنى عن الكلمات التى اختارها الله لابراهيم عليه السلام حين بنى هذا البيت؟

فقال النبى صلى الله عليه وآله: نعم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

فقال: يا محمد لأى شئ بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة مربعاً؟

قال: لأن الكلمات أربعة.

قال: فلاى شئ سميت الكعبة كعبة؟

قال: لأنها وسط الدنيا.

قال: فأخبرنى عن تفسير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله: علم الله أن ابن آدم والجن يكذبون على الله تعالى فقال: سبحان الله، يعنى برى مما يقولون.

وأما قوله: الحمد لله، علم الله أن العباد لا يؤدون شكر نعمته، فحمد نفسه عز وجل قبل أن يحمده الخلائق، وهى أول الكلام، لولا ذلك لما أنعم الله على أحد بنعمة.

وأما قوله: لا إله إلا الله، وهى وحدانيته لا يقبل الله الأعمال إلا به، ولا يدخل الجنة أحد إلا به، وهى كلمة التقوى سميت التقوى لما تثقل بالميزان يوم القيامة.

وأما قوله: الله أكبر، فهى كلمة ليس أعلاها كلام وأحبها إلى الله، يعنى ليس أكبر منه، لأنه يستفتح الصلوات به لكرامته على الله، وهو اسم من أسماء الله الأكبر.

فقال: صدقت يا محمد ما جزاء قائلها؟

قال: إذا قال العبد: سبحان الله سبح كل شئ معه مادون العرش، فيعطى قائلها عشر أمثالها. وإذا قال: الحمد لله أنعم الله عليه بنعيم الدنيا حتى يلقاه بنعيم الآخرة، وهى الكلمة التى يقولها أهل الجنة إذا دخلوها، والكلام ينقطع فى الدنيا ما خلا الحمد، وذلك قولهم:

تحیتهم فیها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمین.

وأما ثواب: لا إله إلا الله فالجنة، وذلک قوله: هل جزاء الاحسان إلا الاحسان. وأما قوله: الله أکبر، فهی أکبر درجات فی الجنة وأعلاها منزلة عند الله. فقال الیهودی: صدقت یا محمد، أدیت واحدة، تأذن لی أن أسألک الثانیة؟ فقال: النبی صلی الله علیه وآله: سلنی ما شئت ـ وجبرئیل عن یمین النبی صلی الله علیه وآله ومیکائیل عن یساره یلقنانه ـ فقال الیهودی: لأی شئ سمیت محمداً وأحمد وأبا القاسم وبشیراً ونذیراً وداعیا؟

فقال النبی صلی الله علیه وآله: أما محمد فإنی محمود فی السماء، وأما أحمد فإنی محمود فی الأرض، وأما أبو القاسم فإن الله تبارک وتعالی یقسم یوم القیامة قسمة النار بمن کفر بی أو یکذبنی من الأولین والآخرین، وأما الداعی فإنی أدعو الناس إلی دین ربی إلی الإسلام، وأما النذیر فإنی أنذر بالنار من عصانی، وأما البشیر فإنی أبشر بالجنة من أطاعنی.

قال: صدقت یا محمد، فأخبرنی عن الثالثة لأی شئ وقت الله هذه الصلوات الخمس فی خمس مواقیت علی أمتک، فی ساعات اللیل والنهار....

قال: صدقت یا محمد، فأخبرنی عن العاشرة: تسعة خصال أعطاک الله من بین النبیین، وأعطی أمتک من بین الأمم؟

فقال النبی صلی الله علیه وآله: فاتحة الکتاب، والأذان، والإقامة، والجماعة فی مساجد المسلمین، ویوم الجمعة، والأجهار فی ثلاث صلوات، والرخصة لأمتی عند الأمراض والسفر، والصلاة علی الجنائز، والشفاعة فی أصحاب الکبائر من أمتی... وأما شفاعتی فی أصحاب الکبائر من أمتی ما خلا الشرک والمظالم. قال: صدقت یا محمد، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنک خاتم النبیین، وإمام المتقین، ورسول رب العالمین.

ثم أخرج ورقاً أبیض من کمه مکتوب علیه جمیع ما قال النبی صلی الله علیه وآله حقاً، فقال... یا محمد فقد کنت أمحی إسمک فی التوراة أربعین سنة، فکلما محوت وجدت إسمک مکتوباً فیها! وقد قرأت فی التوراة هذه المسائل لا یخرجها غیرک، وإن ساعة ترد جواب هذه المسائل یکون جبرئیل عن یمینک ومیکائیل عن یسارک. فقال النبی صلی الله علیه وآله: جبرئیل عن یمینی ومیکائیل عن یساری!

الخصال للصدوق/۳۵۵:

حدثنا محمد بن علی ماجیلویه، عن عمه محمد بن أبی القاسم، عن أحمد بن أبی عبد الله البرقی، عن أبی الحسن علی بن الحسین البرقی، عن عبد الله بن جبلة، عن الحسن بن عبدالله، عن آبائه، عن جده الحسن بن علی بن أبی طالب علیهم السلام فی حدیث طویل قال: جاء نفر من الیهود إلی رسول الله صلی الله علیه وآله فسأله أعلمهم عن أشیاء فکان فیما سأله: أخبرنا عن سبع خصال أعطاک الله من بین النبیین وأعطی أمتک من بین الأمم... الخ. وهو شبیه بما تقدم عن الاختصاص، ولعل السبع تصحیف للتسع ورواه فی تفسیر نور الثقلین:۱/۷۷ وبعضه فی مستدرک الوسائل:۱۱/۳۶۴.

بشارة المصطفی/۲۰:

قال الصادق جعفر بن محمد علیه السلام: أغفل الناس قول رسول الله صلی الله علیه وآله فی علی بن أبی طالب یوم مشربة أم إبراهیم، کما أغفلوا قوله فیه یوم غدیر خم! إن رسول الله صلی الله علیه وآله کان فی مشربة أم إبراهیم وعنده أصحابه إذ جاءه علی علیه السلام فلم یفرجوا له، فلما رآهم لم یفرجوا له قال لهم: یا معاشر الناس هذا علی من أهل بیتی، وتستَخِفُّونَ بهم وأنا حيٌّ بین ظهرانیکم! أما والله لئن غبت عنکم فإن الله لا یغیب عنکم، إن الرَّوْحَ والراحة والبشر والبشارة لمن ائتم بعلی وتولاه، وسلم له وللأوصیاء من ولده. إن حقاً عليَّ أن أدخلهم فی شفاعتی لأنهم أتباعی فمن تبعنی فإنه منی، سنة جرت فيَّ من إبراهیم لانی من إبراهیم وإبراهیم منی، وفضلی فضله وفضله فضلی، وأنا أفضل منه، تصدیق قول ربی: ذریة بعضها من بعض والله سمیع علیم.

التبیان فی تفسیر القرآن:۱۰/۱۸۷:

فقال الله تعالى لهم: فما تنفعهم شفاعة الشافعين، الذين يشفعون لهم، لأن عذاب الكفر لا يسقطه الله بالشفاعة بالإجماع.

اصناف من الناس موعودون بالشفاعة

وردت فی مصادر الفريقين أحاديث متعددة وَعَدت أصنافاً من الناس بالشفاعة جزاء لأعمالهم، أو جعلتهم من أهل الشفاعة لغيرهم، أو حذرتهم من الحرمان منها عقاباً على أعمالهم، ونذكر منها نماذج من مصادرنا، ومن مصادر السنيين فی محلها:

من قضى لأخيه المؤمن حاجة

وسائل الشيعة:۱۱/۵۸۸:

فی ثواب الأعمال، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن علی بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن شرحبيل بن سعد الأنصاری، عن أشيد بن حضيرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أغاث أخاه المسلم حتى يخرجه من هم وكربة وورطة، كتب الله له عشر حسنات ورفع له عشر درجات، وأعطاه ثواب عتق عشر نسمات، ودفع عنه عشر نقمات، وأعد له يوم القيامة عشر شفاعات.

مستدرك الوسائل:۱۲/۴۰۵:

عوالی اللآلی: عن النبی صلى الله عليه وآله قال: من قضى حاجة لأخيه كنت واقفاً عند ميزانه، فإن رجح وإلا شفعت له.

مستدرك الوسائل:۱۲/۴۰۷:

وعن إبراهيم التيمی قال: كنت فی الطواف إذ أخذ أبو عبد الله عليه السلام بعضدی فسلم عليَّ ثم قال: ألا أخبرك بفضل الطواف حول هذا البيت؟ قلت: بلى قال: أيما مسلم طاف حول هذاالبيت أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى خلفه ركعتين كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، وأثبت له ألف شفاعة، ثم قال: ألا أخبرك بأفضل من ذلك؟ قلت: بلى قال: قضاء حاجة امرئ مسلم أفضل من طواف أسبوع وأسبوع، حتى بلغ عشرة.

مستدرك الوسائل:۱۲/۴۰۹:

وعن أبی عبد الله عليه السلام: من مشى فی حاجة أخيه كتب الله له بها عشر حسنات، وأعطاه الله عشر شفاعات.

من سعى فی حوائج ذرية النبی

الكافی:۴/۶۰:

وعنه، عن أبيه، عن بعض أصحابنا، عن أبی عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنی شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريتی، ورجل بذل ماله لذريتی عند المضيق، ورجل أحب ذريتی باللسان وبالقلب، ورجل يسعى فی حوائج ذريتی إذا طردوا أو شردوا. ورواه فی من لا يحضره الفقيه:۲/۶۵ وفی تهذيب الأحكام: ۴/۱۱۱ وفی تأويل الآيات:۲/۱۰۹ وفی وسائل الشيعة:۱۱/۵۵۶ وفی مستدرك الوسائل:۱۲/۳۸۲.

من زار قبر النبی

الكافی:۴/۵۴۸:

علی بن محمد بن بندار، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمد بن سليمان الديلمی، عن أبی حجر الاسلمی، عن أبی عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكة حاجاً ولم يزرنی إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتانی زائراً وجبت له

شفاعتی، ومن وجبت له شفاعتی وجبت له الجنة، ومن مات فی أحد الحرمین مکة والمدینة لم یعرض ولم یحاسب، ومن مات مهاجراً إلی الله عز وجل، حشر یوم القیامة مع أصحاب بدر.

من زار أخاه المؤمن لوجه الله تعالی

الکافی:۲/۱۷۸:

محمد بن یحیی، عن محمد بن الحسین، عن محمد بن إسماعیل بن بزیع، عن صالح بن عقبة، عن عبدالله بن محمد الجعفی، عن أبی جعفر علیه السلام قال: إن المؤمن لیخرج إلی أخیه یزوره فیوکل الله عز وجل به ملکاً فیضع جناحاً فی الأرض وجناحاً فی السماء یظلّه، فإذا دخل إلی منزله نادی الجبار تبارک وتعالی: أیهاالعبد المعظم لحقی المتبع لآثار نبیی، حقَّ علی إعظامک، سلنی أعطک، أدعنی أجبک، أسکت أبتدئک، فإذا انصرف شیعه الملک یظله بجناحه حتی یدخل إلی منزله، ثمینادیه تبارک و تعالی: أیها العبد المعظم لحقی حق علی إکرامک، قد أوجبت لک جنتی، وشفعتک فی عبادی.

الکافی:۲/۱۷۶:

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن حماد بن عیسی، عن إبراهیم بن عمر الیمانی، عن جابر، عن أبی جعفر علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: حدثنی جبرئیل علیه السلام أن الله عزوجل أهبط إلی الأرض ملکاً فأقبل ذلک الملک یمشئ حتی وقع إلی باب علیه رجل یستأذن علی رب الدار، فقال له الملک ما حاجتک إلی رب هذه الدار؟ قال: أخ لی مسلم زرته فی الله تبارک وتعالی، قال له الملک: ما جاء بک إلاـ ذاک؟ فقال: ما جاء بی إلا ذاک، فقال: إنی رسول الله إلیک وهو یقرؤک السلام ویقول: وجبت لک الجنة. وقال الملک: إن الله عز وجل یقول: أیما مسلم زار مسلماً، فلیس إیاه زار، إیای زار وثوابه علیَّ الجنة.

من یدعو للمؤمنین

الکافی:۲/۵۰۷:

علی بن محمد، عن محمد بن سلیمان، عن إسماعیل بن إبراهیم، عن جعفر بن محمد التمیمی، عن حسین بن علوان، عن أبی عبد الله علیه السلام قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: ما من مؤمن دعا للمؤمنین والمؤمنات إلا رد الله عز وجل علیه مثل الذی دعا لهم به من کل مؤمن ومؤمنة مضی من أول الدهر أو هو آت إلی یوم القیامة. إن العبد لیؤمر به إلی النار یوم القیامة فیسحب فیقول المؤمنون والمؤمنات: یا رب هذا الذی کان یدعو لنا فشفعنا فیه، فیشفعهم الله عز وجل فیه، فینجو من النار برحمة الله عزوجل. ورواه فی وسائل الشیعة:۴/۵۴۱ وفی مستدرک الوسائل:۵/۲۴۲ عن أمالی الشیخ الطوسی.

شفاعة الملائکة لأهل مجلس الدعاء

الکافی:۲/۱۸۷:

الحسین بن محمد ومحمد بن یحیی جمیعاً، عن علی بن محمد بن سعد، عن محمد بن مسلم، عن أحمد بن زکریا، عن محمد بن خالد بن میمون، عن عبد الله بن سنان، عن غیاث بن إبراهیم، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: ما اجتمع ثلاثة من المؤمنین فصاعداً إلا حضر من الملائکة مثلهم فإن دعوا بخیر أمَّنوا وإن استعاذوا من شر دعوا الله لیصرفه عنهم، وإن سألوا حاجة تشفعوا إلی الله وسألوه قضاها. وما اجتمع ثلاثة من الجاحدین إلا حضرهم عشرة أضعافهم من الشیاطین. ورواه فی وسائل الشیعة:۱۱/۵۶۸.

من شیع جنازة مسلم

الکافی:۳/۱۷۳:

أبو علی الأشعری، عن محمد بن عبدالجبار، عن ابن فضال، عن علی بن عقبة، عن میسر قال: سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول: من تبع جنازة مسلم أعطی یوم القیامة أربع شفاعات ولم یقل شیئاً إلا ـ وقال الملک: ولک مثل ذلک. ورواه فی من لا ـ یحضره الفقیه:۱/۱۶۱ وفی تهذیب الأحکام:۱/۴۵۵.

من حفظ علی أمتی أربعین حدیثا

وسائل الشیعة:۱۸/۶۷:

وعن طاهر بن محمد، عن حیاة الفقیه، عن محمد بن عثمان الهروی، عن جعفر بن محمد بن سوار، عن علی بن حجر السعدی، عن سعید بن نجیح، عن ابن جریح، عن عطاء عن ابن عباس عن النبی صلی الله علیه وآله قال: من حفظ علی أمتی أربعین حدیثاً من السنة کنت له شفیعاً یوم القیامة.

وسائل الشیعة: ۱۸/۷۰:

محمد بن علی الفارسی فی روضة الواعظین قال قال النبی صلی الله علیه وآله: من حفظ من أمتی أربعین حدیثاً من السنة کنت له شفیعاً یوم القیامة. ورواه فی العمدة/۱۷ بلفظ (من حفظ علی أمتی أربعین حدیثاً من سنتی أدخلته یوم القیامة فی شفاعتی).

من عاهد أخاه المؤمن علی الشفاعة

مستدرک الوسائل:۶/۲۷۸:

قال فی ضمن أعمال هذا الیوم المبارک (یوم الغدیر): وینبغی عقد الأخوة فی هذا الیوم مع الأخوان بأن یضع یده الیمنی علی یمنی أخیه المؤمن ویقول: واخیتک فی الله وصافیتک فی الله وصافحتک فی الله، وعاهدت الله وملائکته وکتبه ورسله وأنبیاءه والأئمة المعصومین (علیهم السلام) علی أنی إن کنت من أهل الجنة والشفاعة وأذن لی بأن أدخل الجنة، لا أدخلها إلا وأنت معی. فیقول الأخ المؤمن: قبلت، فیقول: أسقطت عنک جمیع حقوق الأخوة ما خلا الشفاعة، والدعاء، والزیارة.

مجموعة أعمال و صفات توجب الشفاعة

من لا یحضره الفقیه:۴/۱۷:

ألا ومن مشی إلی مسجد یطلب فیه الجماعة کان له بکل خطوة سبعون ألف حسنة، ویرفع له من الدرجات مثل ذلک، فإن مات وهو علی ذلک وکل الله عز وجل به سبعین ألف ملک یعودونه فی قبره ویبشرونه ویؤنسونه فی وحدته ویستغفرون له حتی یبعث.

ألا ـ ومن أذن محتسباً یرید بذلک وجه الله عز وجل أعطاه الله ثواب أربعین ألف شهید وأربعین ألف صدیق، ویدخل فی شفاعته أربعون ألف مسی من أمتی إلی الجنة.

ألا ـ وإن المؤذن إذا قال (أشهد أن لا إله إلا الله) صلی علیه سبعون ألف ملک ویستغفرون له وکان یوم القیامة فی ظل العرش حتی یفرغ الله من حساب الخلائق ویکتب له ثواب قوله (أشهد أن محمداً رسول الله) أربعون ألف ملک.

هذا، وتوجد أحادیث کثیرة ضمنت الجنة لبعض أصناف الناس علی أعمالهم الحسنة، وهی تصلح بنحو للإستدلال علی شمول الشفاعة لهم، لأن الوعد من النبی صلی الله علیه وآله قد یکون بسبب شمولهم لشفاعته، ونذکر منهم:

۱ ـ من شفع لاخیه المؤمن فی حاجة

وسائل الشیعة:۱۱/۵۶۲:

عن النبی صلی الله علیه وآله قال: ومن شفع لاخیه شفاعة طلبها، نظر الله إلیه فکان حقاً علی الله أن لا یعذبه أبداً، فإن هو شفع لاخیه شفاعة من غیر أن یطلبها، کان له أجر سبعین شهیداً.

۲ ـ من قام بخدمة لمجتمع المسلمین

الکافی:۲/۱۶۴:

عنه عن علی بن الحکم، عن مثنی بن الولید الحناط، عن فطر بن خلیفة، عن عمر بن علی بن الحسین، عن أبیه صلوات الله علیهما قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله من رد عن قوم من المسلمین عادیة ماء أو نار، وجبت له الجنة.

۳ ـ من ربَّی بنتاً أو أکثر

الکافی:۶/۶:

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن هشام بن الحکم، عن عمر بن یزید، عن أبی عبدالله علیه السلام قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، وجبت له الجنة فقیل: یا رسول الله واثنتین؟ فقال: واثنتین، فقیل: یا رسول الله وواحدة؟ فقال: وواحدة.

۴ ـ من احترم نعمة الله تعالی

من لا یحضره الفقیه:۱/۲۷:

ودخل أبو جعفر الباقر علیه السلام الخلاء فوجد لقمة خبز فی القذر فأخذها وغسلها ودفعها إلی مملوک کان معه فقال: تکون معک لاکلها إذا خرجت، فلما خرج علیه السلام قال للمملوک: أین اللقمة؟ قال أکلتها یا ابن رسول الله، فقال: إنها ما استقرت فی جوف أحد إلا وجبت له الجنة فاذهب فأنت حر، فإنی أکره أن استخدم رجلاً من أهل الجنة.

۵ ـ أصناف أخری موعودون بالجنة

من لا یحضره الفقیه:۱/۱۴۰:

وقال أمیر المؤمنین علیه السلام: ضمنت لستة الجنة: رجل خرج بصدقة فمات فله الجنة، ورجل خرج یعود مریضاً فمات فله الجنة، ورجل خرج مجاهداً فی سبیل الله فمات فله الجنة، ورجل خرج حاجاً فمات فله الجنة، ورجل خرج إلی الجمعة فمات فله الجنة، ورجل خرج فی جنازة رجل مسلم فمات فله الجنة.

من لا یحضره الفقیه:۴/۱۷:

ألا ومن تصدق بصدقة، فله بوزن کل درهم مثل جبل أحد من نعیم الجنة، ومن مشی بصدقه إلی محتاج، کان له کأجر صاحبها من غیر أن ینقص من أجره شیء، ومن صلی علی میت صلی علیه سبعون ألف ملک وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإن أقام حتی یدفن ویحثی علیه التراب، کان له بکل قدم نقلها قیراط من الأجر، والقیراط مثل جبل أحد.

ألاـ ومن ذرفت عیناه من خشیة الله عز وجل کان له بکل قطرة قطرت من دموعه قصر فی الجنة مکللاً بالدر والجوهر، فیه ما لا عینٌ رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علی قلب بشر.

اصناف لا تنالهم الشفاعة

السلطان الظالم الغشوم

قرب الاسناد/۶۴:

وعنه، عن مسعدة بن صدقة قال: حدثنی جعفر بن محمد، عن أبیه قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: صنفان لا تنالهما شفاعتی:

سلطان غشوم عسوف، وغال فی الدین مارق منه، غیر تائب ولا نازع.

الخصال/۶۳:

حدثنا محمد بن الحسن (رض) قال: حدثنا محمد بن یحیی العطار، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عبد الجبار بإسناده یرفعه إلی رسول الله صلی الله علیه وآله أنه قال: رجلان لا ـ تنالهما شفاعتی: صاحب سلطان عسوف غشوم، وغال فی الدین مارق. ورواه فی مناقب أمیرالمؤمنین:۲/۳۳۰ ونحوه فی مستدرک الوسائل:۱۲/۹۹.

تاریخ الیعقوبی:۲/۹۶:

أربع من فعلهن فقد خرج من الإسلام: من رفع لواء ضلالة، ومن أعان ظالماً أو سار معه أو مشی معه وهو یعلم أنه ظالم، ومن اخترم بذمة.

ورجلان لا تنالهما شفاعتی یوم القیامة: أمیر ظلوم، ورجل غال فی الدین مارق منه. والأمیر العادل لا ترد دعوته.

المنان والبخیل والنمام

من لا یحضره الفقیه:۴/۱۷:

ثم قال علیه السلام: یقول الله عزوجل: حرَّمت الجنة علی المنان والبخیل والقتات، وهو النمام. انتهی.

ولا نطیل فی تعداد هذه الأصناف، وهی فی مصادرنا مشابهة لما یأتی فی مصادر إخواننا السنیین، مع تأکیدها علی عدم شمول الشفاعة لمن عصی النبی صلی الله علیه وآله فی مودة أهل بیته وولایتهم وإطاعتهم.

الذین یخرجون من النار بالشفاعة یکونون أدنی درجة

تفردت مصادر أهل البیت (علیهم السلام) ببیان أن الموحدین الذین یخرجون من النار دخلون جنة أخری أدنی درجةً، وهی غیر الجنة التی یسکنها أولیاء الله تعالی.

ففی بحار الأنوار:۸/۳۶۱:

ین: فضالة، عن عمر بن أبان، عن آدم أخی أیوب، عن حمران قال: قلت لأبی عبد الله علیه السلام: إنهم یقولون ألا تعجبون من قوم یزعمون أن الله یخرج قوماً من النار فیجعلهم من أصحاب الجنة مع أولیائه؟ فقال: أما یقرؤون قول الله تبارک وتعالی: وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ، إنها جنة دون جنة، ونار دون نار، إنهم لا یساکنون أولیاء الله! وقال: بینهما والله منزلة، ولکن لا أستطیع أن أتکلم، إن أمرهم لاضیق من الحلقة، إن القائم لو قام لبدأ بهؤلاء.

رأی السنیین القریب من رأی أهل البیت

وهو الرأی القائل بأن الشفاعة تشمل بعض العاصین من المسلمین ولیس کلهم.

ویدل علیه من مصادرهم:

أولاًـ أحادیث کثیرة صحیحة السند عندهم، لکن دلالتها ضاعت، لأنها مخلوطة بأحادیث توسیع الشفاعة وشمولها لکل العاصین والمنافقین!

ونکتفی منها بالأحادیث التی نصت علی أن عدداً من صحابة النبی صلی الله علیه وآله سیغیرون ویبدلون بعده، فلایشفع لهم یوم القیامة، فیؤمر بهم إلی النار. فقد روی البخاری فی صحیحه:۷/۲۰۸ عن أبی هریرة عن النبی(ص)قال: بینا أنا قائم فإذا زمرة حتی إذا عرفتهم خرج رجل من بینی وبینهم فقال هلم، فقلت أین؟ قال إلی النار والله! قلت وما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدک علی أدبارهم

القهقرى! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم، قلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت ماشأنهم؟! قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى!! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم. انتهى.

وروى شبيهاً به فى:۷/۱۹۵ وص ۲۰۷-۲۱۰ وفى نفس المجلد أيضاً /۸۴ و۸۷ وج ۸/۸۶ و۸۷، وروى نحوه مسلم فى:۱/۱۵۰ وج ۷/۶۶ وابن ماجة:۲/۱۴۴۰ وأحمد فى:۲/۲۵ وص ۴۰۸ وج ۳/۲۸ وج ۵/۲۱ وص ۲۴ وص ۵۰ وج ۶/۱۶، ورواه البيهقى فى سننه:۴/۱۴، ونقل رواياته المتعددة فى كنز العمال فى:۱۳/۱۵۷ وج ۱۴/۴۸ و:۱۵/۶۴۷ وقال رواه (مالك والشافعى حم م ن ـ عن أبى هريرة) انتهى.

فلو كانت الشفاعة تشمل كل الخلق أو كل الموحدين أو كل المسلمين، لشملت هؤلاء الصحابة المعروفين! فلابد من القول بأن شفاعته صلى الله عليه وآله مشروطة بشروط من أولها الإسلام وعدم الانحراف الكبير الذى ارتكبه هؤلاء الصحابة المطرودون!

ثانياً: أحاديث اشترطت شروطاً أخرى فوق الشهادتين للشفاعة، كالذى رواه البخارى: ۸/۱۳۹: عن أبى هريرة أن رسول الله(ص)قال: كل أمتى يدخلون الجنة إلاـ من أبى! قالوا يا رسول الله ومن يأبى؟ قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى. انتهى. وفيه تصريح أن المستثنى هم الذين عصوا الرسول صلى الله عليه وآله من أمته وأنهم لا يدخلون الجنة! ورواه الحاكم أيضاً بلفظ قريب منه فى:۱/۵۵ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

والذى رواه النسائى فى سننه: ۷ من/۸۸ عن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله(ص)قال: من جاء يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويجتنب الكبائر، كان له الجنة. فسألوه عن الكبائر فقال: الإشراك بالله وقتل النفس المسلمة، والفرار يوم الزحف.

والذى رواه أحمد فى:۲/۱۷۶ عن عبد الله بن عمرو أن رجلاً جاء إلى النبى(ص)فقال: يا رسول الله ما عمل الجنة؟ قال: الصدق، وإذا صدق العبد برَّ، وإذا بر آمن، وإذا آمن دخل الجنة.

قال يا رسول الله ما عمل النار؟

قال: الكذب، إذا كذب فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخل.. يعنى النار. انتهى.

فهذه الأحاديث تشترط لدخول الجنة شروطاً أخرى غير التوحيد، فلو كان التوحيد وحده كافياً لما كان لهذه الشروط معنى.

ثالثاً: أحاديث نصت على أن الشفاعة تشمل أصنافاً معينين من الناس، نذكر منها:

۱ – من قضى لاخيه حاجة

الدر المنثور:۳/۷۱:

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): من قضى لأخيه حاجة كنت واقفاً عند ميزانه، فإن رجح، وإلا شفعت له.

الدر المنثور:۳/۲۵۶:

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم أمر منادياً ينادى: ألا ليقم أهل المعروف فى الدنيا فيقومون حتى يقفوا بين يدى الله فيقول الله أنتم أهل المعروف فى الدنيا، فيقولون نعم فيقول: وأنتم أهل المعروف فى الآخرة فقوموا مع الأنبياء والرسل فاشفعوا لمن أحببتم فأدخلوه الجنة، حتى تدخلوا عليهم المعروف فى الآخرة كما أدخلتم عليهم المعروف فى الدنيا.

۲ – من صلى على النبى

فى مسند أحمد:۴/۱۰۸:

من صلى على محمد وقال: اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة، وجبت له شفاعتى. ورواه فى فردوس الأخبار:۴/۲۱ ح ۵۵۵۵

وفى فردوس الأخبار فى:۴/۶۱ ح ۵۶۸۰:

أبو الدرداء: من صلى (علىَّ) حين يصبح عشراً وحين يمسى عشراً، أدركته شفاعتى يوم القيامة. ورواه فى مجمع الزوائد:۱۰/۱۲۰

و۱۶۳.

۳ – من زار قبر النبی

وفی الدر المنثور:۱/۲۳۷:

وأخرج الحكیم الترمذی والبزار وابن خزیمة وابن عدی والدارقطنی والبیهقی عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): من زار قبری وجبت له شفاعتی. (ورواه فی سنن الدار قطنی:۲/۲۷۸ ح ۱۹۴ والذهبی فی تاریخ الإسلام:۱۱/۲۱۲ ورواه بنص آخر: من زارنی بعد موتی وجبت شفاعتی).

وأخرج الطبرانی عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): من جاءنی زائراً لم تنزعه حاجة إلا زیارتی كان حقاً علی أن أكون له شفیعاً یوم القیامة.

وأخرج الطیالسی والبیهقی فی الشعب عن عمر سمعت رسول الله(ص) یقول: من زار قبری كنت له شفیعاً أو شهیداً، ومن مات فی أحد الحرمین بعثه الله فی الآمنین یوم القیامة.

مختصر تاریخ دمشق:۱ جزء ۲/۴۰۶:

وعن علی بن أبی طالب قال: من سأل لرسول الله(ص)الدرجة الوسیلة حلت له شفاعته یوم القیامة ومن زار قبر رسول الله(ص)كان فی جوار رسول الله (ص).

هامش طبقات المحدثین بإصبهان:۲/۴۲۰، ۱۶۷:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): من جاءنی زائراً لم تنزعه حاجة إلا زیارتی كان حقاً علی الله أن أكون له شفیعاً یوم القیامة. وشبیهه فی:۱/۵۵.

وراجع أیضاً مجمع الزوائد:۴/۲ وكنز العمال:۱۵/۳۸۳ وص ۶۵۱.

وقد اقتصرنا من أحادیث زیارة قبره صلی الله علیه وآله علی ماورد فیه ذكرالشفاعة وسنورد بقیة أحادیثها فی محلها إن شاء الله تعالی مع جواب شبهة الوهابیین فی تحریمهم زیارة القبور وخیرها وأشرفها قبر سید المرسلین صلی الله علیه وآله!

۴ ـ من دعا للنبی صلی الله علیه وآله بالوسیلة

روی البخاری:۵/۲۲۸:

من قال حین یسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسیلة والفضیلة، وابعثه مقاماً محموداً الذی وعدته، حلَّت له شفاعتی یوم القیامة.

ورواه أیضاً فی:۱ جزء ۱/۱۵۲ ورواه البیهقی فی سننه:۱/۴۰۹ ومجمع الزوائد: ۱/۳۳۳ والنویری فی نهایة الارب:۳ جزء ۵/۳۰۸.

۵ ـ من حفظ من أحادیث النبی صلی الله علیه وآله أربعین حدیثاً

روی الدیلمی فی فردوس الأخبار:۴/۹۱ ح ۵۷۷۸:

عن ابن عباس: من حفظ علی أمتی أربعین حدیثاً من أمر دینها، فهو من العلماء وكنت له شفیعاً یوم القیامة. ونحوه فی كنز العمال:۱۰/۱۵۸.

وفی كتاب المجروحین لابن حبان:۲/۱۳۳:

عن أبی الدرداء قال: سألت رسول الله(ص)فقلت: یا رسول الله ما حد العلم الذی إذا بلغه الرجل كان فقیهاً؟ فقال: من حفظ علی أمتی أربعین حدیثاً فی أمر دینها بعثه الله فقیهاً، وكنت له شافعاً وشهیداً.

۶ ـ من حفظ أسماء الله الحسنی

صحیح البخاری:۸/۱۶۹:

عن أبی هریرة أن رسول الله(ص)قال: إن لله تسعة وتسعین إسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة.

ونحوه فی:۷/۱۶۹ ونحوه فی مستدرک الحاکم:۱/۱۶.

۷ـ من قرأ بعض سور القرآن

روی فی فردوس الأخبار:۴/۳۰ ح ۵۵۸۷:

أبو الدرداء: من قرأ مائتی آیة فی کل یوم شفع فی سبع قبور حول قبره وخفف الله عز وجل عن والدیه وإن کانا مشرکین. وفی/۳۴ ح ۵۵۹۸: ابن عباس: من قرأ سورة الأعراف جعل الله بینه وبین إبلیس ستراً وکان آدم شفیعاً له یوم القیامة. انتهی.

فهذه المجموعة من الأحادیث تدل علی أن بعض المسلمین من أصحاب الأعمال الحسنة یستحقون الدخول فی شفاعة النبی صلی الله علیه وآله. ولو کانت الشفاعة تشمل کل المسلمین لما صح جعلها میزة لاصناف معینة من أصحاب الأعمال الحسنة، کما نصت هذه المجموعة.

ولا یضر بالإستدلال بها أن یکون بعضها ضعیفاً أو مکذوباً، لأن الإستدلال بمجموعها، بل حتی لو کانت کلها موضوعة فهی تدل علی أن المرتکز فی أذهان المسلمین أن الشفاعة مخصوصة بأصناف من المسلمین ولیست عامة.

رابعاً: أحادیث نصت علی أن الشفاعة لا تشمل أصنافاً من الناس، أو دلت علی أنهم لا یدخلون الجنة، بسبب سوء أعمالهم، نذکر منها:

۱ـ السلطان الظلوم الغشوم

روی الدیلمی فی فردوس الأخبار:۲/۵۵۸ ح ۳۵۹۸:

أبو أمامة: صنفان من أمتی لن تنالهما شفاعتی ولن أشفع لهما ولن یدخلا شفاعتی: سلطان ظلوم غشوم عسوف، وغال مارق من الدین. انتهی. ورواه السیوطی فی الدر المنثور:۱ ص۳۵۲ عن الطبرانی وفی کنز العمال: ۶/۲۱ وص ۳۰ وفی مجمع الزوائد: ۵/۲۳۵ وص ۲۳۶.

وعن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص): إن أشد أهل النار عذاباً یوم القیامة من قتل نبیاً، أو قتله نبی، أو إمام جائر. قلت: فی الصحیح بعضه، رواه الطبرانی وفیه لیث بن أبی سلیم وهو مدلس وبقیة رجاله ثقات. ورواه البزار إلاـ أنه قال: وإمام ضلالة، ورجاله ثقات، وکذلک رواه أحمد.

۲ـ الذی یکذب علی النبی صلی الله علیه وآله

روی البخاری فی:۱/۳۵:

عن سلمة بن الأکوع قال سمعت النبی(ص)یقول: من یقل علیَّ ما لم أقل فلیتبوأ مقعده من النار.

وروی نحوه أیضاً فی:۱ من/۳۶ وج ۲/۸۱ وج ۴/۱۴۵ وص ۱۵۶ و: ۶/۸۴ وص ۱۱۸ ورواه مسلم فی:۱/۷ و۸ وص ۵۷ وج ۷ ورواه غیرهما من مصادر السنة والشیعة.

۳ـ الذی یبغض ذریة النبی صلی الله علیه وآله أو یظلمهم

لسان المیزان:۳/۲۷۶:

عن أنس (رض) مرفوعاً: من أحبنی فلیحب علیاً، ومن أبغض أحداً من أهل بیتی حرم شفاعتی.. الحدیث.

کنز العمال:۱۲/۱۰۳:

عن الطبرانی والرافعی عن ابن عباس: من سره أن یحیا حیاتی ویموت مماتی ویسکن جنة عدن التی غرسها ربی فلیوال علیاً من بعدی، ولیوال ولیه ولیقتد بأهل بیتی من بعدی، فإنهم عترتی خلقوا من طینتی ورزقوا فهمی وعلمی، فویل للمکذبین بفضلهم من أمتی، القاطعین فیهم صلتی، لا أنالهم الله شفاعتی. انتهی.

والأحادیث فی ذلک کثیرة، سنوردها فی مسائل الإمامة إن شاء الله.

۴ـ أصحاب البدع المخالفین للسنة

قال الشاطبی فی الاعتصام:۱/۱۲۰:

(البدعة) مانعة من شفاعة محمد، لما روی أنه(ص)قال: (حلت شفاعتی لأمتی إلا صاحب بدعة).

قال السبکی فی طبقات الشافعیة:۶/۲۹۱:

حدیث: إن لله ملکاً ینادی کل یوم: من خالف السنة لم تنله الشفاعة (ورد فی إحیاء الغزالی).

۵ ـ من طلب العلم للدنیا أو طلب الدنیا بعمل الآخرة

فی مجمع الزوائد:۱/۱۸۴:

عن معاذ بن جبل عن رسول الله(ص)قال: من طلب العلم لیباهی به العلماء أو یماری به السفهاء فی المجالس، لم یرح رائحة الجنة. ورواه فی کنز العمال:۱۰/۲۰۱-۲۰۳.

وفی کنز العمال:۳/۴۷۴ عن الدیلمی عن ابن عباس: ریح الجنة توجد من مسیرة خمسمائة عام، ولا یجدها من طلب الدنیا بعمل الآخرة.

۶ ـ من یؤذی جیرانه

صحیح مسلم:۱/۴۹:

عن أبی هریرة أن رسول الله(ص)قال: لا یدخل الجنة من لا یأمن جاره بوائقه.

وفی مستدرک الحاکم:۱/۱۱:

عن أنس بن مالک قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ویده، والمهاجر من هجر السوء، والذی نفسی بیده لا یدخل الجنة عبد لا یأمن جاره بوائقه.

وفی مسند أحمد:۲/۴۴۰:

عن أبی هریرة قال قال رجل: یا رسول الله إن فلانة یذکر من کثرة صلاتها وصیامها وصدقتها، غیر أنها تؤذی جیرانها بلسانها! قال: هی فی النار. قال یا رسول الله فإن فلانة یذکر من قلة صیامها وصدقتها وصلاتها، وأنها تصدق بالأتوار من الاقط، ولا تؤذی جیرانها بلسانها، قال: هی فی الجنة.

۷ ـ الذی یسی إدارة من تحت یده

روی البخاری فی:۸/۱۰۷ بروایتین: عن معقل: سمعت النبی(ص)یقول: ما من عبد استرعاه الله رعیة فلم یحطها بنصیحة إلا لم یجد رائحة الجنة. ونحوه فی کنز العمال:۴/۵۶۷ عن ابن سعد وابن عساکر، وفی: ۶/۲۰ وص ۳۵ (عق ش م حم طب وابن عساکر عن معقل بن یسار).

وفی سنن الترمذی:۳/۲۲۵:

عن أبی بکر الصدیق عن النبی(ص)قال: لا یدخل الجنة سی الملکة. انتهی. ورواه أحمد فی مسنده:۱/۷ وص ۱۲ وج ۵/۲۲ والهیثمی فی مجمع الزوائد:۵/۲۱۱.

وفی کنز العمال:۶/۳۹:

من ولی ذا قرابة محاباةً وهو یجد خیراً منه، لم یجد رائحة الجنة.

۸ ـ المتکبر ولو مثقال حبة خردل

روی مسلم فی صحیحه:۱/۶۵:

عن عبد الله عن النبی(ص)قال: لا یدخل الجنة من کان فی قلبه مثقال ذرة من کبر. انتهی. ورواه ابن ماجة فی:۲/۱۳۹۷ وأحمد:۱/۴۱۲ وص ۴۱۶ وص ۴۵۱ و ج۲/۱۶۴ وص ۲۴۸ والحاکم فی:۳/۴۱۶.

وفى مجمع الزوائد:۶/۲۵۵:

وعن نافع مولى رسول الله(ص)أن رسول الله(ص)قال: لا يـدخل الجنة مسكين مستكبر، ولا شيخ زان، ولا منان على الله تعالى بعمله. رواه الطبرانى وتابعه الصباح بن خالد بن أبى أمية لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۴/۱۱۶:

وأخرج البيهقى عن جابر قال كنا مع النبى(ص)فأقبل رجل، فلما رآه القوم أثنوا عليه، فقال النبى(ص)قال: إنى لأرى على وجهه سفعة من النار، فلما جاء وجلس قال: أنشدك بالله أجئت وأنت ترى أنك أفضل القوم؟ قال نعم. انتهى.

وقد ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) أن التكبر المانع من دخول الجنة هو التكبر عن قبول الحق وليس التكبر العادى وإن كان معصية كبيرة.

ويؤيده ما رواه الحاكم فى المستدرك:۱/۲۶: عن عبد الله بن مسعود (رض)عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: لا يدخل الجنة من كان فى قلبه حبة من كبر، فقال رجل: يا رسول الله إنه ليعجبنى أن يكون ثوبى جديداً ورأسى دهيناً وشراك نعلى جديداً، قال وذكر أشياء حتى ذكر علاقة سوطه، فقال: ذاك جمال، والله جميل يحب الجمال، ولكن الكبر من بطر الحق وازدرى الناس. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتجا جميعاً برواته.

۹ ـ من قتل نفسه

مسند أحمد:۲/۴۳۵:

عن أبى هريرة عن النبى(ص): الذى يطعن نفسه إنما يطعنها فى النار، والذى يتقحم فيها يتقحم فيها فى النار، والذى يخنق نفسه يخنقها فى النار.

۱۰ ـ من نبت لحمه من سحت

روى أحمد فى:۳/۳۲۱:

قول النبى صلى الله عليه وآله لكعب بن عجرة: يا كعب بن عجرة، الصوم جنة، والصدقة تطفى الخطيئة، والصلاة قربان أو قال برهان. يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به.

ورواه فى:۳/۳۹۹ وفى مجمع الزوائد:۱۰/۲۳۰ وص ۲۹۳.

۱۱ ـ من زنى بذات محرم

فى مجمع الزوائد:۶/۲۶۹:

وعن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): لا ـ يدخل الجنة من أتى ذات محرم. رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، غير يحيى بن حسان الكوفى وهو ثقة.

۱۲ ـ من نسب نفسه إلى غير أبيه

روى ابن ماجة فى:۲/۸۷۰:

عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله (ص): من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام. انتهى. ورواه أحمد فى:۲/۷۱ وفيه (وإن ريحها ليوجد من قدر سبعين عاماً) ورواه فى:۲/۱۷۱ وص ۱۹۴ وفى مجمع الزوائد:۱/۹۸ وص ۱۴۸ وكنز العمال:۶/۱۹۵ وج ۱۶/۳۲.

۱۳ ـ مدمن الخمر وقاطع الرحم والنمام وقاسى القلب... الخ.

مسند أحمد:۴/۳۹۹:

من حديث أبى موسى أن النبى(ص)قال: ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر.

وفی:۲/۶۹: ثلاثة قد حرم الله علیهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والدیوث الذی یقر فی أهله الخبث.

ونحوه فی:۲/۱۶۴ وص ۲۰۱ و۲۰۳ وفی سنن البیهقی:۸/۲۸۸.

وفی:۸/۱۶۶: عن إبراهیم عن همام قال: کنت جالساً عند حذیفة فمر رجل فقالوا: هذا یرفع الحدیث إلی السلطان، فقال حذیفة قال رسول الله(ص): لا یدخل الجنة قتات. قال الاعمش: والقتات النمام.أخرجه مسلم فی الصحیح.

مسند أحمد:۲/۱۳۴:

قال عبد الله (رض) قال رسول الله (ص): ثلاثة لا یدخلون الجنة ولا ینظر الله إلیهم یوم القیامة: العاق والدیه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال والدیوث. وثلاثة لا ینظر الله الیهم یوم القیامة: العاق بوالدیه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطی. وروی نحوه فی:۲/۶۹ وص ۱۳۴ والحاکم: ۱/۷۲.

وفی مسند أحمد:۱/۱۹۰:

عن سعید بن زید عن النبی(ص)أنه قال: من أربی الربا الإستطالة فی عرض مسلم بغیر حق، وإن هذه الرحم شجنة من الرحمن فمن قطعها حرم الله علیه الجنة.

وفی مسند أحمد:۳/۱۴:

عن أبی سعید الخدری قال قال رسول الله (ص): لا یدخل الجنة صاحب خمس: مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم، ولا کاهن، ولا منان. ونحوه مسند أحمد:۳/۲۸.

وفی مجمع الزوائد:۸/۱۴۹ ونحوه فی:۵/۱۲۵:

فإن ریح الجنة یوجد من مسیرة ألف عام، والله لا یجده عاق، ولا قاطع رحم، والباغی فإنه لیس من عقوبة أسرع من عقوبة بغی، ولا قاطع رحم، ولا شیخ زان، ولا جارٌّ إزاره خیلاء.

وفی مجمع الزوائد:۶/۲۵۷ ونحوه فی:۸/۱۴۸:

وعن عبدالله بن عمرو عن النبی(ص)قال: لا یدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا منان، ولا ولد زنیة. قلت: رواه النسائی غیر قوله ولا ولد زنیة. رواه أحمد والطبرانی وفیه جابان وثقه ابن حبان وبقیةرجاله رجال الصحیح.

سنن الترمذی:۳/۲۳۲:

عن أبی بکر الصدیق، عن النبی (ص): لا ـ یدخل الجنة خب، ولا ـ بخیل، ولا ـ منان. هذا حدیث حسن غریب.ونحوه فی کنز العمال:۳/۵۴۶.

وفی مجمع الزوائد:۱۰/۲۴۳:

وعن نافع قال سمع ابن عمر رجلًا یقول: الشحیح أعذر من الظالم، فقال ابن عمر: کذبت، سمعت رسول الله(ص)یقول: الشحیح لا یدخل الجنة.

وفی مجمع الزوائد:۸/۱۵۵:

عن ابن عمر عن النبی(ص)قال: إن لکل شجرة ثمرة وثمرة القلب الولد، إن الله لا یرحم من لا یرحم ولده. والذی نفسی بیده لا یدخل الجنة إلا رحیم. قلنا یا رسول الله: کلنا یرحم، قال: لیس رحمته أن یرحم أحدکم صاحبه، إنما الرحمة أن یرحم الناس.

وفی کنز العمال:۱۶/۵۳:

لا یدخل الجنة ولد زنی، ولا مدمن خمر، ولا عاق، ولا منان (ابن جریر ع ـ عن أبی سعید).

۱۴ ـ الذی یقتل أحداً من أهل الذمة

فی صحیح البخاری:۴/۶۵:

عن عبد الله بن عمرو رضی الله عنهما عن النبی(ص)قال: من قتل معاهداً لم یرح رائحة الجنة، وإن ریحها یوجد من مسیرة أربعین عاماً. ونحوه فی:۸ /۴۷ وابن ماجة: ۲/۸۹۶ والترمذی: ۲/۴۲۹ والحاکم فی: ۲/۱۲۶ والبیهقی فی سننه:۸/۱۳۳ وج ۹/۲۰۵ والنسائی:۸/۲۴ وفیه (وإن ریحها لیوجد من مسیرة سبعین عاماً) ورواه فی مسند أحمد:۲/۱۸۶ وج ۴/۶۱ وص ۲۳۷ وج ۵/۴۶ و۵۰ و۵۱ و۳۶۹ و۳۷۴ والهیثمی فی مجمع الزوائد:۶/۲۹۳.

ونعم ما علق به الفخر الرازی علی هذا الموضوع حیث قال فی تفسیره ج۲ جزء۳ ص۱۵۱: عن الحسن، عن أبی بکرة، قال علیه السلام: من قتل نفساً معاهداً لم یرح رائحة الجنة. وإذا کان فی قتل الکفار هکذا، فما ظنک بقتل أولاد رسول الله(ص)؟!

۱۵–الذی یغش العرب

فی مسند أحمد:۱/۷۲:

عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله (ص): من غش العرب لم یدخل فی شفاعتی ولم تنله مودتی. انتهی. ورواه البغوی فی مصابیح السنة:۴/۱۴۲ والدیلمی فی فردوس الأخبار: ۴/۱۸۰ ح ۶۰۷۵ وأبو الشیخ فی طبقات المحدثین بأصبهان:۲/۶۴۰.

۱۶ ـ اللعان الفحاش

صحیح مسلم:۸/۲۴:

حدثنی سوید بن سعید، حدثنی حفص بن میسرة، عن زید بن أسلم أن عبد الملک بن مروان بعث إلی أم الدرداء بأنجاد من عنده، فلما أن کان ذات لیلة قام عبد الملک من اللیل فدعا خادمه فکأنه أبطأ علیه فلعنه، فلما صبح قالت له أم الدرداء: سمعتک اللیلة لعنت خادمک حین دعوته! فقالت سمعت أبا الدرداء یقول قال رسول الله (ص): لا یکون اللعَّانون شفعاء ولا شهداء یوم القیامة. انتهی. ورواه أبو داود فی:۲/۴۵۸ والحاکم:۱/۴۸ والدیلمی فی فردوس الأخبار:۵/۳۱۱ ح ۸۰۰۹ وفی کنز العمال: ۳/۶۱۵ والسیوطی فی الدر المنثور:۱/۱۴۶ وقال: وأخرج مسلم وأبو داود والحکیم الترمذی عن أبی الدرداء..

وقال البخاری فی تاریخه:۶/۲۲:

عن عبد الرحمن بن الحارث أن أم الدرداء رضی الله عنها قالت لعبد الملک بن مروان: سمعت أبا الدرداء (رض) یقول سمعت النبی(ص)یقول: لا یکون الحلیم لعَّاناً، ولا یؤذن فی الشفاعة للعَّان.

وفی کنز العمال:۳/۳۵۳:

عن الدیلمی عن عائشة: رحم الله امرأ کف لسانه عن أعراض المسلمین، لا تحل شفاعتی لطعان ولا لعان. انتهی.

ولا بد أن یکون المراد باللعان فی هذه الأحادیث بذی اللسان الفحاش الذی یسب المسلمین ویلعنهم، وإلا فإن لعن الذین لعنهم الله تعالی ورسوله صلی الله علیه وآله عملٌ جائز أو واجب شرعاً وفیه ثوابٌ، لأنه براءة ممن تبرأ منهم الله ورسوله ودعاءٌ علیهم باستمرار طردهم من رحمة الله تعالی.

۱۷ ـ ورووا أن أکثر النساء فی النار

صحیح البخاری:۷/۲۰۰:

عن عمران بن الحصین عن النبی(ص)قال: اطلعت فی الجنة فرأیت أکثر أهلها الفقراء، واطلعت فی النار فرأیت أکثر أهلها النساء...

عن أسامة عن النبی(ص)قال: قمت علی باب الجنة فکان عامة من دخلها المساکین وأصحاب الجد محبوسون، غیر أن أصحاب النار قد أمر بهم إلی النار. وقمت علی باب النار فإذا عامة من دخلها النساء!. انتهی.

ورواه أحمد فی مسنده:۲/۲۹۷.

وفی مجمع الزوائد:۴/۲۷۴:

قال کنا مع عمرو بن العاص فی حج أو عمرة فلما کنا بمر الظهران إذ امرأة فی هودجها واضعةً یدها علی هودجها، فلما نزل دخل

الشعب ودخلنا معه، قال كنا مع رسول الله(ص)فی هذا المكان فإذا نحن بغربان كثیر وإذا بغراب أعصم المنقار والرجل فقال: لا یدخل الجنة من النساء إلا كقدر الغراب فی هذه الغربان، قال أبو عمر: الأعصم الأحمر. رواه الطبرانی واللفظ له، وأحمد ورجال أحمد ثقات. انتهی.

۱۸ ـ ورووا فی من أطال إزاره أو ثوبه

سنن النسائی:۸/۲۰۷:

عن أبی هریرة قال رسول الله (ص): ما تحت الكعبین من الإزار ففی النار. وفی روایة: ما أسفل من الكعبین من الإزار ففی النار. انتهی.

فهذه الأحادیث تدل علی أن بعض المسلمین لا یدخلون الجنة.. ولو كانت الشفاعة تشمل كل المسلمین لم یكن لهذه الإستثناءات معنی، بل للزم من إحدی المجموعتین كذب المجموعة الأخری!

ولا ـ یضر بالإستدلال بمجموع أحادیث الاستثناء من الجنة، أو الحكم باستحقاقها أن بعضها ضعیف أو مكذوب كما ذكرنا، لأن المكذوب أیضاً یدل علی أن المرتكز فی أذهان المسلمین اختصاص الشفاعة بأصناف من المسلمین، لا بجمیعهم.

شرط الشفاعة فی المظالم الشخصیة

روت مصادر الفریقین أحادیث تدل علی إمكانیة أن تشمل الشفاعة أهل المظالم الشخصیة، بشرط أن یعفو صاحب المظلمة عن ظالمه.

ففی تفسیر الإمام العسكری علیه السلام /۲۰۴:

وقال علی بن أبی طالب علیه السلام: یا معشر شیعتنا اتقوا الله واحذروا أن تكونوا لتلك النار حطباً، وإن لم تكونوا بالله كافرین، فتوقوها بتوقی ظلم إخوانكم المؤمنین، فإنه لیس من مؤمن ظلم أخاه المؤمن المشارك له فی موالاتنا، إلا ـ ثقَّل الله فی تلك النار سلاسله وأغلاله ولم یفكه منها إلا شفاعتنا، ولن نشفع إلی الله تعالی إلا بعد أن نشفع له إلی أخیه المؤمن، فإن عفا عنه شفعنا له، وإلا طال فی النار مكثه.انتهی.

ورواه فی مستدرك الوسائل:۱۲/۱۰۱.

وفی الإعتقادات للصدوق/۲۹:

قیل لامیر المؤمنین علیه السلام: صف لنا الموت فقال: علی الخبیر سقطتم، هو أحد أمور ثلاثة یرد علیه: إما بشارةٌ بنعیم الأبد، وإما بشارةٌ بعذاب الأبد، وإما تخویفٌ وتهویلٌ وأمرٌ مبهمٌ لا یدری من أی الفرق هو؟ فأما ولینا والمطیع لأمرنا فهو المبشر بنعیم الابد، وأما عدونا والمخالف لأمرنا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأما المبهم أمره الذی لا یدری ما حاله فهو المؤمن المسرف علی نفسه لا یدری ما یؤول إلیه حاله یأتیه الخبر مبهماً مخوفاً، ثم لن یسویه الله تعالی بأعدائنا، ولكن یخرجه من النار بشفاعتنا فاعملوا وأطیعوا ولا تتكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله، فإن من المسرفین من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب الله بثلاث مائة ألف سنة.

وفی مسند أحمد:۳/۱۳:

عن أبی سعید الخدری قال قال رسول الله (ص): یخلص المؤمنون یوم القیامة من النار فیحبسون علی قنطرة بین الجنة والنار فیقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بینهم فی الدنیا، حتی إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فی دخول الجنة. فوالذی نفسی بیده لأحدهم أهدی لمنزله فی الجنة منه بمنزله كان فی الدنیا. ورواه فی:۳/۶۳ وص ۷۴.

نتیجة

النتیجة الواضحة من هذا الفصل أن قانون الشفاعة متفقٌ علیه بین السنة والشیعة، علی أصوله وخطوطه العامة أیضاً، وهی أنه یشمل من

مات علی الشهادتین، ولم یکن ظالماً، ولم یکن عاصیاً للنبی فی أهل بیته صلی الله علیه وآله.

ومنه نعرف أن کل ما خالف هذه الأصول فهو نشاز عن ثقافة الإسلام، جاء إلی أصحابه من خلل الرأی، أو من التلقی والتأثر بثقافة الیهود، والنصاری، والمجوس وغیرهم!

توسیعات الشفاعة عند الخلیفة عمر و أتباعه

فی مصادر السنیین اتجاه یقول بتوسیع الشفاعة أکثر من القدر المتفق علیه بین الجمیع، وهو اتجاه خطیر، لأنه یلغی قانون العقوبة الإلهیة جزئیاً أو کلیاً! وهو أربعة آراء أو مذاهب نذکرها حسب توسیعها لدائرة الشفاعة:

الرأی الأول: أن الشفاعة تشمل کل من شهد الشهادتین حتی الطلقاء والمنافقین!

الرأی الثانی: أن الشفاعة تشمل کل من شهد بتوحید الله تعالی، حتی لو کفر برسول الله صلی الله علیه وآله!

الرأی الثالث: أن الشفاعة تشمل کل الخلق!

الرأی الرابع: أن العقاب فی الآخرة ینتهی کلیاً، وأن جهنم تفنی أوتبقی، ولکن ینقل أهلها کلهم إلی الجنة!

ونذکر هنا ملاحظات کلیة علی هذه المذاهب أو الاقوال:

الملاحظة الأولی: أن هذه التوسیعات فی الشفاعة أو فی دخول الجنة زادت علی توسیع الیهود لها، لأن الیهود حصروا الشفاعة والجنة بقومیتهم الیهودیة، وهذه التوسعات عممتها إلی العقائد المختلفة والقومیات المختلفة، وإن کانت احتفظت بمیزة لکل قبائل قریش.

کما زادت علی عقیدة الفداء النصرانیة، لأن بولس اشترط لشمول فداء المسیح وشفاعته الدخول فی النصرانیة.. بینما أکثر هذه التوسیعات لا تشترط الدخول فی الإسلام!

الثانیة: أن لکعب الأحبار وتلامیذه دوراً أساسیاً فی توسیع الشفاعة، بل کان کعب مرجعاً فی الشفاعة بحیث أن الخلیفة عمر یستفتیه فیها ویؤید آراءه، ویعمل علی نشرها، کما تری.

الثالثة: أن هذه التوسیعات لا تشمل أحداً ممن اعترض علی الخلفاء أو خالفهم فی الرأی، أو امتنع عن بیعتهم، کما لا تشمل بنی هاشم وبنی عبد المطلب أسرة النبی وآباءه صلی الله علیه وآله وخاصة أبا طالب والد علی علیه السلام! وستری هذه الغرائب وغیرها فی نصوص الشفاعة فی مصادر إخواننا السنیین!

الرابعة: أن هذه الأفکار صارت أصلاً ومنبعاً لمذاهب فاسدة، جرَّت علی الأمة مصائب ثقافیة وسیاسیة، مثل مذهب المرجئة والقدریة وغیرهما.

ان الشفاعة تشمل کل من شهد الشهادتین حتی الطلقاء والمنافقین

روی البخاری فی صحیحه:۱/۴۱:

قال حدثنا أنس بن مالک أن رسول الله(ص)ومعاذ ردیفه علی الرحل قال: یا معاذ بن جبل، قال لبیک یا رسول الله وسعدیک. قال یا معاذ، قال لبیک یا رسول الله وسعدیک ثلاثاً! قال ما من أحد یشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله علی النار. قال: یا رسول الله أفلا أخبر به الناس فیستبشروا؟ قال: إذاً یتکلوا، وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً! انتهی.

وروی البخاری فی تاریخه:۸/۴۱:

عن عوف بن مالک قال: کنا مع النبی(ص)فی بعض مغازیه فقال: إن ربی خیرنی بین أن یدخل نصف أمتی الجنة والشفاعة، فاخترت الشفاعة. ورواه الدیلمی فی فردوس الأخبار:۲/۳۰۴ ح ۲۷۷۴.

وروی البخاری فی تاریخه:۱/۱۸۴:

عن عوف بن مالک سمع النبی(ص)یقول: الشفاعة لمن مات من أمتی لا یشرک بالله شیئاً.

وروی مسلم فی:۱/۱۲۲:

أخبرنی أبو الزبیر أنه سمع جابر بن عبد الله یسأل عن الورود، فقال:... فتدعی الأمم بأوثانها وما کانت تعبد الأول فالأول، ثم یأتینا ربنا بعد ذلک فیقول: من تنظرون؟ فیقولون ننظر ربنا! فیقول أنا ربکم، فیقولون حتی ننظر إلیک، فیتجلی لهم یضحک! قال فینطلق بهم ویتبعونه! ویعطی کل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ثم یتبعونه، وعلی جسر جهنم کلالیب وحسک، تأخذ من شاء الله، ثم یطفأ نور المنافقین ثم ینجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم کالقمر لیلة البدر سبعون ألفاً لا یحاسبون، ثم الذین یلونهم کأضوأ نجم فی السماء، ثم کذلک.

ثم تحل الشفاعة ویشفعون حتی یخرج من النار من قال لا ـ إله إلا ـ الله وکان فی قلبه من الخیر ما یزن شعیرة، فیجعلون بفناء الجنة، ویجعل أهل الجنة یرشون علیهم الماء حتی ینبتوا نبات الشئ فی السیل ویذهب حراقه. ثم یسأل حتی تجعل له الدنیا وعشرة أمثالها معها!!

وروی أبو داود فی:۱/۶۳۲:

عن عامر بن سعد عن أبیه قال: خرجنا مع رسول الله(ص)من مکة نرید المدینة، فلما کنا قریباً من عزوراء نزل ثم رفع یدیه فدعا الله ساعة ثم خر ساجداً فمکث طویلًا، ثم قام فرفع یدیه فدعا الله ساعة ثم خر ساجداً فمکث طویلًا، ثم قام فرفع یدیه ساعة ثم خر ساجداً ذکره أحمد ثلاثاً، قال: إنی سألت ربی وشفعت لأمتی فأعطانی ثلث أمتی، فخررت ساجداً لربی شکراً ثم رفعت رأسی فسألت ربی لامتی فأعطانی ثلث أمتی، فخررت ساجداً لربی شکراً ثم رفعت رأسی فسألت ربی لأمتی فأعطانی الثلث الآخر، فخررت ساجداً لربی.

ورواه البیهقی فی سننه: ۲/۳۷۰.

وروی أحمد فی مسنده:۵/۱۴۹:

عن أبی ذر قال صلی رسول الله(ص)لیلةً، فقرأ بآیة حتی أصبح یرکع بها ویسجد بها: إن تعذبهم فإنهم عبادک وإن تغفر لهم فإنک أنت العزیز الحکیم، فلما أصبح قلت: یا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآیة حتی أصبحت ترکع بها وتسجد بها؟ قال: إنی سألت ربی عز وجل الشفاعة لأمتی فأعطانیها وهی نائلة إن شاء الله لمن لا یشرک بالله عز وجل شیئاً. ورواه ابن أبی شیبة فی مصنفه:۷/۴۳۲ ح ۱۰۴ عن أبی جعفر الباقر علیه السلام. وفی الدر المنثور:۳/۲۰۴ عن أحمد.

وروی أحمد فی:۵/۳۲۵:

عن عبادة بن الصامت قال: فقد النبی(ص)لیلة أصحابه، وکانوا إذا نزلوا أنزلوه أوسطهم، ففزعوا وظنوا أن الله تبارک وتعالی اختار له أصحاباً غیرهم! فإذا هم بخیال النبی(ص)فکبروا حین رأوه وقالوا: یا رسول أشفقنا أن یکون الله تبارک وتعالی اختار لک أصحاباً غیرنا! فقال رسول الله (ص): لا بل أنتم أصحابی فی الدنیا والآخرة، إن الله تعالی أیقظنی فقال یا محمد إنی لم أبعث نبیاً ولا رسولاً إلا وقد سألنی مسألة أعطیتها إیاه فاسأل یا محمد تعط، فقلت: مسألتی الشفاعة لأمتی یوم القیامة، فقال أبو بکر: یا رسول الله وما الشفاعة؟ قال أقول: یا رب شفاعتی التی اختبأت عندک، فیقول الرب تبارک وتعالی: نعم، فیخرج ربی تبارک وتعالی بقیة أمتی من النار، فینبذهم فی الجنة.

وقال فی مجمع الزوائد:۱۰/۳۶۹:

عن عوف بن مالک الأشجعی قال: سافرنا مع رسول الله(ص)سفراً حتی إذا کان اللیل أرقت عینای فلم یأتنی النوم، فقمت فإذا لیس فی العسکر دابة إلا واضعة خدها إلی الأرض، وأری وقع کل شئ فی نفسی، فقلت لاتین رسول الله(ص)فلاکلا به اللیلة حتی أصبح، فخرجت أتخلل الرحال حتی دفعت إلی رحل رسول الله(ص)فإذا هو لیس فی رحله، فخرجت أتخلل الرحال حتی خرجت من العسکر فإذا أنا بسواد، فتیممت ذلک السواد فإذا هو أبو عبیدة بن الجراح ومعاذ بن جبل فقالا لی: ما الذی أخرجک؟ فقلت: الذی أخرجکما،

فإذا نحن بغيطة منا غير بعيد فمشينا إلى الغيطة فإذا نحن نسمع فيها كدوى النحل وتخفيق الرياح، فقال رسول الله (ص): هاهنا أبو عبيدة بن الجراح؟ قلنا نعم، قال ومعاذ بن جبل؟ قلنا نعم، قال وعوف بن مالك؟ قلنا نعم، فخرج إلينا رسول الله(ص)لا نسأله عن شئ ولا يسألنا عن شئ حتى رجع إلى رحله فقال: ألا أخبركم بما خيرنى ربى آنفاً؟ قلنا بلى يا رسول الله، قال: خيرنى بين أن يدخل ثلثى أمتى الجنة بغير حساب ولا عذاب، وبين الشفاعة. قلنا: يا رسول الله ما الذى اخترت؟ قال: اخترت الشفاعة. قلنا جميعاً: يا رسول الله إجعلنا من أهل شفاعتك قال: إن شفاعتى لكل مسلم.

وفى رواية عن عوف أيضاً قال: نزلنا مع رسول الله(ص)منزلاً ـ فاستيقظت من الليل فإذا أنا لا أرى فى العسكر شيئاً أطول من مؤخرة رحل! قد لصق كل إنسان وبعيره بالأرض، فقمت أتخلل حتى جفلت إلى مضجع رسول الله (ص)فإذا هو ليس فيه! فوضعت يدى على الفراش فإذا هو بارد، فقمت أتخلل الناس وأقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فذكر نحوه إلا أنه قال: خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة. وفى رواية جعل مكان أبى عبيدة أبا موسى. قلت: روى الترمذى وابن ماجة طرفاً منه، رواه الطبرانى بأسانيد ورجال بعضها ثقات.

وعن أبى كعب صاحب الحرير قال سألت النضر بن أنس فقلت: حدثنى بحديث ينفعنى الله عز وجل به، فقال نعم أحدثك بحديث كتب إلينا به من المدينة فقال أنس: إحفظوا هذا فإنه من كنز الحديث، قال: غزا رسول الله (ص)فسار ذلك اليوم إلى الليل، فلما كان الليل نزل وعسكر الناس حوله ونام هو وأبو طلحة زوج أم سليم وفلان وفلان أربعة، فتوسد النبى(ص)يد راحلته ثم نام ونام الأربعة إلى جنبه، فلما ذهب عتمة من الليل رفعوا رؤوسهم فلم يجدوا النبى(ص)عند راحلته، فذهبوا يلتمسون رسول الله (ص)فلقوه مقبلاً فقالوا: جعلنا الله فداك أين كنت فإنا قد فزعنا لك إذ لم نرك؟ قال النبى (ص): كنت نائماً حيث رأيتم فسمعت فى نومى دوياً كدوى الرحا أو هزيز الرحى ففزعت فى منامى فوثبت فمضيت! فاستقبلنى جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله بعثنى إليك الساعة لاخيرك إما أن يدخل نصف أمتك الجنة وإما الشفاعة يوم القيامة، فاخترت الشفاعة لامتى. فقال النفر الأربعة: يا رسول الله إجعلنا ممن تشفع لهم، فقال: وجبت لكم. ثم أقبل النبى(ص)والنفر الأربعة حتى استقبله عشرة فقالوا: أين نبينا نبى الرحمة؟ قال نحدثهم بالذى حدث القوم فقالوا: جعلنا الله فداءك إجعلنا ممن تشفع لهم يوم القيامة، فقال: وجبت لكم. فجاؤا جميعاً إلى عظم الناس فنادوا فى الناس: هذا نبينا نبى الرحمة، فحدثهم بالذى حدث القوم، فنادوا بأجمعهم جعلنا الله فداءك جعلنا الله ممن تشفع لهم، فنادى ثلاثاً: إنى أشهد الله وأشهد من سمع أن شفاعتى لمن يموت لا يشرك بالله عز وجل شيئاً. رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه على بن قرة بن حبيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. انتهى. ورواه فى المعجم الكبير أيضاً:۱۸/۱۰۷.

وفى مجمع الزوائد:۱۰/۳۷۷:

وعن أبى أمامة عن النبى(ص)قال: نعم الرجل أنا لشرار أمتى، فقال له رجل من جلساه: كيف أنت يا رسول الله لخيارهم؟ قال: أما شرار أمتى فيدخلهم الله الجنة بشفاعتى، وأما خيارهم فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم. ورواه الديلمى فى فردوس الأخبار:۵/۹ ح ۷۰۰۴.

وقال فى الدر المنثور:۲/۱۱۵:

وأخرج البيهقى عن ابن عابد قال خرج رسول الله(ص)فى جنازة رجل فلما وضع قال عمر بن الخطاب: لا تصل عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر، فالتفت رسول الله(ص)إلى الناس وقال: هل آراه أحد منكم على الإسلام؟ فقال رجل: نعم يا رسول الله حرس ليلة فى سبيل الله، فصلى عليه رسول الله(ص)وحثى عليه التراب وقال: أصحابك يظنون أنك من أهل النار، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة! وقال: يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس ولكن تسأل عن الفطرة!!

وفى أسد الغابة:۱/۱۵۶:

عن أنيس الأنصارى أن النبى(ص)قال: إنى لاشفع يوم القيامة لأكثر مما على ظهر الأرض من حجر ومدر.

وفى تفسير الرازى:۱۰ جزء ۱۹/۱۹۲:

فثبت أن (إن المتقین فی جنات وعیون) یتناول جمیع القائلین بلا إله إلا الله محمد رسول الله قولاً واعتقاداً، سواء کانوا من أهل الطاعة أو من أهل المعصیة! انتهی.

وهذا غریب من الرازی الذی هو حریص علی العقلانیة، ولکن کثرة أحادیث أصحابه غلبته وجعلته من المرجئة الذین ینتقدهم! فقد حکم بأن المسلم یدخل الجنة بالعقیدة فقط بدون عمل، بل حتی لو کانت حیاته سلسلة من المعاصی والطغیان والاجرام!

ولم یزد علیه فی ذلک إلا الدیلمی حیث روی أن شفاعة النبی صلی الله علیه وآله إنما جعلت من أجل جبابرة هذه الأمة وفراعنتها! قال فی فردوس الأخبار: ۲/۴۹۸ ح ۳۳۹۷: أنس بن مالک: شفاعتی للجبابرة من أمتی!!

وقد نقل السیوطی مجموعة کبیرة من الروایات مفادها أن الله تعالی یحاسب المسلمین علی أعمالهم ویدخل قسماً منهم إلی الجنة وقسماً آخر إلی النار، ولکن الکفار یعیرون المسلمین فی جهنم بأنهم لم ینفعهم إسلامهم، فیأنف الله تعالی ویغضب وتأخذه الغیرة للمسلمین لتوحیدهم، فینقلهم جمیعاً حتی جبابرتهم ومجرمیهم وشیاطینهم إلی الجنة، فعندئذ یتمنی الکفار لو کانوا مسلمین، واستدل هو وغیره بذلک علی أن جمیع المسلمین یدخلون الجنة!

وقد ورد شبیه هذا المعنی فی أحادیثنا من طریق أهل البیت (علیهم السلام) ولکنه بالنسبة إلی بعض أصناف الموحدین ولیس لکل المسلمین کما تذکر هذه الروایات!

قال السیوطی فی الدر المنثور:۴/۹۲ ـ ۹۴ فی تفسیر قوله تعالی: رُبَمَا یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کَانُوا مُسْلِمِینَ:

وأخرج ابن المبارک فی الزهد وابن أبی شیبة وابن جریر وابن المنذر والبیهقی فی البعث عن ابن عباس وأنس (رض) أنهما تذاکرا هذه الآیة: رُبَمَا یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کَانُوا مُسْلِمِینَ، فقالا: هذا حیث یجمع الله بین أهل الخطایا من المسلمین والمشرکین فی النار فیقول المشرکون ما أغنی عنکم ما کنتم تعبدون، فیغضب الله لهم فیخرجهم بفضل رحمته.

وأخرج سعید بن منصور وهناد والبیهقی عن مجاهد (رض) فی قوله: رُبَمَا یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کَانُوا مُسْلِمِینَ، قال: إذا خرج من النار من قال لا إله إلا الله.

وأخرج الطبرانی فی الأوسط وابن مردویه بسند صحیح عن جابر بن عبد الله (رض)قال قال رسول الله (ص): إن ناساً من أمتی یعذبون بذنوبهم فیکونون فی النار ما شاء الله أن یکونوا، ثم یعیرهم أهل الشرک فیقولون: ما نری ما کنتم فیه من تصدیقکم نفعکم، فلا یبقی موحد إلا أخرجه الله تعالی من النار. ثم قرأ رسول الله (ص): رُبَمَا یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کَانُوا مُسْلِمِینَ.

وأخرج ابن أبی عاصم فی السنة وابن جریر وابن أبی حاتم والطبرانی والحاکم وصححه وابن مردویه والبیهقی فی البعث والنشور عن أبی موسی الأشعری (رض) قال قال رسول الله (ص): إذا اجتمع أهل النار فی النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الکفار للمسلمین: ألم تکونوا مسلمین؟ قالوا بلی، قالوا: فما أغنی عنکم الإسلام وقد صرتم معنا فی النار! قالوا: کانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ماقالوا فأمر بکل من کان فی النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأی ذلک من بقی من الکفار قالوا: یا لیتنا کنا مسلمین فنخرج کما خرجوا، ثم قرأ رسول الله (ص): أعوذ بالله من الشیطان الرجیم بسم الله الرحمن الرحیم: الرَ تِلْکَ آیَاتُ الْکِتَابِ وَ قُرْآنٍ مُبِینٍ رُبَمَا یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کَانُوا مُسْلِمِینَ.

وأخرج إسحق بن راهویه وابن حبان والطبرانی وابن مردویه عن أبی سعید الخدری أنه سئل هل عندک من رسول الله(ص)فی هذه الآیة شی: رُبَمَا یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کَانُوا مُسْلِمِینَ؟ قال نعم سمعته یقول: یخرج الله أناساً من المؤمنین من النار بعد ما یأخذ نقمته منهم، لما أدخلهم الله النار مع المشرکین قال لهم المشرکون: ألستم کنتم تزعمون أنکم أولیاء الله فی الدنیا فما بالکم معنا فی النار! فإذا سمع الله ذلک منهم أذن فی الشفاعة لهم فیشفع الملائکة والنبیون والمؤمنون حتی یخرجوا بإذن الله، فإذا رأی المشرکون ذلک قالوا: یا لیتنا کنا مثلهم فتدرکنا الشفاعة فنخرج معهم، فذلک قول الله: رُبَمَا یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کَانُوا مُسْلِمِینَ، قال فیسمون فی الجنة الجهنمیین من أجل سواد فی وجوههم، فیقولون: یا ربنا أذهب عنا هذا الاسم، فیأمرهم فیغتسلون فی نهر الجنة فیذهب ذلک الاسم

عنهم.

وأخرج هناد بن السرى والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم عن أنس (رض) قال قال رسول الله(ص): إن ناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغنى عنكم قول لا إله إلا الله وأنتم معنا فى النار! فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم فى نهر الحياة فيبرؤون من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه، فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين.

وأخرج الحاكم فى الكنى عن حماد (رض) قال سألت إبراهيم عن هذه الآية: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، قال: حدثت أن أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من أهل الإسلام: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبيين: إشفعوا لهم فيشفعون لهم فيخرجون، حتى أن إبليس ليتطاول رجاء أن يدخل معهم، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود (رض) فى قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، قال: هذا فى الجهنميين، إذا رأوهم يخرجون من النار. انتهى.

وفى نفس الوقت روى السيوطى روايات تدل على أن تمنى الكفار هذا ليس بعد دخول النار بل فى يوم القيامة قبل دخول الجنة والنار.. قال: وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى البعث عن ابن عباس (رض) فى قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا قال: ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال: موحدين.

وأخرج سعيد بن منصور وهناد بن السرى فى الزهد ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث والنشور عن ابن عباس (رض) قال: ما زال الله يشفع ويدخل الجنة ويشفع ويرحم، حتى يقول من كان مسلماً فليدخل الجنة فذلك قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ. انتهى.

والإشكالات على هذا الرأى كثيرة يكفى منها ما تقدم من أدلة الرأى الأول ويكفى منها أن القول بإسقاط اشتراط العمل هو مذهب المرجئة الذين أسقطوا قوانين العقوبة الإلهية، كما فعل اليهود من قبلهم!

وينبغى التذكير هنا بأن القرآن الكريم والأحاديث الثابتة المتفق عليها هى الميزان فى قبول الأحاديث الأخرى أو ردها.. وبهذا الميزان نجد أنفسنا ملزمين برد الأحاديث التى تكتفى بشرط إعلان الشهادتين فقط لدخول الجنة، وتسقط كل الشروط العملية! لأنها تناقض عشرات الآيات والأحاديث القطعية المتفق عليها عند الجميع!

على أنه يمكن لمن ثبتت عنده هذه الأحاديث أن يؤولها بأنها تقصد التأكيد على أهمية الشهادتين، ولا تقصد إسقاط بقية الشروط التى نصت عليها الآيات والأحاديث الأخرى، لأنها شرط ضمنى فيها، فتكون النتيجة إخضاع هذه الأحاديث لمفاد أحاديث القول الأول، وهو المطلوب.

ان الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالى

حتى لو كفر بنبوة النبى صلى الله عليه وآله!

والمستفيد الأول من هذه التوسعة هم المنافقون من قريش والأنصار، الذين كانت تظهر منهم ظواهر النفاق وعدم الإيمان بالنبى فى حياته صلى الله عليه وآله، وقد جعل الله تعالى لهم علامات يعرفهم المسلمون بها، ومن أوضحها بغض على بن أبى طالب عليه السلام باعتباره يمثل تحدى الإسلام للكفر والنفاق، وباعتباره أول عترة النبى ووصيه صلى الله عليه وآله.. فكان حب على وبغضه فى حياة رسول الله وبنصه صلى الله عليه وآله ميزاناً للايمان والنفاق! وقد روى الجميع أحاديثه وصححوها، منها ما رواه أحمد فى مسنده:۱/۹۵ وص ۱۲۸ وص ۲۹۲ عن زر بن حبيش عن على (رض) قال عهد إلىَّ النبى(ص)أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. ورواه الترمذى فى سننه:۵/۳۰۶.

وقال الترمذى فى سننه:۵/۲۹۸:

عن أبى سعيد الخدرى قال: إن كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم على بن أبى طالب. هذا حديث غريب. وقد تكلم شعبة فى أبى هارون العبدى، وقد روى هذا عن الاعمش عن أبى صالح، عن أبى سعيد.

وروى الحاكم فى المستدرك:۳/۱۲۸:

عن ابن عباس (رض) قال نظر النبى صلى الله عليه وآله إلى على فقال: يا على أنت سيد فى الدنيا سيد فى الآخرة، حبيبك حبيبى وحبيبى حبيب الله، وعدوك عدوى وعدوى عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدى!! صحيح على شرط الشيخين، وأبو الأزهر بإجماعهم ثقة، وإذا تفرد الثقة بحديث فهو على أصلهم صحيح.

وروى الحاكم فى:۳/۱۳۵ سمعت عمار بن ياسر (رض) يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلى: يا على طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وروى الحاكم فى:۳/۱۴۲ أن النبى صلى الله عليه وآله أخبر علياً بأن الأمة ستغدر به من بعده، قال: عن حيان الأسدى سمعت علياً يقول قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الأمة ستغدر بك بعدى، وأنت تعيش على ملتى وتقتل على سنتى، من أحبك أحبنى ومن أبغضك أبغضنى، وإن هذه ستخضب من هذا، يعنى لحيته من رأسه. صحيح. انتهى.

أما بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله فصار بغض على عليه السلام جهاراً نهاراً، ولم يعد علامةً على النفاق بل صار علامةً على (الإيمان) والتقوى والإخلاص للإسلام وتأييد السلطة الجديدة التى يعارضها على وشيعته! وجهر المنافقون بنفاقهم مطمئنين! فقد روى البخارى:۸/۱۰۰ عن حذيفة بن اليمان قوله (إن المنافقين اليوم شرٌّ منهم على عهد النبى(ص)! كانوا يومئذ يسرون، واليوم يجهرون)!

هذه الحقيقة الثابتة تنفعنا فى فهم أحاديث هذا الرأى التى تريد شمول المنافقين بالشفاعة والجنة! وهى كثيرة نورد عدداً منها ثم نذكر الملاحظات عليها:

روى مسلم فى صحيحه:۱/۴۴:

عن أبى هريرة قال: كنا قعوداً حول رسول الله(ص)معنا أبو بكر وعمر فى نفر، فقام رسول الله(ص)من بين أظهرنا، فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا، فقمنا فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغى رسول الله(ص)حتى أتيت حائطاً للأنصار لبنى النجار، فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد، فإذا ربيع يدخل فى جوف حائط من بئر خارجة ـ والربيع الجدول ـ فاحتفرت فدخلت على رسول الله(ص)، فقال: أبو هريرة؟ فقلت نعم يا رسول الله، قال: ما شأنك؟ قلت كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفرت كما يحتفر الثعلب، وهؤلاء الناس ورائى!

فقال: يا أبا هريرة وأعطانى نعليه قال: إذهب بنعليَّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة! فكان أول من لقيت عمر فقال: ماهاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت هاتان نعلا رسول الله(ص)بعثنى بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا ـ الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثدييَّ فخررت لاستى! فقال: إرجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله(ص)فأجهشت بكاءً، وركبنى عمر فإذا هو على أثرى، فقال رسول الله (ص): مالك يا أبا هريرة؟! قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذى بعثتنى به فضرب بين ثديى ضربةً خررت لاستى قال إرجع!

قال رسول الله (ص): يا عمر ما حملك على ما فعلت؟ قال: يا رسول الله بأبى أنت وأمى أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقى يشهد أن إله إلا ـ الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: نعم. قال فلا تفعل! فإنى أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون! قال رسول الله (ص): فخلهم!!

وروى البخارى فى:۱/۴۱:

عن أنس: قال ذكر لى أن النبى(ص)قال لمعاذ: من لقى الله لا ـ يشرك به شيئاً دخل الجنة. قال ألا أبشر الناس؟ قال: لا، أخاف أن يتكلوا.

وروى البخاري في:١/١٠٩:

قال أخبرني محمود بن الربيع الأنصاري أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله(ص)ممن شهد بدراً من الأنصار، أنه أتى رسول الله (ص)فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى.

قال فقال له رسول الله (ص): سأفعل إن شاء الله، قال عتبان: فغدا رسول الله(ص)وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله(ص)فأذنت له فلم يجلس حين دخل البيت، ثم قال: أين تحب أن أصلي من بيتك؟ قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت فقام رسول الله(ص)فكبر فقمنا فصففنا فصلى ركعتين ثم سلم، قال وحبسناه على خزيرة صنعناها له قال فثاب في البيت رجال من أهل الدار ذووا عدد، فاجتمعوا فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخيشن أو ابن الدخشن؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله (ص): لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين! قال رسول الله (ص): فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله!! ورواه في كنز العمال:١/٣٠٢.

وروى البخاري:٢/٥٥ وج ٦/٢٠٢:

فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله.

وروى شبيهه في:١/٣٣، ورواه أحمد في مسنده:٤/٤٤.

وروى البخاري في:٧/١٧٢:

عن أحد بني سالم قال غدا على رسول الله(ص)فقال: لن يوافي عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغي به وجه الله إلا حرم الله عليه النار.

وروى البخاري في:٢/٦٩:

عن أبي ذر (رض) قال قال رسول الله (ص): أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة! قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق... عن عبدالله (رض) قال قال رسول الله (ص): من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار. وقلت أنا: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة!!

وروى البخاري في:٧/٤٣:

أن أبا ذر حدثه قال: أتيت النبي(ص)وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة! قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق! قلت وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر!! وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر!! قال أبو عبد الله: هذا عند الموت أو قبله. انتهى.

وأبو عبدالله هو البخاري نفسه، وهو يريد بقوله هذا تخفيف إطلاق الحديث ووضع شرط للتوحيد المذكور فيه، بأنه المسلم المجرم يدخل الجنة بشرط أن يقول (لا إله إلا الله) قبل موته أو عند موته. ولكن الحديث مطلق وليس فيه هذا الشرط!

وروى النسائي في:٨/١١٢:

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص): ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا بأشد من مجادلة المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار، قال يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار! قال فيقول: إذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم، قال فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيخرجونهم فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا، قال: ويقول أخرجوا من كان في قلبه وزن نصف دينار، حتى يقول من كان في قلبه وزن ذرة! قال أبو سعيد: فمن لم يصدق فليقرأ هذه الآية: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ إلى عَظِيمًا.

وروى أحمد في مسنده:۴/۴۳:

ذكروا المنافقين وما يلقون من أذاهم وشرهم حتى صيروا أمرهم إلى رجل منهم يقال له مالك بن الدخشم، وقالوا: من حاله، ومن حاله، ورسول الله (ص)ساكت، فلما أكثروا قال رسول الله (ص): أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟! فلما كان في الثالثة قالوا: إنه ليقوله. قال: والذي بعثني بالحق لئن قالها صادقاً من قلبه لا تأكله النار أبداً! قالوا فما فرحوا بشئ قط كفرحهم بما قال!! انتهى.

وابن الدخشن هذا، أو الدخشم، أو الدخيشن، هو الذي ذكره البخاري وهو رئيس المنافقين الرسمي بعد ابن سلول! ويمكنك أن تفكر فيما يزعمه هذا الحديث من أن أكبر فرحة للمسلمين كانت في ذلك اليوم، أي يوم ساوى النبي صلى الله عليه وآله بين المسلمين والمنافقين الذين قال الله تعالى فيهم ما قال!!

ولعمري إنها فرحة السلطة وأتباعها الذين أرادوا حل مشكلة المنافقين لتأييدهم لهم، فألصقوا ذلك بالنبي صلى الله عليه وآله!!

وروى أحمد في مسنده:۴/۴۱۱:

عن أبي بكر بن أبي موسى (الأشعري) عن أبيه أن رسول الله(ص)قال: أبشروا وبشّروا الناس من قال لا ـ إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة، فخرجوا يبشرون الناس، فلقيهم عمر (رض) فبشروه فردهم، فقال رسول الله (ص): من ردكم؟ قالوا عمر، قال: لم رددتهم يا عمر؟ قال إذاً يتكل الناس يا رسول الله! انتهى. وقال عنه في مجمع الزوائد:۱/۱۶ رجاله ثقات.

وروى أحمد:۱/۴۶۴:

عن عبد الله قال قال رسول الله(ص)كلمة وأنا أقول أخرى! من مات وهو يجعل لله ندا أدخله الله النار. قال وقال عبد الله: وأنا أقول: من مات وهو لا يجعل لله ندا أدخله الله الجنة!!. انتهى.

ولكن أحمد روى في:۲/۱۷۰ أن عبد الله بن عمرو بن العاص نسب الكلمتين إلى النبي صلى الله عليه وآله! قال: سمعت رسول الله(ص)يقول: من لقى الله وهو لايشرك به شيئاً دخل الجنة ولم تضره معه خطيئة، كما لو لقيه وهو مشرك به دخل النار ولم ينفعه معه حسنة.انتهى.

ولكن أحمد روى هذا الحديث أيضاً عن عبد الله بن مسعود وليس عبد الله بن عمرو! قال في:۱/۳۷۴: قال ابن مسعود: خصلتان يعني إحداهما سمعتها من رسول الله(ص)، والأخرى من نفسي: من مات وهو يجعل لله ندا دخل النار. وأنا أقول من مات... الخ.

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد:۱/۲۳:

عن عقبة بن عامر (رض) قال جئت في اثني عشر راكباً حتى حللنا برسول الله(ص)فقال أصحابي: من يرعى إبلنا وننطلق فنقتبس من رسول الله(ص)، فإذا راح اقتبسناه ما سمعنا من رسول الله(ص)؟ فقلت: أنا، ثم قلت في نفسي: لعلي مغبون، يسمع أصحابي ما لا أسمع من نبي الله(ص)، فحضرت يوماً فسمعت رجلاً ـ قال قال رسول الله (ص): من توضأ وضوء كاملًا ثم قام إلى صلاة كان من خطيئته كيوم ولدته أمه، فتعجبت من ذلك، فقال عمر بن الخطاب: فكيف لو سمعت الكلام الآخر كنت أشد عجباً! فقلت: أردد عليَّ جعلني الله فداءك، فقال عمر بن الخطاب: إن نبي الله(ص)قال: من مات لا يشرك بالله شيئاً فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء، ولها ثمانية أبواب! فخرج علينا رسول الله(ص)فجلست مستقبله فصرف وجهه عني، فقمت فاستقبلته ففعل ذلك ثلاث مرات فلما كانت الرابعة، قلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي لم تصرف وجهك عني؟! فأقبل علي فقال: أواحد أحب اليك أم اثنا عشر؟ مرتين أو ثلاثاً! فلما رأيت ذلك رجعت إلى أصحابي!

وفي مجمع الزوائد:۱/۳۲:

عن عمر بن الخطاب (رض) أنه سمع النبي(ص)يقول: من مات يؤمن بالله واليوم الآخر، قيل له أدخل من أي أبواب الجنة الثمانية شئت. رواه أحمد وفي إسناده شهر بن حوشب وقد وثق. وأورده أيضاً في/۴۹.

وفي مجمع الزوائد:۱/۲۲:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رض) قال: جئت ورسول الله(ص)قاعد فی أناس من أصحابه فیهم عمر بن الخطاب (رض) وأدرکت آخر الحدیث ورسول الله(ص)یقول: من صلی أربع رکعات قبل العصر لم تمسه النار! فقلت بیدی هکذا یحرک بیده إن هذا حدیث جید، فقال عمر بن الخطاب: لما فاتک من صدر الحدیث أجود وأجود! قلت یا ابن الخطاب فهات، فقال عمر بن الخطاب: حدثنا رسول الله(ص)أنه من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنهٔ!!

وفی مجمع الزوائد:۱/۱۶:

عن أبی الدرداء (رض) قال قال رسول الله (ص): من قال لا إله إلا الله وحده لا شریک له دخل الجنهٔ. قال قلت: وإن زنی وإن سرق؟ قال: وإن زنی وإن سرق! قلت: وإن زنی وإن سرق؟! قال: وإن زنی وإن سرق! قلت: وإن زنی وإن سرق؟! قال: وإن زنی وإن سرق علی رغم أنف أبی الدرداء! قال فخرجت لانادی بها فی الناس فلقینی عمر فقال إرجع فإن الناس إن علموا بهذه اتکلوا علیها! قال: فرجعت فأخبرته(ص)فقال: صدق عمر.

رواه أحمد والبزار والطبرانی فی الکبیر والأوسط وإسناد أحمد أصح، وفیه ابن لهیعهٔ وقد احتج به غیر واحد. ورواه فی الدر المنثور:۲/۱۷۰.

وروی أحمد:۵/۱۷۰:

حدثتنی جسرهٔ بنت دجاجهٔ أنها انطلقت معتمرهٔ فانتهت إلی الربذهٔ فسمعت أباذر یقول: قام النبی(ص)لیلهٔ من اللیالی فی صلاهٔ العشاء فصلی بالقوم ثم تخلف أصحاب له یصلون، فلما رأی قیامهم وتخلفهم انصرف إلی رحله، فلما رأی القوم قد أخلوا المکان رجع إلی مکانه فصلی، فجئت فقمت خلفه فأومأ إلیَّ بیمینه فقمت عن یمینه، ثم جاء ابن مسعود فقام خلفی وخلفه، فأومأ إلیه بشماله فقام عن شماله فقمنا ثلاثتنا، یصلی کل رجل منا بنفسه ویتلو من القرآن ما شاء الله أن یتلو، فقام بآیهٔ من القرآن یرددها حتی صلی الغداهٔ، فبعد أن أصبحنا أومأت إلی عبد الله بن مسعود أن سله ما أراد إلی ما صنع البارحهٔ؟ فقال ابن مسعود بیده لا أسأله عن شئ حتی یحدث إلی، فقلت: بأبی أنت وأمی قمت بآیهٔ من القرآن ومعک القرآن؟! لو فعل هذا بعضنا وجدنا علیه، قال: دعوت لأمتی، قال: فماذا أجبت أو ماذا علیک؟ قال: أجبت بالذی لو اطلع علیه کثیر منهم طلعهً ترکوا الصلاهٔ! قال: أفلا أبشر الناس؟ قال بلی، فانطلقت معنقاً قریباً من قذفهٔ بحجر، فقال عمر: یا رسول الله إنک إن تبعث إلی الناس بهذا نکلوا عن العبادهٔ، فنادی أن ارجع، فرجع.

وروی أحمد فی مسنده:۲/۳۰۷ وفی/۵۱۸:

عن أبی هریرهٔ أنه سمعه یقول: سألت رسول الله (ص): ماذا رد إلیک ربک فی الشفاعهٔ؟ فقال: والذی نفس محمد بیده لقد ظننت أنک أول من یسألنی عن ذلک من أمتی لما رأیت من حرصک علی العلم! والذی نفس محمد بیده ما یهمنی من انقصافهم علی أبواب الجنهٔ أهم عندی من تمام شفاعتی، وشفاعتی لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً یصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه. ورواه الدیلمی فی فردوس الأخبار:۲/۱۹۷ ح ۳۳۹۵.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۳۲۴:

وأخرج ابن مردویه عن أبی سعید قال: لما نزلت: فبشر عبادی الذین یستمعون القول فیتبعون أحسنه، أرسل رسول الله(ص)منادیاً فنادی: من مات لا یشرک بالله شیئاً دخل الجنهٔ، فاستقبل عمر الرسول فرده، فقال: یا رسول الله خشیت أن یتکل الناس فلا یعملون، فقال رسول الله (ص): لو یعلم الناس قدر رحمهٔ الله لا تکلوا ولو یعلمون قدر سخط الله وعقابه لاستصغروا أعمالهم!

الدر المنثور:۴/۹۳:

وأخرج ابن أبی حاتم وابن شاهین فی السنهٔ عن علی بن أبی طالب (رض) قال قال رسول الله (ص): إن أصحاب الکبائر من موحدی الأمم کلها الذین ماتوا علی کبائرهم غیر نادمین ولا تائبین، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعینهم ولا تسود وجوههم، ولا یقرنون بالشیاطین ولا یغلون بالسلاسل، ولا یجرعون الحمیم ولا یلبسون القطران، حرم الله أجسادهم علی الخلود من أجل التوحید، وصورهم

على النار من أجل السجود، فمنهم من تأخذه النار إلى قدميه، ومنهم من تأخذه النار إلى عقبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى فخذيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، على قدر ذنوبهم وأعمالهم. ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج منها، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثاً بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى.

فإذا أراد الله ان يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن فى النار من أهل الأديان والأوثان لمن فى النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم فى النار سواء، فغضب الله غضبا لم يغضبه لشئ فيما مضى، فيخرجهم إلى عين بين الجنة والصراط فينبتون فيها نبات الطراثيث فى حميل السيل، ثم يدخلون الجنة مكتوب فى جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن، فيمكثون فى الجنة ما شاء الله أن يمكثوا، ثم يسألون الله تعالى أن يمحو ذلك الاسم عنهم، فيبعث الله ملكاً فيمحوه ثم يبعث الله ملائكة معهم مسامير من نار فيطبقونها على من بقى فيها يسمرونها بتلك المسامير فينساهم الله على عرشه، ويشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم وذلك قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

وقال ابن باز فى فتاويه:۱/۱۷۹:

روى البخارى عن أبى هريرة أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك قال: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه. انتهى.

ملاحظات على روايات هذا الرأى

أولاً: نلاحظ فى أحاديث هذا الرأى بل هذا المذهب، اضطرابها وتعارضها إلى حد التناقض! ولعل أصلها رواية مسلم التى ضرب فيها عمر أبا هريرة حتى خر لاسته! والمقصود منها ومن أمثالها إثبات أن النبى صلى الله عليه وآله قد (اعترف وشهد) بأن توحيد الله تعالى فقط كاف لدخول الجنة، وأنه لا يحتاج الأمر إلى الإيمان بنبوته ولا شفاعته صلى الله عليه وآله!

ويلاحظ أنها تؤكد على أن الذى قال ذلك هو النبى نفسه صلى الله عليه وآله وليس عمر! بل إن عمر كان مخالفاً لذلك، وقد ردَّ أبا هريرة من الطريق وضربه، واعترض على النبى مرات ومرات، وقد أطاعه النبى صلى الله عليه وآله فى بعض المرات، ثم أصرَّ النبى على هذا القول فهو الذى يتحمل مسؤوليته، وليس عمر، ولا أبو موسى، ولا أبو هريرة، ولا كعب الأحبار!!

ثانياً: أن هذا المذهب يلغى حاجة المسلمين إلى الشفاعة أصلًا!! فأحاديثه تبشر بالجنة كل من قال (لا إله إلا الله) وتشمل رواياته اليهود والنصارى وغيرهم، فلا يبقى معنى للشفاعة!!

ثالثاً: أنه يلغى الحاجة إلى أصل الإسلام ونبوة نبينا صلى الله عليه وآله! لأن رواياته تقول إن الله تعالى يقبل إيمان الموحد ويدخله الجنة لتوحيده، حتى لو كفر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله! فلا يبقى مبرر لجهاد النبى صلى الله عليه وآله وحروبه وشدته على الكافرين بنبوته! ولا يبقى معنىً لقوله تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخرة مِنَ الْخَاسِرِينَ) وكيف يجرأ مسلم على قبول رأى من رواة أو خليفة، يستلزم إبطال دينه من أصله؟!!

رابعاً: تزعم روايات هذا المذهب عدم عصمة النبى صلى الله عليه وآله وأنه أخطأ فى تبليغ الرسالة وصحح له عمر وأقنعه بخطئه! على أنه توجد رواية أخرى فى تهذيب الكمال:۴ ص۳۱ وفى مجمع الزوائد:۱ ص۱۶ تقول إن النبى لم يقتنع وأصرَّ على رأيه، وقال لعمر: دعهم يتكلوا! وتوجد رواية أخرى فى مجمع الزوائد وفى مسند أحمد:۴/۴۰۲ تقول إن النبى سكت!.. الخ.

ومن جهة أخرى تدل هذه الروايات على عدم إيمان عمر بعصمة النبى صلى الله عليه وآله وتعطى لعمر دور الناظر على أعمال النبى صلى الله عليه وآله والولاية عليه لتصحيح أخطائه! بينما يؤكد الله تعالى عصمة رسوله صلى الله عليه وآله فى كل كلمة يتفوه بها، فيقول (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إلا وَحْىٌ يُوحَى)!

خامساً: تقدمت رواية أن عمر هو الذى بشر الناس، ولعله اقترح على النبى أن يبشر الناس بذلك فنهاه النبى صلى الله عليه وآله!! وقد روى الهيثمى رواية فيها تصريح بأن الذى أراد تبشير الناس هو عمر وإن كانت متناقضة، قال (وعن جابر (رض) قال: قال رسول الله

(ص): ناد يا عمر فى الناس إنه من مات يعبد الله مخلصاً من قلبه أدخله الله الجنة وحرم على النار! قال فقال عمر: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا، لا، يتكلوا. انتهى.

فأول الرواية يقول: إن النبى أمر عمر بالنداء، وآخرها يقول إن عمر اقترح النداء فلم يقبل به النبى صلى الله عليه وآله ونهاه عنه!

وهذا يؤيد أن يكون أصل القضية كلها محاولة من عمر لتبشير الناس بعدم اشتراط العمل للجنة، فنهاه النبى صلى الله عليه وآله.

سادساً: إن روايات (ضياع النبى!) فى غزوة من غزواته أو فى المدينة، قد حملت من التناقض واللامعقول ما يوجب على الباحث بل على القارئ الشك فيها من أصلها!

فحديث مسلم يقول: إنهم (أضاعوا) النبى صلى الله عليه وآله فى المدينة حتى وجده أبوهريرة فى بستان فى المدينة لبنى النجار! وروايتا الطبرانى المتقدمتان عن عوف بن مالك والنضر بن أنس تقولان إنهم أضاعوا النبى فى إحدى الغزوات! أو خرج مبهوتاً فى وسط الليل! وبعض رواياتها تقول إن النبى صلى الله عليه وآله لم يضع بل كان فى بيته أو فى مسجده وأمر أبا موسى ونفراً من قومه أن يبشروا الناس فلما خرجوا من عنده لقيهم عمر... الخ. وقد رواها أحمد:۴ ص۴۰۲ وص۴۱۱ و قال عنها مجمع الزوائد ج۱ص ۱۶ (رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات).

ثم إن رواية مسلم تقول: إن بطل القصة المأمور بالنداء هو أبو هريرة وأن عمر ضربه! بينما تقول روايات أخرى إن المأمور بالنداء أبو موسى الأشعرى ونفر من الأشعريين وأن عمر رده ولم يضربه! وأخرى تقول: إن المأمور هو أبو الدرداء، وأخرى تقول: إنه أبوذر، وأخرى تقول: إنه عمر.. إلخ. ورواية أبى سعيد تذكر مأموراً بدون تسمية!

أما روايات الطبرانى فتذكر بطلين آخرين للحادثة هما عوف والنضر، وفى رواية أخرى فى مجمع الزوائد ج۱ ص۲۳ إنه عقبة بن عامر! وتوجد رواية فى مجمع الزوائد تقول إن البطل الوحيد هو عمر، ولا يوجد غيره قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ج۱ ص۱۶ وعن عمر (رض) أن رسول الله(ص)أمره أن يؤذن فى الناس أنه: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصاً دخل الجنة، فقال عمر: يا رسول الله إذا يتكلوا فقال: دعهم. رواه أبو يعلى والبزار إلا أن عمر قال يا رسول الله إذا يتكلوا! قال دعهم يتكلوا. انتهى.

أما رواية البخارى فتذكر أن بطل الرواية معاذ فقط، وأنه اقترح تبشير الناس بذلك فنهاه النبى صلى الله عليه وآله، ورواية أحمد تذكر أن بطلها عبادة بن الصامت.. وقد تقدمت الروايتان فى الرأى الثانى لأنهما اشترطتا الشهادة بالنبوة!!

ولو أردنا مواصلة بحث ملف ضياع النبى المزعوم، والنداء المزعوم، لوجدنا فيها تناقضات أخرى توجب سقوط أصل القصة عن الصلاحية لإثبات حكم شرعى عادى، فكيف تصلح لاثبات عقيدة خطيرة، أخطر من مذهب المرجئة؟! لأن المرجئة يشترطون لدخول الجنة الشهادتين، وهذه القصة تلغى الشهادة الثانية!!

سابعاً: توجد روايات تناقض هذا الرأى عن الخليفة عمر نفسه وتقول إن الذى يسرق عباءة من الغنائم يحرم من دخول الجنة، حتى لو كان السارق مسلماً واستشهد فى سبيل الله تعالى! وتقول إن النبى صلى الله عليه وآله قد أمر عمر أن ينادى بنداء مضاد لما ذكرته قصة ضياع النبى صلى الله عليه وآله ونداء النعلين!!

فقد روى أحمد فى مسنده:۱/۳۰ وص ۴۷ عن عمر بن الخطاب (رض) قال لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبى(ص)فقالوا: فلان شهيد فلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد، فقال رسول الله (ص): كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة! ثم قال رسول الله (ص): يابن الخطاب إذهب فناد فى الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. انتهى.

فإذا كانت سرقة عباءة تمنع صاحبها (الشهيد) من دخول الجنة، فكيف تكون شهادة (لا إله إلا الله) وحدها بدون عمل كافية لدخول الجنة؟!

وإذا كان النبى صلى الله عليه وآله قد أمر عمر بهذا النداء، فكيف أمر عمر نفسه أو غيره بنداء مناقض له؟! وكيف لم يعترض عليه عمر

وهو المعروف بكثرة اعتراضاته؟!

ثم إن قصة سارق العباءة والنداء بشرط الإيمان والعمل الصالح، كانتا فى خيبر، وهذه ظاهرة تحديد فى الرواية توجب نوعاً من الثقة، ولكنك لا تجد فى قصة ضياع النبى صلى الله عليه وآله والنداء المضاد المزعومين شيئاً من التحديد، لا اسم الغزوة، ولا اسم البستان، بل لا تجد إلا مجملاً فى مجمل، وتناقضاً بعد تناقض!

وبما أن أغلب روايات هذه القصة تشترك فى ذكر دور عمر ومناقشته للنبى صلى الله عليه وآله ونصحه إياه بضرر إعلان ذلك للناس، يترجح فى الذهن احتمال أن يكون أصل القصة أن الخليفة عمر هو الذى بشر الناس كما نصت الروايات المتقدمة، وقد يكون اقترح على النبى صلى الله عليه وآله أن يأمره بذلك فلم يقبل، وأن النبى صلى الله عليه وآله ما ضاع لا فى غزوتين ولا فى غزوة،ولا خرج مذعوراً فى الليل من كلام جبرئيل، ولا ضاع فى المدينة، ولا اختبأ فى بستان، ولا أعطى نعليه لابى هريرة علامةً للناس بأنه مبعوث من النبى صلى الله عليه وآله، ولا ضرب عمر أبا هريرة حتى خر لاسته! فعندما تتناقض الروايات ولا يمكن الجمع بينها، أو تكون مخالفة للقرآن وللسنة القطعية المتفق عليها.. فلا مجال أمام الباحث إلا ترجيح هذا الإحتمال الأخير.

ثامناً ثبت عند الجميع أن النبى صلى الله عليه وآله قد أرسل علياً عليه السلام الى مكة بأمر من الله تعالى لإبلاغ سورة براءة، وأمره أن ينادى فى الناس بعدة أمور، منها (لا ـ يدخل الجنة إلا ـ نفس مؤمنة)! وقد روى ذلك أحمد: ۱/۴۷ وص ۷۹ والنسائى: ۵/۲۳۴ والدارمى: ۲/۲۳۰ وغيرهم، وفى أحمد: ۵/۴۳۸: نفس مسلمة).

وروايات هذا النداء ثابتة عند الطرفين، وليست مهزوزة مثل نداء النعلين المزعوم!

ثم إن هذا النداء كان بعد فتح مكة، فلا بد للقائل بصحة روايات نداء النعلين أن يقول إنه ناسخ لهذا النداء، وأن يثبت صحة قصته وأنها كانت بعد نداء مكة.. ولكن دون إثبات ذلك خرط القتاد!

أما الأحاديث الأخرى التى استدلوا بها على هذا المذهب، فليست أحسن حالاً من حديث (ضياع النبى صلى الله عليه وآله واختفائه واختبائه ونداء النعلين) فى تضاربها وتعارضها مع غيرها..ويكفى لردها الروايات التى تقدمت فى الرأى الأول.

وأخيراً، فقد آن لاخواننا فقهاء السنة أن ينظروا بجدية إلى تناقضات روايات الصحاح ومخالفاتها الصريحة للقرآن وضرورات الإسلام، ويعيدوا النظر فى مفهومهم للصحيح والحجة الشرعية!

ذلك أن صريح العقل هو الأصل الذى وصلنا به إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ثم وصلنا به إلى قطعيات الشرع الشريف. وحبُّنا للصحاح وأصحابها وأسانيدها لا يجوز أن يوصلنا إلى التنازل عن قطعيات الشرع والعقل، لأن إبطال الأصل يستلزم إبطال الفرع الذى نحبه، وبالنتيجة خسارة كل شئ!!

احاديث أن الله تعالى يشفع عند نفسه

بمقتضى أحاديثهم فى استحقاق الموحد لدخول الجنة، فلا يحتاج الأمر إلى شفاعة، بل تصير الشفاعة من نصيب المشركين!

ولكن أصحاب هذا الرأى احتاطوا فى أمر أصحابهم فشملوهم بالشفاعة! واختلفت رواياتهم فى من يشفع فيهم! فقال بعضها إن النبى صلى الله عليه وآله هو الذى يشفع فى الموحدين، وقال بعضها إن إسحاق هو شفيع الموحدين، وقد صحح الحاكم روايته على شرط الشيخين، كما سيأتى فى مسألة الذبيح! وقال بعضها إن النبى صلى الله عليه وآله يطلب من الله تعالى أن يعطيه الشفاعة فيهم فلا يعطيه إياها بل يستأثر بها لنفسه، فكأنه تعالى يريد أن يجازيهم هو شخصياً، لانهم شهدوا بتوحيده!!

قال فى كنز العمال:۱/۵۶:

ما زلت أشفع إلى ربى فيشفعنى حتى أقول: شفعنى فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: ليست هذه لك يا محمد! إنما هى لى! أنا وعزتى وحلمى ورحمتى لا ـ أدع فى النار أحداً قال لا ـ إله إلا الله ـع عن أنس. انتهى. وأورده الرازى فى تفسيره: ۱۱ جزء ۲۲/۱۰. وفى كنز

العمال:۱/۶۴ فیقال: لیست هذه لک ولا لاحد، هذا إلیَّ، فلا یبقی أحد قال لا إله إلا الله إلا أخرج منها ـ الدیلمی عن أنس.

طبقات الحنابلهٔ لأبی یعلی:۱/۳۱۲:

قال أحمد بن حنبل: إذا لم یبق لاحد شفاعهٔ قال الله تعالی: أنا أرحم الراحمین، فیدخل کفه فی جهنم فیخرج منها ما لا یحصیه غیره.

وروی البیهقی فی سننه:۱۰/۴۲:

عن معبد بن هلال العنزی قال: أتیت أنس بن مالک (رض) فی رهط من أهل البصرهٔ وسماهم لنا، نسأله عن حدیث الشفاعهٔ، فذکر الحدیث بطوله فی سؤاله وجوابه وخروجهم من عنده ودخولهم عن الحسن بن أبی الحسن البصری، قال الحسن حدثنی کما حدثکم، قال ثم قال یعنی النبی (ص): فأجئ فی الرابعهٔ فأحمد بتلک المحامد ثم أخر له ساجداً فیقال لی یا محمد إرفع رأسک قل یسمع لک وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول یا رب إئذن لی فیمن قال لا إله إلا الله فیقول لیس ذلک إلیک ولکنی وعزتی وکبریائی وعظمتی لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله. رواه البخاری فی الصحیح عن سلیمان بن حرب عن حماد بن زید زاد فیه (وجلالی) ورواه مسلم عن سعید بن منصور وغیره.

ولکن الدیلمی روی فی فردوس الأخبار:۳/۲۷۶ ح ۴۶۹۵:

أن الله تعالی یتنازل ویعطی الشفاعهٔ فیهم لرسوله صلی الله علیه وآله! قال عمرو بن العاص: قلت یا ربی شفعنی فیمن قال لا إله إلا الله، قال: لک ذلک! انتهی.

وقال الثعالبی فی الجواهر الحسان:۱/۳۵۱ فی تفسیر الآیهٔ ۴۰ من سورهٔ النساء:

فیقول الله عز وجل: شفعت الملائکهٔ وشفع النبیون وشفع المؤمنون ولم یبق إلا أرحم الراحمین فیقبض قبضهٔ من النار فیخرج منها قوماً لم یعملوا خیراً قط!

وقال فی:۲/۳۶۰:

وأحادیث الشفاعهٔ قد استفاضت وبلغت حد التواتر من أعظمها شفاعهٔ أرحم الراحمین ففی صحیح مسلم من حدیث أبی سعید الخدری قال: فیقول الله عز وجل: شفعت الملائکهٔ وشفع النبیون وشفع المؤمنون... الخ.

ورواه البغوی فی مصابیح السنهٔ:۳/۵۴۲.

وقد أوردنا روایات هذه (الشفاعهٔ) من مصادر السنیین فی المجلد الثانی فی ادعائهم رؤیهٔ الله تعالی بالعین فی الآخرهٔ! ومعناها أن الله تعالی یتوسط عند نفسه، وهو معنی عامی للشفاعهٔ! والظاهر أن أصلها الحدیث المروی فی مصادرنا عن الإمام محمد الباقر علیه السلام الذی رواه فی بحار الأنوار:۸/۳۶۱ عن حمران قال سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول: إن الکفار والمشرکین یرون أهل التوحید فی النار فیقولون مانری توحیدکم أغنی عنکم شیئاً، وما أنتم ونحن إلا سواء! قال: فیأنف لهم الرب عز وجل فیقول للملائکهٔ: إشفعوا فیشفعون لمن شاء الله، ویقول للمؤمنین مثل ذلک، حتی إذا لم یبق أحدٌ تبلغه الشفاعهٔ، قال تبارک وتعالی: أنا أرحم الراحمین، أخرجوا برحمتی، فیخرجون کما یخرج الفراش، قال: ثم قال أبو جعفر علیه السلام: ثم مدت العُمُد وأعمدت علیهم، وکان والله الخلود. انتهی.

ورواه فی تفسیر نور الثقلین:۵/۵۲۳ عن مجمع البیان عن العیاشیْ.

والمقصود بأهل التوحید الذین تشملهم الشفاعهٔ فی هذه الروایهٔ، المسلمون الذین ارتضی الله دینهم وأماتهم علی التوحید.. فقد ورد عن أهل البیت (علیهم السلام) أن بعض أصحاب المعاصی والانحرافات الکبیرهٔ، یسلب منهم التوحید قبل موتهم، والعیاذ بالله!!

ان الشفاعهٔ تشمل جمیع الخلق

مجموعهٔ الرسائل لابن تیمیهٔ:۱/۱۰:

أجمع المسلمون على أن النبی(ص) یشفع للخلق یوم القیامة بعد أن یسأله الناس ذلک، وبعد أن یأذن الله فی الشفاعة. ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت علیه الصحابة... أنه یشفع لأهل الکبائر ویشفع أیضاً لعموم الخلق... أما الوعیدیة من الخوارج والمعتزلة فزعموا أن شفاعته إنما هی للؤمنین خاصة... ومنهم من أنکر الشفاعة مطلقاً... ومذهب أهل السنة والجماعة أنه یشفع فی أهل الکبائر ولا یخلد أحد فی النار.

ولکن ابن باز لم یأخذ بفتوى إمامه ابن تیمیة فقال فی فتاویه:۴/۳۶۸:

إن المشرک إذا مات على شرکه فهو مخلد فی النار أبد الآباد بإجماع أهل العلم، وذلک مثل الذی یعبد الأصنام أو الأحجار أو الأشجار أو الکواکب... أو یعبد الأموات ومن یسمونهم بالأولیاء، أو یستغیث بهم ویطلب منهم المدد أو العون عند قبورهم، مثل قول بعضهم: یا سیدی فلان المدد المدد، یا سیدی البدوی المدد المدد... أو یا سیدی رسول الله المدد المدد الغوث الغوث، أو یا سیدی الحسین أو یا فاطمة أو یا ست زینب، أو غیر ذلک ممن یدعوه المشرکون... وهذا کله من الشرک الأکبر، فإذا مات علیه صاحبه صار من أهل النار. انتهى.

فإن عجبت فاعجب لإبن تیمیة إمام الوهابیین حیث یحکم بدخول إبلیس وقابیل وفرعون ونمرود الجنة لأنهم من عموم الخلق! ولإمامهم المعاصر ابن باز حیث یحکم بأن ملایین المسلمین الذین یدعون الله تعالى ویطلبون من أولیائه مدداً مما أعطاهم الله تعالى کلهم (مشرکون) مخلدون فی النار أبد الآباد!!

مجمع الزوائد:۱۰/۳۷۹:

وعن أنیس الأنصاری قال: سمعت رسول الله(ص)یقول: إنی لاشفع یوم القیامة فی کل شئ مما على وجه الأرض من حجر ومدر. رواه الطبرانی فی الأوسط، وفیه أحمد بن عمرو صاحب علی بن المدینی ویعرف بالقلوری ولم أعرفه، وبقیة رجاله وثقوا على ضعف فی بعضهم. انتهى. ورواه ابن عبد البر فی الاستیعاب:۱/۱۱۴ والدیلمی فی فردوس الأخبار:۱/۹۳ ح ۱۷۴ عن بریدة الاسلمی وفیه (لاکثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر).

الدر المنثور:۶/۲۸۵:

وأخرج ابن مردویه عن عبدالرحمن بن میمون أن کعباً دخل یوماً على عمر بن الخطاب فقال له عمر: حدثنی إلى ما تنتهی شفاعة محمد یوم القیامة؟! فقال کعب: قد أخبرک الله فی القرآن أن الله یقول (ما سلککم فی سقر إلى قوله الیقین) قال کعب: فیشفع یومئذ حتى یبلغ من لم یصل صلاة قط ویطعم مسکیناً قط ومن لم یؤمن ببعث قط، فإذا بلغت هؤلاء لم یبق أحد فیه خیر!) انتهى.

وإذا أراد کعب بقوله (حتى یبلغ، فإذا بلغت هؤلاء) أن النبی یشفع حتى یبلغ هؤلاء فیشفع لهم أیضاً، فلم یبق أحد فی النار! وإن أراد أنه یبلغهم ویقف عندهم، فمعناه أن کعباً لا یشترط لشمول الشفاعة إلا الإیمان بیوم الدین، وعملاً واحداً من الأعمال المذکورة!

کنز العمال:۱۴/۵۱۱ عن ابن عساکر:

عن أنس أن رسول الله(ص)قال: والذی نفسی بیده! إنی لسید الناس یوم القیامة ولا فخر، وإن بیدی لواء الحمد وإن تحته آدم ومن دونه ولا ـ فخر، ینادی الله یومئذ آدم فیقول: یا آدم، فیقول لبیک رب وسعدیک، فیقول: أخرج من ذریتک بعث النار، فیقول: یا رب وما بعث النار؟ فیقول: من کل ألف تسعمائة وتسعة وتسعین، فیخرج ما لا یعلم عدده إلا الله، فیأتون آدم فیقولون: یا آدم أنت أکرمک الله وخلقک بیده، ونفخ فیک وروحه وأسکنک جنته، وأمر الملائکة فسجدوا لک، فاشفع لذریتک أن لا تحرق الیوم بالنار، فیقول آدم: لیس ذلک إلیِّ الیوم، ولکن سأرشدکم، علیکم بنوح فیأتون نوحاً فیقولون: یا نوح إشفع لذریة آدم فیقول: لیس ذلک إلیَّ الیوم ولکن علیکم بعبد اصطفاه الله بکلامه ورسالته وصنع على عینه وألقى علیه محبة منه موسى وأنا معکم، فیأتون موسى فیقولون: یا موسى أنت عبد اصطفاک الله برسالته وبکلامه وصنعت على عینه وألقى علیک محبة منه إشفع لذریة آدم لا تحرق الیوم بالنار، فیقول: لیس ذلک إلیَّ الیوم علیکم بروح الله وکلمته عیسى فیأتون عیسى فیقولون: یا عیسى أنت روح الله وکلمته إشفع لذریة آدم لا

تحرق اليوم بالنار، فيقول: ليس ذلك إلىَّ اليوم ولكن سأرشدكم عليكم بعبد جعله الله رحمة للعالمين أحمد وأنا معكم، فيأتون أحمد فيقولون: يا أحمد جعلك الله رحمة للعالمين إشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار، فأقول: نعم أنا صاحبها فآتى حتى آخذ بحلقة باب الجنة فيقال: من هذا أحمد؟ فيفتح لى فإذا نظرت إلى الجبار لا إله إلا هو خررت ساجداً، ثم يفتح لى من التحميد والثناء على الرب شيئاً لا يفتح لاحد من الخلق ثم يقال: إرفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار فيقول الرب جل جلاله: إذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال قدر قيراط من إيمان فأخرجوه!

ثم يعودون إلىَّ فيقولون: ذرية آدم لا يحرقون اليوم بالنار فآتى حتى آخذ بحلقة الجنة فيقال: من هذا؟ فأقول أحمد، فيفتح لى فإذا نظرت الجبار لا إله إلا هو خررت ساجداً مثل سجودى أول مرة ومثله معه فيفتح لى من الثناء على الرب والتحميد مثل ما فتح لى أول مرة، فيقال: إرفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار! فيقول الرب: إذهبوا من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه!

ثم آتى حتى أصنع مثل ما صنعت أول مرة فإذا نظرت إلى الجبار عز جلاله خررت ساجداً فأسجد كسجودى أول مرة ومثله معه فيفتح لى من الثناء والتحميد مثل ذلك ثم يقال: إرفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار! فيقول الرب: إذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون ما لا ـ يعلم عدده إلا الله ويبقى أكثر. ثم يؤذن لادم فى الشفاعة فيشفع لعشرة آلاف ألف ثم يؤذن للملائكة والنبيين فيشفعون ثم يؤذن للمؤمنين فيشفعون وإن المؤمن يشفع يومئذ لاكثر من ربيعة ومضر. انتهى.

ومن الواضح أن هذه الرواية تطرح ذرية آدم كلهم موضوعاً للشفاعة، ولكنها (تحتاط) من التصريح بشمول الشفاعة لهم، على عكس الروايات والآراء المتقدمة التى صرحت بشمول الشفاعة لجميع الخلق!

وإذا كان هذا الرأى يحتاج إلى رد، فإن ما تقدم فى أدلة الرأى الموافق لمذهبنا، وما تقدم فى نقد الآراء التوسيعية السابقة كاف لرده.

ان العقاب فى الآخرة ينتهى كليا و أن جهنم تفنى و ينقل أهلها إلى الجنة

وهذه المسألة من مسائل المعاد لا الشفاعة، ولكن بحثناها هنا لذكر الشفاعة فى كثير من رواياتها.

وأول من قال من المسلمين بفناء النار هو الخليفة عمر بن الخطاب، وقد تأثر به عدد من المذاهب الكلامية. ولكن أكثر المتعصبين لعمر لم يأخذوا بقوله هذا، ماعدا ابن تيمية وبعض تلاميذه، كما سترى!

قال السيوطى فى الدر المنثور: ۳/۳۵۰:

وأخرج ابن المنذر عن الحسن عن عمر (رض) قال: لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه. انتهى. ورواه الشوكانى فى فتح القدير:۲/۶۵۸ وغيره، وعالج: منطقة رملية فى بين صحراء نجد والبحرين.

آراء المسلمين فى آيات الخلود و أحاديثه

من عادة الكلاميين والمفسرين عندما يجدون قولاً لصحابى يحبونه مخالفاً لآيات محكمة وأحاديث صريحة، كمسألتنا هذه أنهم يحشدون للقارئ أقوالاً وآراء عديدة متضاربة متناقضة، ويؤيدونها بروايات كثيرة متضاربة أيضاً، وكأن واحدهم متحيرٌ يكتب للناس تحيره ويستغيث بهم! أو كأن هدفه بدل التفسير والتوضيح ترويض ذهن القارئ وتدويخه لكى يقبل التناقض الذى يريد إقناعه به!

وموضوعنا هذاواحدٌ من هذه الموضوعات التى اتبع فيها المفسرون السنيون هذه السياسة.

وتفادياً لذلك نقدم رأى أهل البيت (عليهم السلام) وعلماء مذهبهم فى المسألة وما وافقهم وما خالفهم من الآراء الأخرى، ليعرف الباحث من أين جاء الخلل إلى الرواة السنيين ومصادرهم فى تفسير آيات الله تعالى، وتفسير أقوال النبى صلى الله عليه وآله، فإن

الميزان الشرعى لكل الاراء والأحاديث عند الجميع هو القرآن والمتفق عليه من السنة..ويضاف اليه عندنا ماثبت عن المفسرين الشرعيين للقرآن بعد النبى صلى الله عليه وآله الذين هم عترته بصريح قوله صلى الله عليه وآله (إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) وحديث الثقلين صحيح عند الجميع.

اجمع المسلمون على خلود الكفار فى جهنم

الإعتقادات للصدوق/۵۳:

باب الإعتقاد فى الجنة والنار: قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله: اعتقادنا فى الجنة: أنها دار البقاء ودار السلامة، لا موتٌ فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا زوال ولا زمانة ولا هم ولا غم ولا حاجة ولا فقر. وأنها دار الغنى ودار السعادة، ودار المقامة ودار الكرامة، لا يمس أهلها نصب ولا يمسهم فيها لغوب، لهم فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون. وأنها دارٌ أهلها جيران الله تعالى وأولياؤه وأحباؤه وأهل كرامته.

وهم أنواع على مراتب: منهم المتنعمون بتقديس الله وتسبيحه وتكبيره فى جملة ملائكته، ومنهم المتنعمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والأرائك وحور العين واستخدام الولدان المخلدين والجلوس على النمارق والزرابى ولباس السندس، كلٌّ منهم إنما يتلذذ بما يشتهى ويريد، على حسب ما تعلقت همته، ويعطى ما عبد الله من أجله.

وقال الصادق عليه السلام: إن الناس يعبدون الله على ثلاثة أصناف: فصنف منهم يعبدون شوقاً إلى جنته ورجاء ثوابه، فتلك عبادة الخدام، وصنف منهم يعبدونه خوفاً من ناره، فتلك عبادة العبيد، وصنف منهم يعبدونه حباً له، فتلك عبادة الكرام، وهم الامناء، وذلك قوله عز وجل: وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ.

واعتقادنا فى النار: أنها دار الهوان ودار الإنتقام من أهل الكفر والعصيان، ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك.

الإعتقادات/۸۱:

واعتقادنا فى قتلة الأنبياء (عليهم السلام) وقتلة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) أنهم كفار مشركون مخلدون فى أسفل درك من النار. ومن اعتقد بهم غير ما ذكرناه، فليس عندنا من دين الله فى شئ.

تفسير الإمام العسكرى عليه السلام /۵۷۸:

قال الله تعالى: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ، كان عذابهم سرمداً دائماً، وكانت ذنوبهم كفراً، لا تلحقهم شفاعة نبى ولا وصى، ولا خيِّر من خيار شيعتهم.

التبيان فى تفسير القرآن:۲/۵۲۴:

الخلود فى اللغة هو طول المكث، ولذلك يقال: خلده فى السجن وخلد الكتاب فى الديوان. وقيل للأثافى: خوالد مادامت فى موضعها، فإذا زالت لا تسمى خوالد.

والفرق بين الخلود والدوام: أن الخلود يقتضى (فى) كقولك خلد فى الحبس ولا يقتضى ذلك الدوام، ولذلك جاز وصفه تعالى بالدوام دون الخلود.

إلا أن خلود الكفار المراد به التأبيد بلا خلاف بين الأمة... ومعنى خلودهم فيها استحقاقهم لها دائماً مع ما توجبه من أليم العقاب، فأما من ليس بكافر من فساق أهل الصلاة فلا يتوجه إليه الوعيد بالخلود، لأنه لا يستحق إلا عقاباً منقطعاً به، مع ثبوت استحقاقه للثواب الدائم، لأنه لو كان كذلك لأدى إلى اجتماع استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم لشخص واحد. والإجماع بخلافه.

الطهارة للشيخ الأنصارى/۳۸۸:

ومن ذلك يعلم الجواب عما دل من الأخبار على عدم قبول توبته، مثل قوله عليه السلام: من رغب عن الإسلام وكفر بما أنزل على

محمد صلى الله عليه وآله فلا توبة له وقد وجبت عليه وبانت منه امرأته، ويقسم ما ترك على ولده. هذا مع أن عدم قبول التوبة لا ينافى الإسلام، ودعوى المنافاة من جهة أن عدم القبول مستلزم للخلود فى النار وهو ينافى الإسلام، مدفوع بأنه لا إجماع على خلود الكافر فى النار مطلقاً حتى مثل هذا بعد التوبة.

هذا مضافاً إلى معارضتها مع عمومات قبول التوبة، حيث أن ظاهرها القبول فيما يتعلق بأمر الآخرة من العقاب، فتدل بظاهرها على أن المرتد تقبل توبته ولا يخلد فى النار بعد التوبة، بل يدخل الجنة فيكون مسلماً، للإجماع على خلود الكافر فى النار.

فكما يمكن تقييد هذه بغير المرتد الفطرى كذلك يمكن تقييد مثل الرواية والأخبار المستفيضة بعدم قبول التوبة فى دفع ما يحكم عليه بحدث الكفر من مفارقة المال والزوجةوالحياة. وبعد التعارض يجب الرجوع إلى الأصل.

هذا مضافاً إلى قول الباقر عليه السلام المروى فى باب إعادة الحج: من كان مؤمناً فحج وعمل فى إيمانه خيراً ثم أصابته فتنة فكفر ثم تاب وآمن؟ قال: يحسب له كل عمل صالح عمله فى إيمانه ولا يبطل منه شئ.

هذا كله مع أن لنا أن نكتفى بالأصل، ونستدل على طهارته بما دل على طهارة المسلمين.

الروايات التى توافق هذا الرأى عند إخواننا السنيين

صحيح البخارى:٧/٢٠٣:

عن أنس (رض) قال قال رسول الله (ص): يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا؟ فيأتون آدم فيقولون أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته ويقول: إئتوا نوحاً أول رسول بعثه الله فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، إئتوا إبراهيم الذى اتخذه الله خليلاً، فيأتونه فيقول:لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا موسى الذى كلمه الله فيأتونه فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته، إئتوا عيسى فيأتونه فيقول: لست هناكم، إئتوا محمداً فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتونى فأستأذن على ربى فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعنى ما شاء الله ثم يقال: إرفع رأسك، سل تعطه، قل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنى ثم أشفع فيحد لى حداً، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً مثله فى الثالثة أو الرابعة حتى ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن. وكان قتادة يقول عند هذا: أى وجب عليه الخلود. انتهى.

وقد روت مصادر السنيين عبارة (إلا من حبسه القرآن) وفسرتها رواياتهم ومفسروهم بالتأبيد..

وممن رواها البخارى فى:٨/١٨٣ كما تقدم

ورواها أيضاً فى:٥/١٤٧ وفيه (إلا ـ من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود. ثم قال البخارى: إلا ـ من حبسه القرآن يعنى قول الله تعالى: خَالِدِينَ فِيهَا).

وقال فى:٧/٢٠٣ (إلا من حبسه القرآن، وكان قتادة يقول عند هذا: أى وجب عليه الخلود).ورواها فى:٨ من/١٧٣ (إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود).

وفى:٨/١٨٤: إلا من حبسه القرآن، أى وجب عليه الخلود. انتهى.

ورواها مسلم فى:١/١٢٤ وص ١٢٥ وأحمد:٣/١١٦ وص ٢٤٤ مثل رواية البخارى الاخيرة.ورواها ابن ماجة:٢/١٤٤٣، وكنز العمال:١٤/٣٩٧ عن أحمد والبيهقى والترمذى وغيرهم.

سنن الترمذى:٤/٩٥:

باب ما جاء فى خلود أهل الجنة وأهل النار: عن أبى هريرة أن رسول الله (ص)قال: يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول ألا يتبع كل إنسان ما كانوا يعبدون...

فإذا أدخل الله تعالی أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتی بالموت ملبباً فیوقف علی السور الذی بین أهل الجنة وأهل النار، ثم یقال: یا أهل الجنة فیطلعون خائفین ثم یقال: یا أهل النار فیطلعون مستبشرین یرجون الشفاعة، فیقال لأهل الجنة ولاهل النار: هل تعرفون هذا؟ فیقولون هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه هو الموت الذی وکل بنا، فیضجع فیذبح ذبحاً علی السور، ثم یقال: یا أهل الجنة خلود لا موت، ویا أهل النار خلود لا موت. هذا حدیث حسن صحیح. ورواه أحمد فی:۲/۳۶۸.

مستدرک الحاکم:۴/۴۹۶:

فإذا أراد الله عز وجل أن لا یخرج منها أحد غیر وجوههم وألوانهم، قال فیجی الرجل فینظر ولا یعرف أحداً فینادیه الرجل فیقول: یا فلان أنا فلان، فیقول: ما أعرفک، فعند ذلک یقول: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، فیقول عند ذلک: إخسؤوا فیها ولا تکلمون، فإذا قال ذلک أطبقت علیهم فلا یخرج منهم بشر. هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه.

الدر المنثور:۱/۱۶۶:

وأخرج ابن أبی حاتم عن عکرمة فی قوله: وما هم بخارجین من النار قال: أولئک أهلها الذین هم أهلها.

وأخرج ابن أبی حاتم من طریق الأوزاعی قال سمعت ثابت بن معبد قال: ما زال أهل النار یأملون الخروج منها حتی نزلت: وما هم بخارجین من النار.

الدر المنثور:۲/۱۶۳:

وأخرج ابن أبی حاتم عن سعید بن جبیر فی قوله: وإن تک حسنة، وزن ذرة زادت علی سیآته یضاعفها، فأما المشرک فیخفف به عنه العذاب ولا یخرج من النار أبداً.

الدر المنثور:۶/۲۵۷:

وأخرج ابن أبی شیبة وعبد بن حمید وابن أبی حاتم والطبرانی والحاکم وصححه والبیهقی فی البعث والنشور عن ابن مسعود أنه ذکر عنده الدجال فقال: یفترق ثلاث فرق فرقة تتبعه، وفرقة تلحق بأرض آبائها منابت الشیح، وفرقة تأخذ شط الفرات فیقاتلهم ویقاتلونه حتی یجتمع المؤمنون بقری الشام... وما یترک فیها أحداً فیه خیر، فإذا أراد الله أن لا یخرج منها أحداً غیر وجوههم وألوانهم، فیجی الرجل من المؤمنین فیشفع فیقال له من عرف أحداً فیخرجه فیجی الرجل فینظر فلا یعرف أحداً فیقول الرجل للرجل یا فلان أنا فلان فیقول ما أعرفک فیقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، فیقول إخسؤوا فیها ولا تکلمون، فإذا قال ذلک أطبقت علیهم فلم یخرج منهم بشر.

مجمع الزوائد:۱۰/۳۹۵:

باب الخلود لأهل النار فی النار وأهل الإیمان فی الجنة. عن أنس قال قال رسول الله (ص): یؤتی بالموت یوم القیامة کأنه کبش أملح فیوقف بین الجنة والنار ثم ینادی مناد: یا أهل الجنة فیقولون لبیک ربنا، قال فیقال: هل تعرفون هذا؟ فیقولون نعم ربنا هذا الموت، فیذبح کما یذبح الکبش، فیأمن هؤلاء وینقطع رجاء هؤلاء. رواه أبو یعلی والطبرانی فی الأوسط بنحوه والبزار ورجالهم رجال الصحیح غیر نافع بن خالد الطاحی وهو ثقة.

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله(ص)بعثه إلی الیمن فلما قدم علیه قال: یا أیها الناس إنی رسول رسول الله(ص)إلیکم یخبرکم أن المرد إلی الله، وإلی جنة أو نار، خلود بلا موت، وإقامة بلا ظعن.

الدر المنثور:۳/۳۵۰:

وأخرج البیهقی فی البعث والنشور عن ابن عباس فی قوله: إلا ـ ما شاء ربک، قال فقد شاء ربک أن یخلد هؤلاء فی النار، وأن یخلد هؤلاء فی الجنة.

وأخرج أبو الشیخ عن السدی فی قوله: فَأَمَّا الَّذِینَ شَقُوا... الآیة، قال: فجاء بعد ذلک من مشیئة الله فنسخها فأنزل الله بالمدینة: إِنَّ الَّذِینَ

كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا.. إلى آخر الآية، فذهب الرجاء لأهل النار أن يخرجوا منها وأوجب لهم خلود الابد. وقوله وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا.. الآية قال: فجاء بعد ذلك من مشيئة الله ما نسخها فأنزل بالمدينة: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ..إلى قوله ظلًا ظليلًا، فأوجب لهم خلود الأبد.

الأحكام فى الحلال والحرام:۱/۳۵:

وأن من دخل الجنة أو النار من الأبرار والفجار فإنه غير خارج من أيهما، صار إليها وحل بفعله فيها أبد الأبد، لا ما يقول الجاهلون من خروج المعذبين من العذاب المهين إلى دار المتقين ومحل المؤمنين، وفى ذلك ما يقول رب العالمين: خالدين فيها أبداً، ويقول عز وجل: يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ. ففى كل ذلك يخبر أن كل من دخل النار فهو مقيم فيها، غير خارج منها من بعد مصيره إليها، فنعوذ بالله من الجهل والعمى.

سبب خلود أهل النار فيه

الكافى:۲/۸۵:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقرى، عن أحمد بن يونس، عن أبى هاشم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنما خلد أهل النار فى النار، لأن نياتهم كانت فى الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خلد أهل الجنة فى الجنة لأن نياتهم كانت فى الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ، قال على نيته. ورواه الصدوق فى الهداية/۱۲ وفى علل الشرائع:۲/۵۲۳ والعياشئ فى تفسيره:۲/۳۱۶ والبرقى فى المحاسن:۲/۳۶.

آيات الخلود فى الجنة والنار

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَآ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۳۹.

بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۸۱-۸۲.

خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ. البقرة-۱۶۲.

وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۲۱۷.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ البقرة: ۲۵۷.

الَّذِينَ يَاكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إلى اللَّهِ وَ مَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۲۷۵.

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ إلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. آل عمران: ۸۷ ـ ۸۹.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. آل عمران-۱۱۶.

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَ لَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ. النساء: ۱۴.

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا. النساء: ۹۳.

قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إلا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. الأنعام: ۱۲۸.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. الأعراف: ۳۶.

أولَئِکَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَ فِی النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ. التوبة: ۱۷.

أَلَمْ یَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ یُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِیهَا ذَلِکَ الْخِزْیُ الْعَظِیمُ. التوبة: ۶۳.

وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِینَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْکُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا هِیَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِیمٌ. التوبة: ۶۸.

وَالَّذِینَ کَسَبُوا السَّیِّئَاتِ جَزَاءُ سَیِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ کَأَنَّمَا أُغْشِیَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّیْلِ مُظْلِمًا أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. یونس: ۲۷.

ثُمَّ قِیلَ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا بِمَا کُنْتُمْ تَکْسِبُونَ. وَیَسْتَنْبِئُونَکَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِی وَ رَبِّی إِنَّهُ لَحَقٌّ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ. یونس: ۵۲ ـ ۵۳.

فَأَمَّا الَّذِینَ شَقُوا فَفِی النَّارِ لَهُمْ فِیهَا زَفِیرٌ وَ شَهِیقٌ. خَالِدِینَ فِیهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّکَ إِنَّ رَبَّکَ فَعَّالٌ لِمَا یُرِیدُ. وَأَمَّا الَّذِینَ سُعِدُوا فَفِی الْجَنَّةِ خَالِدِینَ فِیهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّکَ عَطَاءً غَیْرَ مَجْذُوذٍ. هود: ۱۰۶ ـ ۱۰۸

أُولَئِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِکَ الْأَغْلالُ فِی أَعْنَاقِهِمْ وَ أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. الرعد: ۵.

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ. النحل–۲۹.

مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ یَحْمِلُ یَوْمَ الْقِیَامَةِ وِزْرًا. خَالِدِینَ فِیهِ وَ سَاءَ لَهُمْ یَوْمَ الْقِیَامَةِ حِمْلا. طه: ۱۰۰ ـ ۱۰۱.

إِنَّکُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ، لَوْ کَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَ کُلٌّ فِیهَا خَالِدُونَ. الأنبیاء: ۹۸ ـ ۹۹.

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِینُهُ فَأُولَئِکَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِی جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَ هُمْ فِیهَا کَالِحُونَ. أَلَمْ تَکُنْ آیَاتِی تُتْلَی عَلَیْکُمْ فَکُنْتُمْ بِهَا تُکَذِّبُونَ. المؤمنون: ۱۰۳ ـ ۱۰۵.

وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. السجدة: ۱۴.

خَالِدِینَ فِیهَا أَبَدًا لا یَجِدُونَ وَلِیًّا وَلا نَصِیرًا. الأحزاب: ۶۵.

قِیلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ. الزمر: ۷۲.

قِیلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ. غافر: ۷۶

ذَلِکَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِیهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا کَانُوا بِآیَاتِنَا یَجْحَدُونَ. فصلت: ۲۸

إِنَّ الْمُجْرِمِینَ فِی عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. لا یُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِیهِ مُبْلِسُونَ. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَکِنْ کَانُوا هُمُ الظَّالِمِینَ وَنَادَوْا یَا مَالِکُ لِیَقْضِ عَلَیْنَا رَبُّکَ قَالَ إِنَّکُمْ مَاکِثُونَ. الزخرف: ۷۴ ـ ۷۷

وَلَهُمْ فِیهَا مِنْ کُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ کَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِی النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِیمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ. محمد: ۱۵

لَنْ تُغْنِیَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَیْئًا أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. المجادلة: ۱۷

فَکَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِی النَّارِ خَالِدَیْنِ فِیهَا وَ ذَلِکَ جَزَاءُ الظَّالِمِینَ. الحشر: ۱۷

وَالَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیَاتِنَا أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِینَ فِیهَا وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ. التغابن ـ ۱۰

وَمَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا أَبَدًا. الجن: ۲۳

إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتَابِ وَ الْمُشْرِکِینَ فِی نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا أُولَئِکَ هُمْ شَرُّ الْبَرِیَّةِ. البینة: ۶

إِنَّ فِی ذَلِکَ لآیَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الأخِرَةِ ذَلِکَ یَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِکَ یَوْمٌ مَشْهُودٌ. وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ. یَوْمَ یَأْتِ لا تَکَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِیٌّ وَسَعِیدٌ. فَأَمَّا الَّذِینَ شَقُوا فَفِی النَّارِ لَهُمْ فِیهَا زَفِیرٌ وَشَهِیقٌ خَالِدِینَ فِیهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّکَ إِنَّ رَبَّکَ فَعَّالٌ لِمَا یُرِیدُ. وَأَمَّا الَّذِینَ سُعِدُوا فَفِی الْجَنَّةِ خَالِدِینَ فِیهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّکَ عَطَاءً غَیْرَ مَجْذُوذٍ. هود: ۱۰۳ ـ ۱۰۸

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ یَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا یُحِبُّونَهُمْ کَحُبِّ اللهِ وَالَّذِینَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ وَ لَوْ یَرَی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِذْ یَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ

لِلهِ جَمِیعًا وَ أَنَّ اللهَ شَدِیدُ الْعَذَاب. إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِینَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِینَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِینَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا کَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ کَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا کَذَلِکَ یُرِیهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَیْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِینَ مِنَ النَّارِ.البقرة: ۱۶۵-۱۶۷.

إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِی الْأَرْضِ جَمِیعًا وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِیَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ یَوْمِ الْقِیَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِیمٌ. یُرِیدُونَ أَنْ یَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِینَ مِنْهَا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُقِیمٌ. المائدة: ۳۶ ـ ۳۷

عدم خلود الموحدین فی النار فی مصادرن

تقدم رأی أهل البیت (علیهم السلام) فی شمول الشفاعة للمسلمین بشروط، وأوردنا فیه حدیث ابن أبی عمیر عن الإمام الکاظم علیه السلام من توحید الصدوق/۴۰۷ وفیه (لا یخلد الله فی النار إلا أهل الکفر والجحود والضلال والشرک...) انتهی. ورواه المجلسی فی بحار الأنوار:۸/۳۵۱ ووصف الشیخ الأنصاری فی مکاسبه/۳۳۵ روایته بأنها حسنة.

بحار الأنوار:۸/۳۶۱:

عیون أخبار الرضا: فیما کتب الرضا علیه السلام للمأمون من محض الإسلام: إن الله لا یدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة، ولا یخرج من النار کافراً وقد أوعده النار والخلود فیها، ومذنبو أهل التوحید یدخلون النار ویخرجون منها، والشفاعة جائزة لهم.

بحار الأنوار:۸/۳۶۶:

قال العلامة رحمه الله فی شرحه علی التجرید: أجمع المسلمون کافة علی أن عذاب الکافر مؤبد لا ینقطع، واختلفوا فی أصحاب الکبائر من المسلمین، فالوعیدیة علی أنه کذلک، وذهبت الإمامیة وطائفة کثیرة من المعتزلة والأشاعرة إلی أن عذابه منقطع، والحق أن عقابهم منقطع لوجهین:

الأول: أنه یستحق الثواب بإیمانه لقوله تعالی: فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَیْرًا یَرَهُ، والإیمان أعظم أفعال الخیر، فإذا استحق العقاب بالمعصیة فإما یقدم الثواب علی العقاب وهو باطل بالإجماع، لأن الثواب المستحق بالإیمان دائم علی ما تقدم، أو بالعکس وهو المراد، والجمع محال.

الثانی: یلزم أن یکون من عبَد الله تعالی مدة عمره بأنواع القربات إلیه، ثم عصی فی آخر عمره معصیة واحدة مع بقاء إیمانه، مخلداً فی النار، کمن أشرک بالله مدة عمره! وذلک محال لقبحه عند العقلاء.

الکافی للحلبی/۴۸۱:

إن قیل: فإذا کان الوعید ثابتاً بکل معصیة ومن جملته صریح الخلود والتأبید، کیف یتم لکم ما تذهبون الیه من انقطاع عقاب بعض العصاة؟.

قیل: ثبوت الوعید علی کل معصیة لا ینافی قولنا فی عصاة أهل القبلة، لأنا نقول بموجبه، وإنما نمنع من دوامه لغیر الکفار، وثبوته منقطعاً یجوز سقوطه بأحد ما ذکرناه، ولا یمنع منه إجماع ولا ظاهر قرآن، من حیث کان الإجماع حاصلاً باستحقاق العقاب دون دوامه... وإنما یعلم به دوام عقاب الکفر.

الکافی للحلبی/۴۹۲:

وأهل النار من الأولین والآخرین ضربان: کفار مخلدون وإن زاد عقاب بعض علی بعض بحسب کفره، وفساق مقطوع علی خروجهم من النار بعفو مبتدأ، أو عند شفاعة، أو انتهاء عقابهم إلی غایة مستحقه، وحالهم فی مراتب التعذیب بحسب عصیانهم. ولا یجوز أن یبلغ عقابهم فی العظم عقاب الکفار، لإقتران ما استحقوا به العقاب من المعصیة بالمعرفة بالمعصی تعالی والخوف منه والرجاء لفضله، وتسویف التوبة، وانتفاء ذلک أجمع عن عصیان الکفار. ولا سبیل إلی العلم بمقدار إقامتهم فیها.

عدم خلود الموحدین فی النار فی مصادر السنیین

صحیح البخاری:۱/۱۹۵:

عن أبی هریرة: أن الناس قالوا یا رسول الله هل نری ربنا یوم القیامة؟ قال: هل تمارون فی القمر لیلة البدر لیس دونه سحاب؟ قالوا لا، یا رسول الله. قال: فهل تمارون فی الشمس لیس دونها سحاب؟ قالوا لا، قال: فإنکم ترونه کذلک. یحشر الناس یوم القیامة فیقول: من کان یعبد شیئاً فلیتبع، فمنهم من یتبع الشمس، ومنهم من یتبع القمر، ومنهم من یتبع الطواغیت. وتبقی هذه الأمة فیها منافقوها فیأتیهم الله عز وجل فیقول أنا ربکم! فیقولون: هذا مکاننا حتی یأتینا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فیأتیهم الله فیقول أنا ربکم، فیقولون: أنت ربنا! فیدعوهم فیضرب الصراط بین ظهرانی جهنم، فأکون أول من یجوز من الرسل بأمته، ولا یتکلم یومئذ أحد إلا الرسل، وکلام الرسل یومئذ: اللهم سلم سلم، وفی جهنم کلالیب مثل شوک السعدان، هل رأیتم شوک السعدان؟ قالوا نعم، قال: فإنها مثل شوک السعدان غیر أنه لا ـ یعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من یوبق بعمله ومنهم من یخردل ثم ینجو، حتی إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائکة أن یخرجوا من کان یعبد الله فیخرجونهم ویعرفونهم بآثار السجود وحرم الله علی النار أن تأکل أثر السجود، فیخرجون من النار، فکل ابن آدم تأکله النار إلا أثر السجود، فیخرجون من النار قد امتحشوا، فیصب علیهم ماء الحیاة فینبتون کما تنبت الحبة فی حمیل السیل... ورواه البخاری أیضاً فی:۷/۲۰۵.

صحیح البخاری:۱/۱۶:

عن أنس عن النبی(ص)قال: یخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفی قلبه وزن شعیرة من خیر، ویخرج من النار من قال لا إله الا الله وفی قلبه وزن برة من خیر، ویخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفی قلبه وزن ذرة من خیر، قال أبو عبد الله قال أبان، حدثنا قتادة، حدثنا أنس عن النبی (ص): من إیمان، مکان خیر.

صحیح البخاری:۷/۲۰۲:

عن جابر (رض) أن النبی(ص)قال: یخرج من النار بالشفاعة کأنهم الثعاریر! قلت: ما الثعاریر؟ قال الضغابیس! وکان قد سقط فمه فقلت لعمرو بن دینار: أبا محمد سمعت جابر بن عبد الله یقول: سمعت النبی(ص)یقول: یخرج بالشفاعة من النار؟ قال: نعم.

حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالک عن النبی (ص) قال: یخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سفع فیدخلون الجنة فیسمیهم أهل الجنة الجهنمیین...

عن أبی سعید الخدری (رض) أن النبی(ص)قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار یقول الله: من کان فی قلبه مثقال حبة من خردل من إیمان فأخرجوه، فیخرجون قد امتحشوا وعادوا حمماً، فیلقون فی نهر الحیاة فینبتون کما تنبت الحبة فی حمیل السیل، أو قال حمیة السیل، وقال النبی (ص): ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتویة.

وفی/۲۰۳:

عمران بن حصین (رض) عن النبی(ص)قال: یخرج قوم من النار بشفاعة محمد(ص)فیدخلون الجنة، یسمون الجهنمیین.

سنن النسائی:۲/۲۲۹:

عن الزهری، عن عطاء بن یزید قال: کنت جالساً إلی أبی هریرة وأبی سعید فحدث أحدهما حدیث الشفاعة والآخر منصت، قال: فتأتی الملائکة فتشفع وتشفع الرسل، وذکر الصراط، قال قال رسول الله (ص): فأکون أول من یجیز، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بین خلقه، وأخرج من النار من یرید أن یخرج أمر الله الملائکة والرسل أن تشفع، فیعرفون بعلاماتهم أن النار تأکل کل شئ من ابن آدم إلا موضع السجود، فیصب علیهم من ماء الجنة فینبتون کما تنبت الحبة فی حمیل السیل.

الدر المنثور:۳/۳۴۹:

أما قوله فمنهم شقی وسعید، فهم قوم من أهل الکبائر من أهل هذه القبلة یعذبهم الله بالنار ما شاء بذنوبهم، ثم یأذن فی الشفاعة لهم،

فيشفع لهم المؤمنون فيخرجهم من النار فيدخلهم الجنة، فسماهم أشقياء حين عذبهم فى النار. فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك، حين أذن فى الشفاعة لهم وأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، وهم هم. وأما الذين سعدوا يعنى بعد الشقاء الذى كانوا فيه، ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك، يعنى الذين كانوا فى النار.

الدر المنثور:٢/٢٨٠:

قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ) الايتين: أخرج مسلم وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله(ص)قال: يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة، قال يزيد بن الفقير: فقلت لجابر بن عبد الله: يقول الله يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها؟ قال: أتل أول الآية: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ألا إنهم الذين كفروا.

وأخرج البخارى فى الأدب المفرد وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن طلق بن حبيب قال: كنت من أشد الناس تكذيباً للشفاعة، حتى لقيت جابر بن عبدالله فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل النار، قال: يا طلق أتراك أقرأ لكتاب الله وأعلم لسنة رسول الله(ص)منى؟! إن الذين قرأت هم أهلها هم المشركون، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوباً ثم خرجوا منها، ثم أهوى بيده إلى أذنيه فقال: صمَّتا إن لم أكن سمعت رسول الله(ص)يقول: يخرجون من النار بعد ما دخلوا، ونحن نقرأ كما قرأت.

وأخرج ابن جرير عن عكرمة أن نافع بن الازرق قال لابن عباس: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا؟ فقال ابن عباس: ويحك إقرأ ما فوقها، هذه للكفار.

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: إن الله إذا فرغ من القضاء بين خلقه أخرج كتاباً من تحت عرشه فيه: رحمتى سبقت غضبى وأنا أرحم الراحمين قال فيخرج من النار مثل أهل الجنة، أو قال مثلى أهل الجنة، مكتوب هاهنا منهم، وأشار إلى نحره عتقاء الله تعالى.

فقال رجل لعكرمة: يا أبا عبدالله فإن الله يقول: يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا؟ قال: ويلك أولئك هم أهلها الذين هم أهلها.

الدر المنثور:٢/١١١:

ابن جرير والحاكم عن عمرو بن دينار قال: قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة فانتهيت إليه أنا وعطاء فقلت: وما هم بخارجين من النار؟ قال: أخبرنى رسول الله(ص)أنهم الكفار، قلت لجابر فقوله: إنك من تدخل النار فقد أخزيته؟ قال وما أخزاه حين أحرقه بالنار؟! وإن دون ذلك خزياً.

الدر المنثور:٤/٩٣:

وأخرج ابن أبى حاتم وابن شاهين فى السنة عن على بن أبى طالب (رض) قال قال رسول الله (ص): إن أصحاب الكبائر من موحدى الأمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا ـ تائبين، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم، ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل، ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران، حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد... الخ. وقد تقدم ذلك فى روايات الرأى الثانى القائل بأن التوحيد وحده كاف لدخول الجنة، وأن الموحدين كلهم يخرجون من جهنم ويدخلون الجنة، ويسمون الجهنميين، ويلاحظ كثرة روايات الجهنميين فى مصادر السنيين.

الإمام الصادق للشيخ محمد أبى زهرة/٢٢٧:

اتفقت الإمامية على أن من عذب بذنبه من أهل الإقرار والمعرفة لم يخلد فى العذاب... وإن هذا الرأى... يتفق مع رأى الجمهور... وقد نسبه إليه (الإمام جعفر الصادق عليه السلام) أبو جعفر القمى...

شرح مسلم للنووى:١/٦٩:

لا یخلد فی النار أحد مات علی التوحید، وهذه قاعدة متفق علیها عند أهل السنة.

روایات فی الصحاح تقول بخلود الموحدین فی النار

ولکن توجد فی مصادر السنیین أحادیث تعارض الإجماع المذکور والأحادیث المتقدمة، وتنص علی خلود بعض الأصناف من أهل القبلة فی جهنم!

کالذی رواه النسائی فی:۴/۶۶:

عن أبی هریرة، عن النبی(ص)قال: من تردی من جبل فقتل نفسه فهو فی نار جهنم یتردی خالداً مخلداً فیها أبداً. ومن تحسَّی سماً فقتل نفسه فسمه فی یده یتحساه فی نار جهنم خالداً مخلداً فیها أبداً. ومن قتل نفسه بحدیدة... کانت حدیدته فی یده یجأ بها فی بطنه فی نار جهنم خالداً مخلداً فیها أبداً. ورواه أحمد فی:۲/۲۵۴ وبعضه أبو داود فی:۲/۲۲۲.

وکالذی رواه الدارمی فی:۲/۲۶۶:

عن أبی أمامة أن رسول الله(ص)قال: من اقتطع حق امرئ مسلم بیمینه فقد أوجب الله له النار، وحرم علیه الجنة. فقال له رجل: وإن کان شیئاً یسیراً یا رسول الله! قال: وإن قضیبا من أراک!!

والذی رواه ابن ماجة فی:۲/۸۷۶ ح ۲۶۲۳:

عن أبی شریح الخزاعی قال: قال رسول الله (ص): من أصیب بدم أو خبل (والخبل الجرح) فهو بالخیار بین إحدی ثلاث، فإن أراد الرابعة فخذوا علی یدیه: أن یقتل، أو یعفو، أو یأخذ الدیة. فمن فعل شیئاً من ذلک فعاد، فإن له نار جهنم خالداً مخلداً فیها أبداً. انتهی.

والذی رواه الطبرانی فی المعجم الکبیر:۱۲/۸:

عن ابن عباس: ومن یقتل مؤمناً متعمداً قال: لیس لقاتل توبة ما نسختها آیة!

وقال النیسابوری فی الوسیط:۲/۹۶: وقوله: فجزاؤه جهنم خالداً فیها..إلی آخر الآیة، وعیدٌ شدیدٌ لمن قتل مؤمناً متعمداً حرم الله قتله وحظر سفک دمه، وقد وردت فی قتل المؤمن أخبار شداد، فإن ابن عباس سأله رجل فقال: رجل قتل مؤمناً متعمداً؟ فقال ابن عباس: جزاؤه جهنم خالداً فیها، قال: فإن تاب وآمن وعمل صالحاً؟ فقال ابن عباس: وأَنَّی له التوبة، وقد سمعت نبیکم یقول: ویحٌ له قاتل المؤمن...

عن القاسم بن أبی بزة أنه سأل سعیداً: هل لمن قتل مؤمناً توبة؟ فقال لا... وعن حمید عن أنس عن النبی قال: إن الله أبی أن یجعل لقاتل المؤمن توبة... وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله: والذی نفسی بیده لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنیا...

ومذهب أهل السنة: أن قاتل المؤمن عمداً له توبة، عن عطاء عن ابن عباس أن رجلاً سأله: ألقاتل المؤمن توبة؟ فقلت لک توبة، لکی لا یلقی بیده إلی التهلکة. انتهی.

ولکن هذه الروایة التی استندوا علیها عن ابن عباس تؤکد عدم قبول توبته، ولا تدل علیها! فلا بد لهم من طرح روایات خلود قاتل المسلم فی النار وأمثالها، والقول بأن روایاته تشدیدٌ من الرواة لتخویف القاتل فی مجتمع کان یستسهل القتل!

وقد حاول النووی تأویلها فقال فی شرح مسلم:۹ جزء ۱۷/۸۳:

وأما قوله تعالی: وَمَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِیهَا، فالصواب فی معناها أن جزاؤه جهنم، وقد یجازی به وقد یجازی بغیره، وقد لا یجازی بل یعفی عنه، فإن قتل عمداً مستحلاً له بغیر حق ولا تأویل فهو کافر مرتد، یخلد به فی جهنم بالإجماع... ثم أخبر أنه لا یخلد من مات موحداً فیها، فلا یخلد هذا ولکن قد یعفی عنه فلا یدخل النار أصلاً... انتهی.

وقد تضمنت محاولة النووی عدة وجوه ضعیفة، أقواها: القول بأن القاتل عمداً یخرج بقتله عن التوحید فیجری علیه حکم المشرک فی

الآخرة.

ونحن نعتقد بصحة الأحاديث التى تقول إن بعض الأعمال توجب سلب التوحيد من صاحبها قبل الموت، فلا يموت على التوحيد كما سيأتى، ولكن ذلك يحتاج فى موردنا إلى دليل.

ما دل من مصادرنا لى أن الدار الآخرة لا موت فيه

بحار الأنوار:۸/۳۴۹:

الكافى: على، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وساق الحديث فى مراتب خلق الأشياء يغلب كل واحد منها الآخر حيث بغى وفخر، إلى أن قال: ثم إن الإنسان طغى وقال: من أشد منى قوة؟ فخلق الله له الموت وقهره وذل الإنسان، ثم إن الموت فخر فى نفسه، فقال الله عز وجل لا ـ تفخر فإنى ذابحك بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار، ثم لا أحييك أبداً فترجى أو تخاف.. الحديث.

تذنيب: إعلم أن خلود أهل الجنة فى الجنة مما أجمع عليه المسلمون، وكذا خلود الكفار فى النار ودوام تعذيبهم، قال شارح المقاصد: أجمع المسلمون على خلود أهل الجنة فى الجنة وخلود الكفار فى النار.

فإن قيل: القوى الجسمانية متناهية، فلا يعقل خلود الحياة، وأيضاً الرطوبة التى هى مادة الحياة تفنى بالحرارة سيما حرارة نار جهنم، فيفضى إلى الفناء ضرورة، وأيضاً دوام الإحراق مع بقاء الحياة خروج عن قضية العقل!

قلنا: هذه قواعد فلسفة غير مسلمة عند المليين، ولا صحيحة عند القائلين بإسناد الحوادث إلى القادر المختار، على تقدير تناهى القوى وزوال الحياة، لجواز أن يخلق الله البدل فيدوم الثواب والعقاب، قال الله تعالى: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ.

تفسير القمى: ۲/۵۰:

وقال على بن إبراهيم فى قوله: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ.، فإنه حدثنى أبى، عن الحسن بن محبوب، عن أبى ولاد الحناط، عن أبى عبد الله عليه السلام قال سئل عن قوله: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ؟ قال: ينادى مناد من عند الله، وذلك بعد ما صار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار: يا أهل الجنة ويا أهل النار هل تعرفون الموت فى صورة من الصور؟ فيقولون لا، فيؤتى بالموت فى صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، ثم ينادون جميعاً: أشرفوا وانظروا إلى الموت فيشرفون، ثم يأمر الله به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت أبداً، ويا أهل النار خلود فلا موت أبداً. وهو قوله: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ. أى قضى على أهل الجنة بالخلود، وعلى أهل النار بالخلود فيها.

ما دل من مصادر السنيين على أن الدار الآخرة لا موت فيه

صحيح البخارى: ۷/۲۰۰:

عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة لا ـ موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم. ورواه أحمد فى: ۲/۱۱۸ وص ۱۲۰ وص ۱۲۱.

وفى مسند أحمد: ۲/۱۳۰:

عن عبد الله بن عمر قال: إن رسول الله(ص)قال: يدخل أهل الجنة الجنة، قال أبى وحدثناه سعد قال: يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار، لا موت، كل خالد فيما هو فيه. ورواه الترمذى فى: ۴/۹۵.

وفى الدر المنثور:۴/۲۷۲:

وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود (رض) فى قوله: وأنـذرهم يوم الحسرة إذ قضـى الأمر، قـال: إذا دخل أهل الجنة الجنـة وأهل النار النار يأتى الموت فى صورة كبش أملح حتى يوقف بين الجنـة والنار، ثم ينادى منادى أهل الجنـة: هذا الموت الذى كان يميت الناس فى الدنيا، ولا يبقى أحد فى عليين ولا فى أسفل درجة من الجنة إلا نظر إليه، ثم ينادى يا أهل النار هذا الموت الذى كان يميت الذى فى الدنيا، فلا يبقى أحد فى ضحضاح من النار ولا فى أسفل درك من جهنم إلا نظر إليه، ثم يذبح بين الجنة والنار، ثم ينادى يا أهل الجنـة هو الخلود أبد الآبدين، ويا أهل النار هو الخلود أبد الآبدين، فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتاً من فرحة مـاتوا، ويشـهق أهـل النار شـهقة لو كان أحـد ميتاً من شـهقة ماتوا، فـذلك قوله: وأنـذرهم يوم الحسـرة إذ قضـى الأمر، يقول إذا ذبح الموت.

وقال الرازى فى تفسيره:۱۳ جزء ۲۶/۱۳۹:

إن أهـل الجنـة لاـ يعلمون فى أول دخولهم فى الجنـة أنهم لاـ يموتون، فـإذا جى بالموت على صورة كبش أملح وذبـح، فعنـد ذلك يعلمون أنهم لا يموتون.

وقال فى الأحاديث القدسية:۱/۱۶۰:

شرح حـديث ذبـح الموت وأنه يؤتى بالموت يوم القيامـة فيوقف على الصـراط.. الـخ. وإنه لا مانع عقلًا من أن يخلق الله تعالى الموت على صوررة حيوان ويوقف ويذبح... ونحن نؤمن بما ثبت عن رسول الله، ولا نبحث عن كيفية تحقيقه.انتهى.

عودة إلى رأى عمر بفناء النار

فى هـذا الجو من آيات الخلود فى النار وإجماع المسـلمين على خلود الجنة والنار.. نرى الخليفة عمر من دون الصـحابة يخالف المتفق عليه بين الجميع ويقول بفناء النار وانتهائها، ونقل أهلها إلى الجنة!!

وقـد أخذ الخليفة ذلك من بعض أحبار اليهود الذين كان يثق بعلمهم، لأن من مقولاتهم أن الله تعالى وعد يعقوب بأن لا يدخل أبناءه إلى النار إلا تحلة القسم، وأن النار أساساً عمرها قصير ثم تنتهى وتهلك!!

وقد تقدم عنهم ذلك فى تفسير قوله تعالى (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) فى فصل الشفاعة عند اليهود!!

ونظراً لغرابـة هـذا الرأى حاول البعض التشـكيك فى نسـبته إلى الخليفـة عمر، ولكنه ثابت عنه عند المحدثين والمؤرخين والمتكلمين كما تقدم ويأتى! وأكثر أتباع الخليفة لا يعرفون رأيه هذا، فبعضهم ينكره.. وبعضهم (يستحى) به.. ولكن بعضهم تجرأ وكتب رداً عليه!

قال فى مقدمة فتح القدير:۱/۹:

للشوكانى مؤلفات، منها كتاب نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار... وكشف الأستار فى إبطال القول بفناء النار. انتهى.

وأكثر المتحمسين لتأييـد رأى عمر ابن قيم الجوزيـة فى رسـالته حادى الأرواح تبعاً لأسـتاذه ابن تيميـة. ومن المتأخرين الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار:۸/۶۸

حيث أورد فى كتابه رسالـة ابن قيم كاملة، وهى تبلغ نحو خمسـين صـفحة، ولـم يأت صاحب المنار بجديد سوى المدح والغلو فى ابن قيم.. لأنه مفكر إسلامى نابغة استطاع أن يحل المشكلة ويثبت رأى الخليفة بخمس وعشرين دليلًا!

وتـدور رسالـة ابن قيم على محور واحد هو أن النار تفنى كما يخرب السـجن فلا يبقى محل لأهلها إلا أن ينقلوا إلى الجنة، وهو كلامٌ لم يقله عمر!!

قال ابن قيم وهو يعدد الأقوال فى الخلود فى جهنم:

السابع: قول من يقول بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى، فإنه جعل لها أمداً تنتهى إليه، ثم تفنى ويزول عذابها.

قال شيخ الإسلام (ابن تيمية): وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم، وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث فى تفسيره المشهور: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن، قال قال عمر: لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج، لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه.

وقال: حدثنا حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: لو لبث أهل النار فى النار عدد رمل عالج، لكان لهم يوم يخرجون فيه. ذكر ذلك فى تفسير ثابت عند قوله تعالى (لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا) فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ، وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال، وكلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به، وحماد يرويه عن ثابت وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن وحسبك بهذا الإسناد جلالة، والحسن وإن لم يسمع من عمر فإنما رواه عن بعض التابعين، ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به وقال قال عمر بن الخطاب، ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداولُ هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد، مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا، فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة، لكانوا أول منكر له.

قال: ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها، فأما قوم أصيبوابذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه، ولفظ أهل النار لا يختص (يقصد لا يطلق) بالموحدين بل يختص بمن عداهم، كما قال النبى (ص) (أما أهل النار الذين هم أهلها فهم لا يموتون فيها ولا يحيون) ولا يناقض هذا قوله تعالى (خَالِدِينَ فِيهَا) وقوله (وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذى لا يقع خلافه. لكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا، لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب). انتهى.

وقد استدل ابن قيم على رأى الخليفة عمر بخمس وعشرين وجهاً! لا نطيل الكلام بسردها وردها، لأنها ماعدا واحد منها وجوه خطابية استحسانية، وليست علمية، ويكفى فى جوابها جميعاً أنها لا تنهض بمعارضة الآيات والأحاديث المتقدمة الدالة على خلود بعض الفجار فى النار، ولا على معارضة الإجماع الذى تقدم من الفريقين!

أما الوجه الذى يحسن التعرض له فهو قول ابن القيم:

فصل. والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق:

أحدها: اعتقاد الإجماع، فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين، لا يختلفون فيه، وأن الإختلاف فيه حادث، وهو من أقوال أهل البدع.

الطريق الثانى: أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم، وأنه لا يفتر عنهم، وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً، وأنهم خالدون فيها أبداً، وما هم بخارجين من النار، وما هم منها بمخرجين، وأن الله حرم الجنة على الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غراماً أى مقيماً لازماً.. قالوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

الطريق الثالث: أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة فى خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

الطريق الرابع: أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

الطريق الخامس: أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تفنيان بل هما دائمتان، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

الطريق السادس: أن العقل يقضى بخلود الكفار فى النار. وهذا مبنى على قاعدة وهى أن المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أو لا يعلم إلا بالسمع فيه طريقتان لنظار المسلمين، وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع كما دل عليه القرآن فى غير موضع كإنكاره سبحانه على من زعم أنه يسوى بين الأبرار والفجار فى المحيا والممات، وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثا وأنهم إليه لا يرجعون وأنه يتركهم سدى أى لا يثيبهم ولا يعاقبهم، وذلك يقدح فى حكمته وكماله وأنه نسبة إلى ما لا يليق به. وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها، بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولاً قال تعالى (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا، وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضى به العقل كما جاء به السمع.انتهى.

ثم قال ابن قيم:

قال أصحاب الفناء على هذه الطرق يبين الصواب فى هذه المسألة:

فأما الطريق الأول فالإجماع الذى ادعيتموه غير معلوم وإنما يظن الإجماع فى هذه المسألة من لم يعرف النزاع وقد عرف النزاع بها قديماً وحديثاً، بل لو كلف مدعى الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال إن النار لا تفنى أبداً لم يجد إلى ذلك سبيلاً، ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك، فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك، بل التابعون حكوا عنهم هذا وهذا، قالوا والإجماع المعتد به نوعان متفق عليهما ونوع ثالث مختلف فيه، ولم يوجد واحد منها فى هذه المسألة:

النوع الأول ما يكون معلوماً من ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة.

الثانى ما ينقل عن أهل الإجتهاد التصريح بحكمه.

الثالث أن يقول بعضهم القول وينشر فى الأمة ولا ينكره أحد. فأين معكم واحد من هذه الانواع، ولو أن قائلاً ادعى الإجماع من هذه الطريق واحتج بأن الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه، لكان أسعد بالإجماع منكم!

قالوا: وأما الطريق الثانى وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها، فأين فى القرآن دليل واحد يدل على ذلك، نعم الذى دل عليه القرآن أن الكفار خالدون فى النار أبداً، وأنهم غير خارجين منها، وأنه لا يفتر عنهم من عذابها، وأنهم لا يموتون فيها، وأن عذابهم فيها مقيم، وأنه غرام أى لازم لهم. وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وليس هذا مورد النزاع، وإنما النزاع فى أمر آخر (!!) وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء؟ وأما كون الكفار لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم من عذابها، ولا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط، فلم يختلف فى ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة. وإنما خالف فى ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود (!!) والاتحادية وبعض أهل البدع، وهذه النصوص وأمثالها تقتضى خلودهم فى دار العذاب مادامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها، فالفرق كالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

قالوا: وأما الطريق الثالث وهو مجى السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك، فهى حق لا شك فيه، وهى إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهى دار عذاب لم تفن، ويبقى المشركون فيها ما دامت باقية. والنصوص دلت على هذا وعلى هذا.

قالوا: وأما الطريق الرابع وهو أن رسول الله(ص)وقفنا على ذلك ضرورة، فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية، هذا معلوم من دينه بالضرورة، وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنى كالجنة فأين فى القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك!! انتهى.

وقد ذكر فى ۷۹: قول أهل السنة (إن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية) وأجاب عليه بقوله (فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بنى آدم وآرائهم واختلافهم...) انتهى.

ونلاحظ أن ابن قيم اعترف بأن الذين نفوا خلود النار هم اليهود والإتحادية من الوثنيين والماديين، ثم قام بتغيير موضوع النزاع فى المسألة، لكى يوفق بين إجماع المسلمين على الخلود فى النار وبين قول عمر بفنائها، وعمدة ماقاله: إنه لا مانع أن نقول خالدين فيها إذا لم تخرب، كما نقول مؤبدٌ فى السجن مادام السجن موجوداً ولم يخرب. يريد بذلك أن أهل النار إنما ينقلون إلى الجنة بسبب خرابها!

ولو سلمنا هذا المنطق فى المسألة، فأين دليله على خراب السجن أو جهنم؟!

يكفى لرد ذلك أنه لو كان له أصلٌ فى الإسلام لكثرت فيه الآيات والأحاديث!

ولو كان له أصلٌ لاحتج به الخليفة، وذكر ولو كلمةً عن فناء النار، وما اقتصر على رمل عالج!!

إن فذلكات ابن قيم وأمثاله لا يمكنها أن تقاوم ما تقدم من الآيات والأحاديث والإجماع، ولا أن تقلب معانى ألفاظ اللغة فتلغى معنى الدوام والتأبيد والخلود وتجعلها كلها لزمن محدود ينتهى.

وقد اغتر بهذه الفذلكة بعضهم وقال: ليس فى اللغة العربية كلمة للوقت الممتد بلا انقطاع! وخير جواب لهؤلاء أن نسألهم: إذا أردتم التعبير بالعربية عن هذا المعنى فبماذا تعبرون؟ فلابد أنهم سيستعملون ألفاظاً من مادة الدوام والتأبيد والخلود..وهى المواد التى استعملها القرآن والحديث!!

الجهمية أخذت من الخليفة عمر

قال الأشعرى فى مقالات الإسلاميين/۱۴۸:

واختلفت المرجئة فى تخليد الله الكفار... فقالت الفرقة الأولى منهم وهم أصحاب جهم بن صفوان: الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى أهلهما... وأنه لا يجوز أن يخلد الله أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار!!

وفى/۲۷۹:

والذى تفرد به جهم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان!

تأويلات أهل السنة/۷۵-۷۶:

الرد على الجهمية فى قولهم بفناء الجنة وما فيها، وقوله وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أى مقيمون أبداً، فالآية ترد على الجهمية قولهم لأنهم يقولون بفناء الجنة... لكن ذلك وهمٌ عندنا، لأن الله تعالى هو الأول بذاته.. والباقى بذاته، والجنة وما فيها باقية بغيرها. إن الله تعالى جعل الجنة داراً مطهرة عن المعايب كلها.. ولو كان آخرها للفناء لكان فيها أعظم المعايب إذ المرء لا يهنأ بعيش إذا نقص عليه بزواله. فلو كان آخره للزوال كانت نعمته منغصه على أهلها...

تأويلات أهل السنة/۱۲۱:

الرد على الجهمية فى قولهم بفناء الجنة والنار وانقطاع ما فيهما: وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَآ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، تنقض على الجهمية قولهم... فلو كانت الجنة تفنى وينقطع ما فيها لكان فيها خوف وحزنٌ لأن من خاف فى الدنيا زوال النعمة عنه وفوتها يحزن عليه.. فأخبر عز وجل أن لا خوف عليهم فيها، خوف التبعة ولا حزن فوات النعمة، ولا هم يحزنون، دل على أنها باقية وأن نعيمها دائم لا يزول، وكذلك أخبر عز وجل أن الكفار فى النار خالدون.

والمرجئة أخذوا من عمر

تاريخ الإسلام للذهبى:١٣/١۶٠:

وكان أبو المطيع فيما نقل الخطيب من رؤوس المرجئة.. وذكروا عنه أنه كان يقول: الجنة والنار خلقتا وستفنيان، وهذا كلام جهم.

و ابن العاص أخذ من عمر

فتح القدير للشوكانى:٢/۶۵٨:

عن ابن عمرو قال: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد. ثم قال صاحب الكشاف: ما كان لابن عمرو فى سيفيه ومقاتلته بهما علياً ما يشغله عن تسيير هذا الحديث! انتهى.

ويقصد الزمخشرى أن عبد الله بن عمرو بن العاص راوى هذا الحديث لا يوثق به، لأنه كان مبغضاً لعلى عليه السلام وقد قاتله فى صفين بسيفين، وكان الأولى به أن يكتفى بفعلته تلك ولا ينقل مثل هذه الأحاديث الخارجة عن إجماع المسلمين!

قال فى هامش اختيار معرفة الرجال:١/١۵٧: وقال فى الكشاف: وماظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عبد الله بن عمرو بن العاص: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون أحقابا. وبلغنى أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون فى النار، وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبهاً على أن نغفل عنه. ولئن صح هذا عن ابن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير، فذلك خلق جهنم وصفق أبوابها، وأقول: أما كان لابن عمرو فى سيفيه ومقاتلته بهما على بن أبى طالب (رض) ما يشغله عن تسيير هذا الحديث. انتهى قول الكشاف.

و رووا عن ابن مسعود أنه وافق عمر

الدر المنثور:٣/٣۵٠:

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال: ما فى القرآن آية أرجى لأهل النار من هذه الآية: خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ قال وقال ابن مسعود: ليأتين عليها زمان تخفق أبوابها.

وفى تفسير التبيان:۶/۶٨ وروى عن ابن مسعود أنه قال: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد أن يلبثوا فيها أحقاباً.

و الشعبى أخذ من عمر

تفسير التبيان:۶/۶٨:

وقال الشعبى: جهنم أسرع الدارين عمراناً، وأسرعهما خراباً.

ويلاحظ على رواياتهم عن ابن العاص وابن مسعود والشعبى أن جهنم تبقى ولكن تفرغ وينقل أهلها إلى الجنة! وهذا هو موضوع كلام عمر، لا مادعاه ابن قيم!

و المعتزلة أخذت من عمر

الملل والنحل للشهرستانى ـ هامش الفصل:١/۶۴:

الخامسة: قوله (أبو الهذيل) إن حركات أهل الخلدين تنقطع، وإنهم يصيرون إلى سكون دائم خموداً، وتجتمع اللذات فى ذلك السكون لأهل الجنة، وتجتمع الآلام فى ذلك السكون لأهل النار.

و الجاحظ أخذ من عمر

الملل والنحل ـ هامش الفصل:١ جزء ١/٩٥:

أقوال الجاحظ التى انفرد بها عن أصحابه..منها: قوله فى أهل النار إنهم لا يخلدون فيها عذاباً، بل يصيرون إلى طبيعة النار.

و ابن عربى والجيلى أخذا من عمر

قال فى تفسير المنار:٨/٧٠:

ويدخل فيه أنها تفنى كما تقول الجهمية، أو تتحول إلى نعيم كما قال الشيخ محيى الدين بن العربى وعبد الكريم الجيلى من الصوفية.

اما عمر فقد أخذ من كعب الأحبار واليهود

سيرة ابن هشام: ٢/٣٨٠:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ

قال ابن إسحاق: وحدثنى مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: قدم رسول الله(ص)المدينة واليهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس فى النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً فى النار من أيام الآخرة، وإنما هى سبعة أيام ثم ينقطع العذاب!!

فأنزل الله فى ذلك من قولهم: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاـ تَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، أى من عمل بمثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بماله عند الله من حسنة، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. أى خلداً أبداً. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أى من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً، ولا انقطاع له.

الدر المنثور:١/٨۴:

قوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ الآية. أخرج ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والواحدى عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة... الخ. ورواه فى مجمع الزوائد: ۶/٣١۴.

تفسير التبيان:١/٣٢٣:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، وإنما لم يبين عددها فى التنزيل، لأنه تعالى أخبر عنهم بذلك وهم عارفون بعدد الايام التى يوقتونها فى النار، فلذلك نزل تسمية عدد الايام وسماها معدودة لما وصفنا.

وقال أبو العالية وعكرمة والسدى وقتادة: هى أربعون يوماً. ورواه الضحاك عن ابن عباس. ومنهم قال: إنها عدد الايام التى عبدوا فيها العجل.

وقال ابن عباس: إن اليهود تزعم أنهم وجدوا فى التوراة مكتوباً إن ما بين طرفى جهنم مسيرة أربعين سنة، وهم يقطعون مسيرة كل سنة فى يوم واحد، فإذا انقطع المسير انقطع العذاب، وهلكت النار!!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۶/٢٨۵:

وأخرج ابن مردويه عن عبد الرحمن بن ميمون أن كعباً دخل يوماً على عمر بن الخطاب فقال له عمر: حدثنى إلى ما تنتهى شفاعة محمد يوم القيامة؟ فقال كعب قد أخبرك الله فى القرآن إن الله يقول: ما سلككم فى سقر... إلى قوله اليقين قال كعب: فيشفع يومئذ

حتى يبلغ من لم يصل صلاة قط، ويطعم مسكيناً قط، ومن لم يؤمن ببعث قط، فإذا بلغت هؤلاء لم يبق أحد فيه خير! انتهى.

وقد ذكرنا أن كلام كعب هذا يحتل وجهين لأن قوله: حتى يبلغ، وقوله فإذا بلغت، قد يقصد بهما أن الشفاعة تبلغ هؤلاء المكذبين بيوم الدين الذين لم يفعلوا خيراً قط! فلا يبقى أحد فى النار وتنتهى. وقد يقصد بهما أن الشفاعة تقف عند هؤلاء فيكون كلامه توسيعاً لها لكل المؤمنين بالبعث من غير المسلمين!

ولايبعد أن يكون هدف كعب القول بدخول الجميع الجنة وفناء النار، لأن ذلك من مقولات اليهود كما رأيت! ويكون قصده أن سؤال أهل اليمين للمجرمين: ماسلككم فى سقر؟ إنما هو مقدمةٌ لاخراجهم من النار.. وبشفاعة نبينا صلى الله عليه وآله!!

وقد يتصور البعض أن من المبالغة أو التهمة للخليفة عمر بأنه أخذ هذه العقيدة من كعب الأحبار، ولكن الذى يقرأ احترام عمر لاحبار اليهود والنصارى ولكعب الأحبار خاصة حتى قبل إسلام كعب.. لا يستبعد ذلك بل يطمئن اليه، ويحسن مراجعة ما كتبناه فى ذلك موثقاً فى كتاب تدوين القرآن، وأن الخليفة عمر كان يدرس عند اليهود فى المدينة فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وأن النبى نهاه عن ذلك ولم يمتثل! ونذكر هنا بعض النصوص التى تكشف ثقته العالية بكعب، والمقام العظيم الذى يحتله كعب فى ذهنه وعواطفه!

عمر ينظر إلى كعب كأنه نبى و يتلقى منه

يلاحظ الباحث تعاملاً ـ فريداً للخليفة عمر مع كعب الأحبار، وأنه كان يحترمه أكثر من كل صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ويفضله عليهم علمياً وسياسياً، ويسأله عن عوالم الغيب والشهادة والأنبياء والجنة والنار وتفسير القرآن، وعن مستقبل الأمة ومستقبله الشخصى ويثق به ثقةً مطلقة ويقبل منه.. شبيهاً بتعامل الصحابى المؤمن مع نبيه الذى ينزل عليه الوحى!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۳/۶:

وأخرج ابن جرير عن أبى المخارق زهير بن سالم قال قال عمر لكعب: ما أول شئ ابتدأه الله من خلقه؟ فقال كعب: كتب الله كتاباً لم يكتبه قلم ولا مداد،ولكن كتب بإصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت: أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتى غضبى!!

وقال أحمد فى مسنده:۱/۴۲:

قال عمر يعنى لكعب: إنى أسألك عن أمر فلا تكتمنى، قال: والله لا أكتمك شيئاً أعلمه قال: ما أخوف شئ تخوفه على أمة محمد؟ قال أئمة مضلين. قال عمر: صدقت قد أسرَّ ذلك الىَّ وأعلمنيه رسول الله(ص). ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد:۵/۲۳۹ وقال: رجاله ثقات.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۴/۵۷:

عن الحسن البصرى أن عمر قال لكعب: ما عدن؟ قال: هو قصر فى الجنة لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل.

وقال فى:۵/۳۴۷:

عن قتادة قال: إن عمر بن الخطاب (رض) قال: يا كعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب فى الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل.

وقال فى كنز العمال:۱۲/۵۶۰:

عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: حدثنى يا كعب عن جنات عدن. قال: نعم يا أمير المؤمنين قصور فى الجنة لا يسكنها إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل، فقال عمر: أما النبوة فقد مضت لاهلها، وأما الصديقون فقد صدقت الله ورسوله، وأما الحكم العدل فإنى أرجو الله أن لا أحكم بشئ إلا لم آل فيه عدلاً، وأما الشهادة فأ نَّى لعمر بالشهادة؟!–ابن المبارك وأبو ذر الهروى فى الجامع.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۴/۵۷:

وأخرج عبد بن حمید عن الحسن (رض) أن عمر قال لکعب: ما عدن؟ قال: هو قصـر فی الجنة لا یدخله إلا نبی أو صدیق أو شهید أو حاکم عدل.

وأخرج ابن أبی شـیبة وابن جریر وابن المنـذر وابن أبی حـاتم عن مجاهـد (رض) قال: قرأ عمر (رض) علی المنبر جنات عـدن، فقال: أیها الناس هل تـدرون ما جنات عـدن؟ قصـر فی الجنـة له عشـرة آلاف باب، علی کل باب خمسـة وعشـرون ألفاً من الحور العین، لا یدخله إلا نبی أو صدیق أو شهید!

وقال فی الدر المنثور:۵/۳۴۷:

وأخرج عبـد الرزاق وعبد بن حمید عن قتادة (رض)... فی قوله: وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ قال إن عمر بن الخطاب (رض) قال: یا کعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب فی الجنة یسکنها النبیون والصدیقون وأئمة العدل.

معجم ما استعجم:۲/۷۴:

الحثمة: بفتح أوله وإسکان ثانیة: صخرات بأسفل مکة بها ربع عمر بن الخطاب. روی عنه مجاهد أنه قرأ علی المنبر: جنات عدن فقال: أیها الناس أتـدرون ما جنات عدن؟ قصـر فی الجنة له خمسة آلاف باب علی کل باب خمسة وعشـرون ألفاً من الحور العین لا یدخله إلا نبی، وهنیئاً لصاحب القبر وأشار إلی النبی(ص)، أو صدیق وهنیئاً لأبی بکر وأشار إلی قبره، أو شهید وأنی لعمر بالشهادة وإن الذی أخرجنی من منزلی بالحثمة قادر أن یسوقها إلی!! انتهی.

وفی هذه الروایة دلالة علی أن کعباً اسـتطاع أن یقنع عمر أن مقصوده بالنبی والصدیق والشـهید الذین یسـکنون عدن: رسول الله صلی الله علیه وآله وأبا بکر وعمر، وأن کعباً کان من المخططین لقتله!

وقال فی الدر المنثور:۵/۳۰۶:

قوله تعـالی: یَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاکَ خَلِیفَةً فِی الْأَرْضِ الآیـة. أخرج الثعلبی من طریق العوام بن حوشب قال حـدثنی رجل من قومی شـهد عمر (رض) أنه سأل طلحة والزبیر وکعباً وسلمان: ماالخلیفة من الملک؟ قال طلحة والزبیر: ما ندری، فقال سلمان (رض): الخلیفة الذی یعدل فی الرعیة، ویقسم بینهم بالسویة، ویشـفق علیهم شـفقة الرجل علی أهله ویقضـی بکتاب الله تعالی. فقال کعب: ما کنت أحسـب أحداً یعرف الخلیفة من الملک غیری!

وفی کنز العمال:۱۲/۵۶۷:

عن طبقات ابن سعد: عن سفیان بن أبی العوجاء قال: قال عمر بن الخطاب: والله ما أدری أخلیفة أنا أم ملک؟ فإن کنت ملکاً فهذا أمر عظیم، قال قائل یا أمیر المؤمنین إن بینهما فرقاً، قال ما هو؟ قال: الخلیفة لا یأخذ إلا حقاً ولا یضعه إلا فی حق، فأنت بحمد الله کذلک، والملک یعسف الناس فیأخذ من هذا ویعطی هذا، فسکت عمر (ابن سعد).

وقال فی کنز العمال:۱۲/۵۷۳:

عن کعب أن عمر بن الخطاب قال: أنشدک بالله یا کعب أتجدنی خلیفة أم ملکاً؟ قال بل خلیفة، فاسـتحلفه فقال کعب: خلیفة والله من خیر الخلفاء، وزمانک خیر زمان-نعیم بن حماد فی الفتن.

الدر المنثور:۴/۲۹۳:

سأل عمر کعباً عن آیات أول سورة الحدید فقال: معناها إن علمه بالأول کعلمه بالاخر، وعلمه بالظاهر کعلمه بالباطن! انتهی.

کنز العمال:۲/۴۸۸:

عن عمر قال: ذکر النبی(ص)یوم القیامـة فعظم شأنه وشـدته، قال: ویقول الرحمن لداود علیه السـلام: مرَّ بین یدی، فیقول داود: یا رب أخاف أن تدحضـنی خطیئتی، فیقول: مرِّ خلفی، فیقول: یا رب أخاف أن تدحضنی خطیئتی فیقول: خذ بقدمی! فیأخذ بقدمه عز وجل فیمر!! قال فتلک الزلفی التی قال الله تعالی: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَی وَحُسْنَ مَآبٍ! ورواه السیوطی فی الدر المنثور: ۵/۳۰۵ عن ابن مردویه.

الدر المنثور:۵/۲۹۷:

وأخرج الديلمى عن عمر (رض) قال: قال رسول الله (ص): لا ينبغى لأحد أن يقول إنى أعبد من داود!

الدر المنثور:۵/۳۰۵:

وأخرج عبد بن حميد، عن السدى بن يحيى، قال حدثنى أبو حفص رجل قد أدرك عمر بن الخطاب: إن الناس يصيبهم يوم القيامة عطش وحر شديد فينادى المنادى داود فيسقى على رؤس العالمين، فهو الذى ذكر الله: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْنَ مَآبٍ! انتهى.

ومن الواضح أن هذه الروايات عن داود عليه السلام من مقولات اليهود وكعب الأحبار ولكن الخليفة عمر يقبلها منه، والرواة ينسبونها إلى نبينا صلى الله عليه وآله!!

كنز العمال:۱۴/۱۴۶:

عن سعيد بن المسيب قال: استأذن رجل عمر بن الخطاب فى إتيان بيت المقدس فقال له: إذهب فتجهز فإذا تجهزت فأعلمنى فلما تجهز جاءه فقال له عمر: إجعلها عمرة!

مجمع الزوائد:۹/۶۵:

عن عمر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب أرسل إلى كعب الأحبار فقال: يا كعب كيف تجد نعتى؟ قال: أجد نعتك قرن من حديد. قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم. قال: ثم مه؟ قال: ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة.

تاريخ الطبرى:۱/۴۵۹:

عن أشعث عن سالم النصرى قال: بينما عمر بن الخطاب يصلى ويهوديان خلفه، وكان عمر إذا أراد أن يركع خوى، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال فلما انفتل عمر قال: أرأيت قول أحدكما لصاحبه أهو هو؟ فقالا: إنا نجد فى كتابنا قرناً من حديد يعطى ما أعطى حزقيل الذى أحيا الموتى بإذن الله!!

فقال عمر: مانجد فى كتابنا حزقيل، ولا أحيا الموتى بإذن الله إلا عيسى بن مريم! فقالا: أما تجد فى كتاب الله: ورسلاً لم نقصصهم عليك؟ فقال عمر: بلى، قالا: وأما إحياء الموتى فسنحدثك إن بنى اسرائيل وقع فيهم الوباء، فخرج منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله فبنوا عليهم حائطاً حتى إذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل فقام عليهم فقال: ما شاء الله، فبعثهم الله له فأنزل الله فى ذلك: ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. انتهى.

والأخوى: الذى لا يستطيع أن يركع أو يسجد بشكل طبيعى إلا بفتح قدميه ونحوه.. والرواية تدل على اهتمام اليهود بإيمان عمر بثقافتهم، ومحاولتهم التزلف إليه بادعاء أن شخصيته مذكورة فى كتبهم، وأنه نبى يحيى الموتى مثل حزقيل!

تاريخ المدينة لابن شبة:۳/۱۱۰:

لما قدم عمر (رض) من مكة فى آخر حجة حجها أتاه كعب فقال: يا أمير المؤمنين إعهد فإنك ميت فى عامك! قال عمر (رض)وما يدريك يا كعب؟ قال: وجدته فى كتاب الله! فقال: أنشدك الله يا كعب هل وجدتنى باسمى ونسبى عمر بن الخطاب؟ قال: اللهم لا، ولكنى وجدت صفتك وسيرتك وعملك وزمانك!

ورواه فى:۳/۸۸ وزاد فيه: فلما أصبح الغد غدا عليه كعب فقال عمر (رض): يا كعب، فقال كعب: بقيت ليلتان، فلما أصبح الغد غدا عليه كعب–قال عبدالعزيز: فأخبرنى عاصم بن عمر بن عبيد الله بن عمر قال: قال عمر (رض):

يواعدنى كعب ثلاثاً يعدُّها ولا شك أن القول ما قاله كعبُ

وما بى لقاء الموت إنى لميتٌ ولكنما فى الذنب يتبعه الذنبُ

فلما طعن عمر (رض) دخل عليه كعب فقال: ألم أنهك؟!

قال: بلى، ولكن كان أمر الله قدراً مقدورا!! انتهى.

ولا يتسع المجال للرد على أفكار كعب التى تضمنتها رواياته، وقد أوردنا عدداً منها فى سبب نشأة التجسيم فى المجلد الثانى.

والواقع أن كعب الأحبار من أكبر المصائب فى مصادر إخواننا السنيين، حيث تجده مقيماً فيها، كامناً فى المواقع الحساسة من أصول العقيدة والشريعة! وهذا أمر يحتاج إلى معالجات جريئة من علمائهم!

ولكن لابد من الإلفات هنا إلى أن النصوص المتقدمة تدل بما لايقبل الريب على أن كعباً كان شريكاً فى مؤامرة قتل عمر!

ولكن إخواننا السنيين ما زالوا يبرئون كعباً ويثقون به، كما برَّأَ المسيحيون اليهود من دم المسيح!

كما نشير إلى أن كعباً أخطأ فى تفسير أول سورة الحديد، لأنه فسر (هو) بعلمه!! ولكن الخليفة عمر يقبل منه كل مايقوله، بل يحدث به المسلمين على المنبر!

شفاعات و حرمانات غير معقولة روتها مصادر السنيين

شفاعة اثنين لصاحب الجنازة

ليس من السهل أن نعترض على الأحاديث التى تحكم على نوع من الناس باستحقاق الجنة أو النار.. لأن الخير والشر فى داخل الإنسان عالمٌ معقد، وما يظهر للعيان لا يجب أن يكون دائماً هو الحقيقة! فرب عمل صغير نقوم به يكون فى حساب الثواب والعقاب الإلهى كبيراً، وبالعكس.. ورب ظرف يجعل العمل السى حسناً وبالعكس!

وبسبب هذه السعة والتعقيد فى أعمال الناس وظروفها، لابد أن تكون أنظمة الجزاء عميقة واسعة حتى تستوعبها.

ولكنا مع ذلك نملك يقينيات من العقل والشرع تسمح لنا أحياناً بالحكم بإمكان هذا الجزاء الإلهى أو عدم إمكانه..ومن هذه اليقينيات: لو أن شخصاً قاتلًا ظالماً جامعاً للصفات الشريرة، توفى وحملوا جنازته، فمر بها شخصان مسلمان فقالا:

كان مؤمناً تقياً، لأنهما جاهلان بحاله أو متعمدان، فإن شهادتهما لا تغير شيئاً من قوانين المجازاة الإلهية!

لكن توجد (أحاديث) فى مصادر السنيين تقول: إن مجرد شهادة إثنين بالخير لصاحب الجنازة تجعله من أهل الجنة! كما أن شهادتهما له بالسوء تجعله من أهل النار!!

فكأن الشهادة على الجنازة فى منطق هذه الأحاديث وثيقة شرعية نهائية لا يقرأ الملائكة غيرها، أو ختم نهائى لا يقبل الله تعالى غيره!!

لقد جاءنا هذا المنطق من الثقافة اليهودية، ولكنه مهما كان مصدره، ليس منطقاً إسلامياً! لأن معناه السماح للمجرمين بأن يفعلوا ما شاؤوا ويهلكوا الحرث والنسل، ثم يوصى أحدهم بأن يشهد على جنازته عشرة شهود كذباً وزوراً فيدخل الجنة!

والأخطر من ذلك أن الإنسان المؤمن الطيب الأمين المستقيم مهما عمل من خير فى حياته فإن عمله يتبخر بمجرد أن يرسل خصومه اثنين يشهدان على جنازته بأنه كان سيئاً، فيدخلانه النار!

ولو كانت هذه المقولة توجد فى مصادرهم من الدرجة الثانية لكان الأمر أسهل، ولكنها توجد فى مصادر الدرجة الأولى مع الأسف، وعن لسان أقدس الشخصيات عندهم بعد النبى صلى الله عليه وآله الأمر الذى يتطلب من فقهائهم جرأةً فى معالجتها:

روى البخارى فى صحيحه:۲/۱۰۰:

عن أنس بن مالك قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبى (ص): وجبت، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: وجبت، فقال عمر بن الخطاب (رض): ما وجبت؟ قال: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض.

ورواه فى:۳/۱۴۸ وفيه (قال شهادة القوم المؤمنين شهداء الله فى الأرض). ورواه مسلم فى صحيحه:۳/۵۳ وقد كرر فيه كلمة: وجبت وأنتم شهداء الله ثلاث مرات. ورواه النسائى:۴/۵۰ ورواه الترمذى:۲/۲۶۱ وقال (وفى الباب عن عمر وكعب بن عجرة وأبى هريرة. قال

أبو عيسى: حديث أنس حديث حسن صحيح).

ورواه ابن ماجة في:۱/۴۷۸ وفيه (فقال: شهادة القوم والمؤمنون شهود الله في الأرض). وفي هامشه (ويوافقه حديث عمر رواه الترمذي والنسائي وإسناد ابن ماجة صحيح ورجاله رجال الصحيحين).

ورواه أبو داود في:۲/۸۶ وفيه (إن بعضكم على بعض شهداء).

ورواه أحمد في ج۳ ص۱۷۹ وج۲ ص۲۶۱ وص۴۹۸ وص۵۲۸ وج۲ ص۴۶۶ وص۴۷۰ وفيه (بعضكم شهداء على بعض) وج۳ ص۱۸۶ وكرر فيه وجبت ثلاث مرات مثل مسلم. وفي رواية أخرى (قال شهادة القوم والمؤمنون شهداء الله في الأرض) وفي ج۳/۱۹۷ وص ۲۱۱ وص ۲۴۵ وص ۲۸۱.

ورواه البيهقي في سننه ج۴ ص۷۵ وج ۱۰/۱۲۳ وص ۲۰۹.

وقال البخاري في صحيحه:۲/۱۰۰:

عن أبي الأسود قال: قدمت المدينة وقد وقع بها مرض فجلست إلى عمر بن الخطاب (رض) فمرت بهم جنازة فأثني على صاحبها خيراً فقال عمر (رض): وجبت. ثم مر بأخرى فأثني على صاحبها خيراً، فقال عمر (رض): وجبت. ثم مر بالثالثة فأثني على صاحبها شراً، فقال: وجبت. فقال أبو الأسود فقلت: وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال النبي (ص): أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا وثلاثة قال: وثلاثة. فقلنا واثنان قال: واثنان. ثم لم نسأله عن الواحد!

ورواه البخاري أيضاً في:۳/۱۴۹ والنسائي في:۴/۵۱ وفيه:

(فقلت وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال رسول الله (ص): أيما مسلم شهد له أربعة قالوا خيراً أدخله الله الجنة. قلنا: أو ثلاثة؟ قال: أو ثلاثة. قلنا: أو اثنان؟ قال: أو اثنان.

ورواه الترمذي في:۲/۲۶۱ وقال (قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وأبو الاسود الدؤلي اسمه ظالم بن عمر بن سفيان).

ورواه أحمد في:۱/۲۱ وص ۲۲ وص۲۷ وص ۳۰ وص ۴۵ وص ۴۶، والبيهقي في سننه: ۱۰/۱۲۴.

إلى هنا تجد أن هذه المقولة بمقاييس إخواننا السنيين تامة السند والدلالة.. ولكن توجد مؤشرات تفتح باب البحث حولها:

المؤشر الأول: أن الإمام أحمد روى أن بعض الذين سمعوا الحديث من الخليفة عمر شككوا فيه لغرابته عن منطق النبي صلى الله عليه وآله وظنوا أنه رأيٌ من عمر لا من قول النبي صلى الله عليه وآله فأكد له عمر أن النبي هو الذي قال ذلك!

قال أحمد في:۱/۵۴:

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا وكيع ثنا عمر بن الوليد الشني عن عبد الله بن بريدة قال: جلس عمر (رض) مجلساً كان رسول الله(ص)يجلسه، فمر عليه الجنائز، قال فمروا بجنازة فأثنوا خيراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنازة فأثنوا خيراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنازة فقالوا خيراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنازة فقالوا هذا كان أكذب الناس، فقال: إن أكذب الناس أكذبهم على الله، ثم الذين يلونهم من كذب على روحه في جسده، قال قالوا: أرأيت إذا شهد أربعة؟ قال: وجبت. قالوا: أو ثلاثة؟ قال: وثلاثة، قال وجبت. قالوا: واثنين؟ قال: وجبت، ولأن أكون قلت واحد أحب إلي من حمر النعم. قال فقيل لعمر: هذا شئ تقوله برأيك أم شئ سمعته من رسول الله(ص)؟ قال: لا، بل سمعته من رسول الله(ص). انتهى.

والروايةتدل على أن الخليفة تفرد بهذه الرواية من دون الصحابة الحاضرين في ذلك المجلس الرسمي الذي كان يجلسه رسول الله صلى الله عليه وآله وأنهم تعجبوا لأنهم لم يسمعوا ذلك، وتجرؤوا أن يسألوا عمر رغم سطوته، فأكد لهم أنه سمع ذلك!

المؤشر الثاني: يشير إلى أن الحادثة قضية شخصية في جنازة أشخاص معينين في زمن النبي صلى الله عليه وآله وليست قاعدة كلية لكل جنازة..

فقد روى الحاكم في:۱/۳۷۷: عن أنس قال كنت قاعداً مع النبي (صلى الله عليه وآله) فمر بجنازة فقال: ما هذه الجنازة؟ قالوا جنازة

فلان الفلانی كان يحب الله ورسوله ويعمل بطاعة الله ويسعى فيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وجبت وجبت وجبت. ومر بجنازة أخرى قالوا جنازة فلان الفلانی كان يبغض الله ورسوله ويعمل بمعصية الله ويسعى فيها، فقال: وجبت وجبت وجبت. فقالوا يا رسول الله قولك فی الجنازة والثناء عليها؟ أثنی على الأول خير وعلى الآخر شر فقلت فيها وجبت وجبت وجبت؟ فقال: نعم يا أبا بكر إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بنی آدم بما فی المرء من الخير والشر. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ. انتهى.

فلو صح الحديث لكان معناه أن النبی صلى الله عليه وآله شهد، بما عرفه الله تعالى، بأن الملائكة نطقت على ألسنة أولئك المادحين والذامين.. وليس معناه أن الملائكة تنطق دائماً على ألسنة المسلمين.

المؤشر الثالث: يدل على أن الخصوصية للشاهد أو الشافع فی الجنازة.. ففی مستدرك الحاكم:۲/۲۶۸: عن جابر بن عبد الله رضی الله عنهما قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله فی جنازة فينا فی بنی سلمة وأنا أمشئ إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رجل: نعم المرء ما علمنا إن كان لعفيفاً مسلماً إن كان.. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت الذی تقول؟ قال يا رسول الله ذاك بدا لنا والله أعلم بالسرائر. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وجبت. قال وكنا معه فی جنازة رجل من بنی حارثة أو من بنی عبد الأشهل، فقال رجل: بئس المرء ما علمنا إن كان لفظاً غليظاً إن كان.. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت الذی تقول؟ قال يا رسول الله الله أعلم بالسرائر فأما الذی بدا لنا منه فذاك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وجبت. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، إنما اتفقا على وجبت فقط. انتهى.

فقد أكد النبی صلى الله عليه وآله على شخص القائل الذی لم تسمه الرواية فقال له: أنت الذی تقول ذلك وتشهد بهذه الشهادة لهذا الميت؟ فقال نعم إنی أشهد حسب ظاهر حاله. فقال النبی إن الجنة قد وجبت له بشهادة ذلك الرجل، أو إن شهادته طابقت الواقع كما أوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله، فيحتمل أن تكون القضية شخصية كما فی الرواية السابقة، وإذا وجد الإحتمال بطل الإستدلال، ولم يبق يقين بأنها قاعدة عامة.

المؤشر الرابع: أنه توجد أحاديث معارضة تجعل دعاء مئة مسلم موحد أو أربعين بالشفاعة للميت موجباً للامل بأن الله تعالى يشفعهم فيه ويدخله الجنة..وقد روت الصحاح رواية المئة، ورواية الأربعين، وفی بعض رواياتها ثلاثة صفوف، وأمة من الناس، ونحوها.. الأمر الذی يدل على أن وجود كثرة من المسلمين المؤمنين يصلون على جنازة الميت أو يدعون له، أمر مفيد له، وأن الله تعالى قد يستجيب دعاءهم.. ولكن ليس فی هذه الأحاديث تلك الحتمية و(الأتوماتيكية) التی فی أحاديث (وجبت وجبت) المتقدمة!

ففی صحيح مسلم:۳/۵۲ عن عائشة عن النبی(ص)قال: ما من ميت يصلی عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه. انتهى وفی رواية أخرى: أربعون. ورواه فی سنن البيهقی:۳/۱۸۰-۱۸۱.

وفی سنن ابن ماجة:۱/۴۷۷:

عن أبی هريرة عن النبی(ص)قال: من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له. فی الزوائد: قد جاء عن عائشة فی الترمذی والنسائی مثله. وإسناده صحيح ورجاله رجال الصحيحين. انتهى. وما ذكره موجود فی سنن الترمذی:۲/۲۴۷ وفی سنن النسائی:۴/۷۵ بصيغة مائة وأمة من الناس).

وفی فردوس الأخبار:۴/۳۲۹ ح ۶۴۹۶:

أنس وعائشة: ما من ميت يصلی عليه أمة من المسلمين يبلغوا أن يكونوا مائة يشفعون له إلا شفعوا فيه.

وفی/۳۷۱ ح ۶۶۰۹: أبو هريرة: ماصف قوم صفوفاً ثلاث على ميت فيستغفرون له إلا شفعوا.

وروى ابن ماجة فی سننه:۱/۴۷۷:

عن كريب مولى عبدالله بن عباس قال: هلك ابن لعبد الله بن عباس فقال لى: يا كريب قم فانظر هل اجتمع لابنى أحد؟ فقلت نعم. فقال ويحك كم تراهم أربعين؟ قلت: لا،بل هم أكثر. قال: فاخرجوا بابنى فأشهد لسمعت رسول الله(ص)يقول: ما من أربعين من مؤمن يشفعون لمؤمن، إلا شفعهم الله.

وروى ذلك أحمد بشروط أشد قال فى:۱/۲۷۷:

عن كريب مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال: يا كريب أنظر ما اجتمع له من الناس؟ قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته، قال يقول هم أربعون؟ قال نعم، قال أخرجوه فإنى سمعت رسول الله(ص)يقول: ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفعهم الله فيه. ورواها الديلمى فى فردوس الأخبار:۴/۳۱۸ ح ۶۴۶۹.

المؤشر الخامس: يشير إلى احتمال اختلاط الحديث بغيره..

ففى مسند أحمد:۳/۳۰۳ عن جابر قال: قال قال رسول الله (ص): من كن له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن، وجبت له الجنة البتة. قال قيل يا رسول الله فإن كانت اثنتين؟ قال: وإن كانت اثنتين. قال فرأى بعض القوم أن لو قالوا له واحدة لقال واحدة. انتهى.

وفى مسند أحمد:۴/۲۱۲:

عن الحرث بن أقيش قال: كنا عند أبى برزة ليلة فحدث ليلتئذ عن النبى (ص)أنه قال: ما من مسلمين يموت لهما أربعة أفراط، إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته. قالوا يا رسول الله وثلاثة؟ قال: وثلاثة. قالوا: واثنان؟ قال: واثنان. انتهى.

فيحتمل أن يكون الأمر اشتبه على الخليفة فجعل أجر (وجبت الجنة) لمن ربى ثلاث بنات أو اثنتين – جعله لمن شهد ثلاثة أو اثنان على جنازته، لتشابه العدد فيهما ووحدة التعبير ب(وجبت).

ولا يرد الإشكال على رواية تربية البنات تربية إسلامية كيف جعلت سبباً قطعياً لدخول الجنة، لأنها تجعل الجزاء للاب أو الام على عمل يقومان به، بينما رواية الشهادة للجنازة تجعل لصاحبها الجنة مجاناً مهما كان فاجراً بمجرد قول غيره!

كما تجعل له النار مجاناً بمجرد قول غيره، مهما كان صالحاً!!

على أنه يمكن القول إن الله تعالى جعل ثواب تربية ثلاث بنات أو اثنتين الجنة ليعالج مشكلة فى مجتمع كانوا يئدون بناتهم، وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم..وأن هذا الثواب قد يشمل فى عصرنا الازواج الذين يئدون أطفالهم بطرق أخرى، خوفاً من الفقر أو طلباً للراحة من الأطفال.

وفى أحاديث أهل البيت عن الإمام الصادق عليه السلام أن المسلمين قد سألوا النبى صلى الله عليه وآله عن تربية البنت الواحدة كما تقدم، فقد روى فى الكافى:۶/۶ عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن هشام بن الحكم، عن عمر بن يزيد، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عالَ ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة. فقيل: يا رسول الله واثنتين؟ فقال: واثنتين. فقيل: يا رسول الله وواحدة؟ فقال: وواحدة. انتهى.

وفى مسند أحمد:۱/۲۲۳:

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): من ولدت له ابنة فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها يعنى الذكر، أدخله الله بها الجنة. انتهى.

والنتيجة: أن هذه المؤشرات تفتح باب البحث للشك فى أحاديث (وجبت وجبت) للجنازة، وتضغط عليها لتكون منسجمةً مع اليقينيات العقلية والشرعية غير ناقضة لها.

ومادام الباب مفتوحاً للتخلص من منطقها اليهودى، فلا معنى للتشبث بها بحجة الدفاع عن البخارى وعن الخليفة عمر!!

رأى أهل البيت فى الشهادة للجنازة

لا أثر فى أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) لروايات (وجبت) ولا لمنطقها! بل نجد الترغيب فى الدعاء للميت والشفاعة به إلى الله تعالى، والأمل بأن يستجيب الله تعالى ويشمل هذا الميت برحمته..كل ذلك على حسب قوانين الجزاء والشفاعة التى يعلمها عز وجل بأصولها وتفاصيلها وتطبيقاتها، ولا نعرف نحن منها إلا القليل.

روى الكلينى فى الكافى:۳/۱۸۸:

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن غالب، عن ثابت أبى المقدام قال: كنت مع أبى جعفر (الباقر) عليه السلام فإذا بجنازة لقوم من جيرته فحضرها وكنت قريباً منه، فسمعته يقول: اللهم إنك أنت خلقت هذه النفوس وأنت تميتها وأنت تحييها، وأنت أعلم بسرائرها وعلانيتها منا ومستقرها ومستودعها. اللهم وهذا عبدك ولا أعلم منه شراً وأنت أعلم به، وقد جئناك شافعين لبعد موته فإن كان مستوجباً فشفعنا فيه واحشره مع من كان يتولاه. انتهى.

ونحوه فى الكافى:۳/۱۸۵، ورواه الشيخ فى تهذيب الأحكام:۳/۱۹۶ ورواه الحر العاملى فى وسائل الشيعة: ۲/۲۳۷

وينبغى الإلتفات إلى عبارة (فإن كان مستوجباً فشفعنا فيه) فهى تدل على وجود قانون استحقاق الشفاعة وعدم استحقاقها. وعبارة (واحشره مع من كان يتولاه) التى تدل على قانون (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) وهما قانونان مترابطان.

أما منطق (وجبت) فيقول لو كان الميت فاجراً مثل فرعون ومدح جنازته شخصان، لوجب أن يصير من أهل الجنة ويحشر يوم القيامة إلى جنب الأنبياء (عليهم السلام)!

هذا، وقد روى فى الكافى رواية صحيحة طريفة تتضمن أضواء مهمة على قانون الشفاعة قال فى:۳/۱۸۷

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن حماد بن عثمان، عن الحلبى، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن كان مستضعفاً فقل: اللهم اغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم، وإذا كنت لا تدرى ما حاله فقل: اللهم إن كان يحب الخير وأهله فاغفر له وارحمه وتجاوز عنه، وإن كان المستضعف منك بسبيل فاستغفر له على وجه الشفاعة لا على وجه الولاية. انتهى.

وروى فى نفس الصفحة عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال: الترحم على جهتين: جهة الولاية وجهة الشفاعة. ورواه فى وسائل الشيعة:۲/۲۳۷.

ففى هذا الرواية منطق دقيق فى التعامل مع الميت والشهادة له.. إن كنت لا تدرى ما حاله، أو كان مستضعفاً فكرياً لا يعرف الحق من الباطل، أو كان معانداً يعرف الحق وينكره.. أو كان ممن يبغض أهل البيت (عليهم السلام) وينصب العداوة لهم.. وادع له على نحو الولاية ووحدة الإمام الذى ستدعى أنت وإياه به يوم القيامة، أو على جهة الشفاعة لارحامك إن لم يكن عارفاً بحق أهل بيت نبيه.. إلى آخر النقاط المنسجمة مع اليقينيات العقلية والشرعية.

قد يقال: يوجد فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) شبيه لرواية (وجبت)

فقد روى الكلينى فى الكافى:۳/۱۷۳ عن أبى على الأشعرى، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن على بن عقبة، عن ميسر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من تبع جنازة مسلم أعطى يوم القيامة أربع شفاعات ولم يقل شيئاً إلا وقال الملك: ولك مثل ذلك. انتهى.

ورواه الصدوق فى من لا يحضره الفقيه:۱/۱۶۱ والشيخ فى تهذيب الأحكام: ۱/۴۵۵ والحر فى وسائل الشيعة:۲/۲۸۸ وقال: ورواه فى المجالس عن محمد بن الحسن عن الصفار عن أحمد بن محمد عن الحسن بن على بن فضال. ورواه الشيخ بإسناده عن أبى على الأشعرى مثله. انتهى.

ولكن الفرق كبير بين رواية تعطى حق الشفاعة لشخص على عمل يقوم به، وبين رواية تعطى الجنة أو النار مجاناً بكلمة يقولها شخص أو اثنان بعد موته!!

وقد وجدنا فى مصادر إخواننا السنيين رواية شبيهة بما مصادرنا فى الدعاء للميت فى الصلاة على جنازته رواها أحمد فى مسنده:

۲/۲۵۶ قال: سمعت أبا هريرة ومر عليه مروان فقال: بعض حديثك عن رسول الله(ص)أو حديثك عن رسول الله(ص)؟ ثم رجع، فقلنا الآن يقع به قال: كيف سمعت رسول الله(ص)يصلى على الجنائز؟ قال سمعته يقول: أنت خلقتها وأنت رزقتها وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها تعلم سرها وعلانيتها، جئنا شفعاء فاغفر لها. انتهى.

شفاعة النبى للظالمين من الامة

قال الله تعالى: وَالَّذِی أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ مِنَ الْکِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَیْنَ یَدَیْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِیرٌ بَصِیرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَیْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ. جَنَّاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَهَا یُحَلَّوْنَ فِیهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَ لِبَاسُهُمْ فِیهَا حَرِیرٌ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَکُورٌ. الَّذِی أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا یَمَسُّنَا فِیهَا نَصَبٌ وَلا یَمَسُّنَا فِیهَا لُغُوبٌ. فاطر: ۳۱ – ۳۵

اتفق الجميع على أن موضوع الآية: الذين اصطفاهم الله تعالى وأورثهم الكتاب بعد النبى صلى الله عليه وآله بقرينة أن السياق قبلها عن الكتاب الموحى إلى نبينا صلى الله عليه وآله.

واتفقوا على أن الأقسام الثلاثة للذين اصطفاهم هم من أهل الجنة بدليل السياق حيث انتقل الكلام بعد المصطفين إلى الكافرين.

والذى يتصل بموضوعنا من ذلك تعيين هؤلاء المصطفين ورثة الكتاب الإلهى.. فقد ذهب السنيون إلى أنهم جميع المسلمين، وأنهم جميعاً فى الجنة إما بالإستحقاق أو بالشفاعة.

ومذهبنا أن هؤلاء المصطفين ورثة الكتاب هم ذرية النبى صلى الله عليه وآله من ابنته فاطمة عليها السلام وأن السابقين بالخيرات منهم هم الأئمة المعصومون (عليهم السلام) والمقتصدين أتباعهم، والظالمين لانفسهم مخالفوهم.. وفيما يلى تفصيل هذه الآراء:

قال كعب الأحبار هم جميع المسلمين و هم فى الجنة

الظاهر أن أقدم القائلين بهذا الرأى كعب الأحبار وأنه اعتمد على استنتاجه الشخصى وليس على رواية عن النبى صلى الله عليه وآله فقد

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۵۲: وأخرج عبد بن حميد عن صالح أبى الخليل قال قال كعب: يلومنى أحبار بنى اسرائيل أنى دخلت فى أمة فرقهم الله ثم جمعهم ثم أدخلهم الجنة! ثم تلا هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، حتى بلغ جنات عدن يدخلونها قال قال: فأدخلهم الله الجنة جميعاً.

وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عبد الله بن الحارث أن ابن عباس سأل كعباً عن قوله: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. الآية، قال: نجوا كلهم. ثم قال: تحاكت مناكبهم ورب الكعبة ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

وفى تفسير الطبرى:۲۲/۸۸، عن كعب:

إن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم فى الجنة، ألم تر أن الله قال: ثم أورثنا الكتاب الذى اصطفينا...الخ.

وروى أيضاً بعض ما تقدم فى الدر المنثور.

و قال الخولانى إنه قرأ ذلك فى كتب اليهود

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۵۲:

وأخرج عبد بن حميد عن أبى مسلم الخولانى قال: قرأت فى كتاب الله أن هذه الأمة تصنف يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف منهم يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبهم الله حساباً يسيراً ويدخلون الجنة، وصنف يوقفون ويؤخذ منهم ما شاء الله، ثم

يدركهم عفو الله وتجاوزه.

عائشة و عثمان يوافقان كعبا على تفسيره

روى الحاكم أن عائشة وافقت كعباً على تفسيره قال فى المستدرك:۲/۴۲۶:
عقبة بن صهبان الحرانى قال: قلت لعائشة رضى الله عنها: يا أم المؤمنين أرأيت قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ؟ فقالت عائشة رضى الله عنها: أما السبَّاق فمن مضى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فشهد له بالحياة والرزق. وأما المقتصد فمن اتبع آثارهم فعمل بأعمالهم حتى يلحق بهم. وأما الظالم لنفسه فمثلى ومثلك ومن اتبعنا، وكل فى الجنة!! صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انتهى. ورواه فى مجمع الزوائد:۷/۹۶. وقال عنه السيوطى فى الدر المنثور:۵ص ۲۵۱: وأخرج الطيالسى وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والطبرانى فى الأوسط والحاكم وابن مردويه عن عقبة بن صهبان قلت لعائشة... الخ.
وروى السيوطى فى الدر المنثور أن الخليفة عثمان أيضاً وافق كعباً على تفسيره قال فى:۵/۲۵۲:وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن عثمان بن عفان أنه نزع بهذه الآية قال: إن سابقنا أهل جهاد، ألا وإن مقتصدنا ناج أهل حضرنا، ألا وإن ظالمنا أهل بدونا. انتهى. ورواه فى كنز العمال:۲/۴۸۵
وواضح من الروايتين أن عائشة وعثمان اعتمدا على كعب الأحبار، أو على فهمهما للآيات، ولم يذكرا رواية عن النبى صلى الله عليه وآله.

الحسن البصرى يرد تفسير كعب الأحبار

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۵۲:
وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقى عن كعب الأحبار أنه تلا هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، إلى قوله لغوب، قال: دخلوها ورب الكعبة. وفى لفظ قال: كلهم فى الجنة، ألا ترى على أثره والذين كفروا لهم نار جهنم، فهؤلاء أهل النار. فذكر ذلك للحسن فقال: أبت ذلك عليهم الواقعة! وأخرج عبد بن حميد عن كعب فى قوله: جنات عدن يدخلونها قال: دخلوها ورب الكعبة، فأخبر الحسن بذلك فقال: أبت والله ذلك عليهم الواقعة. انتهى.
ويقصد الحسن البصرى بذلك أن التقسيم الثلاثى للناس الذى ورد فى سورة الواقعة يردُّ تفسير كعب وهو قوله تعالى: وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. الواقعة: ۷ –۱۱ وكلام البصرى قوى لأن الخطاب عنده فى الآية للمسلمين، ولو كان المقصود بالمصطفين الذين أورثهم الله الكتاب كل المسلمين لكانوا جميعاً من أهل الجنة، ولما بقى معنى لتقسيمات القرآن لهم فى سورة الواقعة إلى أصحاب يمين وشمال وسابقين. فهذا التقسيم يدل على أن من المسلمين من يدخل النار.
وإن ناقشنا فى إستدلال الحسن البصرى، فتدل على رأيه الأحاديث والأدلة المتقدمة فى الرد على مذاهب توسيع الشفاعة!

الخليفة عمر يميل إلى تفسير كعب

روى السيوطى فى الدر المنثور عن الخليفة عمر أنه خالف تفسير كعب الأحبار، وأن رأيه كان كما قال الحسن البصرى.. قال فى: ۵/۲۵۲:
وأخرج ابن مردويه عن عمر عن النبى(ص)فى قوله فمنهم ظالم لنفسه قال: الكافر. انتهى. ويحتمل أن تكون هذه الرواية تفسيراً للآية

۳۲ من سورة لقمان وهى قوله تعالى: وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ. ولكنها على أى حال تنطبق على موضوعنا لأنها تفسر معنى (الظالم لنفسه).

ولكن من البعيد أن تصح هذه الرواية، لأنه ورد عن عمر أنه كان يردد تفسير كعب، إلا أن نقول إنه كان يفسرها بذلك قبل أن يسمع تفسيرها من كعب!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۵۲:

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وابن المنذر والبيهقى فى البعث عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا نزع بهذه الآية قال: ألا إن سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له. انتهى. (والشوكانى فى فتح القدير: ۴/۴۴۱، ورواه فى كنز العمال:۲/۴۸۵.

وقال فى هامشه: نزع بهذه الآية... ومنه الحديث: لقد نزعت بمثل ما فى التوراة، أى: جئت بما يشبهها اهـ قلت: فكأن أمير المؤمنين عمر (رض) يأتى برأيه بما يشبه ظاهر الآية، ولا عجب فقد نزلت آيات توافق رأيه. انتهى.

غير أن معنى نزع بالآية: شرع فيها فقرأها أو فسرها، لا أنه أتى بشبيهها، كما زعم مهمش كنز العمال، وأين الشبيه الذى أتى به عمر!

وغرضنا هنا تفسير عمر للاية بأن الظالم مغفور له، وهو مؤشرٌ على أنه قبل تفسير كعب بأن المقصود بالآية كل المسلمين.

وتوجد رواية نقلها السيوطى قد يفهم منها أن عمر روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وآله.

قال فى الدر المنثور:۵/۲۵۲:

وأخرج العقيلى وابن هلال وابن مردويه والبيهقى من وجه آخر عن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله (ص)يقول: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له، وقرأ عمر: فمنهم ظالم لنفسه الآية. انتهى.

وروى السيوطى نحوها عن أنس، ورواها فى كنز العمال:۲/۱۰ وفى ۴۸۵/ عن عمر وأضاف إلى رواتها: الديلمى فى الفردوس والبيهقى فى البعث والنشور. انتهى.

ولكن عمر لم يصرح فيها بأن النبى صلى الله عليه وآله كان يقصد كل الأمة، فقد يكون صلى الله عليه وآله قصد بقوله: سابقنا ومقتصدنا وظالمنا، ذريته وأهل بيته الذين أورثهم الله الكتاب كما أورثه آل ابراهيم وآل عمران، من نوع قوله صلى الله عليه وآله: المهدى منا، بنا فتح الله وبنا يختم، وشهيدنا خير الشهداء..الخ. وهو فى كلامه كثير صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا الإحتمال يبطل الإستدلال بأن المقصود بورثة الكتاب كل الأمة، لأنه يحتمل أن يكونوا بعضها.. خاصة بعد أن نصت أن بعض الأحاديث على أنهم بعض الأمة وليس كلها:

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۵۱:

وأخرج الطبرانى والبيهقى فى البعث عن أسامة بن زيد (رض): فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، قال قال رسول الله (ص): كلهم من هذه الأمة، وكلهم فى الجنة. انتهى. ونقله فى كنز العمال: ۲/۴۸۶.

ويؤيد ذلك ما رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد:۷/۹۶ عن أسامة بن زيد قال: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، الآية، قال النبى (ص): كلهم من هذه الأمة. رواه الطبرانى وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وهو سى الحفظ. انتهى.

وتعبير كلهم من الأمة يدل على أنهم ليسوا كل الأمة، ويكون هذا الحديث من ابن أبى ليلى السى الحفظ على حد تعبير الهيثمى معقولاً أكثر من كلام غيره!

إلى هنا يبدو أنه لا مشكلة فى تفسير ورثة الكتاب ببعض الأمة وهم ذرية النبى صلى الله عليه وآله.. وأن هؤلاء الذرية كلهم مقبولون بشرط أن لا يدعوا الناس إلى أنفسهم كما سيأتى، وأن الذين يمثلون خط جدهم هم السابقون منهم صلى الله عليه وعليهم.

لكن تبقى مجموعة روايات فى مصادر السنيين تؤكد على تفسير كعب وتنسبه إلى النبى صلى الله عليه وآله! لكنها تصطدم بسورة الواقعة على حد قول الحسن البصرى، كما تصطدم بحكم العقل والأدلة المتقدمة التى لا تسمح بالقول إن كل مسلم فى الجنة!!

وأول سؤال عن هـذه الروايات: أين كانت عنـدما فسـر كعب وعائشـة وعثمان وعمر آيات ورثة الكتاب الإلهى، وكانت موضوعاً مهما يطرحه كعب الأحبار مع اليهود، ويطرحه الخليفة عمر فى مجلسه أو على منبر الجمعة؟!

إن عدم احتجاج أحد بها، يوجب الشك فى سندها، أو القول بأن النبى صلى الله عليه وآله كان يتحدث عن اصطفاء الله تعالى لذريته من أولاد فاطمـة وورثـة خطه فى الأمـة (عليهم السـلام)وقال كلهم من هذه الأمة، فرواها الراوى (كل هذه الأمة) ويوجد لذلك نظائر! فكم من ميزة للعترة الطاهرة جعلت بسبب بساطة الرواة، لكل الأمة!

ومما يؤيد ذلك وجود روايات مترددة فى جعل هؤلاء المصطفين مجموع الأمة..

كالذى رواه أحمد:۳/۷۸: عن أبى سـعيد الخدرى عن النبى(ص)أنه قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ، قال: هؤلاء كلهم بمنزلـة واحـدة، وكلهم فى الجنـة!ورواه الترمـذى فى:۵/۴۱ وقال (هـذا حديث غريب حسن) ورواه فى الـدر المنثور:۵/۲۵۱ عن الطيالسـى وأحمـد وعبدبن حميد والترمذى وحسـنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى... انتهى.

وقريب منه مـا رواه الهيثمى فى مجمع الزوائـد:۱۰/۳۷۸ والطبرانى كما فى الـدر المنثور:۵/۲۵۲ عن ابن عباس، وكـذا شـهادة البراء بن عازب التى نقلها الهيثمى عن سعيد بن منصور، والبيهقى فى البعث وجاء فيها (أشهد على الله أنه يدخلهم الجنة جميعاً).

فكل هذه الروايات تنص على أنهم من أهل الجنة، وأنهم من هذه الأمة لا كلها.. الأمر الذى يوجب الشك فى تعبير أنهم: كل الأمة!

هـذا، وقـد ارتكب الحاكم خطأً فى ميله إلى تصـحيح حـديث نسـبوه إلى أبى الدرداء فى تفسـيرالآية يقول إن الظالمين من المسـلمين يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة بالشفاعة!

قال فى المستدرك:۲/۴۲۶:

عن أبى الـدرداء (رض) قـال: سـمعت رسول الله صـلى الله عليه وآله يقول فى قوله عز وجـل: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ، قـال: السـابق والمقتصـد يـدخلان الجنـة بغير حسـاب، والظالم لنفسه يحاسب حساباً يسـيراً ثم يـدخل الجنـة. ثم قال الحاكم: وقـد اختلفت الروايات عن الأعمش فى إسـناد هـذا الحديث فروى عن الثورى، عن الأعمش، عن أبى ثابت، عن أبى الدرداء (رض)، وقيـل عن شـعبة، عن الأـعمش، عن رجـل من ثقيف، عن أبى الـدرداء. وقيـل، عن الثورى أيضـاً، عن الأـعمش قال: ذكر أبو ثابت، عن أبى الدرداء. وإذا كثرت الروايات فى الحديث ظهر أن للحديث أصلاً. انتهى.

وحسب ماذكره السـيوطى فقـد ارتكب البيهقى نفس الخطأ أيضاً قال فى الدر المنثور:۵/۲۵۱: وأخرج الفريابى وأحمـد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنـذر وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وابن مردويه والبيهقى عن أبى الدرداء... ثم قال السـيوطى: قال البيهقى: إن كثرت الروايات فى حديث ظهر أن للحديث أصلاً.

والخطأ هو تطبيق قاعـدة أن (كثرة الروايات فى إسـناد حـديث تـدل على أن له أصـلًا) على هذا الحديث الذى نسب بثلاث نسب إلى أبى الدرداء كلها بلفظ قيل، وإحداها عن رجل من ثقيف عن أبى الدرداء، أو رجل لم يسم! فهذا ليست كثرة إسناد، بل كثرة تردد فى الاسناد وعدم قطع به، وكثرة الإحتمالات من هذا النوع ككثرة أسماء السنور لا تزيد فى قيمته!

وقـد كـان الهيثمى أدق من الحـاكم عنـدما علـق صـحة الحـديث على احتمـال أن يكـون الرجـل المجهـول ابن عمير فقـال فى مجمع الزوائد:۷/۹۶: رواه الطبرانى عن الأعمش عن رجل سـماه، فإن كان هو ثابت بن عمير الأنصارى كما تقـدم عند أحمد فرجال الطبرانى رجال الصحيح. انتهى.

وقصده بما تقدم ماذكره فى نفس المجلد/۹۵ حيث قال (رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصـحيح، وهى هذه إن كان على بن عبد الله الأزدى سمع من أبى الدرداء فإنه تابعى) انتهى.

فأين كثرة الاسانيد إلى أبى الدرداء! بل أين السند الواحد القطعى!

وأخيراً، نلاحظ فى بعض روايات تفسير الآية بكل الأمة ضعفاً لا يتفق مع بلاغة الحديث النبوى وقوة منطقه، كحديث عوف بن مالك الذى سيأتى فى نظرية الفداء المزعومة من النار.

قال أهل البيت لا يمكن أن تشمل الآية كل الأمة

الإعتقادات للصدوق/۸۷:

وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ، قال: الظالم لنفسه هنا من لم يعرف حق الإمام، والمقتصد من عرف حقه، والسابق بالخيرات بإذن الله هو الإمام.

وسأل إسماعيل أباه الصادق عليه السلام قال: ما حال المذنبين منا؟ فقال عليه السلام: ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب، من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا.

الاحتجاج:۲/۳۰۱:

وعن أبى بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا؟ قال: أى شئ تقول؟ قلت: إنى أقول إنها خاصة لولد فاطمة. فقال عليه السلام: أما من سل سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة وغيرهم فليس بداخل فى الآية، قلت: من يدخل فيها؟ قال: الظالم لنفسه الذى لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى، والمقتصد منا أهل البيت هو العارف حق الإمام، والسابق بالخيرات هو الإمام.

بصائر الدرجات/۴۴:

حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبى، عن ابن مسكان، عن ميسر، عن سورة بن كليب، عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال فى هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. الآية، قال: السابق بالخيرات الإمام فهى فى ولد على وفاطمة (عليهم السلام).

شرح الأخبار:۲/۵۰۵:

حماد بن عيسى بإسناده، عن أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ. قال: فينا أنزلت أورث الله عز وجل الكتاب الأئمة منا، وقوله: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ يعنى منهم من لا يعرف إمام زمانه ولا يأتم به فهو ظالم لنفسه بذلك، وقوله: وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، يعنى من هو منهم فى النسب ممن عرف إمام زمانه وائتم به واتبعه فاقتصد سبيل ربه بذلك، والسابق بالخيرات هو الإمام منا.

شرح الأخبار:۳/۴۷۲:

الرازى قال: قال أبو جعفر محمد بن على عليه السلام: ما يقول من قبلكم فى هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا...؟ قال قلت يقولون: نزلت فى أهل القبلة. قال: كلهم؟! قلت كلهم. قال فينبغى أن يكونوا قد غفر لهم كلهم؟! قلت: يابن رسول الله فيمن نزلت؟ قال: فينا. قلت: فما لشيعتكم؟ قال: لمن اتقى وأصلح منهم الجنة، بنا يغفر الله ذنوبهم، وبنا يقضى ديونهم، ونحن باب حطتهم كحطة بنى إسرائيل.

الثاقب فى المناقب/۵۶۶:

وعنه قال: كنت عند أبى محمد عليه السلام فسألته عن قول الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ؟ فقال عليه السلام: كلهم من آل محمد (عليهم السلام) الظالم لنفسه الذى لا يقر بالإمام،

والمقتصد العارف بالإمام والسابق بالخيرات بإذن الله: الإمام.

البحار:۲۳/۲۱۸:

روى السيد ابن طاووس فى كتاب سعد السعود من تفسير محمد بن العباس بن مروان قال: حدثنا على بن عبدالله بن أسد، عن إبراهيم بن محمد، عن عثمان بن سعيد، عن إسحاق بن يزيد الفراء، عن غالب الهمدانى، عن أبى إسحاق السبيعى قال: خرجت حاجاً فلقيت محمد بن على فسألته عن هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ.. الآية؟ فقال: ما يقول فيها قومك يا أبا إسحاق؟ يعنى أهل الكوفة، قال: قلت يقولون إنها لهم، قال: فما يخوفهم إذا كانوا من أهل الجنة؟! قلت: فما تقول أنت جعلت فداك؟ فقال: هى لنا خاصة يا أبا إسحاق، أما السابق بالخيرات فعلى بن أبى طالب والحسن والحسين والشهيد منا أهل البيت، وأما المقتصد فصائم بالنهار وقائم بالليل، وأما الظالم لنفسه ففيه ما جاء فى التائبين وهو مغفور له.

يا أبا إسحاق بنا يفكك الله عيوبكم، وبنا يحل الله رباق الذل من أعناقكم، وبنا يغفر الله ذنوبكم، وبنا يفتح الله وبنا يختم لا بكم، ونحن كهفكم كأصحاب الكهف، ونحن سفينتكم كسفينة نوح، ونحن باب حطتكم كباب حطة بنى إسرائيل.

وقال ابن شعبة الحرانى فى تحف العقول/۴۲۵:

لما حضر على بن موسى (عليهما السلام)مجلس المأمون وقد اجتمع فيه جماعة علماء أهل العراق وخراسان. فقال المأمون: أخبرونى عن معنى هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. الآية؟

فقالت العلماء: أراد الله الأمة كلها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكن أقول: أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة (عليهم السلام).

فقال المأمون: وكيف عنى العترة دون الأمة؟

فقال الرضا لنفسه: وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. ثم جعلهم كلهم فى الجنة فقال عز وجل: جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم. ثم قال الرضا عليه السلام: هم الذين وصفهم الله فى كتابه فقال: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما، يا أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة هم الال أو غير الال؟

فقال الرضا عليه السلام: هم الآل.

فقالت العلماء: فهذا رسول الله يؤثر عنه أنه قال: أمتى آلى، وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض (!!) الذى لا يمكن دفعه: آل محمد أمته!

فقال الرضا عليه السلام: أخبرونى هل تحرم الصدقة على آل محمد؟

قالوا: نعم.

قال عليه السلام: فتحرم على الأمة؟

قالوا: لا.

قال عليه السلام: هذا فرق بين الآل وبين الأمة، ويحكم أين يذهب بكم أصرفتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون، أما علمتم أنما وقعت الرواية فى الظاهر على المصطفين المهتدين دون سائرهم!

قالوا: من أين قلت يا أبا الحسن؟

قال عليه السلام: من قول الله: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، فصارت وراثة النبوة والكتاب فى المهتدين دون الفاسقين. أما علمتم أن نوحاً سأل ربه فقال: رب إن ابنى من أهلى وإن وعدک الحق، وذلک أن الله وعده أن ينجيه وأهله، فقال له ربه تبارک وتعالى: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِکَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.

فقال المأمون: فهل فضل الله العترة على سائر الناس؟

فقال الرضا عليه السلام: إن الله العزيز الجبار فضل العترة على سائر الناس فى محكم كتابهُ.

قال المأمون: أين ذلک من كتاب الله؟

قال الرضا عليه السلام: فى قوله تعالى إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وقال الله فى موضع آخر: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، ثم رد المخاطبة فى أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ يعنى الذين أورثهم الكتاب والحكمة وحسدوا عليهما بقوله: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، يعنى الطاعة للمصطفين الطاهرين، والملک هاهنا الطاعة لهم.

قالت العلماء: هل فسر الله تعالى الاصطفاء فى الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام: فسر الاصطفاء فى الظاهر سوى الباطن فى اثنى عشر موضعاً. فأول ذلک قول الله: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ أَلْأَقْرَبِينَ، وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلک الآل فهذه واحدة.

والآية الثانية فى الإصطفاء قول الله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً، وهذا الفضل الذى لا يجحده معاند، لأنه فضل بين.

والآية الثالثة، حين ميز الله الطاهرين من خلقه أمر نبيه فى آية الإبتهال فقال: قل يا محمد تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين، فأبرز النبى صلى الله عليه وآله علياً والحسن والحسين وفاطمة (عليهم السلام)فقرن أنفسهم بنفسه. فهل تدرون ما معنى قوله: وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ؟

قالت العلماء: عنى به نفسه.

قال أبو الحسن عليه السلام: غلطتم، إنما عنى به علياً عليه السلام، ومما يدل على ذلک قول النبى صلى الله عليه وآله حين قال: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلًا كنفسى، يعنى علياً عليه السلام. فهذه خصوصية لا يتقدمها أحد، وفضل لا يختلف فيه بشر، وشرف لا يسبقه إليه خلق، إذ جعل نفس على عليه السلام كنفسه، فهذه الثالثة.

وأما الرابعة: فإخراجه الناس من مسجده ما خلا العترة، حين تكلم الناس فى ذلک وتكلم العباس فقال: يارسول الله تركت علياً وأخرجتنا! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن الله تركه وأخرجكم. وفى هذا بيان قوله لعلى عليه السلام: أنت منى بمنزلة هارون من موسى.

قالت العلماء: فأين هذا من القرآن؟

قال أبوالحسن عليه السلام: أوجدكم فى ذلک قرآناً أقرؤه عليكم.

قالوا: هات.

قال عليه السلام: قول الله عز وجل: وَأَوْحَيْنَا إِلى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً، ففى هذه الآية منزلة هارون من موسى، وفيها أيضاً منزلة على عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله. ومع هذا دليل ظاهر فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال: إن هذا المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله

فقالت العلماء: هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلا عندكم معشر أهل بيت رسول الله!

قال أبو الحسن عليه السلام: ومن ينكر لنا ذلك؟! ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها، ففيما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدمة والإصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند، ولله عز وجل الحمد على ذلك. فهذه الرابعة.

وأما الخامسة، فقول الله عزوجل: وآت ذا القربى حقه، خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها، واصطفاهم على الأمة، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أدعوا لى فاطمة فدعوها له فقال: يا فاطمة، قالت: لبيك يا رسول الله، فقال: إن فدكاً لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وهى لى خاصة دون المسلمين. وقد جعلتها لك لما أمرنى الله به فخذيها لك ولولدك فهذه الخامسة.

وأما السادسة: فقول الله عز وجل: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى فهذه خصوصية للنبى صلى الله عليه وآله دون الأنبياء، وخصوصية للآل دون غيرهم. وذلك أن الله حكى عن الأنبياء فى ذكر نوح عليه السلام: وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالا إنْ أَجْرِيَ إلا عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ، وحكى عن هود عليه السلام قال: لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إنْ أَجْرِيَ إلا عَلَى الَّذِى فَطَرَنِى أَفَلا تَعْقِلُونَ، وقال لنبيه صلى الله عليه وآله: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى.

ولم يفرض الله مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبداً ولا يرجعون إلى ضلالة أبداً... إلى آخر الحديث.

ورواه فى بشارة المصطفى/۲۲۸ وفى بحار الأنوار:۲۵/۲۲۰

نظرية فداء المسلمين باليهود والنصارى

روى مسلم فى:۸/۱۰۴:

عن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فكاكك من النار!! ورواه ابن ماجة:۲/۱۴۳۴ عن أنس وزاد فى أوله (إن هذه الأمة مرحومة عذابها بأيديها) وقال فى هامشه: فى الزوائد: له شاهد فى صحيح مسلم من حديث أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه. وقد أعلّه البخارى.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۵۱:

وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى عن عوف بن مالك عن رسول الله (ص): أمتى ثلاثة أثلاث، فثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلث يمحصون ويكسفون، ثم تأتى الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده فيقول الله: أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل التكذيب، وهى التى قال الله: وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وتصديقاً فى التى ذكر الملائكة قال الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، فهذا الذى يكسف ويمحص، ومنهم مقتصد وهو الذى يحاسب حساباً يسيراً، ومنهم سابق بالخيرات فهو الذى يلج الجنة بغير حساب ولا عذاب بإذن الله، يدخلونها جميعاً لم يفرق بينهم، يحلون فيها من أساور من ذهب إلى قوله لغوب. انتهى. ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد:۷/۹۵ وقال: رواه الطبرانى وفيه سلامة بن رونج وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات.

وقال النبهانى فى جامع الثناء على الله/۴۱:

روى الإمام أحمد، عن أبى موسى، عن النبى(ص)قال: يجمع الله الأمم فى صعيد واحد يوم القيامة، فإذا بدأ الله يصدع بين خلقه مثَّل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونه حتى يقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول: ما تنتظرون؟ فنقول: ننتظر ربنا! فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فنقول: نعم، فيقول كيف تعرفونه ولم تعرفوه؟ فنقول: نعم، إنه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكاً!! فيقول: أبشروا يا معشر الإسلام فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت فى النار يهودياً أو نصرانياً مكانه!! انتهى

وما ذكره النبهانى رواه أحمد فى:۴/۴۰۷ و ۴۰۸ ورواه أيضاً فى: ۴/۳۹۱ وص ۳۹۸ وص ۴۰۲ وص ۴۱۰ بروايات متعددة، وفى كنز العمال:۱/۷۳ وص ۸۶ وج ۱۲/۱۵۹ وص ۱۷۰-۱۷۲ وج ۴/۱۴۹ عن مصادر متعددة.

وما تدعيه هذه الروايات من رفع جرائم أحد ووضعها على ظهر أحد لا علاقة له بجرمه.. أمرٌ لا يقبله دينٌ ولا عقل، ويرده قوله تعالى (لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى).

أما الذين قال الله تعالى إنهم يحملون أثقالاً مع أثقالهم، فإنهم الْمُضِلُّون الذين يحملون من أثقال الذين أضلوهم، لأنهم شركاء فى كفرهم ومعاصيهم، ثم لا ينقص من أثقال الضالين شى، لا أن جرائمهم تسقط كما تدعى هذه الرواية!!

والظاهر أن هذه المقولات ردةُ فعل من بعض المسلمين على زعم اليهود بأنهم لاـ تمسهم النار إلاـ أياماً معدودة ثم يخلفهم فيها المسلمون، كما تقدم فى فصل الشفاعة عند اليهود! فاخترع لهم أبو موسى الأشعرى أو غيره نظرية فداء المسلم من النار بيهودى أو نصرانى! كما يفعل المجرم الشاطر فيفدى نفسه من مشكلة تحصل له فى الدنيا بأن يجعلها فى رقبة غيره زوراً وبهتاناً!!

اسقاط المحرمات عن أهل بدر

قال البخارى فى صحيحه:۵/۱۰:

عن على (رض) قال: بعثنى رسول الله(ص)وأبا مرثد والزبير وكلنا فارس قال: إنطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين، فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله(ص)، فقلنا: الكتاب! فقالت: ما معنا كتاب! فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله(ص)، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهى محتجزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله(ص)فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعنى فلاـ ضرب عنقه، فقال النبى (ص): ماحملك على ما صنعت؟ قال حاطب: والله مابى أن لاـ أكون مؤمناً بالله ورسوله(ص)أردت أن تكون لى عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلى ومالى، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال: صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً، فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعنى فلاضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم. فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. انتهى.

ورواه مسلم فى صحيحه:۷/۱۶۸ وقال (وليس فى حديث أبى بكر وزهير ذكر الآية وجعلها إسحاق فى روايته من تلاوة سفيان).

ورواه أبو داود فى سننه:۱/۵۹۷ وج ۲/۴۰۳ والترمذى:۵/۸۳ والحاكم:۳/۱۳۴ وص ۳۰۱ وج ۴/۷۷ والبيهقى فى سننه:۹/۱۴۶ والدارمى فى:۲/۳۱۳ ورواه أحمد فى:۱/۸۰ وص ۱۰۵وص ۳۳۱ وج ۲/۱۰۹ وص ۲۹۵... الخ.

ورواه البخارى أيضاً فى مواضع عديدة أخرى وجدنا منها سبعة: فى:۴/۱۹ وقال بعده (قال سفيان وأى إسناد هذا!) وفى:۴/۳۹ وفى:۵/۸۹ وفى:۶/۶۰ وفيه (قال عمرو ونزلت فيه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى عدوكم. قال لا أدرى الآية فى الحديث أو قول عمرو) وفى:۷/۱۳۴ وفى:۸/۵۵.

والموضعان الاخران روى البخارى فيهما طعناً على على عليه السلام قال فى:۴/۳۸:

عن أبى عبد الرحمن وكان عثمانياً فقال لابن عطية وكان علوياً: إنى لأعلم ما الذى جرأ صاحبك على الدماء! سمعته يقول: بعثنى النبى(ص)والزبير فقال إئتوا روضة كذا وتجدون بها امرأة أعطاها حاطب كتاباً... فقال: وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم! فهذا الذى جرأه. انتهى. وروى نحوه فى:۸/۵۴.

ومن الواضح أن البخارى أعجبه قول أبى عبد الرحمان العثمانى حتى رواه مرتين بدون تعليق!

وجوابه: أن علياً عليه السلام لم يكن يعتقد بهذه المقولة التى نسبوها إلى النبى صلى الله عليه وآله عن أهل بدر.. وأن حروبه الداخلية

الثلاثة على تأويل القرآن كانت بعهد معهود اليه من رسول الله صلى الله عليه وآله كما رواه البخارى نفسه وغيره!

بل ثبت عندنا أن كل مواقفه وأعماله كانت بعهد ووصية من النبى صلى الله عليه وآله.

وعلى فرض تسليمنا ما يراه البخارى، فالسؤال موجهٌ اليه: مادام الذى جرَّأَ علياً عليه السلام على سفكك دماء المسلمين بزعمك، أنه رفع القلم عن أهل بدر، وأن علياً عليه السلام معذورٌ لذلك!

فما هو عذر عدوه معاوية فى خروجه على الخليفة الشرعى وقتاله إياه وسفكه لدماء المسلمين؟

وما عذرك فى الدفاع عن معاوية وتوثيقه والرواية عنه؟

إلا أن يكون البخارى قد عدَّ معاوية بدرياً لأنه شهدها مع أبيه أبى سفيان فى صف المشركين!!

ومن أشرف المواقف السنية فى هذا الموضوع موقف الحافظ ابن الجوزى، حيث رد مقولة المغفرة المطلقة لأهل بدر، وفسرها بأنها مغفرة مامضى من ذنوبهم لا ما سيأتى، ثم رد على رواية البخارى بقوله:

ثم دعنا من معنى الحديث، كيف يحل لمسلم أن يظن فى أمير المؤمنين على رضى الله عنه فعل ما لا يجوز اعتماداً منه على أنه سيغفر له؟! حوشىء من هذا، وإنما قاتل بالدليل المضطر له إلى القتال، فكان على الحق، ولا يختلف العلماء أن علياً لم يقاتل أحداً إلا والحق مع على، كيف وقد قال رسول الله (ص): اللهم أدر الحق معه كيفما دار! فقد غلط أبو عبد الرحمن غلطاً قبيحاً، حمله عليه أنه كان عثمانياً! انتهى. (الصحيح فى السيرة:۵/۱۴۱ عن صيد الخاطر/۳۸۵)

وينبغى أن نشير أولاً ـ إلى أن ما رووه من قول النبى صلى الله عليه وآله (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم) معناه القطع بذلك وليس الإحتمال والرجاء.. فعلى هذا تعامل العلماء السنيون مع الحديث، وقد صرح بالقطع واليقين حديث آخر رواه الحاكم وصححه قال فى المستدرك: ۴ ص ۷۷: عن أبى هريرة (رض) عن النبى صلى الله عليه وآله قال: إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ على اليقين (إن الله اطلع عليهم فغفر لهم) إنما أخرجاه على الظن وما يدريك لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر. انتهى.

وروى مفاده فى دلائل النبوة للبيهقى:۳/۱۵۳ قال: عن جابر بن عبد الله: أن عبداً لحاطب بن بلتعة جاء إلى رسول الله يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار! فقال رسول الله (ص): كَذِبْتَ، لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية!. انتهى.

ولكن هذه الأحاديث الصحيحة عندهم بمقاييس الجرح والتعديل وأحكامه يواجهها حكم العقل وآيات القرآن وأحاديث النبى صلى الله عليه وآله القطعية المتفق عليها عند الجميع! إذ لا يمكن لعاقل أن يقبل أن الصحابة من أهل بدر أو كل الصحابة كما تقول روايات أخرى..مبشرون بالجنة، وأعمالهم مغفورة مهما كانت، وولايتهم فريضة من الله تعالى على المسلمين بعد ولاية الله تعالى وولاية رسوله صلى الله عليه وآله! وأن من لايتولاهم أو ينتقصهم فهو فى النار محروم من الشفاعة والجنة ورائحة الجنة، وخارج عن ربقة الإسلام... إلى آخر الأحكام التى ذكروها للصحابة، وجعلوها جزء من شريعة الإسلام المقدسة، بل جزء من عقائده الاساسية!!

تقول لهم: يا إخواننا إن الصحابة أنفسهم قد سبَّ بعضهم بعضاً، وتبرأ بعضهم من بعضهم، وكفَّر بعضهم بعضاً، وقاتل بعضهم بعضا وقتل بعضهم بعضاً! فمن المحق ومن المبطل؟ ومن المظلوم ومن الظالم؟ ومن يستحق الشفاعة منهم ومن يستحق الحرمان؟

فيقولون: لا تخوضوا فى موضوع الصحابة، فكلهم عدول وكلهم فى الجنة!

تقول لهم: لقد علَّمنا النبى صلى الله عليه وآله أن نخوض فى أمرهم، فقد ثبت فى الصحاح أنه صلى الله عليه وآله أخبر بأن بعضهم يدخل النار وأنهم لا يرونه ولا يراهم فى الآخرة، وأن بعضهم يردون عليه الحوض، فيذودهم عنه ويطردهم كما تطرد الأباعر الغريبة!!

فيقولون: لاتخوضوا فى موضوع الصحابة، فكلهم عدول وكلهم فى الجنة!

وترجمة كلامهم: أنك يجب عليك فى موضوع الصحابة أن تعطل عقلك، وتعطل آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله حتى تحافظ على إيمانك بالصحابة وتتمسك بهم!

ولكن التناقض لا ـ فرق فيه بين صغير وكبير، فإذا قبلنا به لحل مشكلة الصحابة، فلنقبل به لحل مشكلة الأديان، ولنقل بصحة التثليث والتوحيد، والإيمان والكفر، والوثنية والإسلام..ولنحلَّ به مشكلة إبليس ونقول إنه عدو الله وولى الله معاً!!

العقل يقول: إذا تناقض أمران أو شخصان فى القول ولم يمكن الجمع بين قوليهما، فلا يمكن أن يكون كلا القولين حقاً، لأنه تناقض مستحيل.

وإذا تناقضا فى الفعل واقتتلا ـ فلا ـ يمكن أن يكون كل منهما على الحق، لأنه تناقض مستحيل.. ولا معنى للقبول بالتناقض إلا تعطيل العقل والتنازل عن قوانين العلية والبدهيات! وإذا عطلنا العقل، فلا يبقى إيمان بالله ورسله وكتبه، ولا صحابة ولا مصحوبون!

إن مانعاه على اليهود والنصارى بأن عندهم عقائد لا ـ يقبلها العقل، وأنهم يقبلون ما يناقض عقولهم من أجلها..يجب أن ننعاه على أنفسنا، لاننا نزعم أن الله تعالى أمرنا بإطاعة صحابة نبينا المتناقضين فى أقوالهم وأفعالهم، إلى حد كسر العظم وقطع الرقاب!

ولاننا نقرأ قول الله تعالى (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ..) ثم ندعى أن الله تعالى قد سلَّمَ أمة نبيه صلى الله عليه وآله من بعده إلى صحابة متشاكسين فى الفقه والعقائد والسياسة إلى حد التناقض والتكفير والحرب!!

قال المفيد فى الإفصاح/۴۹:

فإن قال: أليس قد روى أصحاب الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: خير القرون القرن الذى أنا فيه، ثم الذين يلونه [۱] .

وقال عليه السلام: إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم [۲] وقال عليه السلام: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم [۳] .

فكيف يصح مع هذه الأحاديث أن يقترف أصحابه السيئات أو يقيموا على الذنوب والكبائر الموبقات؟!

قيل له: هذه أحاديث آحاد، وهى مضطربة الطرق والإسناد، والخلل ظاهر فى معانيها والفساد، وما كان بهذه الصورة لم يعارض الإجماع، ولا يقابل حجج الله تعالى وبيناته الواضحات، مع أنه قد عارضها من الأخبار التى جاءت بالصحيح من الإسناد، ورواها الثقات عند أصحاب الآثار، وأطبق على نقلها الفريقان من الشيعة والناصبة على الإتفاق، ما ضمن خلاف ما انطوت عليه فأبطلها على البيان:

فمنها: ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا فى جحر ضب لاتبعتموهم. فقالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن؟! [۴] .

وقال صلى الله عليه وآله فى مرضه الذى توفى فيه: أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى [۵] .

وقال صلى الله عليه وآله فى حجة الوداع لاصحابه: ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب، ألا لأعرفنكم ترتدون بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا إنى قد شهدت وغبتم [۶] .

وقال عليه السلام لأصحابه أيضاً: إنكم محشورون إلى الله تعالى يوم القيامة حفاة عراة، وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابى؟ فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم [۷] .

وقال عليه السلام: أيها الناس بينا أنا على الحوض إذ مُرَّ بكم زمراً، فتفرق بكم الطرق فأناديكم: ألا هلموا إلى الطريق، فينادينى مناد من ورائى: إنهم بدلوا بعدك، فأقول:ألا سحقاً ألا سحقاً [۸] .

وقال عليه السلام: ما بال أقوام يقولون: إن رحم رسول الله صلى الله عليه وآله لا تنفع يوم القيامة؟! بلى والله إن رحمى لموصولة فى الدنيا والآخرة، وإنى أيها الناس فرطكم على الحوض، فإذا جئتم قال الرجل منكم: يا رسول الله أنا فلان بن فلان، وقال الآخر: أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته، ولكنكم أحدثتم بعدى فارتددتم القهقرى [۹] .

وقال عليه السلام وقد ذكر عنده الدجال: أنا لفتنة بعضكم أخوف منى لفتنة الدجال [۱۰] .

وقال عليه السلام: إن من أصحابى من لا يرانى بعد أن يفارقنى [۱۱] .

فی أحادیث من هـذا الجنس یطول شرحها، وأمرهـا فی الکتب عنـد أصحاب الحـدیث أشـهر من أن یحتاج فیه إلی برهان، علی أن کتاب الله عز وجل شاهدٌ بما ذکرناه، ولو لم یأت حدیث فیه لکفی فی بیان ما وصفناه: قال الله سبحانه وتعالی: وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَی أَعْقَابِکُمْ وَمَنْ یَنْقَلِبْ عَلَی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّاللهَ شَیْئًا وَسَیَجْزِی اللهُ الشَّاکِرِینَ، فأخبر تعالی عن ردتهم بعـد نبیه صـلی الله علیه وآله علی القطع والثبـات، وقـال جـل اسـمه: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِیبَنَّ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْکُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِیدُ الْعِقَابِ. فأنذرهم الله سبحانه من الفتنة فی الدین، وأعلمهم أنها تشـملهم علی العموم إلا من خرج بعصمة الله من الذنوب.

وقال سبحانه وتعالی: اَلَم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا یُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَیَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِینَ صَدَقُوا وَلَیَعْلَمَنَّ الْکَاذِبِینَ. أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ السَّیِّئَاتِ أَنْ یَسْبِقُونَا سَاءَ مَا یَحْکُمُونَ. وهذا صریح فی الخبر عن فتنتهم بعد النبی صلی الله علیه وآله بالإختبار، وتمییزهم بالأعمال.

وقوله تعالی: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَاتِی اللهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ.. إلی آخر الآیة، دلیل علی ما ذکرناه.

وقوله تعالی: أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ یُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ. یزید ما شرحناه.

ولـو ذهبنـا إلی استقصاء مـا فی هـذا البـاب من آیـات القرآن والأخبـار عن رسول الله صـلی الله علیه وآله لانتشـر القول فیه، وطـال به الکتاب.

وفی قول أنس بن مالک: دخل رسول الله صـلی الله علیه وآله المدینة فأضاء منها کل شـئ، فلما مات علیه السـلام أظلم منها کل شئ، وما نفضنا عن النبی صلی الله علیه وآله الأیدی ونحن فی دفنه حتی أنکرنا قلوبنا. [۱۲] شاهد عدل علی القوم بما بیناه.

مع أنـا نقول لهـذا السائل المتعلق بالأخبار الشواذ المتناقضـة ما قـدمنا حکایته وأثبتنا أن أصـحاب رسول الله صـلی الله علیه وآله الـذین توهمت أنهم لا یقارفون الذنوب ولا یکتسـبون السـیئات، هم الذین حصـروا عثمان بن عفان وشـهدوا علیه بالردة عن الإسـلام وخلعوه عن إمامة الأنام... إلی آخر کلامه المفید رحمه الله.

[۱] مسند أحمد ۲: ۲۲۸ سنن أبی داود ۴: ۲۱۴/۴۶۵۷ صحیح مسلم ۴: ۱۹۶۲/۲۱۰ وفیها: خیر أمتی القرن.

[۲] مسند أحمد ۱: ۸۰ و ۲: ۲۹۵ صحیح مسلم ۴: ۱۹۴۱/۱۶۱ صحیح البخاری ۶: ۳۶۳/۳۸۳ سنن الدرامی ۲: ۳۱۳.

[۳] لسان المیزان ۲: ۱۳۷ تفسیر البحر المحیط ۵: ۵۲۸ أعلام الموقعین ۲: ۲۲۳ کنز العمال ۱:۱۹۹/۱۰۰۲ کشف الخفاء ومزیل الالباس ۱/۱۳۲. وانظر تلخیص الشافی ۲: ۲۴۶.

[۴] مسند أحمد ۲:۵۱۱ سنن ابن ماجة ۲:۱۳۲۲/۳۹۹۴ صحیح البخاری ۴: ۳۲۶/۲۴۹.

[۵] مسند أحمد ۳: ۴۸۹ مجمع الزوائد ۹: ۲۴ سنن ابن ماجة ۲: ۱۳۱۰/۳۹۶۱.

[۶] الجامع الصحیح للترمذی ۴: ۴۶۱/۲۱۵۹ و ۴۸۶/۲۱۹۳ صحیح البخاری ۷: ۱۸۲ و۸:۲۸۵/۱۴ و۹:۹۰/۲۷ صحیح مسلم ۳: ۱۳۰۵/۲۹–۳۱ سنن أبی داود ۴: ۲۲۱/۴۶۸۶ قطعة منه مسند أحمد ۱:۲۳۰ سنن النسائی ۷:۱۲۷ قطعة منه سنن الدارمی ۲:۶۹ قطعة منه.

[۷] صحیح البخاری ۶: ۱۰۸ صحیح مسلم ۴: ۲۱۹۴/۵۸ الجامع الصحیح للترمذی ۴: ۶۱۵/۲۴۲۳ سنن النسائی ۴: ۱۱۷.

[۸] مسند أحمد ۶: ۲۹۷.

[۹] مسند أحمد ۳: ۱۸ و ۶۲ قطعة منه.

[۱۰] کنز العمال ۱۴: ۳۲۲/۲۸۸۱۲.

[۱۱] مسند أحمد ۶: ۳۰۷.

[۱۲] الجامع الصحیح للترمذی ۵: ۵۸۸/۳۶۱۸ مسند أحمد بن حنبل ۳: ۲۲۱/۲۶۸ سنن ابن ماجة ۱: ۵۲۲/۱۶۳۱. انتهی.

حرمان من سب الصحابة من الشفاعة

روی الدیلمی فی فردوس الأخبار:۲/۴۹۸ ح ۳۳۹۸:

عن عبد الرحمن بن عوف عن النبی صلی الله علیه وآله أنه قال: شفاعتی مباحة إلا لمن سب أصحابی.

وفی:۱/۹۸ ح ۱۹۶:

عن عبدالرحمن بن عوف أیضاً وفیه: فشفاعتی محرمة علی من شتم أصحابی. ورواه أبو نعیم فی حلیة الأولیاء کما ذکر فی کنز العمال: ۱۴/۳۹۸.

وروی الشیرازی فی الالقاب وابن النجار کما ذکر کنز العمال: ۱۴/۶۳۵:

عن أم سلمة قالت قال رسول الله (ص): نعم الرجل أنا لشرار أمتی! فقال له رجل من مزینة: یا رسول الله أنت لشرارهم فکیف لخیارهم؟ قال: خیار أمتی یدخلون الجنة بأعمالهم، وشرار أمتی ینتظرون شفاعتی. ألا إنها مباحةٌ یوم القیامة لجمیع أمتی إلا رجل ینتقص أصحابی! ونقله کاندهلوی فی حیاة الصحابةج ۳/۴۵.

ولا نقصد بنقد هذه الروایات الدفاع عن الذین یسبون بعض الصحابة، فالسب والشتم وکل أنواع البذاءة فی المنطق لایمکن لعاقل أن یدافع عنها، بل لا یرتکبها عاقل فی حالة سیطرة عقله علی منطقه، فضلاً عن الأتقیاء الأبرار.

وإنما غرضنا بیان تهافت منطق هذه الأحادیث فی منح الشفاعة والحرمان منها! فهذا المنطق یقول: یجوز للصحابی أن یحکم بفسق الصحابی الآخر أو کفره، وأن یسبه ویهینه ویضربه ویحبسه ویشهر علیه سیفه ویقتله، أو یکید به ویقتله بالسم أو بالاغتیال، ویجوز له أن یستعمل کل أسالیب السیاسة والمناورة والمخادعة ضده، وأن یجمع حوله الناس بالرشوة والتهدید.. وأن یخرج علی إمام زمانه ویسبب انشقاقاً فی الأمة وحروبا یقتل فیها عشرات ألوف المسلمین، وأن یرتکب کل المحرمات.. ولا بأس بذلک کله، لأنه مغفورٌ له مشمولٌ بشفاعة رسول الله صلی الله علیه وآله أو مستحق للجنة بدون شفاعة!!

أما غیر الصحابة من المسلمین فلو انتقد صحابیاً ولو انتقاداً صغیراً.. فقد شمله مرسوم الحرمان النبوی من الشفاعة وصار مخلداً فی النار!!

إنه منطق یستشکل فی الحبة ویأکل القبة! ولا یمکن أن یکون مما أنزله الله تعالی علی رسوله صلی الله علیه وآله!

بل إن صیغة الحدیث (لا تسبوا أصحابی) وأمثاله یصعب تعقل صدورها عن النبی صلی الله علیه وآله لأن مخاطبیه هم أصحابه، فکیف یقول لهم: لا تسبوا أصحابی أو اقتدوا بأصحابی!

وأخیراً، فإن أحادیث فضل الصحابة ووجوب مودتهم وموالاتهم وحرمة بغضهم وانتقاصهم وانتقادهم..یصعب فهمها بل لا یمکن فهمها إلا بالمقارنة مع الآیات والأحادیث المشابهة الواردة فی حق أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله مثل قوله تعالی: قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبَی، وقوله: إِنَّمَا یُرِیدُ الله لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرُکُمْ تَطْهِیراً... وأحادیث: إنی تارک فیکم الثقلین کتاب الله وعترتی أهل بیتی، وأهل بیتی کالنجوم بأیهم اقتدیتم اهتدیتم، ولا یؤمن أحدکم حتییحبهم لحبی، وعشرات غیرها متفق علی صدورها عن النبی صلی الله علیه وآله وقد رکز فیها الإسلام مکانة عترة النبی من بعده حتی أنه حرم علیهم الصرف من المصارف العامة وجعل لهم مالیة خاصة هی الخمس!

والباحث المتتبع یجد أن کل حدیث قاله النبی صلی الله علیه وآله فی أهل بیته.. نبت مقابله حدیث فی أصحابه! حتی أن حدیث الحسن والحسین سیدا شباب أهل الجنة، نبت مقابله: أبو بکر وعمر سیدا کهول أهل الجنة، وحدیث إحفظونی فی أهل بیتی نبت مقابله: إحفظونی فی أصحابی..

وقانون الحرمان من الشفاعة لمن ینتقص الصحابة، ما هو إلا نبتةٌ قریشیة مقابل قانون حرمان النواصب من الشفاعة الذی ثبت عند الجمیع، کما سیأتی إن شاء الله تعالی.

الدخول إلی جهنم

لتحلیل القسم الالهی بأن یملاه

روی البخاری فی صحیحه:۲/۷۲:

عن أبی هریرة (رض) عن النبی(ص)قال: لا یموت لمسلم ثلاثة من الولد فیلج النار، إلا تحلة القسم. ورواه أیضاً فی:۷/۲۲۴.

ورواه مسلم:۸/۳۹ وفیه (فتمسه النار) ورواه ابن ماجة:۱/۵۱۲ والنسائی:۴/۲۲ و۲۵ بعدة روایات وفی بعضها: فتمسه النار.. والترمذی:۲/۲۶۲ وأحمد:۲/۲۴۰ وص ۲۷۶ وص ۴۷۳ وص ۴۷۹ والبیهقی فی سننه:۴/۶۷ وج ۷/۷۸ والهیثمی فی مجمع الزوائد:۱/۱۶۳ وج ۵/۲۸۷ والهندی فی كنز العمال:۳/۲۸۴ وص ۲۹۳ وج ۴/۳۲۳ وج ۱۰/۲۱۶ والسیوطی فی الدر المنثور:۴/۲۸۰ وفی عدد من روایاته: تمسه النار. وفی عدد آخر: یلج النار وفی أكثرها (تحلة القسم).

ورغم التفاوت فی صیغ هذه الروایات إلا أنها تتفق علی أن هذا الوالد الذی تحمل ألم خسارة أولاده الثلاثة یستحق الجنة حتی لو كان مذنباً، لكن یجب علی هذا المسكین أن یدفع ضریبة یمین الله تعالی، ویدخل النار مدة قلیلة تحلةً لقسم الله تعالی حتی لا یكون الله حانثاً بقسمه، ثم له من الله تعالی وَعْدُ شَرف أن ینقله إلی الجنة!!

فما هی قصة هذا القسم؟ وما ذنب هذا الوالد وغیره من المساكین الذین أدخلتهم صحاح السنیین فی جهنم لا لشئ إلا لتحلیل یمین الله تعالی!

حاولت بعض الروایات أن تجعل القسم قوله تعالی (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا. ثُمَّ نُنَجِّی الَّذِینَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِینَ فِیهَا جِثِیًّا.) مریم: ۷۰-۷۱ وقالوا إن هذا القضاء الالهی الحتمی هو القسم وهو عام للجمیع.

ولكنه تفسیر من الرواة لأن الصحاح لم ترو حدیثاً یفسر القسم بذلك!

قال البیهقی فی سننه:۱۰/۶۴:

قال أبو عبید: نری قوله تحلة القسم یعنی قول الله تبارك وتعالی: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا.، یقول فلا یردها إلا بقدر ما یبر الله قسمه فیه. وفیه: أنه أحل للرجل یحلف لیفعلن كذا وكذا ثم یفعل منه شیئاً دون شئ، یبری فی یمینه. انتهی.

ولكن تفسیرهم هذا لا یصح:

أولاً، لما ذكره البیهقی من أنه یفتح الباب للناس للتلاعب بأیمانهم، ولا تبقی قیمة لیمین! فإذا كان الله تعالی یستعمل الحیلة الشرعیة للتحلل من یمینه ویسمیها (تحلة القسم) فلا حرج علی عباده أن یلعبوا بأیمانهم!!

وثانیاً، لا یوجد فی آیة الورود قسم، بینما ورد فی كل روایات الصحاح أن سبب دخول هذا الاب (تحلَّةَ القسم).

وثالثاً، إن المؤمنین الذین یردون جهنم ویشرفون علیها فی طریق عبورهم إلی الجنة لا ـ تمسهم نارها، بینما ورد فی عدد من صیغ الحدیث التعبیر بتمسه النار تحلة القسم.

ورابعاً، أن الورود المذكور فی الآیة أمرٌ عامٌ شاملٌ، ولیس من البلاغة استثناء هذا الوالد من استحقاق الجنة، مع أن حال فی الورود حال غیره!!

وخامساً، ورد فی صیغة البخاری وغیره تعبیر بالولوج وهو الدخول المحقق فی النار، بینما الورود أعم من الدخول فی النار والاشراف علیها عند المرور علی الصراط.

قال فی تفسیر التبیان:۷/۱۴۳:

واختلفوا فی كیفیة ورودهم الیها فقال قوم وهو الصحیح: إن ورودهم هو وصولهم إلیها وإشرافهم علیها من غیر دخول منهم فیها، لأن الورود فی اللغة هو الوصول إلی المكان، وأصله ورود الماء وهو خلاف الصدور عنه. ویقال: ورد الخبر بكذا تشبیهاً بذلك.

ویدل علی أن الورود هو الوصول إلی الشئ من غیر دخول فیه قوله تعالی: وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْیَنَ، وأراد وصل الیه. وقال زهیر:

فلما وردنَ الماء زرقاً جمامَه وضعنَ عِصِيَّ الحاضرِ المتخيم

وقال قتادة وعبدالله بن مسعود: ورودهم إليها هو ممرهم عليها.

وقال عكرمة: يردها الكافر دون المؤمن، فخص الآية بالكافرين.

وقال قوم شذاذ: ورودهم إليها دخولهم فيها ولو تحلة القسم. روى ذلک عن ابن عباس وکان من دعائه: اللهم أزحنی من النار سالماً وأدخلنی الجنة غانماً. وهذا الوجه بعيد، لأن الله قال: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِکَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ.، فبين تعالى أن من سبقت له الحسنى من الله يکون بعيداً من النار، فيکف يکون مبعداً منها مع أنه يدخلها وذلک متناقض. فإذاً المعنى بورودهم: إشرافهم عليها ووصولهم إليها. انتهى.

وعلى هذا يتعين أن يکون المقصود بتحلة القسم فی هذه الأحاديث المزعومة: قسمه تعالى بأن يملا جهنم من الجنة والناس، فی قوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَلِذَلِکَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ کَلِمَةُ رَبِّکَ لامْلانَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. هود: ۱۱۸-۱۱۹

ويکون معنى الحديث: أن هذا الوالد يستحق الجنة، ولکن بما أن الله تعالى أقسم أن يملأ النار، وليس عنده ما يکفی لملئها، فإن على هذا الوالد المسکين أن يدفع الضريبة من جلده!!

إن منطق هذا الحديث يصور الله تعالى کأنه حاکم دنيوی بنى سجناً وأقسم أن يملاه من المجرمين، وعندما وجد أن السجن کبيرٌ لم يمتلی بالمجرمين الموجودين، أمر شرطته أن يقبضوا على الناس من الشارع ويضعوهم فی السجن حتى يملاوه ويفی حضرة الحاکم بيمينه، ولا ـ يکون کاذباً!وهو تصورٌ نجده عن الله تعالى فی التوراة ولا نجده فی القرآن.. الأمر الذی يجعلنا نطمئن بأن فکرة إدخال الناس إلى النار لتحلة القسم فکرة توراتية أخذها المسلمون من اليهود، ففی تفسير کنز الدقائق:۲/۴۷، جاء فی رد مقولات اليهود التی منها (أنه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم)!!

ولکن أين هذا المنطق من قوانين الحق والعدل الالهی التی أقام الله تعالى عليها الکون والحياة، وأنزلها فی کتابه وأوحى بها إلى رسوله صلى الله عليه وآله فخضع لها العلماء والفلاسفة والمفکرون!

حرمان من الشفاعة بسبب صبغ الشعر

يمکن للباحث أن يتفهم أحاديث الحرمان من الشفاعة لمن ينتقد الصحابة، ويفسرها بأنها محاولة لتسکيت المسلمين عن الصحابی الحاکم وجماعته. ولکن بعض الحرمانات الواردة فی الصحاح لا يستطيع أن يفهم لها علة ولا معنى، إلا بعد جهد جهيد، مثل حرمانهم الذی يصبغ شعره ولحيته بالسواد من الشفاعة والجنة!

فقد روت ذلک الصحاح کما فی النسائی:۸/۱۳۸ قال: عن ابن عباس رفعه أنه قال قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان کحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة. انتهى.

ورواه أبو داود فی:۲/۲۹۱

وأحمد فی:۱/۲۷۳

والبيهقی فی سننه:۷/۳۱۱

وروى الهيثمی فی مجمع الزوائد:۵/۱۶۳ رواية شديدةً على المجرم الذی يصبغ شعره ولحيته بالسواد، وقال إنها موثقة عند ابن حنبل وابن معين وابن حبان قال: عن أبی الدرداء قال قال رسول الله(ص): من خضب بالسواد سوَّد الله وجهه يوم القيامة. رواه الطبرانی وفيه الوضين بن عطاء وثقه أحمد وابن معين وابن حبان، وضعفه من هو دونهم فی المنزلة وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وقد تحير فی ذلک بعض أصحاب الصحاح.. ومن حقهم أن يتحيروا.. فمع أنهم عاشوا فی القرن الثالث ولم يشهدوا القرن الأول ولا

الثانی، ولکن عهـدهم کان قریباً نسبیاً، والمسألة واضـحةٌ وضوح اللحی! ومع ذلک وصـلت الیهم أحادیث متناقضة فیها! فمنها أحادیث تقول إن النبی صلی الله علیه وآله أمر بتغییر الشیب ومخالفة الیهود الذین یحرمون صبغ الشیب، وأحادیث تقول إنه أمر بصبغه بالحناء، أی بـاللون الاـحمر الـذی تصـبغ به العرب ونهی عن السواد لأنـه خضـاب الکفـار! وأخری تقول إنه أمر بـالسواد، وأخری تقول بالکتم والوسم الأصفر...!

واختلفت روایاتهم فی أن النبی صـلی الله علیه وآله هل صبغ شیبه أم لا، فروایةٌ تقول إنه صبغه بالحناء، ولکنهم رجحوا أخری تقول لم یدرکه الشیب إلا شعرات قلیلة ولم یصبغها.

قال مسلم فی صحیحه: ۷/۸۴ و۸۵: قال سئل أنس بن مالک عن خضاب النبی(ص)فقال: لو شئت أن أعد شمطات کن فی رأسه فعلت وقال: لم یختضب وقد اختضب أبو بکر بالحناء والکتم واختضب عمر بالحناء بحتا. انتهی.

وقد روی الجمیع خضاب أبی بکر وعمر بالحناء والکتم کما فی مسند أحمد: ۳/۱۰۰ وج ۳/۱۰۸ وص ۱۶۰ وص ۱۷۸.

ولکن تحیر أصـحاب الصـحاح کان علی مسـتوی الروایة فقط، أما الرأی السائدالمتبع عندهم فهو النهی المشدد عن الخضاب بالسواد، لأنه رأی الدولة من زمن أبی بکر وعمر وعثمان ومعاویة..إلی آحر الخلافة الأمویة!

ولذا جعل النسائی عنوان المسألة: النهی عن الخضاب بالسواد وقال فی:۸/۳۸

عن ابن عباس رفعه أنه قال: قوم یخضبون بهذا السواد آخر الزمان کحواصل الحمام لا یریحون رائحة الجنة.

عن أبی الزبیر عن جـابر قـال أتی بـأبی قحافـة یوم فتـح مکـة، ورأسه ولحیته کالثغامـة بیاضـاً، فقـال رسول الله (ص): غیروا هـذا بشـئ واجتنبوا السـواد... ثم قال النسائی: والناس فی ذلک مختلفون، والله تعالی أعلم، لعل المراد الخالص، وفیه أن الخضاب بالسواد حرامٌ أو مکروهٌ، وللعلماء فیه کلام، وقد مال بعض إلی جوازه للغزاة، لیکون أهیب فی عین العدو، والله تعالی أعلم.

أما الفقهاء فقد قننوا المسألة وأعطوها صـیغتها الشرعیة، وأجمعوا علی ذم الحضاب بالسواد، ذمَّ تحریم، وربما وجد فیهم نادرٌ یقول بأنه ذم تنزیه!

قال النووی فی المجموع:۱/۲۹۴:

(فرع) اتفقوا علی ذم خضـاب الرأس أو اللحیـة بـالسواد، ثم قـال الغزالی فی الأحیاء والبغوی فی التهـذیب وآخرون من الأصـحاب هو مکروه، وظـاهر عبـاراتهم أنه کراهـة تنزیه، والصـحیح بـل الصواب أنه حرام. وممن صـرح بتحریمه صـاحب الحـاوی فی باب الصـلاة بالنجاسـة، قـال إلاـ أن یکون فی الجهاد، وقال فی آخر کتابه الأحکام السـلطانیة: یمنع المحتسب الناس من خضاب الشیب بالسواد إلا المجاهد.

ودلیل تحریمه حـدیث جابر (رض) قال: أتی بأبی قحافـة والـد أبی بکر الصدیق رضـی الله عنهما یوم فتح مکة ورأسه ولحیته کالثغامة بیاضاً، فقال رسول الله (ص): غیروا هـذا واجتنبوا السواد. رواه مسـلم فی صـحیحه، والثغامـة بفتـح الثاء المثلثـة وتخفیف الغین المعجمة نبات له ثمر أبیض. وعن ابن عباس (رض) قال: قال رسول الله (ص): یکون قوم یخضـبون فی آخر الزمان بالسواد کحواصل الحمام لا یریحون رائحة الجنة. رواه أبو داود والنسائی وغیرهما، ولا فرق فی المنع من الخضاب بالسواد بین الرجل والمرأة، هذا مذهبنا. انتهی.

وقال ابن قدامة فی المغنی:۱/۷۶:

وعن الحکم بن عمر الغفاری قال: دخلت أنا وأخی رافع علی أمیر المؤمنین عمر وأنا مخضوب بالحناء وأخی مخضوب بالصـفرة، فقال عمر بن الخطاب: هذا خضاب الإسـلام، وقال لاخی رافع: هذا خضاب الإیمان. ویکره (وکره) الخضاب بالسواد. قیل لابی عبدالله تکره الخضاب بالسواد قال إی والله...! انتهی.

وروی الحاکم قصة أخری مشابهة وجعل رأی الخلیفة عمر حدیثاً مسنداً قال فی المستدرک:۳/۵۲۶ قال:

دخل عبـدالله بن عمر علی عبـدالله بن عمرو وقـد سوَّدَ لحیته، فقال عبـدالله بن عمر: السـلام علیک أیها الشویب! فقال له ابن عمرو: أما

تعرفنی یا أبا عبدالرحمن؟ قال بلی أعرفک شیخاً فأنت الیوم شاب! إنی سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: الصفرة خضاب المؤمن، والحمرة خضاب المسلم، والسواد خضاب الکافر. انتهی.

وقال عنه فی مجمع الزوائد:۵/۱۶۳: رواه الطبرانی وفیه من لم أعرفه. انتهی.

– وقد سئل الشیخ ابن باز فی کما فی فتاویه:۴/۵۸ طبعة مکتبة المعارف بالریاض:

– مامدی صحة الأحادیث التی وردت فی صبغ اللحیة بالسواد، فقد انتشر صبغ اللحیة بالسواد عند کثیر ممن ینتسبون إلی العلم؟

فقال فی جوابه: فی هذا الباب أحادیث صحیحة کثیرة، وذکر حدیث حواصل الحمام، وقال بعده: وهذا وعیدٌ شدید، وفی ذلک أحادیث أخری، کلها تدل علی تحریم الخضاب بالسواد، وعلی شرعیة الخضاب بغیره. انتهی.

والمتتبع لنصوص المسألة یصل إلی قناعة بأن مرسوم الحرمان من الجنة مرسومٌ قرشی..وسببه أن العرب ومنهم قریش کانوا یصبغون شیبهم بالحناء الذی یأتیهم من الهند، وبعضهم یصبغونه بالورس والزعفران الذی یأتیهم من الیمن وإیران (لاحظ مغنی ابن قدامة:۱/۷۶).

وأول من خضب بالسواد من العرب عبد المطلب کما نص السهیلی فی الروض الانف:۱/۷ ونقله عنه النووی فی المجموع:۱۸/۲۵۴.

ولا یبعد أنه صار بعد عبد المطلب رمزاً لبنی هاشم. وسیأتی أن الإسلام أقر عدة تشریعات سنَّها عبد المطلب بإلهام من الله تعالی مثل: الطواف سبعاً، والدیة، ومنها سنَّة الخضاب بالوسم.

ماذا یصنع رواة الخلافة القرشیة بهذه الأحادیث

تدل الأحادیث من مصادر الجمیع علی أن الإسلام أقر سنَّة عبد المطلب فی صبغ الشیب بالسواد فقد روی ابن ماجة فی سننه:۲/۱۱۹۷ عن صهیب قال: قال رسول الله (ص): إن أحسن ما اختضبتم به لَهَذَا السواد، أرغب لنسائکم فیکم، وأهیب لکم فی صدور عدوکم. انتهی.

وقالوا بعده: هذا الحدیث معارض لحدیث النهی عن السواد، وهو أقوی إسناداً وأیضاً النهی یقدم عند المعارضة، وفی الزوائد: إسناده حسن. انتهی.

وإذا صح ما ذکره رواة قریش من أن النهی دائماً أقوی من الرخصة، وأن الخضاب بالسواد حرام وصاحبه لا یشم رائحة الجنة! فهل یلتزمون بأن الإمام الحسین علیه السلام سید شباب أهل الجنة لا یشم رائحتها!

فقد روی البخاری فی صحیحه:۴/۲۱۶:

عن أنس بن مالک (رض): أتی عبید الله بن زیاد برأس الحسین بن علی فجعل فی طست فجعل ینکته وقال فی حسنه شیئاً فقال أنس: کان أشبههم برسول الله(ص)وکان مخضوباً بالوسمة! انتهی. والوسمة هی السواد.

وفی مجمع الزوائد:۵/۱۶۲:

عن محمد بن علی أنه رأی الحسن بن علی (رض) مخضوباً بالسواد علی فرس ذنوب. رواه الطبرانی ورجاله رجال الصحیح، خلا محمد بن إسماعیل بن رجاء وهو ثقة. وعن سلیم قال: رأیت جریر بن عبدالله یخضب رأسه ولحیته بالسواد. رواه الطبرانی وسلیم والراوی عنه لم أعرفهما.

وعن محمد بن علی أن الحسین بن علی (رض) کان یخضب بالسواد. رواه الطبرانی ورجاله رجال الذی قبله، وقد روی عنهما من طرق وهذه أصحها ورجالها رجال الصحیح.

وعن عبد الرحمن بن بزرج قال: رأیت الحسن والحسین ابنی فاطمة یخضبان بالسواد، وکان الحسین یدع العنفقة. رواه الطبرانی وفیه ابن لهیعة وحدیثه حسن وفیه ضعف، وبقیة رجاله ثقات.

وعن عبدالله بن أبی زهیر قال: رأیت الحسین بن علی یخضب بالوسمة. رواه الطبرانی وعبد الله بن أبی زهیر لم أعرفه، وبقیة رجاله ثقات. انتهی.

وجریر بن عبدالله المذکور هو البجلی من کبار أصحاب علی علیه السلام ومن قادة جیشه وقد حمل عدداً من رسائله إلی معاویة.

فیتضح من ذلک أن أهل البیت (علیهم السلام) وشیعتهم کانوا یخضبون شیبهم بالسواد. وأن النهی عن السواد نهی قرشیء لا نبوی، وغرضه إبعاد الناس عن التشبه ببنی هاشم المعارضین للدولة!

بل ماذا یصنع الشیخ ابن باز بإمامه الزهری الذی روی عنه البخاری نحو ۱۲۰۰ روایة فی صحیحه، فقد کان-بعد أن خفَّت حدة المسألة فی القرن الثانی-یصبغ شیبه بالسواد، ویقول إن النبی أمر بتغییر الشیب ولم یحدد لون الصبغ!

قال أحمد فی مسنده:۲/۳۰۹:

قال رسول الله (ص): إن الیهود والنصاری لا یصبعون فخالفوهم. قال عبد الرزاق فی حدیثه: قال الزهری: والأمر بالاصباغ، فأحلکها أحب الینا. قال معمر: وکان الزهری یخضب بالسواد. انتهی.

رأی أهل البیت

روی الکلینی فی الکافی:۶/۴۸۱:

عن: أحمد بن محمد، عن سعید بن جناح، عن أبی خالد الزیدی، عن جابر، عن أبی جعفر علیه السلام قال: دخل قوم علی الحسین بن علی صلوات الله علیهما فرأوه مختضباً بالسواد فسألوه عن ذلک، فمد یده إلی لحیته ثم قال: أمر رسول الله صلی الله علیه وآله فی غزاة غزاها أن یختضبوا بالسواد، لیقووا به علی المشرکین.

وفی الکافی:۶/۴۸۳:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبی عبدالله، عن عدة من أصحابه، عن علی بن أسباط، عن عمه یعقوب بن سالم قال: قال أبو عبدالله علیه السلام: قتل الحسین صلوات الله علیه وهو مختضب بالوسمة.

وفی الکافی:۶/۴۸۰:

محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد، عن علی بن الحکم، عن مسکین بن أبی الحکم، عن رجل، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: جاء رجل إلی النبی صلی الله علیه وآله فنظر إلی الشیب فی لحیته فقال النبی صلی الله علیه وآله: نورٌ، ثم قال: من شاب شیبةً فی الإسلام کانت له نوراً یوم القیامة. قال فخضب الرجل بالحناء ثم جاء إلی النبی صلی الله علیه وآله فلما رأی الخضاب قال: نورٌ وإسلامٌ، فخضب الرجل بالسواد، فقال النبی صلی الله علیه وآله: نورٌ وإسلامٌ وإیمانٌ، ومحبةٌ إلی نسائکم، ورهبةٌ فی قلوب عدوکم.

وفی الکافی:۶/۴۸۰:

محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم قال: دخلت علی أبی الحسن (الرضا) علیه السلام وقد اختضب بالسواد فقلت: أراک قد اختضبت بالسواد؟ فقال: إن فی الخضاب أجراً، والخضاب والتهیئة مما یزید الله عز وجل فی عفة النساء، ولقد ترک النساء العفة بترک أزواجهن لهن التهیئة!

وفی من لا یحضره الفقیه:۱/۱۲۲:

قال الصادق علیه السلام: الخضاب بالسواد أنسٌ للنساء، ومهابةٌ للعدو.

وفی وسائل الشیعة:۱/۴۰۳:

محمد بن الحسین الرضی الموسوی فی نهج البلاغة عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنه سئل عن قول رسول الله صلی الله علیه وآله: غیروا الشیب، ولا تشبهوا بالیهود فقال: إنما قال ذلک والدین قلٌّ، وأما الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه فامرؤٌ وما اختار. انتهی.

ويفهم من هذا الحديث أن الأمر بتغيير الشيب ليس للوجوب، بل هو لإثبات الرخصة في مورد توهم الحظر والتحريم، كما يعتقد اليهود.

خلاصة المسألة

والخلاصة: أن الخضاب بالسواد سنة لعبد المطلب رضوان الله عليه، خالف فيها اليهود، وخالف فيها الخضاب بالأحمر والأصفر المستعمل عند العرب، وقد أقر الإسلام هذه السنة وجعلها مستحبة، ولم يحرم الخضاب بغيرها. بل لم يوجب في الأصل تغيير لون الشيب، وإنما جعله مستحباً في بعض الحالات.

ولكن دخلت قريش على الخط لتمسكها من جهة بالخضاب الأحمر والاصفر، وحساسيتها من جهة أخرى من عبد المطلب وأولاده الذين لم يعترفوا بخلافتها.. فنتج عن ذلك تحريم الخضاب بالسواد، وحرمان صاحبه من الجنة والشفاعة، وتسويد وجهه يوم القيامة!!

ولكن العباسيين أولاد عبد المطلب ثأروا لخضاب جدهم، فجعلوا راياتهم سوداء حتى سماهم الناس (المُسَوِّدَة) وبعد انتصارهم فرضوا لبس السواد على جميع المسلمين، خاصة أتباع الدولة، وجعلوه شعاراً لهم! فكان ذلك إفراطاً في الانتصار لخضاب عبد المطلب!

لذلك رأينا أن الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) نهوا عن لبس السواد إلا في الحرب، والحزن، خاصةً لمصاب الإمام الحسين عليه السلام، وفضلوا في الحالات العادية اللون الاخضر الذي كان يفضله النبي صلى الله عليه وآله.

وعندما أراد المأمون أن يتقرب إلى الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)ويغيض العباسيين الذين خلعوه، نقل ولاية العهد من العباسيين وأوصى بها للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وأمر بتغيير اللباس الاسود في الدولة إلى اللباس الأخضر.. وبذلك استقر اللون الاخضر شعاراً لبني هاشم، ثم شعاراً للعرب، والحمد لله.

وأخيراً لا يفوتنا أن نشير إلى حديث الرايات السود الثابت عن النبي صلى الله عليه وآله في علامات ولده المهدي الموعود عليه السلام وأن العباسيين حرصوا على مصادرته وتطبيقه على راياتهم وثورتهم، وسموا أحد خلفائهم بالمهدي، وأشهدوا كبار قضاتهم وفقهائهم على أنه المهدي الموعود المبشر به من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولكن المهدي العباسي لم يملا الأرض قسطاً وعدلاً، ولم يعط المال للناس حثياً بدون عدٍّ كما ورد في صفات المهدي عليه السلام.

فقد ورد في سيرة هذا المهدي العباسي أن قصره كان خالياً من التقوى والعدل، وأنه كان يصادر أموال الناس أحياناً حثياً أو حثواً من غير عد!!

مرسوم بحرمان الزوجة التي تطلب الطلاق

ومن مراسيم الصحاح في الحرمان من الشفاعة مرسومٌ مفيدٌ للرجال في حق الزوجة التي تطلب الطلاق من زوجها بدون سبب..

ففي سنن ابن ماجة:۱/۶۶۲:

عن ابن عباس أن النبي(ص)قال: لا تسأل المرأة زوجها الطلاق في غير كنهه فتجد ريح الجنة. وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً.

ورواه الترمذي في:۲/۲۹ ۳

وأبو داود:۱/۴۹۶

وأحمد:۵/۲۷۷ وص ۲۸۳

والدارمي:۲/۱۶۲

والحاكم في:۲/۲۰۰

والبيهقى فى سننه:۷/۳۱۶

والهندى فى كنز العمال:۱۶/۳۸۲ وص ۲۸۷ عن أحمد وأبى داود والترمذى وابن حبان وابن عساكر.

وفى بعض روايات الحديث: بدون عذر، والمقصود منه العذر القوى الذى يقبله المجتمع.

ولكنه تشديدٌ مبالغٌ فيه، فلا نعرف أحداً من الفقهاء يفتى بأن قولها لزوجها طلقنى يعتبر جريمة تستحق عليها العقوبة الدنيوية أو الاخروية، فإن أصل الطلاق حلال وإن كان مكروهاً، وطلبها الطلاق فى أصله حلال وقد يطرأ عليه ما يجعله مكروهاً أو منافياً للاخلاق، أو يجعله حراماً، أو واجباً.

وإذا حدث أن صار حراماً شرعاً، فلا يصير من المعاصى الكبائر التى يستحق صاحبها عقاب الدخول فى جهنم، والحرمان من الجنة ومن شفاعة نبيه صلى الله عليه وآله!!

وقد حاول بعض الفقهاء أن يتخلصوا من الحديث بتضعيفه، وساعدهم على ذلك أن الشيخين البخارى ومسلماً لم يروياه، فقد ذكروا بعد روايته فى ابن ماجة أن الهيثمى فى مجمع الزوائد ضَعَّف إسناده.. ولكن ذلك لا يحل المشكلة لأن الحاكم قال عنه فى المستدرك: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وحاولوا محاولةً أخرى أن يجعلوا الحديث فى طلب الزوجة الطلاق الخلعى من زوجها بسبب كرهها له، فقد وضع ابن ماجة الحديث تحت عنوان (باب كراهية الخلع للمرأة) ولكن واجههم قوله تعالى (فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) حيث نصت الآية على جواز افتداء المرأة نفسها من زوجها ببذل مهرها وطلب الطلاق الخلعى.. فاضطروا أن يحملوا الحديث على طلبها الخلع بدون سبب ويجعلوه مكروهاً لا حراماً!

وهكذا فعل ابن قدامة فى المغنى:۸/۱۷۶:

قال شارحاً قول الماتن (ولو خالعته لغير ما ذكرنا كره لها ذلك ووقع الخلع):

والظاهر أنه أراد إذا خالعته لغير بغض وخشية من أن لا تقيم حدود الله، لأنه لو أراد الأول لقال كره له، فلما قال كره لها دل على أنه أراد مخالعتها له والحال عامرة والأخلاق ملتئمة، فإنه يكره لها ذلك، فإن فعلت صح الخلع فى قول أكثر أهل العلم منهم أبو حنيفة والثورى ومالك والأوزاعى والشافعى، ويحتمل كلام أحمد تحريمه فإنه قال: الخلع مثل حديث سهلة تكره الرجل فتعطيه المهر فهذا الخلع، وهذا يدل على أنه لا يكون الخلع صحيحاً إلا فى هذه الحال، وهذا قول ابن المنذر وداود.

وقال ابن المنذر: وروى معنى ذلك عن ابن عباس وكثير من أهل العلم، وذلك لأن الله تعالى قال (وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلا أَنْ يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) فدل بمفهومه على أن الجناح لا حق بهما إذا افتدت من غير خوف، ثم غلظ بالوعيد فقال (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) وروى ثوبان قال: قال رسول الله(ص)(أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة) رواه أبوداود. وعن أبى هريرة عن النبى(ص)قال (المختلعات والمنتزعات هن المنافقات) رواه أبو حفص ورواه أحمد فى المسند وذكره محتجاً، به وهذا يدل على تحريم المخالعة لغير حاجة، ولانه إضرار بها وبزوجها وإزالة لمصالح النكاح من غير حاجة، فحرم لقوله عليه السلام (لا ضرر ولا ضرار). واحتج من أجازه بقول الله سبحانه (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) انتهى.

ولكن كل ذكاء هؤلاء الفقهاء لا يحل مشكلة الحديث أيضاً:

أولاً، لأن الحديث فى مجرد طلب الطلاق، وليس فى بذل المهر وطلب الخلع، وقد اعترف بذلك ابن حزم قال فى المحلى:۱۰/۲۳۶ حيث قال: قال أبو محمد (يعنى نفسه): واحتج من ذهب إلى هذا (حرمة الخلع) بما حدثناه عبدالله بن ربيع نا محمد ابن اسحاق بن السليم نا ابن الاعرابى نا محمد بن إسماعيل الصائغ نا عفان بن مسلم نا حماد نا أيوب السختيانى عن أبى قلابة عن أبى أسماء الرحبى عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة.

وبما روينا من طريق أحمد بن شعيب نا إسحق بن ابراهيم – هو ابن راهويه – أنا المخزومى هو المغيرة بن سلمة – نا وهيب عن أيوب السختيانى عن الحسن البصرى عن أبى هريرة عن النبى(ص)أنه قال: المنتزعات والمختلعات هن المنافقات. قال الحسن: لم أسمعه من أبى هريرة.

قال أبو محمد: فسقط بقول الحسن أن تحتج بذلك الخبر. وأما الخبر الأول فلا حجة فيه فى المنع من الخلع لأنه إنما فيه الوعيد على السائلة الطلاق من غير بأس وهكذا نقول. انتهى.

وثانياً، لو سلمنا أن الحديث فى طلب الخلع، فلا بد لهم من القول بحرمته على الزوجة مطلقاً بسبب صيغة التشديد المؤكدة فيه، وذلك مخالف لقوله تعالى (فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا).

ولذلك اضطروا إلى التنازل كما رأيت إلى القول بالكراهة فقط!

ومعناه أنهم اضطروا أن يبطلوا مرسوم الحديث بحرمان هذه الزوجة من رائحة الجنة ورائحة الشفاعة! ولكنه إبطالٌ له بصيغة الإستدلال به، والاحترام له!!

ولم يتسع لنا الوقت لبحث فتوى اليهود فى هذه المسألة، ومن المحتمل أن أصل حديثها من الإسرائيليات التى تسربت إلى فقهنا!!

محاولة القرشيين حرمان بنى هاشم من شفاعة النبى

توجد عدة مسائل تتعلق بأسرة النبى صلى الله عليه وآله بنى عبد المطلب وبنى هاشم.

المسألة الأولى، فى إيمان آباء النبى وأمهاته صلى الله عليه وآله: ومذهبنا أن كل آباء النبى وأمهاته مؤمنون طاهرون مطهرون، من آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة، صلوات الله عليه وعليهم. وقد روينا فى ذلك أحاديث صحيحة ودلت عليه آيات كريمة، ووافقنا على هذا الرأى عدد من علماء إخواننا السنة مثل الفخر الرازى والسيوطى وغيرهما، وألفوا فى ذلك رسائل مستقلة.

بينما قال أكثر السنة إن آباء النبى وأمهاته صلى الله عليه وآله كفار مشركون، وأنهم فى النار، ورووا فى ذلك روايات هى عندهم صحيحة! منها رواية خشنة رواها مسلم فى:۱/۱۳۳: أن رجلاً ـ قال يا رسول الله أين أبى؟ قال فى النار، فلما قفى دعاه فقال: إن أبى وأباك فى النار!!

المسألة الثانية، فى شفاعة النبى صلى الله عليه وآله لبنى هاشم وبنى عبد المطلب، وهم ثلاثة أصناف: صنف مات قبل البعثة. وصنف أسلموا وهاجروا وجاهدوا مع النبى صلى الله عليه وآله. وصنف لم يذكر التاريخ أنهم أسلموا ولكنهم ناصروا النبى صلى الله عليه وآله فى مواجهة قريش وتحملوا معه حصار الشعب ثلاث سنين، وهم كل من بقى من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ماعدا أبى لهب.

ومذهبنا أن شفاعة النبى صلى الله عليه وآله تشمل أول ما تشمل بنى هاشم وبنى عبد المطلب، من ارتضى الله منهم، وكلهم عندنا مرضى إلا ـ من ثبت فيه عدم الإرتضاء وأنه من أهل النار مثل أبى لهب. وقد ثبت عندنا إسلام أبى طالب وإيمانه، وأنه كان يكتم إيمانه مثل مؤمن آل فرعون.

ومذهب إخواننا السنة فى هذه المسألة متفاوت، ففى رواياتهم ما يوافقنا تقريباً، وفيها روايات تحاول حرمان كل بنى هاشم من شفاعة النبى صلى الله عليه وآله!

المسألة الثالثة: فى موقع على عليه السلام وعترة النبى صلى الله عليه وآله يوم القيامة من الشفاعة العظمى التى يعطاها صلى الله عليه وآله..ومذهبنا أن عترة النبى صلى الله عليه وآله الذين نصَّ عليهم بأسمائهم هم أوصياؤه وخلفاؤه الشرعيون وأئمة المسلمين وهداتهم بأمر الله تعالى، وأنهم خيرة البشر بعد النبى صلى الله عليه وعليهم، وهم معه يوم القيامة، وبأيديهم ينفذ الشفاعة المعطاة له من الله تعالى، ويفوضهم فى كثير من الأمور.

وقد ثبت عندنا وروى السنيون أن لواء الحمد الذى هو رئاسة المحشر يجعله النبى صلى الله عليه وآله بيد على عليه السلام كما كان

صاحب لوائه فی الدنیا.

وأن مقام الصدیقة الزهراء علیها السلام فی الشفاعة یوم القیامة مقام ممیزٌ حتی من بین العترة.

أما السنیون فلیس لهم مذهبٌ واحدٌ فی مقام عترة النبی صلی الله علیه وآله یوم القیامة، بل حتی فی مقام صحابته، لأن روایاتهم فی ذلک متناقضة..فهم یریدون إعطاء الصحابة المرتبة الأولی بعد النبی صلی الله علیه وآله، ولکن النصوص الصحیحة عندهم فی دخول بعض الصحابة النار، وفی المقام الممیز للعترة الطاهرة، تأبی علیهم ذلک، فیقعون فی حیص بیص!

حساسیة قریش من أسرة النبی

من الواضح للمطلع علی السیرة أن الدافع الاساسی لتکذیب قبائل قریش بنبوة النبی صلی الله علیه وآله ورفضهم لها، کان دافعاً سیاسیاً، لانهم إذا آمنوا بنبوة ابن عبد المطلب بن هاشم، فقد اعترفوا بالقیادة لبنی هاشم وصاروا أتباعاً لهم، وانتهی الأمر!

ولذلک کانوا شدیدین فی تکذیبهم، متحدین فی موقفهم، شرسین فی مواجهتهم، صریحین فی إظهار تخوفهم..

وکان بعض قریش وغیر قریش یفاوضون النبی صلی الله علیه وآله علی الإیمان بنبوته، بشرط أن یکون لهم (الأمر) من بعده..ولکن النبی صلی الله علیه وآله کان نبیاً مبلغاً عن ربه تعالی، ولم یکن مساوماً علی الأمر من بعده.

لقد ظهرت هذه الحقیقة القرشیة العمیقة منذ إعلان النبی بعثته الشریفة ثم واجهته طوال نبوته، ولم تنته حتی بعد وفاته!

وهی حقیقةٌ ضخمةٌ لم تعطَ حقها من الدراسة، بسبب أن القرشیین بعد انتصار النبی صلی الله علیه وآله علیهم ودخولهم تحت حکمه کرهاً وطوعاً، جعلوا مواجهتهم معه من نوع الحرب الباردة، ثم ما أن توفی النبی صلی الله علیه وآله حتی أخذوا السلطة وأبعدوا أهل بیته وحاصروهم! وألقوا بثقلهم لصیاغة السنة والسیرة والتاریخ لمصلحة قبائل قریش، وضد العترة الطاهرة!

وغرضنا هنا أن نعرض نماذج من حساسیة قریش من أسرة النبی صلی الله علیه وآله، لکی نفهم تأثیرها علی روایاتهم فی کفر آباء النبی صلی الله علیه وآله وروایاتهم فی عدم انتفاع بنی هاشم بقرابتهم من النبی صلی الله علیه وآله وشفاعته!

وهو باب خطیرٌ والدراسات فیه ممنوعةٌ، ولکن القلیل منه یجعل الباحث یتوقف ملیاً فی قبول أی حدیث سلبی عن أسرة النبی صلی الله علیه وآله جاءت روایته عن طریق القرشیین من غیر أهل بیته!

حادثة خطیرة، عتمتها الصحاح

روی البخاری فی:۱/۳۲: تحت عنوان: باب الغضب فی الموعظة والتعلیم:

عن أبی بردة عن أبی موسی قال: سئل النبی(ص)عن أشیاء کرهها فلما أکثر علیه غضب ثم قال للناس سلونی عما شئتم! قال رجل: من أبی؟ قال أبوک حذافة! فقام آخر فقال: من أبی یا رسول الله؟ فقال أبوک سالم مولی شیبة! فلما رأی عمر ما فی وجهه قال: یا رسول الله إنا نتوب إلی الله عز وجل!

باب من برک علی رکبتیه عند الإمام أو المحدث:

عن الزهری قال أخبرنی أنس بن مالک أن رسول الله(ص)خرج فقام عبدالله بن حذافة فقال من أبی؟ فقال أبوک حذافة، ثم أکثر أن یقول سلونی! فبرک عمر علی رکبتیه فقال: رضینا بالله رباًوبالإسلام دیناً وبمحمد(ص)نبیاً، فسکت! انتهی.

عندما تقرأ هذا النص تحس أنه لیس طبیعیاً! فهو یقول: أکثروا علیه السؤال فغضب.. ثم قال: سلونی عما شئتم.. ثم أکثر أن یقول سلونی.. فسألوه هل هم أولاد شرعیون أو أولاد زنا!! فبرَّأ صحابیاً وفضح آخر علی رؤوس الإشهاد، وشهد بأنه ابن زنا! ثم أصرَّ علیهم: سلونی سلونی سلونی..!! فقام عمر وأعلن التوبة فهدأ الموقف وسکت النبی صلی الله علیه وآله!!

فما هی القصة، وما سبب هذا الغضب والتحدی والفضح النبوی! والتوبة العمریة؟!

الذی یساعد الباحث هنا أن القصهٔ وإن قطّعتها الصحاح، لکنها روتها هی وغیرها بأکثر من عشرین نصاً..فیمکن للباحث أن یجمع منها خیوطاً کثیرهٔ.

یقول مسلم فی صحیحه لم یکن غضب النبی صلی الله علیه وآله لسؤال کما قال البخاری! بل بلغه عن أصحابه شئ کریه! فصعد المنبر وخطب وطلب منهم أن یسألوه (عن أنسابهم) وتحداهم فخافوا وبکوا، فقام عمر وتاب!!

قال مسلم فی صحیحه:۷/۹۲:

عن أنس بن مالک قال: بلغ رسول الله(ص)عن أصحابه شئ فخطب فقال: عرضت علی الجنهٔ والنار فلم أر کالیوم فی الخیر والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحکتم قلیلًا ولبکیتم کثیراً. قال فما أتی علی أصحاب رسول الله(ص)یوم أشد منه!! قال غطّوا رؤسهم ولهم خنین! قال فقام عمر فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد نبیاً! قال فقام ذاک الرجل فقال: من أبی؟ قال أبوک فلان، فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ! انتهی. وروی مسلم جزء منها أیضاً فی:۳/۱۶۷

فالمسألهٔ إذن غضبٌ نبویٌّ لما بلغه عن (أصحابه) وخطبهٌ ناریهٔ.. وتحدٍّ نبوی لهم فی أنسابهم.. وأشد یوم مر علیهم مع نبیهم.. وبکاء الصحابهٔ المعنیین خوفاً من إطاعهٔ الرسول وسؤاله عن نسبهم.. والفضیحهٔ.. وإعلان عمر توبته وتوبتهم..!!

وهکذا تبدأ خیوط الحادثهٔ بالتجمع..ویمکنک بعد ذلک أن تجمع من خیوطها من نفس البخاری!

قال البخاری فی:۱/۱۳۶:

عن الزهری قال أخبرنی أنس بن مالک أن رسول الله(ص)خرج حین زاغت الشمس فصلی الظهر، فقام علی المنبر فذکر الساعهٔ فذکر أن فیها أموراً عظاماً، ثم قال: من أحب أن یسأل عن شئ فلیسأل فلا تسألونی عن شئ إلا أخبرتکم ما دمت فی مقامی هذا!! فأکثر الناس فی البکاء وأکثر أن یقول سلونی! فقام عبدالله بن حذافهٔ السهمی فقال: من أبی؟ قال أبوک حذافهٔ!

ثم أکثر أن یقول سلونی!! فبرک عمر علی رکبتیه فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد نبیاً! فسکت، ثم قال: عرضت علی الجنهٔ والنار آنفاً فی عرض هذا الحائط فلم أر کالخیر والشر!

وقال البخاری فی:۷/۱۵۷:

عن أنس (رض) سألوا رسول الله(ص)حتی أحفوه المسألهٔ فغضب فصعد المنبر فقال: لا تسألونی الیوم عن شئ إلا بینته لکم، فجعلت أنظر یمیناً وشمالًا فإذا کل رجل لافٌّ رأسه فی ثوبه یبکی! فإذا رجل کان إذا لاحی الرجال یدعی لغیر أبیه، فقال: یا رسول الله من أبی؟ قال: حذافهٔ ثم أنشأ عمر فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد(ص)رسولًا نعوذ بالله من الفتن. فقال رسول الله (ص): ما رأیت فی الخیر والشر کالیوم قط! إنه صورت لی الجنهٔ والنار حتی رأیتهما وراء الحائط. وروی نحوه أیضاً فی: ۸/۹۴

وقال البخاری فی:۸/۱۴۳:

عن الزهری أخبرنی أنس بن مالک (رض) عن النبی(ص)خرج حین زاغت الشمس فصلی الظهر فلما سلم قام علی المنبر فذکر الساعهٔ، وذکر أن بین یدیها أموراً عظاماً ثم قال: من أحب أن یسأل عن شئ فلیسأل عنه، فوالله لا تسألونی عن شئ إلا أخبرتکم به ما دمت فی مقامی هذا! قال أنس فأکثر الناس البکاء! وأکثر رسول الله(ص)أن یقول سلونی!! فقال أنس فقام إلیه رجل فقال: أین مدخلی یا رسول الله؟ قال النار!!! فقام عبدالله بن حذافهٔ فقال: من أبی یا رسول الله؟ قال أبوک حذافهٔ. قال ثم أکثر أن یقول سلونی سلونی!! فبرک عمر علی رکبتیه فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد(ص)رسولًا. قال فسکت رسول الله(ص)حین قال عمر ذلک! ثم قال رسول الله: أولی، والذی نفسی بیده لقد عرضت علی الجنهٔ والنار آنفاً فی عرض هذا الحائط وأنا أصلی، فلم أر کالیوم فی الخیر والشر!

وقال البخاری فی:۴/۷۳:

عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر (رض) یقول: قام فینا النبی(ص)مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتی دخل أهل الجنهٔ منازلهم وأهل

النار منازلهم...! حفظ ذلک من حفظه ونسیه من نسیه.

وقال أبو داود:۱/۵۴۲:

عن أبی قتادة أن رجلاً أتی النبی(ص)فقال: یا رسول الله کیف تصوم؟ فغضب رسول الله(ص)من قوله، فما رأی ذلک عمر قال: رضینا بـالله ربـاً وبالإسـلام دینـاً وبمحمـد نبیاً نعوذ بـالله من غضب الله ومن غضب رسوله، فلم یزل عمر یرددهـا..حتی سـکن غضب رسول الله(ص). انتهی.

وقال فی مجمع الزوائد:۱/۱۶۱:

عن أبی فراس رجل من أسـلم قال قال رسول الله(ص)ذات یوم: سـلونی عما شئتم؟ فقال رجل: یا رسول الله من أبی؟ قال: أبوک فلان الـذی تـدعی إلیه، وسأله رجل: فی الجنة أنا؟ قال: فی الجنة. وسأله رجل: فی الجنة أنا؟ قال: فی النار!! فقال عمر: رضـینا بالله رباً. رواه الطبرانی فی الکبیر ورجاله رجال الصحیح.

وقال فی مجمع الزوائد:۷/۱۸۸ وص ۳۹۰:

وعن أنس قال خرج رسول الله(ص)وهو غضبان! فخطب الناس فقال: لا تسألونی عن شئ الیوم إلا أخبرتکم به، ونحن نری أن جبریل معه! قلت فـذکر الحـدیث إلی أن قال فقال عمر: یا رسول الله إنا کنا حـدیثی عهـد بجاهلیـة فلا تبـد علینا سوآتنا فاعف عفا الله عنک! رواه أبو یعلی ورجاله رجال الصحیح.

وفی مجمع الزوائد: ۹/۱۷۰:

وأتاه العباس فقال: یا رسول الله إنی انتهیت إلی قوم یتحدثون فلما رأونی سکتوا وما ذاک إلا لانهم یبغضونا! فقال رسول الله (ص): أو قد فعلوها؟! والذی نفسی بیده لا یؤمن أحدهم حتی یحبکم، أیرجون أن یدخلوا الجنة بشفاعتی، ولا یرجوها بنو عبد المطلب!

وفی مجمع الزوائد:۹/۲۵۸:

وجلس علی المنبر ساعة وقال: أیها الناس مالی أوذی فی أهلی؟! فوالله إن شفاعتی لتنال حی حا، وحکم، وصدا، وسلهب، یوم القیامة!

وفی مجمع الزوائد:۸/۲۱۴:

عقد الهیثمی باباً فی عدة صـفحات بعنوان: باب فی کرامة أصـله(ص). وأورد فیه أحادیث عن طهارة آباء النبی وأمهاته صـلی الله علیه وعلیهم، ونقـل حـوادث خطیرة أهـان فیهـا القرشـیون أسـرة النـبی صـلی الله علیه وآله فی حیـاته، وهم تحت قیـادته فی المدینـة، وهم مسلمون مهاجرون، أو طلقاء منَّ علیهم بالعفو بالأمس فی فتح مکة! فغضب النبی صلی الله علیه وآله وأجابهم بشدة!

الحادثة الأولی:

عن عبـد الله بن عمر قـال إنا لقعودٌ بفناء رسول الله(ص)إذ مرت امرأة فقال رجل من القوم: هـذه ابنـة محمـد، فقال رجل من القوم: إن مثـل محمـد فی بنی هـاشم مثل الریحانـة فی وسط النتن! فانطلقت المرأة فأخبرت النبی (ص)فجاء النبی(ص)یعرف فی وجهه الغضب، ثم قام علی القوم فقال: ما بال أقوال تبلغنی عن أقوام! إن الله عز وجل خلق السـموات سـبعاً فاختار العلیا منها فسـکنها وأسـکن سمواته من شاء من خلقه، وخلق الخلق فاختار من الخلق بنی آدم، واختار من بنی آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قریشاً، واختـار من قریش بنی هـاشم، واختـارنی من بنی هـاشم، فأنـا من خیار إلی خیار، فمن أحب العرب فبحبی أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضی أبغضهم.

والثانیة:

عن عبـد المطلب بن ربیعـة بن الحـارث بن عبـدالمطلب قـال: أتی نـاس من الأنصار النبی(ص)فقالوا: إنا نسـمع من قومک حتی یقول القائل منهم إنما مثل محمـد نخلة نبتت فی الکبا (قال حسـین الکبا الکناسة) فقال رسول الله (ص): أیها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله، قال: أنا محمـد بن عبد الله بن عبدالمطلب - قال فما سـمعناه ینتمی قبلها - ألا أن الله عز وجل خلق خلقه ثم فرقهم فرقتین، فجعلنی

فى خير الفريقين، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرهم بيتاً، فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً... رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

والثالثة:

عن ابن عباس قال توفى ابنٌ لصفية عمة رسول الله(ص)فبكت عليه وصاحت، فأتاها النبى(ص)فقال لها: يا عمة ما يبكيك؟ قالت توفى ابنى، قال: يا عمة من توفى له ولدٌ فى الإسلام فصبر، بنى الله له بيتاً فى الجنة. فسكتت ثم خرجت من عند رسول الله(ص)فاستقبلها عمر بن الخطاب فقال: يا صفية قد سمعت صراخك، إن قرابتك من رسول الله(ص)لن تغنى عنك من الله شيئاً! فبكت فسمعها النبى(ص)وكان يكرمها ويحبها، فقال: يا عمة أتبكين وقد قلت لك ماقلت؟! قالت: ليس ذاك أبكانى يا رسول الله، استقبلنى عمر بن الخطاب فقال إن قرابتك من رسول الله(ص)لن تغنى عنك من الله شيئاً! قال فغضب النبى(ص) وقال: يا بلال هجِّر بالصلاة فهجر بلال بالصلاة، فصعد المنبر(ص)فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتى لا تنفع!! كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى، فإنها موصولة فى الدنيا والآخرة!

فقال عمر: فتزوجت أم كلثوم بنت على رضى الله عنهما لما سمعت من رسول الله(ص)يومئذ، أحببت أن يكون لى منه سببٌ ونسب.

ثم خرجت من عند رسول الله(ص)فمررت على نفر من قريش فإذا هم يتفاخرون ويذكرون أمر الجاهلية فقلت رسول الله(ص)! فقالوا: إن الشجرة لتنبت فى الكبا (المزبلة) قال فمررت إلى النبى(ص)فأخبرته! فقال يا بلال هجر بالصلاة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله، قال أنسبونى، قالوا أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال أجل أنا محمد بن عبد الله، وأنا رسول الله، فما بال أقوام يبتذلون أصلى!! فوالله لانا أفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً!

قال فلما سمعت الأنصار بذلك قالت قوموا فخذوا السلاح، فإن رسول الله(ص)قد أغضب، قال فأخذوا السلاح ثم أتوا النبى(ص)لا ترى منهم إلا الحدق، حتى أحاطوا بالناس فجعلوهم فى مثل الحرة، حتى تضايقت بهم أبواب المسجد والسكك!! ثم قاموا بين يدى رسول الله(ص)فقالوا: يا رسول الله لا- تأمرنا بأحد إلا أبَّرنا عترته. فلما رأى النفر من قريش ذلك قاموا إلى رسول الله(ص)فاعتذروا وتنصلوا!! فقال رسول الله (ص): الناس دثارٌ والأنصار شعار، فأثنى عليهم وقال خيراً. انتهى.

وقال فى الدر المنثور:٢/٣٣٥:

وأخرج الفريابى وابن جرير وابن مردويه عن أبى هريرة قال: خرج رسول الله(ص)وهو غضبان محمار وجهه، حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال: أين آبائى؟ قال فى النار! فقام آخر فقال من أبى؟ فقال أبوك حذافة، فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً، إنا يا رسول الله حديثُ عهد بجاهلية وشرك والله أعلم من آباؤنا!! فسكن غضبه، ونزلت هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ.

وقال فى الدر المنثور:٤/٣٠٩:

وأخرج الزبير بن بكار فى الموفقيات عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سألت عمر بن الخطاب (رض)عن قول الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ؟ قال: كان رجال من المهاجرين فى أنسابهم شئ فقالوا يوماً والله لوددنا أن الله أنزل قرآناً فى نسبنا، فأنزل الله ما قرأت.

ثم قال لى: إن صاحبكم هذا يعنى على بن أبى طالب إن ولى زهد، ولكنى أخشى عجب نفسه أن يذهب به. قلت: يا أمير المؤمنين إن صاحبنا من قد علمت، والله ما نقول إنه غيَّر ولا بدل ولا أسخط رسول الله(ص)أيام صحبته! فقال: يابن عباس من ظن أنه يرد بحوركم فيغوص فيها حتى يبلغ قعرها فقد ظن عجزاً! انتهى.

وراجع أيضاً: سنن ابن ماجة:١/٥٤٦، ومسند أحمد:٣/١٦٢ وص ١٧٧ وج ٥/٢٩٦ و٣٠٣، وسنن البيهقى:٤/٢٨٦، ومصنف عبد الرزاق:١١/٣٧٩، وكنز العمال:٤/٤٤٣ وج ١٣/٤٥٣

من مجموع هذه النصوص يصل الباحث إلى نتائج قطعية متعددة، نذكر منها:

أولاً – أن القرشيين لم يتركوا حساسيتهم من بنى هاشم حتى بعد فتح مكة وإعلان إسلامهم! غاية الأمر أنهم استثنوا منهم شخص النبى صلى الله عليه وآله!

بـل من حق الباحث أن يشك فى هـذا أيضاً، فالطلقاء أسـلموا مهزومين تحت السيف! ولم يكونوا يستطيعون أن يتفوهوا بحرف على شخص النبى صلى الله عليه وآله، وإلا كفروا وعرضوا أنفسهم لسيوف الأنصار!

ثانياً–أن القرشيين كانوا فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وفى عاصمته، وتحت لواء نبوته، وتحت سيوف الأنصار.. شرسين على أسرته وعشيرته صلى الله عليه وآله، وكانت ألسنتهم بذيئة على أصل النبى صلى الله عليه وآله وعشيرته، حتى ضجَّ من ذلك الأنصار، وجاؤوا يشـكون إلى النبى صـلى الله عليه وآله بـذاءة قريش بحقه، طالبين منه معالجـة هـذه الألسـنة المنافقـة، أو إصـدار أمر بتقتيلهم. وقد قال الهيثمى عن حديث شكوى الأنصار: رجاله رجال الصحيح!!

ثالثاً – أن الحوادث التى تكلم فيها القرشـيون على أسرة النبى صلى الله عليه وآله متعددة، فقد نقلت كتب الحديث منها أكثر من عشرة حوادث، ولا بد أن ما لم تنقله أكثر وأعظم!!

رابعـاً – أن النبى صـلى الله عليه وآله كانت حساسـيته من هـذا الموضوع عاليـة جـداً، وكان رده دائماً شديـداً، فهو يتعامل معه على أنه موضوع دينى وليس موضوعاً شخصياً، لأن عدم الإيمان بأسرته الطاهرة، يساوق عدم الإيمان به صلى الله عليه وآله.

خامسـاً – أن إحـدى الحوادث كـانت كـبيرة بـذاتها، أو بـالتراكم، فغضب الله تعـالى لغضب نبيه صـلى الله عليه وآله، وأمره بـالرد على القرشـيين (المسـلمين الصـحابة) وإتمام الحجـة عليهم، وأنزل عليه جبرئيل ليكون إلى جانبه يوجهه ويجيبه عن أنساب القرشـيين، وعن مستقبلهم فى الجنة أو فى النار!!!.

سادسـاً – أن النـبى صـلى الله عليه وآله أحضـرهم فى المسـجد وأمر الأنصـار بمحاصـرتهم بالسـلاح، وخطب خطبـةً نبويـةً ناريـة بليغة عاصـفة، صبَّ فيها الغضب الإلهى والنبوى على القرشـيين، وتحداهم فى أنسابهم وأعمالهم ونواياهم! فلفُّوا رؤوسهم! واستغشوا ثيابهم! وعلا خنينهم وبكاؤهم! وكان ذلك أشد يوم عليهم!!!

فتـدارك الموقف زعيمهم وتقـدم وبرك على قـدمى النـبى صـلى الله عليه وآله! وقبلهـا! وبكى له! ليعفو عنهم! ولا ـ يفضـح أنسـابهم! وعشائرهم! ولا يصدر عليهم حكمه بالقتل، أو بالحرمان من الحقوق المدنية حتى أداء الشـهادة!! فسـكت النبى صلى الله عليه وآله ولم يقل لهم كلمة قبول أو عفو! وهدأت عاصفة الانتقام النبوى فى الدنيا!!

سابعـاً – إنها قضـيةٌ ضـخمةٌ فى الحساب العقائدى والفقهى والسياسـى، تسـتحق الدراسـة ووضع النقاط على الحروف.. ولكن الخلافة القرشية تعرف كيف تتخلص منها، فتعتم عليها إن استطاعت، أو تحولها إلى مجد لقريش، ولا تسمح لبنى هاشم أن يستفيدوا منها!

ومن أجـل هـذا كـانت براعـة الخليفـة عمر فى طريقـة روايتهـا، ثم كانت براعـة الرواة ومصـنفى الصـحاح فى تجزئتها وتقطيع أوصالها وتغييب حقيقتها!

وهذه هى مهمة جيل ما بعد الأنبياء!!

أما عبـد الله بن الزبير الزهرى، فقـد كان عنـده عقدةٌ من بنى هاشم مع أنهم أخوال أبيه! وقد اشـتهر عنه أنه لم يكن يطيق ذكرهم، وأنه ترك حتى ذكر النبى صلى الله عليه وآله والصلاة عليه فى خطبة الجمعة حتى لا تشمخ أنوف بنى هاشم بزعمه!

والظاهر أن القرشيين ربَّوه على كره بنى هاشم منذ كان غلاماً، وأن له مشاركة فى قصة الغضب النبوى!

فقـد روى عنه الهيثمى فى مجمع الزوائد:٨/٢١٥ افتراء عجيباً على النبى فى ذم أهـل بيته صـلى الله عليه وآله حيث حول كلام قريش الذى غضب منه النبى صـلى الله عليه وآله وغضب منه الله تعالى من فوق عرشه كما رأيت.. إلى حديث مسـند عن النبى صلى الله عليه وآله!!

قال الهيثمی: وعن عبد الله ابن الزبير عن النبی(ص)قال: مثلی ومثل أهل بيتی كمثل نخلة نبتت فی مزبلة. رواه الطبرانی وهو منكر، والظاهر أنه من قول الزبير إن صح عنه، فإن فيه ابن لهيعة ومن لم أعرفه.

وعن ابن الزبير أن قريشاً قالت: إن مثل محمد مثل نخلة فی كبوة. رواه البزار بإسناد حسن، وهذا الظن به.

براعة البخاری فی تضييع القضية

المحدث العادی–فضلًا عن البخاری–يعرف أن هذا الحديث قصةٌ واحدةٌ كما ذكر صاحب فتح الباری، أو اثنتان فی الأكثر.. وهنا تظهر براعة البخاری فی اختراع العناوين لجعل قطعة الحديث تحتها، أو عقد باب مناسب لتغطية حقيقة الحديث!

ففی:۱/۳۱:

عقد له باباً باسم: باب الغضب فی الموعظة والتعليم إذا رأی ما يكره. فجعله من نوع غضب المدرس والواعظ!

وفی/۳۲:

جعله من نوع تأدب التلميذ بين يدی معلمه فسمی الباب: باب من برك علی ركبتيه عند الإمام أو المحدث!

وفی/۱۳۶:

وضع جزءً منه تحت عنوان: باب وقت الظهر عند الزوال! بحجة أن خطبة النبی صلی الله عليه وآله النارية القاصعة كانت عند الزوال!

وفی:۴/۷۳:

جعل جزءً منه تحت عنوان: ما جاء فی قول الله تعالی وَهُوَ الَّذِی يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ.. بحجة أن الراوی قال: قام فينا النبی (ص) مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتی دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم!

وفی:۷/۱۵۷:

عقد له باباً باسم: باب التعوذ من الفتن! وكأن الموضوع كان حديثاً هادئاً عاماً لكل الأمة عن الفتن الاتية، وأن عمر قال: رضينا بالله رباً وبمحمد رسولاً... نعوذ بالله من الفتن!

وفی:۸/۱۴۲:

عقد له باباً باسم: باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه وقوله تعالی: لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ..!

وكان ينبغی له أن يسمی الباب: باب وجوب امتثال أمر النبی إذا أمر بالسؤال، وأن لا يربط الآية به، ولا يحشرها فی هذا الموضوع أصلًا كما فعلت قريش، لأن موضوع الآية كراهة السؤال، وموضوع الحديث أمر النبی صلی الله عليه وآله المكرر المشدد لقريش أن يسألوه!

اللهم إلا يقصد البخاری بكراهة السؤال: كراهة إلحاح المعلم علی تلاميذه بقوله سلونی! فيكون الخطأ حينئذ من النبی صلی الله عليه وآله لأنه ألحَّ عليهم بالسؤال! ويكون موقف عمر تصحيحاً لخطأ النبی صلی الله عليه وآله كما هی عادته المشكورة!!

ماذا قال كبار الشراح؟

لا خبر عند شراح الصحاح بالقضية، فلا رأوا شيئاً ولا سمعوا ولا قرؤوا، ولا شموا رائحة شیء يستوجب التساؤل والبحث!!

قال ابن حجر فی فتح الباری:

قوله سئل النبی(ص)عن أشياء..كان منها السؤال عن الساعة وما أشبه ذلك من المسائل، كما سيأتی فی حديث ابن عباس فی تفسير المائدة!

قوله قال رجل: هو عبد الله بن حذافة بضم أوله وبالذال المعجمة والفاء، القرشئ السهمی، كما سماه فی حديث أنس الاتی.

قوله فقام آخر: هو سعد بن سالم مولى شيبة بن ربيعة، سماه بن عبد البر فى التمهيد فى ترجمة سهيل بن أبى صالح، وأغفله فى الاستيعاب ولم يظفر به أحد من الشارحين، ولا من صنف فى المبهمات ولا فى أسماء الصحابة، وهو صحابى بلا مرية، لقوله فقال من أبى يا رسول الله؟ ووقع فى تفسير مقاتل فى نحو هذه القصة أن رجلًا من بنى عبد الدار قال من أبى؟ قال سعد: نسبه إلى غير أبيه، بخلاف ابن حذافة! وسيأتى مزيد لهذا فى تفسير سورة المائدة.

قوله فلما رأى عمر.. هو بن الخطاب..ما فى وجهه، أى من الغضب، قال: يا رسول الله إنا نتوب إلى الله، أى مما يوجب غضبك، وفى حديث أنس الآتى بعد أن عمر برك على ركبتيه، فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، والجمع بينهما ظاهر، بأنه قال جميع ذلك فنقل كل من الصحابيين ما حفظ، ودل على اتحاد المجلس اشتراكهما فى نقل قصة عبد الله بن حذافة.

تنبيه: قصر المصنف الغضب على الموعظة والتعليم دون الحكم لأن الحاكم مأمورٌ أن لا يقضى وهو غضبان، والفرق أن الواعظ من شأنه أن يكون فى صورة الغضبان، لأن مقامه يقتضى تكلف الإنزعاج لأنه فى صورة المنذر!!

وكذا المعلم إذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم ونحوه، لأنه قد يكون أدعى للقبول منه، وليس ذلك لازماً فى حق كل أحد، بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين. وأما الحاكم فهوبخلاف ذلك كما يأتى فى بابه.

فإن قيل: فقد قضى عليه الصلاة والسلام فى حال غضبه حيث قال: أبوك فلان!

فالجواب: أن يقال أولاً، ليس هذا من باب الحكم!! وعلى تقديره فيقال هذا من خصوصياته لمحل العصمة، فاستوى غضبه ورضاه، ومجرد غضبه من الشئ دالٌّ على تحريمه أو كراهته، بخلاف غيره(ص).

قوله باب من برك: هو بفتح الموحدة والراء المخففة يقال: برك البعير إذا استناخ، واستعمل فى الادمى مجازاً.

قوله خرج، فقام عبد الله بن حذافة: فيه حذف يظهر من الرواية الأخرى، والتقدير خرج فسئل فأكثروا عليه، فغضب!! فقال سلونى، فقام عبد الله.

قوله فقال رضينا بالله رباً..قال ابن بطال: فهم عمر منه أن تلك الاسئلة قد تكون على سبيل التعنت أو الشك، فخشئ أن تنزل العقوبة بسبب ذلك! فقال رضينا بالله رباً الخ. فرضى النبى(ص)بذلك، فسكت!

قوله وقال سلونى: فى حديث أنس المذكور فصعد المنبر فقال: لا تسألونى عن شئ إلا بينته لكم.

وفى رواية سعيد بن بشير عند قتادة عن أبى حاتم: فخرج ذات يوم حتى صعد المنبر، وبين فى رواية الزهرى المذكورة فى هذا الباب وقت وقوع ذلك، وأنه بعد أن صلى الظهر، ولفظه: خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة، ثم قال: من أحب (!) أن يسأل عن شئ فليسأل عنه، فذكر نحوه.

قوله فقام رجل فقال يا رسول الله من أبى؟ بين فى حديث أنس من رواية الزهرى اسمه، وفى رواية قتادة سبب سؤاله، قال فقام رجل كان إذا لاحى أى خاصم دعى إلى غير أبيه، وذكرت اسم السائل الثانى، وأنه سعد، وأنى نقلته من ترجمة سهيل بن أبى صالح من تمهيد بن عبد البر.

وزاد فى رواية الزهرى الاتية بعد حديثين فقام إليه رجل فقال: أين مدخلى يا رسول الله؟ قال: النار! ولم أقف على اسم هذا الرجل فى شئ من الطرق كأنهم أبهموه عمداً للستر عليه!

وللطبرانى من حديث أبى فراس الاسلمى نحوه، وزاد: وسأله رجل فى الجنة أنا؟ قال: فى الجنة، ولم أقف على اسم هذا الآخر.

ونقل بن عبد البر عن رواية مسلم أن النبى(ص)قال فى خطبته: لا يسألنى أحد عن شئ إلا أخبرته، ولو سألنى عن أبيه، فقام عبد الله بن حذافة، وذكر فيه عتاب أمه له وجوابه، وذكر فيه فقام رجل فسأل عن الحج فذكره، وفيه فقام سعد مولى شيبة فقال من: أنا يا رسول الله؟ قال أنت سعد بن سالم مولى شيبة. وفيه فقام رجل من بنى أسد فقال: أين أنا؟ قال: فى النار!! فذكر قصة عمر، قال فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ.. الآية.

ونهی النبی(ص)عن قیل وقال، وکثرة السؤال (؟!) وبهذه الزیادة یتضح أن هذه القصة سبب نزول: لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْیَاءَ إِنْ تُبْدَ لَکُمْ تَسُؤْکُمْ، فإن المساءة فی حق هذا جاءت صریحة بخلافها فی حق عبد الله بن حذافة، فإنها بطریق الجواز أی لو قدر أنه فی نفس الأمر لم یکن لابیه، فبین أباه الحقیقی لافتضحت أمه، کما صرحت بذلک أمه حین عاتبته علی هذا السؤال، کما تقدم فی کتاب الفتن.

قوله: فلما رأی عمر ما بوجه رسول الله(ص)من الغضب.. بین فی حدیث أنس أن الصحابة کلهم فهموا ذلک، ففی روایة هشام فإذا کل رجل لافاً رأسه فی ثوبه یبکی، وزاد فی روایة سعید بن بشیر: وظنوا أن ذلک بین یدی أمر قد حضر! وفی روایة موسی بن أنس عن أنس الماضیة فی تفسیر المائدة: فغطوا رؤوسهم ولهم حنین..زاد مسلم من هذا الوجه: فما أتی علی أصحاب رسول الله(ص)یوم کان أشد منه!

قوله: فقال إنا نتوب إلی الله عز وجل.. زاد فی روایة الزهری: فبرک عمر علی رکبته فقال رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد رسولاً. وفی روایة قتادة من الزیادة نعوذ بالله من شر الفتن. وفی مرسل السدی عند الطبری فی نحو هذه القصة: فقام إلیه عمر فقبل رجله وقال رضینا بالله رباً فذکر مثله، وزاد: وبالقرآن إماماً فاعف عفی الله عنک فلم یزل به... حتی رضی.

وفی هذا الحدیث غیر ما یتعلق بالترجمة مراقبة الصحابة أحوال النبی (ص)وشدة إشفاقهم إذا غضب خشیة أن یکون لامر یعم فیعمهم، وإدلال عمر علیه وجواز تقبیل رجل الرجل، وجواز الغضب فی الموعظة، وبروک الطالب بین یدی من یستفید منه، وکذا التابع بین یدی المتبوع إذا سأله فی حاجة، ومشروعیة التعوذ من الفتن عند وجود شئ قد یظهر منه قرینة وقوعها، واستعمال المزاوجة فی الدعاء فی قوله اعف عفی الله عنک، وإلا فالنبی(ص) معفوٌّ عنه قبل ذلک.

قال ابن عبد البر: سئل مالک عن معنی النهی عن کثرة السؤال، فقال: ما أدری أنهی عن الذی أنتم فیه من السؤال عن النوازل، أو عن مسألة الناس المال.

قال بن عبد البر: الظاهر الأول، وأما الثانی فلا معنی للتفرقة بین کثرته وقلته، لا حیث یجوز ولا حیث لا یجوز.

قال: وقیل کانوا یسألون عن الشئ ویلحون فیه إلی أن یحرم. قال: وأکثر العلماء علی أن المراد کثرة السؤال عن النوازل والاغلوطیات والتولیدات، کذا.

وقال النووی فی شرح مسلم:۸/۲۹۱ فی سبب غضب النبی صلی الله علیه وآله کما تصوره أو صوره:

قوله: رجل أتی النبی فقال کیف تصوم فغضب رسول الله(ص).. قال العلماء: سبب غضبه أنه کره مسألته، لأنه یحتاج إلی أن یجیبه ویخشی من جوابه مفسدة، وهی أنه ربما اعتقد السائل وجوبه أو استقله أو اقتصر علیه، وکان یقتضی حاله أکثر منه!!

وقال فی:۱۵-۱۶/۱۱۱:

قوله: غطوا رؤوسهم ولهم خنین، هو بالخاء المعجمة هکذا هو فی معظم النسخ ولمعظم الرواة ولبعضهم بالحاء المهملة. وممن ذکر الوجهین القاضی وصاحب التحریر وآخرون، قالوا: ومعناه بالمعجمة صوت البکاء وهو نوع من البکاء دون الانتحاب. قالوا وأصل الخنین خروج الصوت من الانف کالحنین بالمهملة من الفم. وقال الخلیل: هو صوت فیه غنة، وقال الاصمعی: إذا تردد بکاؤه فصار فی کونه غنة فهو خنین. وقال أبو زید: الخنین مثل الخنین وهو شدید البکاء.

قوله: فلما أکثر رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) أن یقول: سلونی برک عمر فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد رسولاً. فسکت رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) حین قال عمر ذلک. قال العلماء: هذا القول منه (صلی الله علیه وآله وسلم) محمولٌ علی أنه أوحی إلیه وإلا فلا یعلم کل ما سئل عنه من المغیبات إلا بإعلام الله تعالی.

قال القاضی: وظاهر الحدیث أن قوله (صلی الله علیه وآله): سلونی إنما کان غضباً کما قال فی الروایة الأخری سئل النبی (صلی الله علیه وآله) عن أشیاء کرهها فلما أکثر علیه غضب، ثم قال للناس: سلونی. وکان اختیاره(ص)ترک تلک المسائل، لکن وافقهم فی جوابها، لأنه لا یمکن رد السؤال، ولما رآه من حرصهم علیها!! والله أعلم.

وأما بروک عمر(رض) وقوله: فإنما فعله أدباً وإکراماً لرسول الله (صلی الله علیه وآله) وشفقةً علی المسلمین لئلا یؤذوا النبی (صلی الله علیه وآله) فیهلکوا!!

ومعنی کلامه: رضینا بما عندنا من کتاب الله تعالی وسنة نبینا محمد (صلی الله علیه وآله)واکتفینا به عن السؤال. ففیه أبلغ کفایة. انتهی.

وأنت تری أن ابن حجر والنووی غائبان عن کلام النبی صلی الله علیه وآله، وأن فی کلامهما تهافتاً ونقاط ضعف کثیرة لا نطیل فیها.. ولیس کلام غیرهما من الشراح أفضل، وإن کان فیه مادة مهمة لمن أراد أن یتتبع ملف القضیة!

الحادثة فی بعض روایات أهل البیت

قال النیشابوری فی الفضائل/۱۳۴:

عن سلیم بن قیس یرفعه إلی أبی ذر والمقداد وسلمان قالوا: قال لنا أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب: إنی مررت بفلان یوماً فقال لی: ما مثل محمد فی أهل بیته إلا کمثل نخلة نبتت فی کناسة! قال: فأتیت رسول الله صلی الله علیه وآله فذکرت ذلک له، فغضب غضباً شدیداً، فقام فخرج مغضباً وصعد المنبر ففزعت الأنصار ولبسوا السلاح، لما رأوا من غضبه، ثم قال: ما بال أقوام یعیرون أهل بیتی؟!! وقد سمعونی أقول فی فضلهم ما أقول، وخصصتهم بما خصهم الله تعالی به، وفضل علیاً علیهم بالکرامة وسبقه إلی الإسلام وبلائه، وأنه منی بمنزلة هارون من موسی إلا أنه لا نبی بعدی!

ثم إنهم یزعمون أن مثلی فی أهل بیتی کمثل نخلة نبتت فی کناسة! ألا إن الله سبحانه وتعالی خلق خلقه وفرقهم فرقتین، وجعلنی فی خیرها شعباً وخیرها قبیلة، ثم جعلهم بیوتاً فجعلنی فی خیرها بیتاً، حتی حصلت فی أهل بیتی وعشیرتی وبنی أبی، أنا وأخی علی بن أبی طالب....

أنا خیر النبیین والمرسلین، وعلی خیر الوصیین، وأهل بیتی خیر بیوت أهل النبیین، وفاطمة ابنتی سیدة نساء أهل الجنة أجمعین.

أیها الناس: أترجون شفاعتی لکم، وأعجز عن أهل بیتی؟!

أیها الناس: ما من أحد غداً یلقی الله تعالی مؤمناً لا یشرک به شیئاً إلا أجره الجنة، ولو أن ذنوبه کتراب الأرض.

أیها الناس: لو أخذت بحلقة باب الجنة ثم تجلی لی الله عز وجل، فسجدت بین یدیه ثم أذن لی فی الشفاعة، لم أوثر علی أهل بیتی أحداً.

أیها الناس: عظموا أهل بیتی فی حیاتی وبعد مماتی، وأکرموهم وفضلوهم، لا یحل لاحد أن یقوم لاحد غیر أهل بیتی، فانسبونی من أنا؟!

قال فقام الأنصار وقد أخذوا بأیدهم السلاح، وقالوا: نعوذ الله من غضب الله وغضب رسوله، أخبرنا یا رسول الله من آذاک فی أهل بیتک حتی نضرب عنقه؟!!

قال: أنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، ثم انتهی بالنسب إلی نزار، ثم مضی إلی إسماعیل بن إبراهیم خلیل الله، ثم مضی منه إلی نوح، ثم قال: أنا وأهل بیتی کطینة آدم علیه السلام نکاح غیر سفاح!

سلونی، والله لا یسألنی رجل إلا أخبرته عن نسبه وعن أبیه!

فقام إلیه رجل فقال: من أنا یا رسول الله؟ فقال: أبوک فلان الذی تدعی إلیه! قال فارتد الرجل عن الإسلام.

ثم قال صلی الله علیه وآله والغضب ظاهر فی وجهه: مایمنع هذا الرجل الذی یعیب علی أهل بیتی وأهلی وأخی ووزیری وخلیفتی من بعدی وولی کل مؤمن ومؤمنة بعدی، أن یقوم ویسألنی عن أبیه، وأین هو فی جنة أم فی نار؟!

قال فعند ذلک خشیء فلان علی نفسه أن یذکره رسول الله صلی الله علیه وآله ویفضحه بین الناس فقام وقال: نعوذ بالله من سخط الله

وسخط رسوله، ونعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنا عفى الله عنك، أقلنا أقالك الله، أسترنا سترك الله، إصفح عنا جعلنا الله فداك. فاستحى النبى صلى الله عليه وآله وسكت، فإنه كان من أهل الحلم وأهل الكرم وأهل العفو ثم نزل صلى الله عليه وآله!!

وقال فرات الكوفى فى تفسيره/۳۹۲:

حدثنا عبد السلام بن مالك قال: حدثنا محمد بن موسى بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الحارث الهاشمى قال: حدثنا الحكم بن سنان الباهلى، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبى رباح قال: قلت لفاطمة بنت الحسين: أخبرينى جعلت فداك بحديث أحدث واحتج به على الناس. قالت: نعم أخبرنى أبى أن النبى صلى الله عليه وآله كان نازلاً بالمدينة، وأن من أتاه من المهاجرين مرسوا أن يفرضوا لرسول الله صلى الله عليه وآله فريضة يستعين بها على من أتاه، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: قد رأينا ما ينوبك من النوائب، وإنا أتيناك لتفرض فريضة تستعين بها على من أتاك.

قال: فأطرق النبى صلى الله عليه وآله طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: إنى لم أؤمر أن آخذ منكم على ما جئتم به شيئاً، إنطلقوا فإنى لم أؤمر بشئ، وإن أمرت به أعلمتكم.

قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن ربك قد سمع مقالة قومك، وما عرضوا عليك، وقد أنزل الله عليهم فريضة: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى.

قال فخرجوا وهم يقولون: ما أراد رسول الله إلا أن تذل الأشياء وتخضع الرقاب ما دامت السماوات والأرض لبنى عبد المطلب!!

قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى على بن أبى طالب أن أصعد المنبر وادع الناس إليك ثم قل: أيها الناس من انتقص أجيراً أجره فليتبوأ مقعده من النار، ومن ادعى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار، ومن انتفى من والديه فليتبوأ مقعده من النار!!

قال: فقام رجل وقال: يا أبا الحسن مالهن من تأويل؟ فقال: الله ورسوله أعلم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال رسول الله: ويلٌ لقريش من تأويلهن! ثلاث مرات. ثم قال: يا على إنطلق فأخبرهم أنى أنا الأجير الذى أثبت الله مودته من السماء، ثم أنا وأنت مولى المؤمنين، وأنا وأنت أبوا المؤمنين.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا معشر قريش والمهاجرين والأنصار. فلما اجتمعوا قال: يا أيها الناس، إن علياً أولكم إيماناً بالله وأقومكم بأمر الله، وأوفاكم بعهد الله، وأعلمكم بالقضية، وأقسمكم بالسوية، وأرحمكم بالرعية، وأفضلكم عند الله مزية. ثم قال: إن الله مثَّل لى أمتى فى الطين، وعلمنى أسماءهم كما علَّم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم فمر بى أصحاب الرايات فاستغفرت لعلى وشيعته، وسألت ربى أن تستقيم أمتى على على من بعدى، فأبى إلا أن يضل من يشاء ويهدى من يشاء. انتهى.

وقال محمد بن سليمان فى المناقب:۲/۱۲۲:

عن عبد المطلب بن أبى ربيعة قال: قال العباس: يا رسول الله إن قريشاً إذا لقى بعضهم بعضاً لقوا ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه نكرها! فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله) غضباً شديداً، ثم قال: والذى نفسى بيده لا يدخل قلب عبد الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله. هكذا قال خالد قال أبو خليفة، فأما أبى فحدثناه عن يزيد بن هارون، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن عبدالله بن الحارث، عن العباس بن عبد المطلب (رض)قال: قلت: يا رسول الله.. فذكر نحوه أو مثله.

وقال فى هامشه:

وروى أبوبكر ابن أبى شيبة فى الحديث الأول والثالث من فضائل العباس من كتاب الفضائل تحت الرقم: ۱۲۲۵۹ والرقم: ۱۲۲۶۱ من كتاب المصنف::۱۲/۱۰۸ - ۱۰۹ قال: حدثنا ابن فضيل، عن يزيد، عن عبد الله بن الحارث قال: حدثنى عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أن العباس دخل على رسول الله(ص)وهو مغضب، فقال له رسول الله (ص): من أغضبك؟ قال: يا رسول الله مالنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة وإذا لقونا لقونا بغير ذلك؟! قال: فغضب رسول الله(ص) حتى احمر وجهه، وحتى

استدر عرّق بين عينيه، وكان إذا غضب استدر العرق - فلما سرى عنه قال: والذى نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله. ثم قال: أيها الناس من آذى العباس فقد آذانى إنما عم الرجل صنو أبيه.

حدثنا ابن نمير عن سفيان عن أبيه عن أبى الضحى مسلم بن صبيح قال: قال العباس: يا رسول الله إنا لنرى الضغائن فى وجوه قوم من وقائع أوقعتها فيهم. فقال النبى (ص): لن يصيبوا خيراً حتى يحبوكم لله ولقرابتى، ترجو سلهب شفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب؟!

أقول: والحديث الأول رواه الحاكم فى فضائل العباس من كتاب المستدرك: ۳/۳۳۲ قال: أخبرنا الشيخ أبوبكر بن إسحاق أخبرنا إسماعيل بن قتيبة حدثنا يحيى بن يحيى وإسحاق بن إبراهيم وأبوبكر بن أبى شيبة قالوا:...

وأيضاً الأولان رواهما أحمد بن حنبل فى مسند عبد المطلب بن ربيعة من كتاب المسند، ورواه عنه ابن كثير فى تفسير آية المودة من سورة الشورى من تفسيره.

وقد روى الحافظ ابن عساكر معنى الحديث بوجوه وأسانيد فى ترجمة العباس من تاريخ دمشق، كما أورده أيضاً البدران فى تهذيبه::۷/۲۳۹ فراجعهما.

وروى عمر بن شبه فى عنوان: ذكر فضل بنى هاشم... من تاريخ المدينة المنورة: ۲/۶۳۹ قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله إن قريشاً إذا لقى بعضها بعضاً لقوا ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها! فغضب النبى غضباً شديداً فقال: والذى نفس محمد بيده لا يدخل قلب عبد الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله حدثنا خلف بن الوليد قال: حدثنا جرير عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالله بن الحارث عن المطلب بن ربيعه بنحوه.

حدثنا عمرو بن عون قال: أنبأنا بن عبدالله عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالله بن الحارث عن المطلب بن ربيعة قال: كنت جالساً عند رسول الله (ص)فدخل عليه العباس وهو مغضب فقال: يا نبى الله ما بال قريش إذا تلاقوا بينها فتلاقوا بوجوه مبشره وإذا لقونا لقونا بغير ذلك! قال: فغضب النبى(ص)حتى احمرَّ وجهه وقال: لا يدخل قلب رجال الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله.

وحدثنا عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن على قال: حدثنى أبى عن أبيه عن جده قال: قال العباس: يا رسول الله إن قريشاً تتلاقى بينهما بوجوه لا تلقانا بها! فقال رسول الله (ص): أما إن الإيمان لا يدخل أجوافهم حتى يحبوكم لى.

حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا سفيان عن أبيه عن أبى الضحى: عن ابن عباس قال: جاء العباس إلى رسول الله(ص)فقال: إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذى صنعت! فقال رسول الله (ص): لن يبلغوا الخير - أو قال الإيمان - حتى يحبوكم لله لقرابتى، أيرجو سؤلهم شفاعتى من مراد ولا يرجو بنو عبد المطلب شفاعتى. انتهى.

وسعوا شفاعة النبى لليهود والنصارى و لم يسمحوا أن تشمل أسرته

شفاعة النبى صلى الله عليه وآله تتسع لكل المسلمين.. بل لكل الموحدين.. بل لكل الخلق.. هذا ما تقوله مصادر إخواننا السنيين.. ولكن هذه المصادر عندما تصل إلى آباء النبى صلى الله عليه وآله وأسرته تختلف لهجتها! فالشفاعة لا تشملهم، بل هم فى النار والعذاب.. وأحسنهم حالاً أبو طالب الذى (يشفع) له النبى صلى الله عليه وآله لأنه نصره، فلا تؤثر شفاعته فيه بسبب شرك أبى طالب وكثرة ذنوبه! فيضعه الله تعالى فى ضحضاح ماء نارى يغمر قدميه فيغلى منه دماغه!!

وفيما يلى نستعرض ما رواه السيوطى فى تفسير قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ. ولك أن تلاحظ التأثيرات القرشية على هذه الروايات.

وينبغى أولاً ـ أن نشير إلى أن مرحلة (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ) هى المرحلة الأولى من دعوة النبى صلى الله عليه وآله وهى مرحلة الدعوة الخاصة لأقاربه بنى هاشم، وقد استمرت هذه المرحلة عدة سنين، ثم بدأت عدها المرحلة العامة، عندما أمره الله تعالى بأن

یصدع بدعوته لعامة الناس..

ولکن المؤرخین أتباع الخلافة القرشیة یعتِّمون علی هذه المرحلة، أو یسمونها المرحلة السریة، أو مرحلة ما قبل دار الأرقم.. الخ. وقد أعطوا لدار الأرقم دوراً خیالیاً لطمس حقیقة أن الدعوة الإلهیة اختصت فی مرحلتها الأولی ببنی هاشم، وأنهم وحدهم حموا النبی صلی الله علیه وآله من فراعنة قریش، وقد فعل ذلک مسلمهم إیماناً، وکافرهم حمیةً، وتحملوا جمیعاً ماعدا أبی لهب قرار المقاطعة والحصار القرشیٔ ثلاث سنوات بل أربع سنوات..حتی فکک الله حصارهم بمعجزة!!

قال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۹۵:

قوله تعالی: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ ألأَقْرَبِینَ..

أخرج أحمد وعبد بن حمید والبخاری ومسلم والترمذی وابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم وابن مردویه والبیهقی فی شعب الإیمان وفی الدلائل عن أبی هریرة (رض) قال لما نزلت هذه الآیة: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ ألأَقْرَبِینَ، دعا رسول الله(ص)قریشاً وعم وخص، فقال:

یا معشر قریش أنقذوا أنفسکم من النار فإنی لا أملک لکم ضراً ولا نفعاً.

یا معشر بنی کعب بن لؤی أنقذوا أنفسکم من النار، فإنی لا أملک لکم ضراً ولا نفعاً.

یا معشر بنی قصی أنقذوا أنفسکم من النار، فإنی لا أملک لکم ضراً ولا نفعاً.

یا معشر بنی عبد مناف أنقذوا أنفسکم من النار، فإنی لا أملک لکم ضراً ولا نفعاً.

یا بنی عبدالمطلب أنقذوا أنفسکم من النار، فإنی لا أملک لکم ضراً ولا نفعاً.

یا فاطمة بنت محمد أنقذی نفسک من النار، فإنی لا أملک لک ضراً ولا نفعاً، إلا أن لکم رحماً وسأبلها ببلالها.

وأخرج عبد بن حمید وابن مردویه عن ابن عباس رضی الله عنهما قال لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ ألأَقْرَبِینَ، جعل یدعوهم قبائل قبائل. انتهی.

ففی هذه الروایة (الصحیحة) فی مصادرهم صار معنی (عَشِیرَتَکَ ألأَقْرَبِینَ) کل قریش! وصار تعبیر (ألأَقْرَبِینَ) غلطاً قرآنیاً یلزم علی قریش أن تصححه! لأنه لم یبق معنی لعشیرته الأبعدین والأوسطین!

وصار أول ما قاله النبی صلی الله علیه وآله لهم: إن قرابتی لا تنفعکم وشفاعتی لا تنالکم! وصار کل القرشیین أرحام النبی الذین وعدهم بصلة الرحم والشفاعة یوم القیامة!

ولکن هذا الکلام یناسب منطق النبی صلی الله علیه وآله بعد انتصاره وفتحه مکة مثلاً، ولا یناسب بدایة نبوته ودعوته عشیرته الأقربین للتوحید والإسلام! وقد ورد شبیهٌ لذلک عند فتح مکة.

غیر أن القرشیین یریدون سلب أی امتیاز أعطاه الله ورسوله لبنی هاشم، فالامتیازات لقریش کلها، لا لبنی هاشم! وفی نفس الوقت یریدون خلط أنفسهم بعشیرة النبی صلی الله علیه وآله والإستفادة من قرابته أمام العالم!

وقد استفادوا منه فعلاً فی مقابل الأنصار فی السقیفة، وقامت خلافة أبی بکر وعمر علی حق (قرابتهما) من النبی صلی الله علیه وآله! بل تجرأ رواة القرشیین ووضعوا علی لسان النبی صلی الله علیه وآله أن عشیرته الأقربین هم کل قریش!

قال فی الدر المنثور:۵/۹۶:

وأخرج ابن مردویه عن عدی بن حاتم أن النبی(ص)ذکر قریشاً فقال: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ ألأَقْرَبِینَ، یعنی قومی!

وفی مسند أحمد:۲/۳۳۳:

عن أبی هریرة قال: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ ألأَقْرَبِینَ، جعل یدعو بطون قریش بطناً بطناً یا بنی فلان أنقذوا أنفسکم من النار.. حتی انتهی إلی فاطمة فقال: یا فاطمة ابنة محمد، أنقذی نفسک من النار، لا أملک لکم من الله شیئاً، غیر أن لکم رحماً سأبلها ببلالها.

ولكن روايات أخرى فلتت منهم واعترفت بأن عشيرته الاقربين تعنى بنى هاشم فقط!

قال فى الدر المنثور:۵/۹۸: قوله تعالى: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ.. الآيتين، أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج قال لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ، بدأ بأهل بيته وفصيلته، فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ. انتهى.

فالرواية تعترف بأن عشيرته الاقربين هم أهل بيته وفصيلته، لكنها تجعل الآية التى بعدها لبقية المسلمين! ولكن من هم المسلمون الذين شق عليهم ذلك! وهل كان يوجد مسلم من غير بنى هاشم عند نزول الآية؟!

لقد كان الأولى بالرواية أن تقول: شقَّ ذلك على قريش قبل إسلامها، وبعد أن اضطرت للدخول فى الإسلام، فجعلت خلافة النبى صلى الله عليه وآله إرثاً لها دون بنى هاشم!

روايات أخرى غير منطقية أيضا

من عادة المفسرين عندما يصلون إلى آية فى حق أهل البيت (عليهم السلام) أن يحشدوا الآراء والإحتمالات والروايات المتناقضة فيها، ليضيعوا بذلك مناقب عترة نبيهم صلى الله عليه وآله! ومما حشده المفسرون هنا:

ما رواه السيوطى فى الدر المنثور:۵/۹۶ قال:

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة (رض): وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ، قال ذكر لنا أن نبى الله(ص)نادى على الصفا بأفخاذ عشيرته فخذاً فخذاً يدعوهم إلى الله فقال فى ذلك المشركون: لقد بات هذا الرجل يهوت منذ الليلة.

قال وقال الحسن (رض): جمع نبى الله(ص)أهل بيته قبل موته فقال: ألا إن لى عملى ولكم عملكم، ألا إنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً، ألاـ إن أوليائى منكم المتقون، ألا لا أعرفنكم يوم القيامة تأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم، ويأتى الناس يحملون الآخرة. يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد إعملا فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئاً. انتهى.

أما رواية قتادة فإن النداء على الصفا يناسب المرحلة العامة التى أمر النبى فيها أن يصدع بالدعوة لكل الناس.. أما إنذار عشيرته الخاصين الذين كان عدد رجالهم أربعين نفراً فيناسبه أن يدعوهم إلى طعام ويحدثهم كما ورد فى الروايات المعقولة.

وأما رواية قتادة عن الحسن البصرى إن صحت فلا علاقة لها بالموضوع، لأنها عند وفاته صلى الله عليه وآله والآية نزلت فى أول بعثته! ومع أن الحسن البصرى غلامٌ فارسى، فهو مع قبائل قريش وحساسيتها ضد أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله ويريد أن يقول بهذه الرواية إن النبى صلى الله عليه وآله كان يخاف من حرص ابنته فاطمة وعمته صفية وعترته على الدنيا، ولذلك جمعهم وحذرهم!

وقال فى الدر المنثور:۵/۹۶:

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة أن رسول الله(ص)قال: يا بنى هاشم ويا صفية عمة رسول الله، إنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً، إياكم أن يأتى الناس يحملون الآخرة وتأتون أنتم تحملون الدنيا، وإنكم تردون على الحوض ذات الشمال وذات اليمين، فيقول القائل منكم يا رسول الله أنا فلان ابن فلان، فأعرف الحسب وأنكر الوصف، فإياكم أن يأتى أحدكم يوم القيامة وهو يحمل على ظهره فرساً ذات حمحمة، أو بعيراً له رغاء، أو شاة لها ثغاء، أو يحمل قشعاً من أدم، فيختلجون من دونى، ويقال لى إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك! فطيبوا نفساً وإياكم أن ترجعوا القهقرى من بعدى!

قال عكرمة (رض): إنما قال لهم رسول الله(ص)هذا القول حيث أنزل الله عليه: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ انتهى.

ومع أن عكرمة غلامٌ لابن عباس الهاشمى، لكنه معروفٌ ببغضه لعترة النبى صلى الله عليه وآله حتى أنه انضم إلى الخوارج. وهو بهذا التفسير يقول إن علياً وفاطمة وعترة النبى انحرفوا بعد النبى صلى الله عليه وآله ورجعوا بعده القهقرى! لانهم عارضوا خلافة قريش ولم يطيبوا نفساً عن الخلافة لقريش، ولذلك سوف يمنعون من ورود الحوض، ولا تنالهم شفاعة النبى صلى الله عليه وآله

لقد أخذ عكرمة عبارات النبى صلى الله عليه وآله التى روت الصحاح أنه قالها عن صحابته الذين يرتدون من بعده ويمنعون من ورود

حوضه یوم القیامة، وجعلها لعشیرة النبی صلی الله علیه وآله الأقربین، ثم ادعی عکرمة أن النبی کان یعرف هذا الإنحراف من أول یوم أمره الله تعالی أن ینذر عشیرته الأقربین!

وقد روی السیوطی نفس مضمون عکرمة عن أبی أمامة أیضاً.

ثم قال فی الدر المنثور:۵/۹۷:

وأخرج ابن مردویه وابن عساکر والدیلمی عن عبد الواحد الدمشقی قال: رأیت أبا الدرداء یحدث الناس ویفتیهم وولده وأهل بیته جلوس فی جانب الدار یتحدثون، فقیل له: یا أبا الدرداء ما بال الناس یرغبون فیما عندک من العلم وأهل بیتک جلوس لاهین؟! فقال: إنی سمعت نبی الله(ص)یقول: إن أزهد الناس فی الأنبیاء وأشدهم علیهم الأقربون! وذلک فیما أنزل الله: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ اَلْأَقْرَبِینَ.. إلی آخر الآیة. انتهی.

فهؤلاء الرواة الشامیون یریدون أن یقولوا علی لسان أبی الدرداء: إن أولاد النبی وعترته صلی الله علیه وآله کانوا لاهین عن علمه کأولاد أبی الدرداء! وإن بنی هاشم کانوا أشد الناس علی النبی صلی الله علیه وآله فقد کذبوه وأرادوا قتله، وحاصروه فی شعب بنی أمیة!! لکن القرشیین حموه من بنی هاشم، وتحملوا معه الحصار أربع سنوات، فحق لهم أن یرثوه ویحکموا من بعده، خاصة آل أبی سفیان الکرام!!

ویطول بنا الکلام إذا أردنا أن ننقد کل ما رووه فی تفسیر هذه الآیة، وکیف جردوا عترة النبی وعشیرته الاقربین صلی الله علیه وآله من کل فضیلة، وحرموهم من کل امتیاز أعطاهم إیاه الله تعالی ورسوله!

ولکنا نشیر هنا إلی أن الرواة خلطوا عن عمد وبعضهم عن جهل بین أربع حوادث: الأولی: نزول الآیة وبدایة إنذار النبی صلی الله علیه وآله لبنی عبد المطلب بدعوتهم إلی طعام.

والثانیة: مرحلة الإنذار العام عندما صعد النبی صلی الله علیه وآله علی الصفا فی المرحلة الثانیة من الدعوة، ونادی واصباحاه، وبدأ یدعو قریشاً والعالم.

والثالثة: عندما دخل النبی صلی الله علیه وآله مکة فاتحاً، وخضع له أبو سفیان وبقیة أئمة الکفر من قریش، وأحس بعض بنو عبد المطلب بالنصر والفخر، وامتلات قلوب القرشیین حسداً لهم، وتفکیراً فی مرحلة ما بعد النبی صلی الله علیه وآله.

والرابعة: فی مرض وفاته صلی الله علیه وآله عندما شکی له بنو هاشم ما یحسونه من خطر قبائل قریش علیهم من بعده وتحالفهم علی إبعادهم.

وإلیک أهم ما بقی من روایات السیوطی المخلوطة فی تفسیر آیة الاقربین:

قال فی الدر المنثور:۵/۹۶:

وأخرج ابن مردویه عن البراء قال لما نزلت علی النبی (ص): وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ اَلْأَقْرَبِینَ، صعد النبی(ص)ربوةً من جبل فنادی: یا صباحاه، فاجتمعوا فحذرهم وأنذرهم، ثم قال: لا أملک لکم من الله شیئاً، یا فاطمة بنت محمد أنقذی نفسک من النار فإنی لا أملک لک من الله شیئاً. انتهی.

وأخرج مسدد ومسلم والنسائی وابن جریر والبغوی فی معجمه والباوردی والطحاوی وأبو عوانة وابن قانع والطبرانی وابن أبی حاتم وابن مردویه والبیهقی فی الدلائل عن قبیصة بن مخارق وزفیر بن عمرو قالا: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ اَلْأَقْرَبِینَ، انطلق رسول الله(ص)إلی ربوة من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم قال: یا بنی عبد مناف إنی نذیر لکم، إنما مثلی ومثلکم کمثل رجل رأی العدو فانطلق یرید أهله فخشئ أن یسبقوه إلی أهله، فجعل یهتف یا صباحاه یا صباحاه، أُتیتم أُتیتم.

وأخرج عبد بن حمید والترمذی وابن جریر وابن مردویه عن أبی موسی الأشعری قال: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ اَلْأَقْرَبِینَ، وضع رسول الله (ص) اصبعیه فی أذنیه ورفع صوته وقال: یا بنی عبد مناف یا صباحاه.

وأخرج ابن مردویه عن الزبیر بن العوام قال: لمانزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ، صاح علی أبی قبیس: یا آل عبد مناف إنی نذیر فجاءته قریش فحذرهم وأنذرهم.

وأخرج سعید بن منصور والبخاری وابن مردویه وابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ، ورهطك منهم المخلصین خرج النبی(ص)حتی صعد علی الصفا فنادی: یا صباحاه فقالوا: من هذا الذی یهتف قالوا محمد فاجتمعوا إلیه فجعل الرجل إذا لم یستطع أن یخرج أرسل رسولاً لینظر ما هو فجاء أبو لهب وقریش فقال: أرأیتكم لو أخبرتكم أن خیلاً بالوادی ترید أن تغیر علیكم أكنتم مصدقی؟

قالوا: نعم ما جربنا علیك إلا صدقاً.

قال: فإنی نذیر لكم بین یدی عذاب شدید.

فقال أبو لهب: تباً لك سائر الیوم، ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: تبت یدا أبی لهب وتب. انتهی.

فهذه الروایات تناسب بدایة مرحلة الدعوة العامة كما أشرنا، وقد جعلوها لمرحلة الدعوة الخاصة ببنی هاشم، وذكروا فیها فاطمة الزهراء علیها السلام قبل ولادتها!!

أما الروایة الیتیمة المعقولة التی رواها السیوطی فهی حدیث الدار المعروف..

قال فی الدر المنثور:۵/۹۷:

وأخرج ابن إسحاق وابن جریر وابن أبی حاتم وابن مردویه وأبو نعیم والبیهقی فی الدلائل من طرق عن علی (رض) قال: لما نزلت هذه الآیة علی رسول الله (ص): وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ، دعانی رسول الله(ص)فقال: یا علی إن الله أمرنی أن أنذر عشیرتی الأقربین فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنی مهما أبادؤهم بهذا الأمر أری منهم ما أكره، فصمتُّ علیها حتی جاء جبریل فقال: یا محمد إنك إن لم تفعل ما تؤمر به یعذبك ربك، فاصنع لی صاعاً من طعام واجعل علیه رجل شاة واجعل لنا عِسًّا من لبن، ثم اجمع لی بنی عبد المطلب حتی أكلمهم وأبلغ ما أمرت به، ففعلت ما أمرنی به ثم دعوتهم له، وهم یومئذ أربعون رجلاً یزیدون رجلاً أو ینقصونه، فیهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إلیه دعانی بالطعام الذی صنعت لهم فجئت به، فلما وضعته تناول النبی(ص)بضعة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها فی نواحی الصحفة، ثم قال: كلوا بسم الله، فأكل القوم حتی نهلوا عنه، ما تری إلا آثار أصابعهم! والله إن كان الرجل الواحد لیأكل ما قدمت لجمیعهم!

ثم قال: إسق القوم یا علی، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتی رووا جمیعاً، وأیم الله إن كان الرجل منهم لیشرب مثله!

فلما أراد النبی(ص)أن یكلمهم بدره أبولهب إلی الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم! فتفرق القوم ولم یكلمهم النبی(ص).

فلما كان الغد قال: یاعلی إن هذا الرجل قد سبقنی إلی ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا بمثل الذی صنعت بالامس من الطعام والشراب، ثم اجمعهم لی ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعانی بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس، فأكلوا وشربوا حتی نهلوا، ثم تكلم النبی (ص) فقال:

یا بنی عبد المطلب إنی والله ما أعلم أحداً فی العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إنی قد جئتكم بخیر الدنیا والآخرة، وقد أمرنی الله أن أدعوكم إلیه، فأیكم یوازرنی علی أمری هذا؟ فقلت وأنا أحدثهم سناً: إنه أنا، فقام القوم یضحكون. انتهی.

ورواها السیوطی بسند آخر عن ابن مردویه عن البراء بن عازب، قال: لما نزلت هذه الآیة: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ، جمع رسول الله(ص)بنی عبدالمطلب وهم یومئذ أربعون رجلاً، منهم العشرة یأكلون المسنة ویشربون العس... الخ. انتهی.

– وقد روی المحدثون ومؤرخو السیرة هذا الحدیث، لكن السیوطی بتره هنا ولم یذكر بقیة كلام النبی صلی الله علیه وآله.. وهو أسلوب دَأَبَ رواة خلافة قریش علی ارتكابه ضد عترة النبی وأسرته صلی الله علیه وآله، والسبب فی ذلك أن بقیة الحدیث تقول إن الله أمر رسوله من ذلك الیوم أن یختار وزیراً وخلیفة من عشیرته الأقربین!

قال الأمینی فی الغدیر:۱/۲۰۷:

وها نحن نـذکر لفـظ الطبری بنصه حتی یتبین الرشـد من الغی، قـال فی تاریخه:۲/۲۱۷ من الطبعـهٔ الأولی: إنی قـد جئتکم بخیر الـدنیا والآخرهٔ، وقد أمرنی الله تعالی أن أدعوکم إلیه، فأیکم یوازرنی علی هذا الأمر علی أن یکون أخی ووصیی وخلیفتی فیکم؟

قال: فأحجم القوم عنها جمیعاً، وقلت وإنی لاحدثهم سـناً وأرمصـهم عیناً وأعظمهم بطناً، وأحمشـهم ساقاً: أنا یا نبی الله أکون وزیرک علیه. فأخذ برقبتی ثم قال: إن هذا أخی ووصیی وخلیفتی فیکم فاسمعوا له وأطیعوا.

قال: فقام القوم یضحکون ویقولون لابی طالب: قد أمرک أن تسمع لابنک وتطیع!!

وقال الأمینی فی:۲/۲۷۹:

وبهـذا اللفظ أخرجه أبو جعفر الاسـکافی المتکلم المعتزلی البغـدادی المتوفی ۲۴۰ فی کتـابه نقض العثمانیـهٔ وقال: إنه روی فی الخبر الصحیح.

ورواه الفقیه برهـان الـدین فی (أنبـاء نجبـاء الأبنـاء)/ ۴۶ – ۴۸ وابـن الاـثیر فی الکامـل ۲/۲۴ وأبو الفـداء عمـاد الـدین الدمشـقی فی تاریخه:۱/۱۱۶ وشـهاب الدین الخفاجی فی شـرح الشفا للقاضی عیاض: ۳/۳۷ (وبتر آخره) وقـال: ذکر فی دلایل البیهقی وغیره بسـند صحیـح. والخازن علاء الدین البغدادی فی تفسیره/۳۹۰ والحافـظ السـیوطی فی جمع الجوامع کمـا فی ترتیبه:۶/۳۹۲ نقلاـ عن الطبری وفی/۳۹۷ عن الحفاظ السـتهٔ: ابن إسـحاق وابن جریر وابن أبی حاتم وابن مردویه وأبی نعیم والبیهقی. وابن أبی الحدید فی شرح نهج البلاغهٔ ۳/۲۵۴. انتهی.

ثم شکا صاحب الغدیر من تحریف الذین حرفوا الحدیث لارضاء قریش، ومنهم الطبری الذی رواه فی تفسیره بنفس سنده المتقدم فی تاریخه، ولکن أبهم کلام النبی صـلی الله علیه وآله فی حق علی (رض) فقال: ثم قال: إن هـذا أخی وکذا وکذا. وتبعه علی ذلک ابن کثیر فی البدایهٔ والنهایهٔ ۳/۴۰ وفی تفسیره ۳/۳۵۱

وقال فی مناقب آل أبی طالب:۱/۳۰۵ وما بعدها:

وأما بیعهٔ العشیرهٔ، قال النبی صلی الله علیه وآله: بعثت إلی أهل بیتی خاصهٔ، وإلی الناس عامهٔ

وهذا النص النبوی هو أصح تفسیر لقوله تعالی: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ أَلْأَقْرَبِینَ.

وقد ذکر فی المناقب أن السید الحمیری نظم هذه المنقبهٔ لبنی هاشم فقال:

وقیل له أنذر عشیرتک الآلی وهم من شباب أربعین وشیبِ

فقال لهم إنی رسول الیکم ولست أرانی عندکم بکذوب

وقد جئتکم من عند رب مهیمن جزیل العطایا للجزیل وهوب

فأیکم یقفوا مقالی فأمسکوا فقال ألا من ناطق فمجیبی

ففاز بها منهم علیٌّ وسادهم وما ذاک من عاداته بغریب

وله أیضاً:

ویوم قال له جبریل قد علموا أنذر عشیرتک الادنین إن بصرو

فقام یدعوهم من دون أمته فما تخلـف عنه منهم بشـر

فمنهم آکلٌ فی مجلس جذعاً وشاربٌ مثل عس وهو مختفر

فصدهم عن نواحی قصعهٔ شبعاً فیها من الحب صاع فوقه الوزر

فقال یا قوم إن الله أرسلنی الیکـم فأجیبـوا الله وادَّکِـرو

فأیکم یجتبی قولی ویؤمن بی إنی نبی رسول فانبری غُـدَرُ

فقـال تبـاً أتدعـونا لتلفتنـا عن ديننا ثم قام القوم فانشمرو

من الذى قال منهم وهو أحدثهم سناً وخيرهم فى الذكر إذ سطرو

آمنت بالله.. قد أعطيتَ نافلةً لم يعطها أحد جنٌّ ولا بشـر

وإن مـا قلتـه حقٌّ وإنهــم إن لم يجيبوا فقد خانوا وقد خسرو

ففاز قدماً بها والله أكرمـه فكان سباق غايات إذا ابتدرو

وقال دعبل:

سقيـاً لبيعـة أحمـد ووصيـه أعنى الإمام ولينا المحسود

أعنى الذى نصر النبى محمداً قبل البرية ناشياً ووليد

أعنى الذى كشف الكروب ولم يكن فى الحرب عند لقائها رعديد

أعنى الموحد قبل كل موحد لا عابداً وثناً ولا جلمود

وقال فى هامش بحار الأنوار:۳۲/۲۷۲:

وناهيـك من ذلـك مؤاخـاته مـع رسـول الله صـلى الله عليه وآله بـأمر من الله عز وجـل فى بـدء الإسـلام حين نزل قوله تعـالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ألأَقْرَبِينَ...

راجع تاريخ الطبرى ۲ – ۳۲۱ كامل ابن الاثير ۲ – ۲۴ تاريخ أبى الفداء ۱ – ۱۱۶ والنهج الحديدى ۳ – ۲۵۴ مسند الإمام ابن حنبل ۱ – ۱۵۹ جمع الجوامع ترتيبه ۶ – ۴۰۸ كنز العمال ۶ – ۴۰۱.

وهـذه المؤاخـاة مع أنها كانت بأمر الله عزوجل إنما تحققت بصورة البيعـة والمعاهـدة (الحلف) ولم يكن للنبى صـلى الله عليه وآله أن يأخـذ أخـاً ووزيراً وصاحباً وخليفـة غيره ولا لعلى أن يقصـر فى مؤازرته ونصـرته والنصـح له ولـدينه كمؤازرة هارون لموسـى على ما حكـاه الله عزو جـل فى القرآن الكريم. ولـذلك ترى رسول الله صـلى الله عليه وآله حين يؤاخى بعـد ذلـك المجلس بين المهـاجرين بمكة فيؤاخى بين كل رجل وشـقيقه وشـكله: يؤاخى بين عمر وأبى بكر، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير وعبد الله بن مسـعود، وبين عبيـدة بن الحـارث وبلال، وبين مصـعب بن عمير وسـعد بن أبى وقـاص، وبين أبى عبيـدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة، وبين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة الكلبى (راجع سيرة ابن هشام ۱–۵۰۴ المحبر ۷۱–۷۰ البلاذرى ۱/۲۷۰)

يقول لعلى عليه السـلام: والذى بعثنى بالحق نبياً ما أخرتك إلا لنفسـى فأنت منى بمنزلة هارون من موسـى إلا أنه لا نبى بعدى، وأنت أخى ووارثى وأنت معى فى قصرى فى الجنة. ثم قال له: وإذا ذاكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله، ولا يدعيها بعدى إلا كاذب مفتر (الرياض النضرة ۲–۱۶۸ منتخب كنز العمال ۵–۴۵ و ۴۶).

ولذلك نفسه تراه صـلى الله عليه وآله حينما عرض نفسه على القبائل فلم يرفعوا إليه رؤسهم ثم عرض نفسه على بنى عامر بن صعصعة قال رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: والله لو أنى أخذت هـذا الفتى من قريش لأـكلت به العرب ثم قـال لرسول الله: أرأيت إن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضـعه حيث يشاء! قال فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه (راجع سيـرة ابن هشام ۱–۴۲۴ الروض الأنف ۱–۲۶۴ بهجة المحافل ۱–۱۲۸ سيرة زينى دحلان ۱–۳۰۲ السيرة الحلبية ۲–۳). فلولا أنه صـلى الله عليه وآله كان تعاهـد مع على عليه السـلام بالخلافة والوصاية بأمر من الله عز وجل، قبل ذلك لَمَا ردهم بهذا الكلام المؤيس، وهو بحاجة ماسة من (..) نصرة أمثالهم. انتهى.

وختاماً فإن ما أوردناه يكفى لإثبات أن قبائل قريش كانت قبل الإسـلام تحسـد قبيلـة بنى هاشم حسـداً إلى العظم، وأنها بعـد إسـلامها وخضوعها للنبى صـلى الله عليه وآله ابن بنى هاشم! لم تشف من هـذا المرض، بل انتقل حسدها وحساسـيتها إلى عشيرة النبى وعترته

من أهل بيته صلى الله عليه وآله واتفقوا عزلهم سياسياً بعد النبى صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا الأساس يجب على المؤمن والباحث أن يكون حذراً فى تصديق أحاديث المصادر القرشية فى هذا الموضوع، وفى كل ما يتعلق ببنى هاشم.. ومن ذلك الأحاديث التى تنفى وعد الرسول صلى الله عليه وآله لاسرته بالشفاعة الخاصة فى الآخرة..

اغرب شفاعة اخترعها القرشيون لرئيس بنى هاشم

كل مطلع على سيرة النبى صلى الله عليه وآله يعرف أن عمه أبا طالب كان حاميه وناصره، وأنه بحمايته ونصرته استطاع أن يصدع بدعوته، وبحكمة أبى طالب ونفوذه المعنوى وقف الهاشميون فى وجه قريش إلى جانب النبى صلى الله عليه وآله وصمدوا فى حصار الشعب أربع سنوات، وبإخلاصه واستماتته فى الدفاع عن النبى صلى الله عليه وآله أفشل الله أكثر خطط قريش فى إهانة النبى وقتله.

ويعرف أن أبا طالب له ديوان شعر نقلته مصادر السيرة والتاريخ وكله فى تأييد النبى والإيمان به وفى ذم قادة المشركين الذين وقفوا ضده.. وأن رواة الخلافة القرشية لو وجدوا بيتين من الشعر لشخصية قرشية يحبونها من المعاصرين لأبى طالب لطبلوا بأحدهما وزمروا بالاخر واستخرجوا منهما عشرين دليلاً على إيمانه.

ويتفق فقهاء المذاهب أن القاضى إذا شك فى إسلام شخص متوفى، يكفيه لاثبات إسلامه إقراره أو شهادة شاهدين عاديين بأنه كان مسلماً.. ولكن إثبات إسلام أبى طالب لا يكفى له عندهم إقراراته الصريحة، ولا ألوف الشهود!

ثم إن أهل البيت أدرى بما فيه والأبناء أعرف بآبائهم، وإن علياً وأبناءه الصادقين المصدقين الطاهرين المطهرين بنص القرآن، قد شهدوا بأن أبا طالب كان مسلماً مؤمناً يكتم إيمانه، وأن مَثَلَه مَثَلُ مؤمن آل فرعون.. ولكن ذلك لم يكف أيضاً فى نظر قريش لإثبات إسلام أبى طالب!

والسبب فى كل هذا التشدد والتعنت أن قريشاً لا تريد إعطاء هذا الوسام لابى طالب، وعندها لذلك مبررات عديدة:

أولاً: أبو طالب بن عبد المطلب، هو رئيس بنى هاشم وزعيم قريش بعد أبيه عبدالمطلب. وإذا أعطى هذا الوسام فإن أولاده أولى بملك ابن عمهم النبى محمد! صلى الله عليه وآله..ولا إخالك تقول هنا إن هذا منطق قبلى غير إسلامى، فإن نظام الخلافة الإسلامى إنما قام على أساس القبلية، وإنما كانت حجة عمر وأبى بكر فى السقيفة قرابتهما القبلية من محمد وأنه من قريش وقريش أولى بسلطانه!

فالمنطق الذى حكم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وقامت عليه خلافة قريش هو المنطق القبلى وقد كان هو المنطق العام الحاكم عند الجميع! لا يستثنى منه إلا منطق النص الذى قال به أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، ولم يصغ لهم أحدٌ إلا الاقلُّون عدداً!

ثانياً: إن شعر أبى طالب رضوان الله عليه ما زال يرنُّ فى آذان قادة قريش!! وفيه لهم من التوبيخ والتعنيف لهم، ووصفهم بالحسد والبغى والجحود والكفر وقطيعة الرحم، والحقارة..وأسوأ الصفات!! فالإعتراف بإسلامه إعطاء شعره الصفة لشعره الذى نشر به غسيل قريش!

ثالثاً: إن أبا طالب والد على، وعلى يطالب بخلافة النبى بالنص، وهو المعارض الأول لأن تكون خلافة محمد لكل قريش تدور بين قبائلها بقاعدة من غلب! وهذه المعارضة ذنبٌ يجب أن يدفع ثمنه علىٌّ وأولاده وأبوه أبو طالب!

والظاهر أن أكبر ذنب لابى طالب عندهم أنه والد على..فلو كان والد معاوية لاحبته قريش وقالت عنه إنه أسلم وحسن إسلامه، وشملته شفاعة النبى صلى الله عليه وآله

فقد غفرت قريش لأبى سفيان ما لم يغفره الله ورسوله، ونسيت أنه إمام الكفر، ومحزب الأحزاب، والعدو اللدود الذى لم يلق سلاحه فى وجه الإسلام إلا مكرهاً، ولم يسلم إلا مكرهاً! بل غفرت له قولته عندما وصلت الخلافة إلى بنى أمية (تلقفوها يا بنى أمية تلقُّفَ الكرة، فوالذى يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار)!

لهذه الأسباب وغيرها صدر حكم قريش بحق أبى طالب بأن حمايته للنبى صلى الله عليه وآله ودفاعه عنه وتحمله الشدائد من أجله واتصالاته بالقبائل ورسائله إليهم وإلى النجاشىء وعمله الدائب من أجل تمكين النبى من نشر دعوته..كل ذلك كان عصبيةً هاشميةً فقط، وأنه مات كافراً وليس له أى حق فى وراثة النبى صلى الله عليه وآله وليس لأولاده أى امتياز بسبب حماية أبيهم للنبى، بل هم من قريش وقريش هى التى ترث سلطان محمد! وقد قال عمر للأنصار فى السقيفة: نحن قومه وعشيرته فمن ذا ينازعنا سلطان محمد؟!

إنسجاماً مع هذه الثقافة تجد فى مصادر السنيين أعجب الأحاديث عن أبى طالب، ولعل أعجبها على الإطلاق حديث شفاعة النبى صلى الله عليه وآله لهذا العم الذى أحبه ورباه وحماه وفداه بنفسه وأولاده..فشفع له النبى صلى الله عليه وآله ووضعه فى مكان من جهنم يغلى منه دماغه!

قال البخارى فى:۷/۲۰۳:

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله(ص)وذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه أم دماغه!!

ورواه فى:۴/۲۰۲وروى نحوه أحمد فى:۱/۲۹۰ وص ۲۹۵ وص ۲۰۶ وص ۲۰۷ وج ۳/۹ وص ۵۰ وص ۵۵ والحاكم فى:۴/۵۸۲ والبيهقى فى البعث والنشور/۵۹ والذهبى فى تاريخ الإسلام:۱/۲۳۴ وغيره من مصادرهم. وقال ابن الاثير فى النهاية:۳/۱۳: ضحضاح: الضحضاح: فى الأصل مارق من الماء على وجه الأرض وما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار.

وقال البخارى فى:۴/۲۴۷:

باب قصة أبى طالب. حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثنا عبد الملك، حدثنا عبد الله بن الحرث، قال حدثنا العباس بن عبد المطلب (رض): قال للنبى (ص): ما أغنيت عن عمك فوالله كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: هو فى ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار!!

ورواه فى: ۷/۱۲۱ وص ۲۰۳ ورواه مسلم:۱/۱۳۵ ورواه أحمد فى: ۱/۲۰۶ و۲۰۷ و۲۱۰ وج ۳/۵۰ و ۵۵ قال: عن عباس بن عبد المطلب قال: يا رسول الله هل نفعت أباطالب بشىء فإنه قد كان يحوطك ويغضب لك! قال: نعم هو فى ضحضاح من النار لولا ذلك لكان فى الدرك الأسفل من النار. انتهى.

فهذه الرواية تريد بيان التأثير الكبير لشفاعة النبى صلى الله عليه وآله لعمه وأن أبا طالب بالأساس يستحق الدرك الأسفل من النار مثل أبى لهب وأبى جهل وفراعنة قريش الذين كذبوا النبى وأرادوا قتله، والذين نص الله تعالى على طغيانهم وعقابهم! فحماة الأنبياء فى منطق هذه الأحاديث مثل أعدائهم، بل أسوأ حالاً منهم!

وقد رووا أن أبا طالب كان فى طمطام من النار فخفف الله عنه! وطمطام النار هو وسطها الملتهب!

قال فى مجمع الزوائد:۱/۱۱۸ عن لسان النبى صلى الله عليه وآله: وقد وجدت عمى أبا طالب فى طمطام من النار فأخرجه الله لمكانه منى وإحسانه الى فجعله فى ضحضاح من النار. انتهى.

لقد تحير علماء ثقافة قريش فى هذا النوع من الشفاعة المخترعة، لأن الشفاعة إما أن يأذن بها الله تعالى لرسوله فيخلص المشفوع له من النار ويدخله الجنة، وإما أن لا يأذن بها فيبقى الشخص فى مكانه فى النار..وما ذكرته أحاديث الضحضاح ليس بشفاعة! ولكنهم ابتكروا له اسماً خاصاً وهو شفاعة التخفيف والنقل من الدرك الاسفل من النار إلى مستنقع من النار وضحضاحها!

قال القسطلانى فى إرشاد السارى:۹/۳۲۸:

الشفاعات كما قال عياض خمسة، وقد زاد سادسة هى التخفيف عن أبى طالب. انتهى.

ثم احتاط القسطلانى لئلا يقال كيف تسمون الضحضاح شفاعة؟ فقال هى شفاعة مجازية وليست حقيقية!

قال فى إرشاد السارى:۹/۳۲۴: إن أبا طالب لما بالغ فى إكرام النبى (ص) والذب عنه، جوزى بالتخفيف، وأطلق على ذلك شفاعة!

انتهی.

وهکذابالغ النبی بزعم رواة قریش فی إکرام عمه کما بالغ عمه فی إکرامه!!

علی أن مقصود القرشیین من روایة الضحضاح قد یکون تشدید العذاب علی أبی طالب لا ـ تخفیفه، فیکون ما تصوره النووی من المبالغة فی إکرام أبی طالب مبالغةً فی عذابه! فقد روت مصادر الثقافة القرشیة أن العذاب فی الضحضاح أشد من بقیتها!

قال السیوطی فی الدر المنثور:۴/۱۲۷:

وأخرج ابن أبی حاتم عن السدی فی الآیة قال: إن أهل النار إذا جزعوا من حرها استغاثوا بضحضاح فی النار، فإذا أتوه تلقَّاهم عقارب کأنهن البغال الدهم، وأفاع کأنهن البخاتی، فضربنهم، فذلک الزیادة!

بماذا یفسرون قول النبی سأبلها ببلاله

لم یقنع حدیث الضحضاح المسلمین بعدم شمول شفاعة النبی صلی الله علیه وآله لعمه الحبیب أبی طالب، خاصةً أن رواة الضحضاح رووا أن أبا طالب له رحم مع النبی صلی الله علیه وآله وأن النبی وعد أنه سیبلها ببلالها، فهل لهذا الوعد تفسیرٌ إلا الشفاعة؟ وهل یسمی وضع أبی طالب فی ضحضاح من نار بلالاً من النبی لرحمه؟!

والطریف أن البخاری نقل حدیثاً عن عمرو بن العاص (وزیر معاویة) تبرأ فیه النبی من آل أبی طالب وأعلن قطع الولایة والرحم بینه وبینهم! وفی نفس الحدیث وعدٌ من النبی أن یبل رحمهم ببلالها!!

قال البخاری فی:۷/۷۳: الرحم شجنة فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته. باب یبل الرحم ببلالها. عن قیس بن أبی حازم أن عمرو بن العاص قال: سمعت النبی(ص)جهاراً غیر سر یقول: إن آل (أبی طالب) قال عمر وفی کتاب محمد بن جعفر بیاض، لیسوا بأولیائی إنما ولیی الله وصالح المؤمنین. زاد عنبسة بن عبد الواحد عن بیان عن قیس عن عمرو بن العاص قال: سمعت النبی (ص): ولکن لهم رحمٌ أبلها ببلاها، یعنی أصلها بصلتها. قال أبو عبدالله (أی البخاری) ببلاها کذا وقع وببلالها أجود وأصح وببلاها لا أعرف له وجهاً. وروی نحوه مسلم فی:۱/۱۳۳ والترمذی:۵/۱۹ والنسائی:۶/۲۴۸–۲۵۰ وأحمد:۲/۳۶۰ وص ۵۱۹

وفی بعض روایاتهم توجه الوعد النبوی إلی أبی طالب خاصة، کما فی کنز العمال:۱۲/۱۵۲: إن لابی طالب عندی رحماً سأبلها ببلالها (ابن عساکر عن عمرو ابن العاص). وراجع کنز العمال:۱۶/۱۰ وج ۱۲/۴۲

ومعنی بلال الرحم: صلتها حتی ترضی. قال الجوهری فی الصحاح: ۴/۱۶۳۹: ویقال أیضاً: فی سقائک بلال أی ماء... ومنه قولهم: إنضحوا الرحم ببلالها أی صلوها بصلتها وندوها... ویقال أیضاً: لا تبلک عندی بلال مثال قطام قالت لیلی الاخیلیة:

فلا وأبیک یا ابن أبی عقیل تبلک بعدها عندی بلال

وقال فی الصحاح:۵/۱۹۲۹: والرحم أیضاً: القرابة والرحم بالکسر مثله.

قال الأعشی: أما لطالب نعمة یممتهاووصال رحم قد بردت بلاله

وقال فی الدرجات الرفیعة/۵۱۴:

إن المکارم أصبحت لهفانةً حرَّی وأنت بلالها وبلیله

وإذا المکارم ذللت أو ضللت یوماً فأنت دلالها ودلیله

وقال ابن الاثیر فی البدایة والنهایة:۳/۵۱: سأبلها ببلائها: وفی البیهقی ببلالها: معناه سأصلها. شبهت قطیعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة. ومنه بلوا أرحامکم: أی صلوها. انتهی.

والنبی صلی الله علیه وآله عندما استعمل هذا التعبیر ووعد هذا الوعد کان یعرف أن معنی بلال الرحم عند العرب إکرام القریب بسخاء حتی یرضی وفوق الرضا، فهو صلی الله علیه وآله أفصح من نطق بالضاد، وأعرف الناس بمعانیها.

لهذا يبقى السؤال للبخارى وكافة علماء الخلافة القرشية: إذا وعد نبى أسرته وأهل بيته بأنه سيصل رحمهم ويرضيهم، فكيف تتعقلون أنه يجعل عمه العزيز عليه منهم الذى له عليه فضل خاص، فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه؟!

ضحضاح النور لا ضحضاح النار

لعل الراوى الاساسى لحديث ضحضاح النار هو المغيرة بن شعبة الثقفى، ثم أخذه عنه الآخرون، أو نسب إليهم.. وسبب إسلام المغيرة أنه كان فى سفر فى تجارة مع عدد من رفقائه الثقفيين من أهل الطائف، فغدر بهم وقتلهم جميعاً وسرق أموالهم، وفر إلى المدينة و... أسلم! وهو معروف بدهائه وفساد أخلاقه، وبغضه لعلى عليه السلام وبنى هاشم، وتاريخه مدونٌ معروف!

ولا يبعد أن يكون أخذ تعبير (الضحضاح) من حديث ضحضاح النور الذى ورد فى حق أهل البيت (عليهم السلام) فجعله ضحضاح نار لأبى طالب!

فقد روى الشيخ الطوسى فى الغيبة/۱۴۷ قال: وأخبرنا جماعة عن التلعكبرى، عن أبى على أحمد بن على الرازى الأيادى قال: أخبرنى الحسين بن على، عن على بن سنان الموصلى العدل، عن أحمد بن محمد الخليلى، عن محمد بن صالح الهمدانى، عن سليمان بن أحمد، عن زياد بن مسلم، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سلام قال: سمعت أبا سلمى راعى النبى صلى الله عليه وآله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت ليلة أسرىَ بى إلى السماء قال العزيز جل ثناؤه: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه. قلت: والمؤمنون. قال: صدقت يا محمد... إنى اطلعت على الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشققت لك إسماً من أسمائى فلا أذكر فى موضع إلا وذكرت معى، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها علياً وشققت له اسماً من أسمائى فأنا الأعلى وهو على. يا محمد إنى خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده أشباح نور من نورى، وعرضت ولايتكم عليالسماوات وأهلها وعلى الأرضين ومن فيهن، فمن قبل ولايتكم كان عندى من المقربين ومن جحدها كان عندى من الكفار الضالين.

يا محمد لو أن عبداً عبدنى حتى ينقطع أو يصير كالشن البالى، ثم أتانى جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم.

يا محمد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب قال التفت عن يمين العرش فالتفتُّ فإذا أنا بأشباح على وفاطمة والحسن والحسين والأئمة كلهم حتى بلغ المهدى، فى ضحضاح من نور قيام يصلون والمهدى فى وسطهم كأنه كوكب درى، فقال لى: يا محمد هؤلاء الحجج، وهو الثائر من عترتك، فوعزتى وجلالى إنه حجةٌ واجبة لاوليائى منتقمٌ من أعدائى. انتهى.

ورواه فرات الكوفى فى تفسيره/۷۴ عن الإمام الباقر ۷ وقال فى هامشه: وأخرجه الحموينى فى الفرائد ۲-۵۷۱ ط ۱ والخوارزمى فى مقتله والطوسى فى الغيبة وصاحب المقتضب كما فى البرهان بأسانيدهم إلى أبى سلمى راعى إبل رسول الله صلى الله عليه وآله قال سمعته يقول... (مثله تقريباً). وأخرج صدره القاضى أبو جعفر الكوفى فى المناقب ح ۱۳۰ وأورده بكامله مع تاليه العلامة المجلسى فى البحار ۳۷-۸۲ انتهى. ورواه ابن شاذان فى المنقبة السابعة عشرة من مناقب على ۷. ورواه المجلسى فى بحار الأنوار:۱۵/۲۴۷ وج ۱۸:۱۸/۲۹۷ وج ۲۶/۳۰۱

محاولتهم التخلص من الوعد النبوى لبنى هاشم

وجد المفسرون للثقافة القرشية أن أحسن طريقة للتخلص من الوعد النبوى الذى انتشرت روايته فى الناس، أن يبعدوه عن الآخرة كلياً، ويقولوا إنه ليس وعداً بالشفاعة!

قال ابن الاثير فى النهاية:۱/۱۵۳: سأبلها ببلالها: أى أصلكم فى الدنيا ولا أغنى عنكم من الله شيئاً، والبلال جمع بلل. انتهى.

ولكن ذلك لا يصح:

أولاً، لأنه ورد فی سیاق حدیث النبی صلی الله علیه وآله عن الآخرة وإنقاذ النفس من النار فالأصل أن یکون هذا استثناء متصلاً من موضوع الحدیث ومصبه، لا من خارجه!

وثانیاً، أن الحدیث فی مقام نفع نسبه وسببه صلی الله علیه وآله فی الآخرة وقد صح عند الجمیع أنه النسب الوحید الذی لا ینقطع یوم القیامة. وتقدمت روایته عن عمر أن النبی: قال: ما بال أقوام یزعمون أن قرابتی لا تنفع؟! کل سبب ونسب منقطع یوم القیامة إلا سببی ونسبی، فإنها موصولة فی الدنیا والآخرة!

وثالثاً، لم یکن النبی یملک دنیاً عند نزول أمره تعالی: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ، حتی یعد أقاربه بها، بل لا معنی لوعده إیاهم فی ذلک الوقت حتی بالشفاعة فی الآخرة، لأنه فی مرحلة عرض الإسلام علیهم..وهذا مما یضعف الروایة بأن هذا الوعد النبوی صدر عند نزول الآیة.

ورابعاً، أنهم رووا هذا الحدیث بشأن أبی طالب بعد وفاته کما تقدم فی کنز العمال عن ابن عساکر وغیره، فهل وعده النبی بأن یعطیه مالاً بعد وفاته! أم وعد بأن یعطی ذریته ثروة فلم یعطهم وترکهم فقراء!

وخامساً، رووا فی نفس هذا الوعد أن النبی صلی الله علیه وآله خاطب کل قریش ووعدهم ببلال الرحم، فإن قالوا إنه وعدٌ بإعطائهم مالاً فی الدنیا دون الآخرة، لزم أن لا تشمل شفاعة النبی صلی الله علیه وآله أحداً من قریش أبداً!، فهل یلتزمون بذلک!

قال النووی فی المجموع:۱۵/۳۵۶:

وأخرج الشیخان عن أبی هریرة واللفظ لمسلم (لما نزلت هذه الآیة: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ، دعا رسول الله(ص)قریشاً فاجتمعوا، فعم وخص فقال: یا بنی کعب بن لؤی أنقذوا أنفسکم من النار، یا بنی مرة بن کعب أنقذوا أنفسکم من النار، یا بنی هاشم أنقذوا أنفسکم من النار، یا بنی عبد مناف أنقذوا أنفسکم من النار، یا بنی عبد المطلب أنقذوا أنفسکم من النار، یا فاطمة أنقذی نفسک من النار، فإنی لاـ أملک لکم من الله شیئاً، غیر أن لکم رحماً سأبلها ببلالها) وفی هذا دلیل علی أن کل من ناداهم النبی(ص)یطلق علیهم لفظ الأقربین، لانه(ص)فعل ذلک ممتثلاً لقوله تعالی: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ، وهو دلیل علی صحة ما ذهب إلیه الشافعی (رض) من دخول النساء لذکره فاطمة، ودخول الکفار.انتهی.

وسادساً، رووا أحادیث عدیدة صرحت بالوعد النبوی بالشفاعة فی الآخرة، کالذی رواه الحاکم فی:۳/۵۶۸ ورواه مجمع الزوائد:۱/۸۸ وکنز العمال: ۱۲/۴۱: والذی نفسی بیده لا یؤمن أحدهم حتی یحبکم لحبی! أیرجون أن یدخلوا الجنة بشفاعتی ولا یرجوها بنو عبد المطلب؟! انتهی.

بل روی فی کنز العمال:۱۲/۱۰۰ أن شفاعة النبی صلی الله علیه وآله مخصوصةٌ بمن أحب أهل بیته، قال: شفاعتی لامتی، من أحب أهل بیتی وهم شیعتی! انتهی.

وبذلک یتضح أن محاولة إبعاد وعد النبی صلی الله علیه وآله لبنی هاشم عن الشفاعة.. محاولة مردودة، بل مشبوهة.

عمل المعروف ینجی الکفار من النار إلا أبا طالب

روی ابن ماجة فی سننه:۲/۴۹۶:

عن أنس بن مالک قال: قال رسول الله (ص): یُصَفُّ الناس یوم القیامة صفوفاً، وقال ابن نمیر أهل الجنة، فیمر الرجل من أهل النار علی الرجل فیقول: یا فلان أما تذکر یوم استسقیت فسقیتک شربة؟ قال فیشفع له. ویمر الرجل فیقول: أما تذکر یوم ناولتک طهوراً؟ فیشفع له. قال ابن نمیر ویقول: یا فلان أما تذکر یوم بعثتنی فی حاجة کذا وکذا فذهبت لک؟ فیشفع له. انتهی.

والرجل من (أهل النار) یعنی الکافر أو یشمل الکافر الذی قدم خدمة ولو صغیرة للمسلم.. فإذا کانت مکانة المسلم العادی کبیرة عندالله تعالی بحیث یشفِّعه فی من قدم له خدمة ولو بسیطة، فکیف بخدمات أبی طالب لأفضل الخلق صلی الله علیه وآله!

ویؤید حدیث ابن ماجة ما رواه السیوطی فی الدر المنثور:۲/۲۴۹: عن ابن مسعود قال قال رسول الله(ص)فی قوله: فیوفیهم أجورهم ویزیدهم من فضله، قال: أجورهم یدخلهم الجنة، ویزیدهم من فضله الشفاعة فیمن وجبت لهم النار ممن صنع الیهم المعروف فی الدنیا.

وما رواه فی الدر المنثور:۳/۲۵۶:

وأخرج ابن مردویه عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص):إذا کان یوم القیامة جمع الله الأولین والآخرین، ثم أمر منادیاً ینادی: ألا لیقم أهل المعروف فی الدنیا، فیقومون حتی یقفوا بین یدی الله، فیقول الله: أنتم أهل المعروف فی الدنیا؟ فیقولون نعم، فیقول وأنتم أهل المعروف فی الآخرة، فقوموا مع الأنبیاء والرسل فاشفعوا لمن أحببتم فأدخلوه الجنة حتی تدخلوا علیهم المعروف فی الآخرة کما أدخلتم علیهم المعروف فی الدنیا!

ویؤیده من مصادرنا مارواه المجلسی فی بحار الأنوار:۸/۲۸۸

عن ثواب الأعمال للصدوق/۱۶۳ قال: أبی، عن سعد، عن النهدی، عن ابن محبوب، عن علی بن یقطین، عن أبی الحسن موسی علیه السلام قال: کان فی بنی إسرائیل رجلٌ مؤمن وکان له جارٌ کافر فکان یرفق بالمؤمن ویولیه المعروف فی الدنیا، فلما أن مات الکافر بنی الله له بیتاً فی النار من طین، فکان یقیه حرها ویأتیه الرزق من غیرها، وقیل له: هذا بما کنت تدخل علی جارک المؤمن فلان بن فلان من الرفق، وتولیه من المعروف فی الدنیا!

وقال المجلسی: هذا الخبر الحسن الذی لا یقصر عن الصحیح، یدل علی أن بعض أهل النار من الکفار یرفع عنهم العذاب لبعض أعمالهم الحسنة، فلا یبعد أن یخصص الآیات الدالة علی کونهم معذبین فیها لا یخفف عنهم العذاب، لتأیده بأخبار أخر.

وفی بحار الأنوار:۸/۴۱ عن ثواب الأعمال أیضاً/۱۶۷:

عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إن المؤمن منکم یوم القیامة لیمر به الرجل له المعرفة به فی الدنیا وقد أمر به إلی النار والملک ینطلق به، قال فیقول له: یا فلان أغثنی فقد کنت أصنع إلیک المعروف فی الدنیا وأسعفک فی الحاجة تطلبها منی فهل عندک الیوم مکافأة؟ فیقول المؤمن للملک المؤکل به: خلِّ سبیله، قال فیسمع الله قول المؤمن فیأمر الملک أن یجیز قول المؤمن، فیخلی سبیله. انتهی.

هذه الشفافیة فی الرحمة الإلهیة وإکرامه تعالی لأنبیائه وعباده المؤمنین.. تتبخر عند قبائل قریش ورواتهم عندما یصلون إلی أسرة النبی صلی الله علیه وآله!

بل تتحول إلی قسوة وخشونة ینسبونها إلی الله ورسوله ضد هذه الأسرة التی جعل الله مودتها أجراً لتبلیغ الإسلام، لأنه الضمانة الوحیدة لسلامة الإسلام!

احادیث نجت من الرقابة القرشیة

مع کل المحاولات المتقدمة بقیت أحادیث عدیدة، منها صحیح عندهم، استطاعت أن تعبر نقاط التفتیش، وتنجو من رقابة الثقافة القرشیة الحاکمة، وفیما یلی نماذج منها:

تقدمت روایة الهیثمی فی مجمع الزوائد:۸/۲۱۶ عن عمر وما قاله لصفیة عمة النبی وما أجابه به النبی صلی الله علیه وآله فقد جاء فیها: قال فغضب النبی(ص)وقال: یا بلال هجر بالصلاة فهجر بلال بالصلاة، فصعد المنبر(ص)فحمد الله وأثنی علیه ثم قال: ما بال أقوام یزعمون أن قرابتی لا تنفع؟! کل سبب ونسب منقطع یوم القیامة إلا سببی ونسبی! فإنها موصولة فی الدنیا والآخرة! انتهی.

وقد حاولت روایة أن تعتذر عن قول الخلیفة عمر هذا باتهام أم هانی أخت علی علیه السلام بأنها کانت متبرجة، فنهاها عمر عن ذلک، وقال لها ذلک القول! ولکن الظاهر أن حادثة أم هانی حادثة أخری غیر حادثة صفیة، وقد کان جواب النبی صلی الله علیه وآله فیها أیضاً حاسماً:

قال فی مجمع الزوائد:۹/۲۵۷:

عن عبد الرحمن بن أبی رافع أن أم هانی بنت أبی طالب خرجت متبرجة قد بدا قرطاها، فقال لها عمر بن الخطاب: إعملی فإن محمداً لا یغنی عنک شیئاً، فجاءت إلی النبی(ص)فأخبرته به، فقال رسول الله (ص): ما بال أقوام یزعمون أن شفاعتی لا تنال أهل بیتی؟! وإن شفاعتی تنال حا وحکم!! وحا وحکم قبیلتان. انتهی.

وذکرت مصادرنا کما فی بحار الأنوار:۹۳/۲۱۹:

أن عمر قال لها: غطی قرطک فإن قرابتک من رسول الله لاتنفعک شیئاً! فقالت له: هل رأیت لی قرطاً یا ابن اللخناء؟! ثم دخلت علی رسول الله صلی الله علیه وآله فأخبرته بذلک وبکت، فخرج رسول الله صلی الله علیه وآله فنادی الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال: ما بال أقوام یزعمون أن قرابتی لاتنفع! لو قمت المقام المحمود لشفعت فی حاء وحکم! لایسألنی الیوم أحد من أبواه إلا أخبرته! فقام إلیه رجل فقال: من أبی یا رسول الله؟ فقال: أبوک غیر الذی تدعی له، أبوک فلان بن فلان! فقام آخر فقال: من أبی یا رسول الله؟ قال: أبوک الذی تدعی له! ثم قال رسول الله صلی الله علیه وآله: ما بال الذی یزعم أن قرابتی لاتنفع لا یسألنی عن أبیه؟ فقام إلیه عمر فقال: أعوذ بالله یا رسول الله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنی عفا الله عنک...

ونقل البیهقی فی البعث والنشور/۵۹:

حادثة ثالثة: عن أبی هریرة قال کانت امرأه من بنی هاشم تحت رجل من قریش، فکان بینه وبینها شئ فقال لها ستعلمین والله أنه لا ینفعک قرابتک من رسول الله (ص) شیئاً! فخرج رسول الله مغضباً فقال: ما بال رجال یزعمون أن قرابتی لا تنفع! وإنی لترجو شفاعتی صدی أو سهلب!

وفی الانساب للسمعانی:۱/۳۰:

عن أبی هریرة وعمار بن یاسر رضی الله عنهما أن النبی(ص)قال: أیها الناس مالی أوذی فی أهلی؟! والله إن شفاعتی لتنال حاء وحکم وسلهب وصداء، تنالها یوم القیامة!

وسلهب فی نسب الیمن من دوس. قال ابن إسحاق: هذا مما یصدق نسابة مضر أن هذه القبائل من معد.

وقال الدیلمی فی فردوس الأخبار:۴/۳۹۹ ح ۶۶۸۳:

أبو سعید: ما بال أقوام یزعمون أن رحمی لا تنفع؟! والله إن رحمی لموصولة فی الدنیا والآخرة.

وقال ابن الاثیر فی أسد الغابة:۱/۱۳۴:

عن شهر بن حوشب قال أقام فلانٌ (یقصد معاویة) خطباء یشتمون علیاً رضی الله عنه وأرضاه ویقعون فیه حتی کان آخرهم رجلٌ من الأنصار أو غیرهم یقال له أنیس، فحمد الله وأثنی علیه ثم قال: إنکم قد أکثرتم الیوم فی سب هذا الرجل وشتمه، وإنی أقسم بالله أنی سمعت رسول الله (ص) یقول: إنی لاشفع یوم القیامة لأکثر مما علی الأرض من مدر وشجر، وأقسم بالله ما أحدٌ أوصل لرحمه منه، أفترون شفاعته تصل الیکم وتعجز عن أهل بیته؟! ورواه فی مجمع الزوائد:۹/۱۷۰: عن شهر بن حوشب وفیه (أفیرجوها غیره ویقصر عن أهل بیته)

تاریخ المدینة:۲/۲۶۴:

حدثنا أبو حذیفة، قال حدثنا سفیان، عن أبیه، عن أبی الضحی، عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: جاء العباس إلی رسول الله(ص)فقال: إنک ترکت فینا ضغائن منذ صنعت الذی صنعت. فقال رسول الله (ص): لن یبلغوا الخیر - أو قال: الإیمان - حتی یحبوکم لله ولقرابتی! أیرجو سؤلهم شفاعتی من مراد، ولا یرجو بنو عبد المطلب شفاعتی! وروی نحوه فی کنز العمال:۱۳/۵۱۲ وص ۵۱۴

الدر المنثور:۶/۴۰۹:

وأخرج ابن مردویه عن ابن عمر وأبی هریرة وعمار بن یاسر رضی الله عنهم قالوا: قدمت درة بنت أبی لهب مهاجرةً، فقال لها نسوة أنت درة بنت أبی لهب الذی یقول الله تبت یدا أبی لهب، فذکرت ذلک للنبی(ص)، فخطب فقال: یا أیها الناس مالی أوذی فی أهلی، فوالله إن شفاعتی لتنال بقرابتی حتی أن حکماً وحاء وصدا وسلهباً تنالها یوم القیامة بقرابتی! ورواه فی کنز العمال:۱۳/۶۴۴ عن فردوس الدیلمی.

مجمع الزوائد: ۱۰/۳۸۰:

باب فی أول من یشفع لهم: عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): أول من أشفع له من أمتی أهل بیتی، ثم الأقرب فالأقرب من قریش والأنصار. انتهی.

ولو تتبعنا المصادر لوجدنا الکثیر من هذه الأحادیث. وهی ملیئة بالحقائق والفوائد، ونکتفی منها بما یلی:

أولًا: أن حدیث (مالی أؤذی فی أهل بیتی) أصله هنا، ولکن صار نصه فی الصحاح (مالی أؤذی فی أهلی) وصار أهله صلی الله علیه وآله بمعنی زوجته عائشة، فقد ادعوا أن قصة الافک التی اتهم فیها المنافقون المؤمنة الطاهرة الغافلة ماریة القبطیة، کانت المتهمة فیها عائشة ورضوا هنا أن تکون عائشة من (المؤمنات الغافلات) اللواتی ذکرتهم الآیة، لکی تکون البراءة النازلة من السماء لها ولیس لماریة، وادعوا أن قول النبی صلی الله علیه وآله: مالی أؤذی فی أهلی، صدر بتلک المناسبة! وصار المؤذی للنبی صلی الله علیه وآله علیاً بن أبی طالب، الذی زعموا أنه أشار علی النبی صلی الله علیه وآله بطلاق عائشة!

ثانیاً: أن أذی القرشیین للنبی فی آله صلی الله علیه وآله کان کثیراً متکرراً وقد نصت مصادر السنیین علی عدد من حوادثه کما تقدم فی حادثة (برک علی قدمیه) وتقدم هنا: قول فلان من قریش (کمثل نخلة نبتت فی کناسة) وقول عمر لصفیة، وقوله لأم هانی وقول (صهر بنی هاشم) الذی لم یصرحوا باسمه، وقصة بنت أبی لهب، وشکوی العباس المتکررة.

کما أن تعدد الایذاء وتعدد جواب النبی صلی الله علیه وآله یفهم من تعدد أسماء القبائل الغریبة البعیدة التی ذکرها النبی صلی الله علیه وآله عمداً، بما آتاه الله من جوامع الکلم لتبقی أسماؤها ترنُّ فی الأذان ویبقی حدیثه فی الأذهان.. الأمر الذی یدل علی أن روح الایذاء للنبی فی آله صلی الله علیه وآله کانت فی القرشیین مرضاً لا عرضاً!

ثالثاً: ینبغی أن یسأل الذین یدافعون عن جمیع الصحابة ویقدسونهم، عن حکم هؤلاء الذین آذوا رسول الله صلی الله علیه وآله وأغضبوه مراراً فی أهل بیته، فقد ثبت علیهم الحکم الذی نزل به القرآن فی حقهم، ولم یثبت أنهم جددوا إسلامهم وخرجوا من تبعات هذا الحکم.

رابعاً: إن هذه الأحادیث وحدها تکفی للمسلم لأن یعرف أن فی الأمر شیئاً کبیراً یتعلق بآل النبی صلی الله علیه وآله وأنه یجب إعادة النظر فی الروایات التی تنفی أن النبی صلی الله علیه وآله لم یوص لهم، ولم یجعل لهم حقاً علی الأمة، ولم یعدهم بشفاعة خاصة.. وتکفیه لأن یحتمل أن تکون روایاتهم فی أبی طالب من هذا النوع. وهذا الإحتمال کاف للتوقف عن تصدیقها.

بخلهم علی أبی طالب و خدیجة و سخاؤهم علی غیرهم

من ظلامة الخلافة القرشیة أنها بخلت علی أبی طالب بکلمة شکر، فی حین تبنت مشرکین فی مقابله لم یؤمنوا بالنبی صلی الله علیه وآله فجعلتهم من أهل الجنة، بل جعلتهم فی مرتبة الأنبیاء! ومن أبرز هؤلاء ورقة بن نوفل وزید بن عمرو بن نفیل.. والنص التالی یبین بعض الرتب التی أعطوها لهؤلاء فی الجنة، بالمقایسة إلی الرتبة النازلة التی أعطوها لخدیجة أم المؤمنین ورتبة الضحضاح لأبی طالب رضوان الله علیهما.

قال الهیثمی فی مجمع الزوائد:۹/۴۱۶:

عن جابر بن عبد الله قال سئل النبی(ص)عن عمه أبی طالب، هل تنفعه نبوتک؟ قال: نعم أخرجته من غمرات جهنم إلی ضحضاح

منها.

وسئل عن خديجة، لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن، فقال: أبصرتها على نهر من أنهار الجنة فى بيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.

وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: يبعث يوم القيامة أمةً وحده، بينى وبين عيسى عليه السلام. رواه أبو يعلى وفيه مجالد، وهذا مما مدح من حديث مجالد، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وعن جابر قال سألنا رسول الله(ص)عن زيد بن عمرو بن نفيل فقلنا: يا رسول الله إنه كان يستقبل القبلة ويقول دينى دين إبراهيم وإلهى إله إبراهيم وكان يصلى ويسجد؟ قال: ذاك أمة وحده، يحشر بينى وبين يدى عيسى بن مريم.

وسئل عن ورقة بن نوفل وقيل: يا رسول الله إنه كان يستقبل القبلة ويقول إل هى إله زيد ودينى دين زيد، وكان يتوجه ويقول:

رشدت فأنعمت ابن عمرو فإنما عنيت بتنور من النار حامى

بدينك ديناً ليس دين كمثله وتركك حنَّان الجبال كما هى

قال: رأيته يمشئ فى بطنان الجنة، عليه حلة من سندس. انتهى.

وإنما جعلوا بيت القصب لخديجة، لأنها بزعمهم توفيت قبل فرائض الصلاة والصوم والزكاة والحج، فهى تستحق درجة سفلى فى الجنة وبيتاً عادياً من قصب أو سعف النخل..أما عائشة المحترمة عند دولة الخلافة فهى فى الفردوس فى قصر من ياقوت ولؤلؤ!

ويتألم المسلم عندما يرى فى المصادر الإسلامية افتراءً على أم المؤمنين خديجة يصل إلى حد اتهامها بأنها كانت تعبد اللات والعزى وتلح على النبى صلى الله عليه وآله أن يعبدهما قبل منامه، فيمتنع عن ذلك!!

فقد روى أحمد فى مسنده:۴/۲۲۲ و:۵/۳۶۲:

عن عروة بن الزبير يعنى ابن أخت عائشة قال: حدثنى جار لخديجة بنت خويلد أنه سمع النبى (ص) وهو يقول لخديجة: أى خديجة والله لاـ أعبد اللات والعزى، والله لا أعبد أبداً! قال فتقول خديجة:خل اللات خل العزى، قال كانت صنمهم التى كانوا يعبدون ثم يضطجعون)!! انتهى.

فكأن مدح عائشة يستلزم ذم ضرتها، والتى توفيت قبل أن يتزوج النبى بها! لأن النبى صلى الله عليه وآله كان يذكرها دائماً بالخير، ويباهى بها!!

وأما ورقة المعاصر لأبى طالب أيضاً، فهو فى بطنان الجنة أى فى وسطها، يرفل بالسندس، مع أنه مات بعد البعثة ولم يسلم! والسبب فى استحقاقه الجنة أنه كان يقول: أنا على دين زيد بن نفيل! بينما ذكروا أن الدليل على كفر أبى طالب أنه كان يقول: أنا على دين عبد المطلب!!

وأما زيد بن نفيل فقد عاش سنوات بعد البعثة ولم يسلم، ورووا عنه أنه نهى المشركين ذات مرة عن تعذيب بلال، ولكنهم جعلوه فى مرتبة نبى لأنه ابن عم الخليفة عمر..بل هو بزعمهم أتقى من النبى صلى الله عليه وآله، لأن النبى كان قبل البعثة مشركاً يذبح للأصنام ويأكل مما ذبح على النصب، بينما كان زيد على دين إبراهيم لا يذبح للأصنام ولا يأكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وقد نصح النبى صلى الله عليه وآله ذات مرة أن لا يأكل مما ذبح على النصب فاقتدى النبى به!!

إنها الكارثة الفكرية فى الأمة.. عندما تفضل حكامها وأقاربهم على نبيها سيد الأنبياء، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام!!

قال فى مجمع الزوائد:۹/۴۱۷: باب ما جاء فى زيد بن عمرو بن نفيل...

قال فمر زيد بن عمرو بالنبى(ص)وزيد بن حارثة، وهما يأكلان من سفرة فدعياه فقال: يابن أخى لا آكل ما ذبح على النصب، قال فما رؤى النبى(ص)يأكل ماذبح على النصب من يومه ذلك، حتى بعث.

قال: وجاء سعيد بن زيد إلى النبى(ص)فقال: يا رسول الله إن زيداً كان كما رأيت أو كما بلغك، فأستغفر له؟ قال: نعم، فاستغفروا له

فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده. رواه الطبرانى والبزار باختصار عنه، وفيه المسعودى وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات.

وعن سعيد بن زيد قال: سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله(ص)عن زيد بن عمرو؟ فقال: يأتى يوم القيامة أمة وحده. رواه ابو يعلى وإسناده حسن.

وعن زيد بن حارثة قال: خرجت مع رسول الله(ص)يوماً حاراً من أيام مكة وهو مردفى إلى نصب من الأنصاب! وقد ذبحنا له (أى للصنم)شاة فأنضجناها، قال فلقيه زيد بن عمرو بن نفيل فحيَّا كل واحد منهما صاحبه بتحية الجاهلية، فقال النبى (ص): يا زيد مالى أرى قومك قد شنفوا لك؟ قال: والله يا محمد ذلك لغير نائلة لى منهم، ولكنى خرجت أبتغى هذا الدين حتى أقدم على أحبار فدك، وجدتهم يعبدون الله ويشركون به، قال قلت ماهذا الدين الذى أبتغى، فخرجت حتى أقدم على أحبار الشام، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، قلت ما هذا الدين الذى أبتغى، فقال شيخ منهم إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحداً يعبد الله به إلا شيخٌ بالحيرة، قال فخرجت حتى أقدم عليه فلما رآنى قال ممن أنت؟ قلت من أهل بيت الله، من أهل الشوك والقرظ، فقال إن الدين الذى تطلب قد ظهر ببلادك قد بعث نبى قد ظهر نجمه، وجميع من رأيتهم فى ضلال، فلم أحس بشئ بعد يا محمد!!

قال: وقرب إليه السفرة فقال: ما هذا يا محمد؟ فقال شاة ذبحناها لنصب من الانصاب! فقال: ما كنت لأكل مما لم يذكر اسم الله عليه!

قال زيد بن حارثة: فأتى النبى(ص)البيت فطاف به وأنا معه، وبين الصفا والمروة صنمان من نحاس أحدهما يقال له يساف والآخر يقال له نائلة، وكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما، فقال النبى (ص): لا تمسحهما فإنهما رجس، فقلت فى نفسى لامسنهما حتى أنظر ما يقول النبى(ص)؟ فقال النبى(ص) لزيد: إنه يبعث أمة وحده. رواه أبو يعلى والبزار والطبرانى إلا أنه قال فيه: فأخبرته بالذى خرجت له فقال: كل من رأيت فى ضلال وإنك لتسأل عن دين الله وملائكته، وقد خرج فى أرضك نبى أو هو خارج فارجع فصدقه وآمن به. وقال أيضاً فقال زيد إنى لا آكل شيئاً ذبح لغير الله، ورجال أبى يعلى والبزار وأحد أسانيد الطبرانى رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث.

وعن أسماء بنت أبى بكر قالت: كان زيد بن عمرو بن نفيل فى الجاهلية يقف عند الكعبة ويلزق ظهره إلى صفحتها، ويقول: يا معشر قريش ما على الأرض على دين إبراهيم غيرى، وكان يفدى الموؤدة أن تقتل، وقال عمرو بن نفيل:

عزلت الجن والجنان عنى كذلك يفعل الجلد الصبور

رواه الطبرانى وإسناده حسن. انتهى.

فقد ثبت عندهم بهذه الأحاديث الصحيحة والحسنة، أن النبى صلى الله عليه وآله كان يعبد الأصنام ويذبح لها! وثبت أن زيد بن عمرو كان موحداً على دين إبراهيم، وكان ينتظر النبوة، وكان أولى بها من محمد، ولكن زيداً إلى تاريخ لقائه بالنبى صلى الله عليه وآله وهو فى طريقه إلى الصنم لم يحس بالوحى ولعله أحس به بعد ذلك!!

وقد روت الصحاح افتراءهم على النبى صلى الله عليه وآله بأنه ذبح للصنم وقصة اللحم الذى كان يأكل منه بزعمهم ويعافه ابن نفيل!!

فقد رواها البخارى: ۴/۲۳۲ وأضاف فيه

(ثم قال زيد إنى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وإن زيد بن عمر كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله!! إنكاراً لذلك وإعظاماً له!) انتهى.

وروى نحوها أيضاً فى:۶/۲۲۵ وكذلك أحمد فى:۱/۱۸۹ وج ۲/۶۸ و۸۹ و۱۲۷

وعلى هذه الروايات الصحاح والحسان! يكون زيد بن عمرو بن نفيل أتقى من محمد صلى الله عليه وآله وأوعى منه، وأولى بالنبوة منه، ولكن الحظ جعلها لمحمد صلى الله عليه وآله.

ولذلك لم يؤمن به زيد عندما بعث لأنه لا يحتاج إلى ذلك!

کما أن ابن عمه عمر یستحق النبوة ولکن الحظ جعلها لمحمد، فقد نسبوا إلی النبی صلی الله علیه وآله أنه قال: لو لم أبعث لبعث عمر بن الخطاب!! وهذا یعطی الشرعیة لکل مناقشات عمر للنبی صلی الله علیه وآله واعتراضاته علیه، بل ومخالفاته له!!

ویلاحظ فی روایاتهم عن زید بن عمرو، أن عدداً منها عن لسان ولده سعید وابن عمه عمر، وأنها ترید التأکید علی أن زیداً العدوی وحده کان علی ملة إبراهیم لا عبد المطلب الهاشمی ولا أبو طالب، ولا حتی النبی صلی الله علیه وآله، وهو عملٌ یقصد منه المساس بشخصیة النبی وأجداده صلی الله علیه وآله من أجل تکبیر شخصیات مشرکة من أقارب الحکام!!

لکن المتأمل فی روایاتهم یجد فیها حقیقة مهمة، وهی أنهم شهدوا علی زید بن عمرو بن نفیل بأنه لم یسلم ومات کافراً رغم معرفته المزعومة ببعثة النبی صلی الله علیه وآله، ولو أنه أسلم لما سألوا النبی صلی الله علیه وآله عنه، ولملاوا الکتب بفضائله ومناقبه! کما ملؤوها بذم أبی طالب وضحضاحه!!

اهم الأدلة علی إیمان أبی طالب

تکفلت کتب مستقلة بإثبات إیمان أبی طالب رضوان الله علیه..ومن أشهرها کتاب (أبو طالب مؤمن قریش) لمؤلفه الشیخ عبد الله الخنیزی الذی صادره الوهابیون وحبسوا مؤلفه (السعودی) بسببه، وحکموا علیه بالإعدام! ولکن الدولة السعودیة خشیت من العواقب فأقنعت مفتیهم بتخفیف الحکم فخففه إلی الحبس والتعزیر!!

وقد کتب علماؤنا عن إیمان أبی طالب بحوثاً مستفیضة فی مصادر السیرة والعقائد، من أهمها ما کتبه المجلسی فی البحار:۳۵ والامینی فی الغدیر: ۷ و ۸ والشیخ نجم الدین العسکری فی مقام الإمام علی علیه السلام والسید جعفر مرتضی فی الصحیح من السیرة:۳/۲۲۷.

ونورد فیما یلی خمسة أدلة علی إیمانه مستفادة من المصادر المذکورة وغیرها:

الدلیل الأول: النصوص الصریحة الثابتة عندنا عن النبی والأئمة من آله صلی الله علیه وآله وهم الطاهرون المطهرون الصادقون المصدقون، غیر المتهمین فی شهادتهم لآبائهم وأقربائهم وأنفسهم.

منها: عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنه قال: والله ما عبد أبی ولا جدی عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف، صنماً قط. قیل له فما کانوا یعبدون؟ قال: کانوا یصلون إلی البیت علی دین إبراهیم متمسکین به. انتهی.

وقال عنه فی الغدیر:۷/۳۸۴: رواه شیخنا الصدوق بإسناده فی کمال الدین/۱۰۴ والشیخ أبوالفتوح فی تفسیره ۴: ۲۱۰ والسید فی البرهان ۳: ۷۹۵

ومنها: ع أبی عبد الله الصادق علیه السلام قال: نزل جبرئیل علیه السلام علی النبی صلی الله علیه وآله فقال: یا محمد إن ربک یقرؤک السلام ویقول: إنی قد حرمت النار علی صلب أنزلک وبطن حملک وحجر کفلک. فالصلب صلب أبیه عبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذی حملک آمنة بنت وهب، وأما حجر کفلک فحجر أبی طالب. وزاد فی روایة: وفاطمة بنت أسد. انتهی.

وقال عنه فی الغدیر: روضة الواعظین/۱۲۱. راجع الکافی لثقة الإسلام الکلینی/۲۴۲، معانی الأخبار للصدوق، کتاب الحجة السید فخار بن معد/۸، ورواه شیخنا للمفسر الکبیر أبو الفتوح الرازی فی تفسیره ۴–۲۱۰، ولفظه: إن الله عز وجل حرم علی النار صلباً حملک وبطناً حملک وثدیاً أرضعک وحجراً کفلک..إلخ.

ومنها: ما رواه فی مقام الإمام علی:۳/۱۴۰: قال السید الحجة فخار بن معد فی کتابه (الحجة علی الذاهب إلی تکفیر أبی طالب)/۱۶ بالإسناد إلی الکراجکی عن رجاله، عن أبان، عن محمد بن یونس، عن أبیه، عن أبی عبدالله أنه قال: یا یونس ما تقول الناس فی أبی طالب؟ قلت جعلت فداک یقولون: هو فی ضحضاح من نار، وفی رجلیه نعلان من نار تغلی منهما أم رأسه! فقال: کذب أعداء الله! إن أبا طالب من رفقاء النبیین والصدیقین والشهداء والصالحین وحسن أولئک رفیقاً.

ومنها: فی المصدر المذکور أیضاً، عن علی بن حسان، عن عمه عبد الرحمن بن کثیر قال: قلت لابی عبد الله علیه السلام: إن الناس

يزعمون أن أبا طالب فى ضحضاح من نار؟ فقال: كذبوا ما بهذا نزل جبرئيل على النبى صلى الله عليه وآله! قلت وبما نزل؟ قال: أتى جبرئيل فى بعض ما كان عليه فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك: إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين، وماخرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة. ثم قال عليه السلام: كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد أخرج من مكة فما لك بها ناصر بعد أبى طالب!

ومنها: فى المصدر المذكور أيضاً عن أبى بصير ليث المرادى قال: قلت لابى جعفر: سيدى إن الناس يقولون: إن أبا طالب فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه؟ فقال عليه السلام: كذبوا، والله إن إيمان أبى طالب لو وضع فى كفةِ ميزان وإيمان هذا الخلق فى كفة لرجح إيمان أبى طالب على إيمانهم، ثم قال: كان والله أمير المؤمنين يأمر أن يحج عن أب النبى وأمه صلى الله عليه وآله وعن أبى طالب فى حياته، ولقد أوصى فى وصيته بالحج عنهم بعد مماته. انتهى.

الدليل الثانى: تصريحات أبى طالب رضى الله عليه بصدق النبى صلى الله عليه وآله وأنه رسول رب العالمين.

قال السيد جعفر مرتضى فى الصحيح من السيرة: ۳/۲۳۰:

ويكفى أن نذكر نموذجاً من أشعاره التى عبر عنها ابن أبى الحديد المعتزلى بقوله: إن كل هذه الاشعار قد جاءت مجى التواتر من حيث مجموعها (شرح النهج:۱۴/۷۸) ونحن نذكر هنا اثنى عشر شاهداً من شعره، على عدد الأئمة المعصومين من ولده عليه وعليهم السلام تبركاً وتيمناً، والشواهد هى:

۱ – ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط فى أول الكتب

۲ – نبى أتاه الوحى من عند ربه ومن قال لا، يقرع بها سن نادم

۳ – يا شاهد الوحى من عند ربه إنى على دين النبى أحمد

۴ – أنت الرسول رسول الله نعلمه عليك نزِّل من ذى العزة الكتب

۵ ـ أنت النبى محمدُ قرمٌ أغرُّ مُسَوَّدُ

۶ ـ أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبى كموسى أو كذى النون

۷ ـ وظلم نبى جاء يدعو إلى الهدى وأمر أتى من عند ذى العرش قيم

۸ ـ لقد أكرم الله النبى محمداً فأكرم خلق الله فى الناس أحمد

۹ ـ وخير بنى هاشم أحمدٌ رسول الاله على فترةٍ

۱۰ ـ والله لا أخذل النبى ولا يخذله من بنىَّ ذو حسب

۱۱ ـ وقال رحمه الله يخاطب ملك الحبشة ويدعوه إلى الإسلام:

أتعلم ملك الحسن أن محمداً نبياً كموسى والمسيح ابن مريم

أتى بالهدى مثل الذى أتيا به فكلٌّ بأمر الله يهدى ويعصم

وإنكم تتلوته فى كتابكم بصدقِ حديث لا حديث الترجم

فلا تجعلوا لله نداً فأسلموا فإن طريق الحق ليس بمظلم

۱۲ –ـ وقال مخاطباً ولده حمزة رحمه الله:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهر للدين وفقت صابر

وحط من أتى بالحق من عند ربه بصدق وعزم لاتكن حمز كافر

فقد سرنى أن قلت إنك مؤمنٌ فكن لرسول الله فى الله ناصر

وباد قریشاً فی الذی قد أتیته جهاراً وقل ما كان أحمد ساحر

وأشعار أبی طالب الناطقة بإیمانه كثیرة، وقد اقتصرنا منها علی هذا القدر لنفسخ المجال لذكر لمحة عن سائر ما قیل ویقال فی هذا الموضوع. انتهی.

ونضیف إلی ماذكره صاحب الصحیح ما قاله الطبرسی فی الاحتجاج: ۱/۳۴۵: وقد اشتهر عن عبدالله المأمون أنه كان یقول: أسلم أبو طالب والله بقوله:

نصرت الرسول رسول الملیك ببیض تلالا كلمع البروقِ

أذب وأحمی رسول الاله حمایة حام علیه شفیق

وما إن أدبُّ لأعدائه دبیب البكار حذار الفنیق

ولكن أزیر لهم سامیاً كما زار لیث بغیل مضیق

وما ذكره أبو الفداء فی تاریخه: ۱/۱۷۰ قال: ومن شعر أبی طالب مما یدل علی أنه كان مصدقاً لرسول الله(ص)قوله:

ودعوتنی وعلمت أنك صادقٌ ولقد صدقت وكنت ثم أمین

الدلیل الثالث: تحلیل مقومات شخصیة أبی طالب (رض) وعلاقته بالنبی صلی الله علیه وآله منذ أن أوصاه به أبوه عبد المطلب وكفله إیاه، ونصرته له من أول بعثته، وفی أصعب مراحلها..إلی أن توفی فی السنة العاشرة من البعثة..فإن أی باحث ینظر فی ذلك یقتنع بأن نصرته وحمایته للنبی صلی الله علیه وآله لایمكن أن تصدر إلا عن مؤمن قوی الإیمان.

بل لا یحتاج الأمر إلی دراسة مقومات شخصیته وكل حیاته، فیكفی دراسة بعض مواقفه لإثبات ذلك.

منها: الموقف الذی رواه فی الغدیر:۷/۳۸۸: عن الأصبغ بن نباته قال: سمعت أمیر المؤمنین علیاً علیه السلام یقول: مرَّ رسول الله صلی الله علیه وآله بنفر من قریش وقد نحروا جزوراً، وكانوا یسمونها الفهیرة ویذبحونها علی النصب، فلم یسلِّم علیهم. فلما انتهی إلی دار الندوة قالوا: یمر بنا یتیم أبی طالب فلا یسلم علینا! فأیكم یأتیه فیفسد علیه مصلاه؟ فقال عبد الله بن الزبعری السهمی: أنا أفعل، فأخذ الفرث والدم فانتهی به إلی النبی صلی الله علیه وآله وهو ساجدٌ فملا به ثیابه ومظاهره، فانصرف النبی صلی الله علیه وآله حتی أتی عمه أبا طالب فقال: یا عم من أنا؟ فقال: ولم یا ابن أخی؟! فقص علیه القصة فقال: وأین تركتهم؟ فقال: بالابطح. فنادی فی قومه: یا آل عبد المطلب! یا آل هاشم! یا آل عبد مناف! فأقبلوا إلیه من كل مكان ملبین، فقال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون، قال: خذوا سلاحكم، فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتی انتهی إلی أولئك النفر، فلما رأوه أرادوا أن یتفرقوا، فقال لهم: ورب هذه البنیة لا یقومن منكم أحد إلا جللته بالسیف! ثم أتی إلی صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتی قطعها ثلاثة أفهار، ثم قال: یا محمد سألتنی من أنت؟ ثم أنشأ یقول ویومی بیده إلی النبی صلی الله علیه وآله:

أنت النبیُّ محمَّدُ قَرْمٌ أَعَزُّ مُسَوَّدُ

ثم قال: یا محمد أیهم الفاعل بك؟ فأشار النبی صلی الله علیه وآله إلی عبد الله بن الزبعری السهمی الشاعر، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتی أدماها! ثم أمر بالفرث والدم فأمرَّ علی رؤس الملا كلهم! ثم قال: یا ابن أخ أرضیت؟

ثم قال: سألتنی من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله ثم نسبه إلی آدم علیه السلام ثم قال:

أنت والله أشرفهم حسباً وأرفعهم منصباً!

یا معشر قریش من شاء منكم یتحرك فلیفعل أنا الذی تعرفونی!

رواه السید ابن معد فی الحجة/۱۰۶ وذكر لِدَة هذه القضیة الصفوری فی نزهة المجالس ۲: ۱۲۲ وفی طبع/۹۱، وابن حجة الحموی فی ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ۲: ۳ نقلاً عن كتاب الأعلام للقرطبی ۱۳

ومنها: الموقف الذی رواه الطبرسی فی الإحتجاج:۱/۳۴۵ قال:

لما رأى المشركون موقف أبي طالب من نصرة الرسول، وسمعوا أقواله اجتمعوا بينهم، وقالوا ننافي بني هاشم ونكتب صحيفة ونودعها الكعبة، أن لا ـ نبايعهم، ولا نشاريهم، ولا نحدثهم، ولا نجتمع معهم في مجمع، ولا نقضي لهم حاجة، ولا نقتضيها منهم، ولا نقتبس منهم ناراً، حتى يسلِّموا الينا محمداً، ويخلوا بيننا وبينه أو ينتهي عن تسفيه آبائنا، وتضليل آلهتنا. وأجمع كفار مكة على ذلك.

فلما بلغ ذلك أبا طالب، قال يخبرهم باستمراره على مناصرة الرسول ومؤازرته له، ويحذرهم الحرب، وينهاهم عن متابعة السفهاء:

ألا أبلغا عني على ذات بينِها لؤيّاً وخصّا من لؤيٍّ بني كعبِ
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطَّ في أول الكتْبِ
وأن عليه في العباد محبةً ولا حيفَ فيمن خصَّهُ الله بالحب
وأن الذي لفقتم في كتابكم يكون لكم يوماً كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن تُحْفَر الزُّبَى ويصبح من لم يجنِ ذنباً كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربَّمَا أمَرَّ على من ذاقهُ حَلَبُ الحرب
فلسنا وبيتِ الله نسلم أحمداً لعزَّاءَ من عضِّ الزمان ولا حرب
ولَمَّا تَبِنْ منا ومنكم سوالفٌ وأيد أبيدت بالمهندة الشهب
بمعترك ضَنْك ترى كِسَرَ القنا به نَواً لضباعِ العُرْجِ تعكف كالسرب
كأن مجال الخيل في حجراته وغمغمة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشمٌ شدَّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ورواها في البحار: ۳۵/۱۶۰ وزاد فيها:

ولسنا نملُّ الحرب حتى تملَّنا ولا نشتكي مما ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى إذا طار أرواح الكماة من الرعب

ومنها: إيمانه بمعجزات النبي وكراماته صلى الله عليه وآله، ونظمه إياها شعراً.

قال الطبرسي في الاحتجاج: ۱/۳۴۳:

روى أن أبا جهل بن هشام جاء إلى رسول الله وهو ساجد وبيده حجر يريد أن يرميه به، فلما رفع يده لصق الحجر بكفه فلم يستطع ما أراد، فقال أبو طالب:

أفيقوا بني غالب وانتهوا عن الغي من بعض ذا المنطق
وإلا فإني إذن خائفٌ بوائقَ في داركم تلتقي
تكون لغيركمُ عبرةً وربِّ المغارب والمشرق
كما نال من كان من قبلكم ثمودٌ وعادٌ وماذا بقي
غداةَ أتاهم بها صرصرٌ وناقة ذي العرش قد تستقي
فحلَّ عليهم بها سَخْطَةٌ من الله في ضربة الأزرق
غداة يعضُّ بعرقوبها حساماً من الهند ذا رونق
وأعجب من ذاك في أمركم عجائب في الحجر الملصق
بكف الذي قام من خبثه إلى الصابر الصادق المتقي
فأثبته الله في كفه على رغمةِ الجائر الأحمق

أحيمق مخزومكم إذ غوى لغيِّ الغواةِ ولم يَصْدُقِ

الدليل الرابع: استدل به سبط ابن الجوزى على إيمان أبى طالب، ومفاده: أن خصوم على عليه السلام من الأمويين والزبيريين وغيرهم، كانوا حريصين على انتقاصه بأى عيب ممكن فى نفسه وأبيه وأمه وعشيرته، وقد سجل التاريخ مراسلات على عليه السلام ومعاوية ومناظرات أنصارهم، وقد تضمنت ماذمهم على عليه السلام به وإزراؤه عيهم بكفر آبائهم وأمهاتهم، بل سجل التاريخ أن علياً عليه السلام فاخر معاوية بأبى طالب، فكتب له فى رسالة (ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبى طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق) ومع ذلك لم يتكلم معاوية ولا غيره من أعداء على عليه السلام بكلمة ذم فى أبى طالب!!

فلو أنه كان مشركاً ومات على الشرك كما يدعون، لاغتنم أعداء على هذه النقطة وعيروه بها وشنعوا عليه بها. ولو كان حديث ضحضاح أبى طالب صادراً عن النبى صلى الله عليه وآله لسمعت أخباره شعراً ونثراً فى صفين وبعدها..!

وهذا يدل على أن أحاديث شرك أبى طالب وأنه فى النار والضحضاح، قد وضعت فى عهد الأمويين بعد شهادة على عليه السلام!

الدليل الخامس: ترحم النبى صلى الله عليه وآله على أبى طالب واستغفاره له، وتسميته عام وفاته ووفاة خديجة رضوان الله عليهما (عام الحزن).

قال الأمينى فى الغدير:۷/۳۷۲:

أخرج ابن سعد فى طبقاته ۱: ۱۰۵ عن عبيد الله بن أبى رافع عن على قال: أخبرت رسول الله(ص)بموت أبى طالب فبكى ثم قال: إذهب فاغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه.

وفى لفظ الواقدى: فبكى بكاء شديداً ثم قال: إذهب فاغسله.. الخ. وأخرجه ابن عساكر كما فى أسنى المطالب/۲۱ والبيهقى فى دلائل النبوة. وذكره سبط ابن الجوزى فى التذكره/۶ وابن أبى الحديد فى شرحه ۳-۳۱۴ والحلبى فى السيرة ۱-۳۷۳ والسيد زينى دحلان فى السيرة هامش الحلبية ۱-۹۰ والبرزنجى فى نجاة أبى طالب وصححه كما فى أسنى المطالب/۳۵ وقال: أخرجه أيضاً أبوداود وابن الجاوود وابن خزيمة وقال: إنما ترك النبى(ص)المشئ فى جنازته اتقاء من شر سفهاء قريش، وعدم صلاته لعدم مشروعية صلاة الجنازة يومئذ.

عن الأسلمى وغيره: توفى أبوطالب للنصف من شوال فى السنة العاشرة من حين نبئ رسول الله(ص)، وتوفيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيام، فاجتمعت على رسول الله(ص)عليها وعلى عمه حزناً شديداً، حتى سمى ذلك العام عام الحزن. انتهى.

وقد روى الخطيب البغدادى فى تاريخه:۱۳/۱۹۶ عن ابن عباس ترحم النبى صلى الله عليه وآله واستغفاره لابى طالب بعد موته، وكذا الذهبى فى تاريخ الإسلام:۱/۲۳۵، وروت مصادرنا أحاديث كثيرة فى ذلك كما فى مناقب آل أبى طالب:۱/۱۵۰ عن آخرين وبحار الأنوار:۱۹/۱۵ وص ۲۵ وج ۲۲/۵۳۰

هذا وقد ثبت أن أبا طالب كان على دين عبد المطلب، وسوف يتضح لك إيمان عبد المطلب ومقامه، رضوان الله عليهما، فى فصل شفاعة الأنبياء (عليهم السلام).

ولادة المذاهب المنحرفة من أفكار توسيع الشفاعة

عمل اليهود على إسقاط المحرمات من الأديان

كان اليهود أسبق الأمم إلى تحريف قانون العقوبة الإلهى، فقد أسقطوا المحرمات عن أنفسهم تجاه الأمم الأخرى، وخففوا قانون العقوبة الإلهى وشوشوه بالنسبة إلى الجرائم الأخرى التى يرتكبونها!

ومن الطبيعى أن يسرى ذلك إلى عقيدتهم بالله تعالى، فصوروه بأنه قاس عصبيُّ المزاج، ولذا فإن عقوباته شديدة وغير منطقية! وذلك

واضح لمن قرأ صفحات قلیلة من توراتهم.

وقـد أخـذ المسـیحیون هـذه الثقافـة من الیهود، وما زالوا.. وقد سـمعت أن من المسائل الفکریة المطروحة أخیراً عند الکتاب الغربیین، خاصةً فی فرنسا، موضوع: هل یجب أن یکون فی الدین الإلهی محرمات، أم لا..

ذلک أن الیهود والکتاب المتأثرین بهم یریـدون من الکنیسـة المسـیحیة أن تقـدم دیناً بلا محرمات، وتفتی بأن المهم هو الإیمان الذی هو أمرٌ فی القلب، مهما کان عمل الناس!

وهذا بالضبط هو مذهب المرجئة الذی زرعه الیهود فی عقائد المسلمین، عن طریق بعض الصحابة!

أما زارعوه الجدد فلیسوا کعب الأحبار ولا وهب بن منبه، بل هم ذراری النصاری والیهود الصـرحاء! والمزروع فیهم لیسوا صـحابة، بل هم ذراری المسلمین المتغربین!

اخبار النبی بظهور المرجئة والقدریة و تحذیره منهم

روت مصـادر السـنة والشیعة تنبؤ النبی صـلی الله علیه وآله بظهور المرجئـة والقدریـة فی أمته وتحـذیره من خطرهم، وأنهم لاـ تنالهم شفاعته، لأنهم یحرفون الإسلام ویشوشون أمر الأمة من بعده.

فقد روی الهیثمی فی مجمع الزوائد:۷/۲۰۷:

عن أنس بن مالـک قـال قـال رسـول الله (ص): صـنفان من أمـتی لاـ یردا علیَّ الحوض ولاـ یـدخلان الجنـة، القدریـة والمرجئـة. رواه الطبرانی فی الأوسط ورجاله رجال الصحیح غیر هارون بن موسی الفروی وهو ثقة. انتهی. وروی الترمذی شبیهاً به فی:۳/۳۰۸

ورواه فی کنز العمال:۱/۱۱۹ عن حلیـة الأولیاء لأبی نعیم عن أنس، وعن مسـند الطیالسـی، عن واثلة عن جابر. وروی نحوه فی:۱/۳۶۲ عن السلفی فی انتخاب حدیث القراء عن علی. ورواه ابن حبان فی کتاب المجروحین:۲/۱۱۲ عن عکرمة.

وفی مجمع الزوائد:۷/۲۰۳:

عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صـلی علیه وسـلم: ما بعث الله نبیاً قط إلا وفی أمته قدریـة ومرجئـة یشوشون علیه أمر أمته. ألا وإن الله قد لعن القدریة والمرجئة علی لسان سـبعین نبیاً. رواه الطبرانی وفیه بقیة بن الولید وهو لین ویزید بن حصین لم أعرفه. انتهی. ورواه ابن حبان عن أبی هریرة فی کتاب المجروحین:۱/۳۶۲ وفیه (أمته من بعده..سبعین نبیاً أنا آخرهم)

وفی کتاب الخصال للصدوق/۷۲:

أخبرنی الخلیل بن أحمد قال: أخبرنا ابن منیع قال: حدثنا الحسن بن عرفة قال: حدثنا علی بن ثابت عن إسـماعیل بن أبی إسحاق، عن ابن أبی لیلی، عن نـافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صـلی الله علیه وآله: صـنفان من أمتی لیس لهما فی الإسـلام نصـیب: المرجئة والقدریة. انتهی.

ورواه فی ثواب الأعمـال/۲۱۲.وقال فی صـحیفة الرضا/۲۷۸: وبإسـناده قـال قال رسول الله ۹: صـنفان من أمتی لیس لهمـا فی الإسـلام نصـیب: المرجئة والقدریة. رواه فی ثواب الأعمال: ۲۵۲ ح۳ بالإسناد رقم ۱۰ عنه البحار: ۵-۱۱۸ ح ۵۲. ورواه الشیخ حسن بن سلیمان فی المختصر: ۱۳۵ بالاسناد رقم ۵۷ والکراجکی فی کنزه: ۵۱ بالإسناد رقم ۱۴ عنه البحار: ۵-۷ ح ۸. ورواه الصدوق فی الخصال: ۱- ۷۲ ح ۱۱۰ بإسناده عن ابن عمر عن النبی ۹ عنه البحار: ۵-۷ ح ۷.

وفی دعائم الإسلام:۲/۵۱۱:

وعنه صـلی الله علیه وآله أنه قال: لا تجوز شـهادة أهل الاهواء علی المؤمنین، قال أبو جعفر علیه السـلام: لا تجوز شـهادة حروری، ولا قـدری ومرجئ، ولاـ أموی، ولاناصب، ولا فاسق، یعنی من باین بـذلک وظهرت عـداوته ونصـبه، فأما من کتم ذلک وأسره فظهر منه الخیر وکان عدلاً فی مذهبه، جازت شهادته وعلی هذا العمل.

تعريف المرجئة و مذهبهم

قال النووى فى شرح مسلم:۱ جزء ۱/۲۱۸:

قال القاضى عياض: اختلف الناس فيمن عصى الله من أهل الشهادتين فقالت المرجئة: لا تضره المعصية، وقالت الخوارج: تضره ويكفر بها، وقالت المعتزلة: يخلد فى النار، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن.

شرح المواقف:۴ جزء ۸/۳۱۲:

فى أن الله تعالى يعفو عن الكبائر. الإجماع منعقد على أنه تعالى عفوٌّ، وأن عفوه ليس فى حق الكافر بل فى حق المؤمنين، فقالت المعتزلة: هو عفوٌّ عن الصغائر قبل التوبة، وعن الكبائر بعدها. وقالت المرجئة: عفو عن الصغائر والكبائر مطلقاً!!

تفسير الرازى:۱۶ جزء ۳۱/۲۰۳:

قوله تعالى (لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى) إن المرجئة يتمسكون بهذه الآية فى أنه لا وعيد إلا على الكفار! قال القاضى: ولا يمكن إجراء هذه الآية على ظاهرها، ويدل على ذلك ثلاثة أوجه: أحدها أنه يقتضى أن لا يدخل النار إلا الأشقى الذى كذب وتولى... وثانيهما أن هذا إغراء بالمعاصى... وثالثهما... معلوم من حال الفاسق أنه ليس بأتقى... الخ.

وقال فى هامش بحار الأنوار:۸/۳۶۴:

الوعيدية: فرقة من الخوارج يكفِّرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفرٌ يخرج به عن الملة، ويقابلهم المرجئة وهم يقولون: إنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وليس العمل على مذهبهم، وإن كان من الإيمان. فعليه معنى الارجاء تأخير العمل عن النية والعقد.

وروى فى الكافى:۱/۴۰۳:

محمد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن على بن الحكم، عن الحكم بن مسكين، عن رجل من قريش من أهل مكة قال: قال سفيان الثورى: إذهب بنا إلى جعفر بن محمد، قال فذهبت معه إليه فوجدناه قد ركب دابته، فقال له سفيان: يا أبا عبد الله حدثنا بحديث خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله فى مسجد الخيف، قال: دعنى حتى أذهب فى حاجتى فإنى قد ركبت فإذا جئت حدثتك، فقال: أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله لما حدثتنى، قال: فنزل فقال له سفيان: مر لى بدواة وقرطاس حتى أثبته، فدعا به ثم قال: أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله فى مسجد الخيف: نضر الله عبداً سمع مقالتى فوعاها، وبلغها من لم تبلغه.

يا أيها الناس ليبلغ الشاهد الغائب، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلُّ عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسليمن، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطةٌ من ورائهم، المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم.

فكتبه سفيان ثم عرضه عليه، وركب أبو عبد الله عليه السلام. وجئت أنا وسفيان، فلما كنا فى بعض الطريق قال لى: كما أنت حتى أنظر فى هذا الحديث، قلت له: قد والله ألزم أبو عبد الله رقبتك شيئاً لا يذهب من رقبتك أبداً!

فقال: وأى شئ ذلك؟

فقلت له: ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، قد عرفناه، والنصيحة لأئمة المسلمين، من هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم؟ معاوية بن أبى سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم؟ وكل من لاـتجوز الصلاة خلفهم؟! وقوله: واللزوم لجماعتهم، فأى الجماعة؟ مرجئ يقول: من لم يصل ولم يصم ولم يغتسل من جنابة وهدم الكعبة ونكح أمه فهو على إيمان جبرئيل وميكائيل؟! أو قدرى يقول: لا يكون ما شاء الله عز وجل ويكون ما شاء إبليس؟! أو حرورى يتبرأ من على بن أبى طالب ويشهد عليه

بالكفر؟! أو جهمى يقول إنما هى معرفة الله وحده ليس الإيمان شئ غيرها؟!

قال: ويحك وأى شئ يقولون؟!

فقلت يقولون: إن على بن أبى طالب والله الإمام الذى وجب علينا نصيحته، ولزوم جماعتهم: أهل بيته. قال: فأخذ الكتاب فخرَّقه، ثم قال. لا تخبر بها أحداً.

المرجئة ولدوا من عهد الخليفة عمر

رأينا كيف وسعت دولة الخلافة القرشية شفاعة النبى صلى الله عليه وآله حتى شملت كل من يشهد بالتوحيد فقط ولو لم يشهد بالنبوة..

ثم وسعتها إلى جميع الخلق، كما تقدم من رواياتهم وكلام ابن تيمية.

ثم استغنت عن شفاعة الأنبياء جميعاً، وأوجبت الجنة بأعمال وكلمات بسيطة.

ثم استغنت عن كل ذلك، وقالت بفناء النار ونقل أهلها إلى الجنة!!

ولعل الخليفة عمر وكعب الأحبار رائدى هذه الافكار ومن تابعهم عليها لم يلتفتوا إلى خطورتها الزائدة، وأنها تمثل مشروعاً خطيراً لإسقاط كل المحرمات وتعويم الإيمان، فى أمة نهضت بالإسلام والإيمان وأخذت تفتح بلاد الإمبراطورية الفارسية والرومانية، بلداً بعد آخر.. وهى بأمسِّ الحاجة إلى حفظ شخصية جنودها وجديتهم، وعدم التساهل فى مفاهيم إيمانهم.

على أى حال فالذى وقع فى حياة الأمة، أن هذه الأفكار بمساعدة فكرة الجبر وأن الله تعالى قد فرغ من الأمر وكتب كل شئ وانتهى الأمر ولا بداء.. سرعان ما أثمرت مذهبين عقائديين مواليين للسلطة هما: المرجئة والقدرية، وقد تبنتهما السلطة وأيدت علماءهما وهيأت لهم الظروف لنشر أفكارهم فى الأمة.

ويتلخص مذهب المرجئة بمقولتهم المشهورة (الإيمان لا تضر معه معصية) فالإيمان عندهم مجرد القول بالشهادتين، وبذلك يضمن الإنسان دخول الجنة مهما كان عمله!!

ويتلخص مذهب القدرية أو الجبرية: بأن مسؤولية الإنسان عن أعماله وجرائمه محدودة أو منتفية، لأن الخير والشر من الله تعالى، وكل شئ مكتوب ومقدر منه تعالى!!

ومن الواضح أن هذين المذهبين هما نفس الأفكار والأحاديث التى رأيناها فى توسيع الشفاعة وتوسيع دخول الجنة، لكن بصيغة (ممذهبة).

كما أن أحدهما مكمل للآخر فى تخفيف مسؤولية الإنسان، لأن جوهرهما واحد وهو (تعويم) قانون العقوبة الإلهى، بل تطمين الناس بأنه قد تم شطبه!!

وقد مر معنا فى بحث توسيعات الشفاعة ما رواه السيوطى فى الدر المنثور:۲/۱۱۶ عن البيهقى، وادعاؤهم أن النبى صلى الله عليه وآله قال لعمر: يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس، ولكن تسأل عن الفطرة! وهذا نفس ما يقوله المرجئة!

وفى سنن الترمذى:۳/۸۷:

أن النبى صلى الله عليه وآله سمع ذات يوم رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال: على الفطرة. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: خرجت من النار! انتهى. ونحوه فى صحيح مسلم ج۲/۴ ومسند أحمد:۳/۲۴۱ وكنز العمال:۸/۳۶۶

بل وجدنا نفس تعبير (الإيمان لا تضر معه خطيئة) فى عدة روايات فى مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص:۲/۱۷۰ قال: قال رسول الله (ص): من لقى الله لا يشرك به شيئاً لم تضره معه خطيئة! انتهى.

وقال عنه فى مجمع الزوائد:۱/۱۹: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح ماخلا التابعى فإنه لم يسم، ورواه الطبرانى

فجعله من رواية مسروق عن عبد الله بن عمرو. وقال فى كنز العمال:١/٨١ إنه صحح! انتهى.
ومصدر ابن عمرو إما أن يكون الخليفة عمر، وإما أن يكون أخذه من أحاديث (العِدْلَيْن) أى الكيسين الكبيرين اللذين أخذهما بعد معركة اليرموك من الشام من رايات اليهود وكتبهم، وكان يحدث المسلمين منهما!

اول من تصدى لمذهب المرجئة على

روى الصدوق فى علل الشرائع:٢/٦٠٢:
حدثنا الحسين بن أحمد رحمه الله عن أبيه عن محمد بن أحمد قال: حدثنا أبو عبد الله الرازى، عن على بن سليمان بن راشد، بإسناده رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: يحشر المرجئة عمياناً، إمامهم أعمى، فيقول بعض من يراهم من غير أمتنا: ماتكون أمة محمد إلا عمياناً! فأقول لهم: ليسوا من أمة محمد، لانهم بدَّلوا فبدل ما بهم، وغيَّروا فغير ما بهم.
وروى فى الخصال/٦١١:
حدثنا أبى (رض) قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنى محمد بن عيسى بن عبيد اليقطينى، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن أبى بصير ومحمد بن مسلم، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: حدثنى أبى عن جدى عن آبائه (عليهم السلام)أن أمير المؤمنين عليه السلام علم أصحابه فى مجلس واحد أربع مائة باب مما يصلح للمسلم فى دينه ودنياه.
قال عليه السلام: إن الحجامة تصحح البدن وتشد العقل، والطيب فى الشارب من أخلاق النبى صلى الله عليه وآله وكرامة الكاتبين، والسواك من مرضات الله عز وجل وسنة النبى صلى الله عليه وآله ومطيبة للفم، والدهن يلين البشرة ويزيد فى الدماغ ويسهل مجارى الماء ويذهب بالقشف ويسفر اللون، وغسل الرأس يذهب بالدرن وينفى القذاء، والمضمضة والاستنشاق سنة وطهور للفم والانف، والسعوط مصحة للرأس وتنقية للبدن وسائر أوجاع الرأس، والنورة نشرة وطهور للجسد، واستجادة الحذاء وقاية للبدن وعون على الطهور والصلاة. وتقليم الاظفار يمنع الداء الأعظم... الخ.
وهو حديث طويل فيه تعليمات هامة دينية ودنيوية، وقد جاء فيه عن المرجئة: علموا صبيانكم ما ينفعهم الله به، لا تغلب عليهم المرجئة برأيها... انتهى.
وقال فى هامشه: قال العلامة المجلسى رحمه الله: إعلم أن أصل هذا الخبر فى غاية الوثاقة والإعتبار على طريقة القدماء، وإن لم يكن صحيحاً بزعم المتأخرين، واعتمد عليه الكلينى رحمه الله وذكر أكثر أجزائه متفرقة فى أبواب الكافى، وكذا غيره من أكابر المحدثين.
أقول: عدم صحة السند عند المتأخرين لمقام القاسم بن يحيى، والظاهر أن أصل الرواية فى كتابه، قال الشيخ فى الفهرست: القاسم بن يحيى الراشدى له كتاب فيه آداب أمير المؤمنين عليه السلام، والراشدى نسبة إلى جده الحسن بن راشد البغدادى مولى المنصور الدوانيقى الذى كان وزيراً للمهدى وموسى وهارون الرشيد. قال ابن الغضائرى: ضعيف. وقال البهبهانى فى التعليقة: لا وثوق بتضعيف ابن الغضائرى إياه، ورواية الاجلة سيما مثل أحمد بن محمد بن عيسى عنه تشير إلى الاعتماد عليه، بل الوثاقة وكثرة رواياته والافتاء بمضمونها يؤيده. ويؤيد فساد كلام ابن الغضائرى فى المقام، عدم تضعيف شيخ من المشايخ العظام الماهرين بأحوال الرجال إياه، وعدم طعن من أحد ممن ذكره فى ترجمته وترجمة جده وغيرها، والعلامة رحمه الله تبع ابن الغضائرى بناء على جواز عثوره على مالم يعثروا عليه، وفيه ما فيه. انتهى. ورواه ابن شعبة الحرانى مرسلاً فى تحف العقول/١٠٤
هذا وقد صرح القاضى النعمانى المغربى المتوفى سنة ٣٦٣ بأن اسم المرجئة أول ما أطلق على المتخلفين عن بيعة على عليه السلام ونصرته على الفئة الباغية، وهو يدل على أن بعض الصحابة تمسكوا بفكرة كعب وعمر التى تكتفى لدخول الجنة بالتوحيد بدون عمل، فيكون مذهب المرجئة قد تمت ولادته بعد وفاة عمر بقليل وفى حياة كعب الأحبار!
قال القاضى النعمانى فى شرح الأخبار:٢/٨٢:

فأما المتخلفون عن الجهاد مع على صلوات الله عليه، وقتال من نكث بيعته ومن حاربه وناصبه، فإنه تخلف عنه فى ذلك من المعروفين من الصحابة: سعد بن أبى وقاص وكان أحد الستة الذين سماهم عمر للشورى، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن سلمة، واقتدى بهم جماعة فقعدوا بقعودهم عنه، ولم يشهدوا شيئاً من حروبه معه ولا مع من حاربه. وهذه الفرقة هم أصل المرجئة وبهم اقتدوا، وذهب إلى ذلك من رأيهم جماعة من الناس وصوبوهم فيه وذهبوا إلى ما ذهبوا إليه، فقالوا فى الفريقين فى على عليه السلام ومن قاتل معه وفى الذين حاربوه وناصبوه ومن قتل من الفريقين: إنهم يخافون عليهم العذاب ويرجون لهم الخلاص والثواب، ولم يقطعوا عليهم بغير ذلك وتخلفوا عنهم. والإرجاء فى اللغة التأخير فسموا مرجئة لتأخيرهم القول فيهم، وتأخرهم عنهم ولم يقطعوا عليهم بثواب ولا ـ عقاب، لأنهم زعموا أنهم كلهم موحدون ولا ـ عذاب عندهم على من قال: لا ـ إله إلا الله، فقدموا المقال وأخروا الأعمال فكان هذا أصل الإرجاء ثم تفرق أهله فرقاً إلى اليوم يزيدون على ذلك من القول وينقصون. انتهى.

وقال فى شرح الأخبار:۱/۳۶۵:

ثم هذه الفرق التى ذكرناها تتشعب ويحدث فى أهلها الإختلاف إلى اليوم وأصلها ست فرق: شيعة وعامة وخوارج ومعتزلة ومرجئة وحشوية.

فالشيعة: هم شيعة على صلوات الله عليه القائلون بإمامته، وهم أقدم الفرق وأصلها الذى تفرعت عنه، ورسول الله صلوات الله عليه وآله سماها بهذا الاسم. وقال: شيعة علىٍّ هم الفائزون. وقال لعلى عليه السلام: أنت وشيعتك.. فى آثار كثيرة رويت عنه. وسنذكر فى هذا الكتاب ما يجرى ذكره إن شاء الله تعالى. وغير ذلك من الفرق محدثةٌ أحدثت بعد النبى صلوات الله عليه وآله. انتهى.

ويدل النصان التاليان على وجود المرجئة على شكل مذهب متكامل فى عصر الإمام الباقر عليه السلام المتوفى سنة ۹۴ هجرية، أى فى الجيل الأول من التابعين بعد الصحابة مباشرة.

قال الصدوق فى ثواب الأعمال/۲۱۳:

وحدثنى محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدثنى محمد بن جعفر قال: حدثنى أحمد بن محمد العاصمى قال: حدثنى على بن عاصم الهمدانى، عن محمد بن عبد الرحمن المحرى، عن يحيى بن سالم، عن محمد بن سلمة، عن أبى جعفر عليه السلام قال: ما الليل بالليل ولا النهار بالنهار أشبه من المرجئة باليهود، ولا من القدرية بالنصرانية.

وفى علل الشرائع:۲/۵۲۸:

وبهذا الإسناد عن محمد بن أحمد، عن ابن عيسى، عن عثمان بن سعيد قال: حدثنا عبدالكريم الهمدانى، عن أبى ثمامة قال: دخلت على أبى جعفر عليه السلام وقلت له: جعلت فداك إنى رجل أريد أن ألازم مكة وعلىَّ دينٌ للمرجئة فما تقول؟ قال: قال إرجع (وأد) دينك وانظر أن تلقى الله تعالى وليس عليك دين، فإن المؤمن لا يخون. انتهى.

أما فى عصر الإمام الصادق عليه السلام وما بعده فقد كان للمرجئة وجودٌ واسع وصولةٌ، وانتشر مذهبهم حتى شمل أكثر الرواة وعلماء الدولة..كما اتسع تصدى أهل البيت (عليهم السلام) لأفكارهم، ففى دعائم الإسلام للقاضى النعمان: ۱/۳ قال: روينا عن جعفر بن محمد أنه قال: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، وهذا الذى لا يصح غيره، لا كما زعمت المرجئة أن الإيمان قولٌ بلا عمل، ولا كالذى قالت الجماعة من العامة إن الإيمان قولٌ وعملٌ فقط، وكيف يكون ما قالت المرجئة إنه قول بلا عمل وهم والأمة مجمعون على أن من ترك العمل بفريضة من فرائض الله عز وجل التى افترضها على عباده منكراً لها أنه كافر حلال الدم ما كان مصراً على ذلك، وإن أقر بالله ووحده وصدق رسوله بلسانه، إلا أنه يقول هذه الفريضة ليست مما جاء به، وقد قال الله عز وجل: وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ أَلَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخرة هُمْ كَافِرُونَ، فأخرجهم من الإيمان بمنعهم الزكاة، وبذلك استحل القوم أجمعون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله دماء بنى حنيفة وسبى ذراريهم، وسموهم أهل الردة إذ منعوهم الزكاة. انتهى.

قال الكلينى فى الكافى:۲/۴۰:

محمد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن الأشعث بن محمد، عن محمد بن حفص بن خارجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وسأله رجل عن قول المرجئة فى الكفر والإيمان، وقال إنهم يحتجون علينا ويقولون كما أن الكافر عندنا هو الكافر عند الله، فكذلك نجد المؤمن إذا أقر بإيمانه أنه عند الله مؤمن! فقال: سبحان الله وكيف يستوى هذان؟! والكفر إقرارٌ من العبد، فلا يكلف بعد إقراره ببينة، والإيمان دعوى لا يجوز إلا ببينة، وبينته عمله ونيته، فإذا اتفقا فالعبد عند الله مؤمن. والكفر موجود بكل جهة من هذه الجهات الثلاث من نية أو قول أو عمل، والأحكام تجرى على القول والعمل، فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجرى عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر، وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله.

وقال فى الايضاح/۴۴:

ومنهم المرجئة الذين يروى عنهم أعلامهم مثل إبراهيم النخعى وإبراهيم بن يزيد التيمى، ومن دونهما مثل سفيان الثورى وابن المبارك ووكيع وهشام وعلى بن عاصم، عن رجالهم أن النبى صلى الله عليه وآله قال: صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب: القدرية والمرجئة. فقيل له: ما المرجئة قالوا: الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل. وأصل ما هم عليه أنهم يدينون بأن أحدهم لو ذبح أباه وأمه وابنه وبنته وأخاه وأخته وأحرقهم بالنار أو زنى أو سرق أو قتل النفس التى حرم الله أو أحرق المصاحف أو هدم الكعبة أو نبش القبور أو أتى أى كبيرة نهى الله عنها.. أن ذلك لا يفسد عليه إيمانه ولا يخرجه منه، وأنه إذا أقر بلسانه بالشهادتين أنه مستكمل الإيمان إيمانه كإيمان جبرئيل وميكائيل صلى الله عليهما، فعل ما فعل وارتكب ما ارتكب ما نهى الله عنه!

ويحتجون بأن النبى صلى الله عليه وآله قال: أمرنا أن نقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. وهذا قبل أن يفرض سائر الفرائض وهو منسوخ. وقد روى محمد بن الفضل، عن أبيه، عن المغيرة بن سعيد، عن أبيه، عن مقسم، عن سعيد بن جبير قال: المرجئة يهود هذه الأمة. وقد نسخ احتجاجهم قول النبى صلى الله عليه وآله حين قال: بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم شهر رمضان.

كان المرجئة خداما لبنى أمية و مبررين لجرائمهم

الكافى:۲/۴۰۹:

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن مروك بن عبيد، عن رجل، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: لعن الله القدرية، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة. قال قلت: لعنت هؤلاء مرة مرة ولعنت هؤلاء مرتين!

قال: إن هؤلاء يقولون: إن قتلتنا مؤمنون! فدماؤنا متلطخة بثيابهم إلى يوم القيامة، إن الله حكى عن قوم فى كتابه: لن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين.. قال كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا. انتهى.

ومعنى كلام الإمام الصادق عليه السلام: أن المرجئة زعموا أن قتلة الإمام الحسين عليه السلام مؤمنون من أهل الجنة ولا يعاقبون على جريمتهم! وبذلك صار المرجئة شركاءلبنى أمية فى الجريمة، لأن من رضى بعمل قوم فقد شركهم فيه!

ويدل النص التالى على أن المرجئة كانوا يجادلون المعارضين لبنى أمية ليأخذوا عليهم مستمسكاً للخليفة لكى يضطهدهم!

– وقال الكلينى فى الكافى:۸/۲۷۰:

عن عبد الحميد بن أبى العلاء قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت مولى لابى عبد الله عليه السلام فملت إليه لأسأله عن أبى عبدالله، فإذا أنا بأبى عبد الله ساجداً فانتظرته طويلاً فطال سجوده علىَّ، فقمت وصليت ركعات وانصرفت وهو بعد ساجد، فسألت مولاه متى سجد؟ فقال: قبل أن تأتينا، فلما سمع كلامى رفع رأسه ثم قال: أبا محمد أدن منى فدنوت منه فسلمت عليه، فسمع صوتاً خلفه فقال: ما هذه الاصوات المرتفعة؟ فقلت: هؤلاء قوم من المرجئة والقدرية والمعتزلة، فقال: إن القوم يريدونى فقم بنا، فقمت معه فلما أن رأوه

نهضوا نحوه فقال لهم: کفوا أنفسکم عنی ولا تؤذونی وتعرضونی للسلطان، فإنی لست بمفت لکم، ثم أخذ بیدی وترکهم ومضی، فلما خرج من المسجد قال لی یا أبا محمد والله لو أن إبلیس سجد لله عز ذکره بعد المعصیة والتکبر عمر الدنیا ما نفعه ذلک ولا قبله الله عز ذکره ما لم یسجد لادم، کما أمره الله عز وجل أن یسجد له.

وکذلک هذه الأمة العاصیة المفتونة بعد نبیها صلی الله علیه وآله وبعد ترکهم الإمام الذی نصبه نبیهم صلی الله علیه وآله لهم فلن یقبل الله تبارک وتعالی لهم عملاً ولن یرفع لهم حسنة حتی یأتوا الله عز وجل من حیث أمرهم، ویتولوا الإمام الذی أمروا بولایته ویدخلوا من الباب الذی فتحه الله عز وجل ورسوله لهم.

یا أبا محمد إن الله افترض علی أمة محمد صلی الله علیه وآله خمس فرائض: الصلاة والزکاة والصیام والحج وولایتنا، فرخص لهم فی أشیاء من الفرائض الأربعة، ولم یرخص لاحد من المسلمین فی ترک ولایتنا، لا والله مافیها رخصة.

تورط أصحاب المذاهب الأربعة فی الإرجاء

للمرجئة فی المذاهب الأربعة وفی الصحاح الستة مکانةٌ محترمةٌ حتی أن بعض أئمة المذاهب أنفسهم اتهموا بأنهم مرجئة..قال فی هامش کتاب المجروحین: ۳/۶۳: هناک تعلیقات کثیرة علی المخطوطة هاجمت ابن حبان لتحامله علی أبی حنیفة، ومما هوجم من أجله والد أبی حنیفه بأنه کان خبازاً واعتبر المعلق ذلک غیبة تخرج عن حد الرأی فی المحدث.

ونشیر هنا إلی أن جد أبی حنیفة کان أحد أمراء بلاد الافغان (مرزبان) واختلفت أقوال حفیده فی مسألة أسر جده ثم عتقه، قال أحدهما: والله ما وقع لنا رقٌّ قط.

یراجع الإمام الاعظم: اتهام أبی حنیفة بالإرجاء وأنه داعیة إلی البدع، غیر مقبول من ابن حبان ومن شارکه هذا القول علی إطلاقه، ونلخص القول فی ذلک بما جاء فی کتاب اللکنوی (الرفع والتکمیل ۱۵۴):

جملة التفرقة بین اعتقاد أهل السنة وبین اعتقاد المرجئة: أن المرجئة یکتفون فی الإیمان بمعرفة الله ونحوه ویجعلون ما سوی الإیمان من الطاعات وما سوی الکفر من المعاصی غیر مضرة ولا نافعة ویتشبثون بظاهر حدیث: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة.

وأهل السنة یقولون: لا تکفی فی الإیمان المعرفة، بل لا بد من التصدیق الإختیاری مع الإقرار اللسانی، وأن الطاعات مفیدة والمعاصی مضرة مع الإیمان توصل صاحبها إلی دار الخسران.

والذی یجب علمه علی العالم المشتغل بکتب التواریخ وأسماء الرجال أن (یعرف أن) الإرجاء یطلق علی قسمین: أحدهما الارجاء الذی هو ضلال. وثانیهما الإرجاء الذی لیس بضلال، ولا یکون صاحبه عن أهل السنة والجماعة خارجاً.

ولهذا ذکروا أن المرجئة فرقتان: مرجئة الضلالة، ومرجئة أهل السنة. وأبو حنیفة وتلامذته وشیوخه وغیره من الرواة الإثبات إنما عدوا من مرجئة أهل السنة لا من مرجئة الضلالة.

ثم یقول أیضاً فی ختام مناقشته لهذا الموضوع ۱۶۱: وخلاصة المرام فی هذا المقام أن الإرجاء: قد یطلق علی أهل السنة والجماعة من مخالفیهم المعتزلة الزاعمین بالخلود الناری لصاحب الکبیرة، وقد یطلق علی الأئمة القائلین بأن الأعمال لیست بداخلة فی الإیمان وبعدم الزیادة فیه والنقصان ـ وهو مذهب أبی حنیفه وأتباعه ـ من جانب المحدثین القائلین بالزیادة والنقصان وبدخول الأعمال فی الإیمان. وهذا النزاع وإن کان لفظیاً کما حققه المحققون من الأولین والآخرین لکنه لما طال وآل الأمر إلی بسط کلام الفریقین من المتقدمین والمتأخرین، أدی ذلک إلی أن أطلقوا الإرجاء علی مخالفیهم وشنعوا بذلک علیهم، وهو لیس بطعن فی الحقیقه، علی ما لا یخفی علی مهرة الشریعة.

أقول: إذا عرفت هذا علمت أن قول ابن حبان فی إطلاقه الإرجاء علی أبی حنیفة وأصحابه فیه اتهام غیر محدد وتعمیة تضلل الباحث، وهو یقصد إلی ذلک قصداً ما کان یجدر به أن یقع فی مثل ذلک. انتهی.

ولا كلام لنا فی دفاعهم عن نسب أبی حنیفة وحسبه، فقد كان علی أتباعه أن یجعلوه من ملوك الأفاغنة وأبناء المرازبة أو الأكاسرة، حتی یواجهوا به مذهب أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله ونسبهم الشامخ من عَلْیَا قریش وذروة بنی هاشم..

ولكنا نسأل: من أین جاؤوا بهذا التقسیم للمرجئة إلی مرجئة من أهل السنة ومرجئة ضلالة، وحكموا بأن أبا حنیفة من النوع الجید لا الردئ..! فما هو الفرق العلمی والعقائدی بین هذین النوعین حتینقبل الجید ونترك الردئ؟!

وهل یكفی التخلص اللفظی من مذهب المرجئة بمثل قول اللكنوی المتقدم بأن مذهب أهل السنة (أن الطاعات مفیدة والمعاصی مضرة مع الإیمان توصل صاحبها إلی دار الخسران) مع أن الأحادیث التی تشبث بها المرجئة علی حد تعبیره ثابتة وصحیحة عندهم!

تورط أصحاب الصحاح الستة فی الارجاء

أما إذا نظرت إلی الصحاح فیأخذك العجب عندما تجد نسبةً كبیرةً من رواتها المحترمین مرجئة!! وهو موضوع یحتاج إلی دراسة مستقلة ولا یتسع المجال لأكثر من إشارة إلی بعضهم:

فمنهم: الفأفاء، وهو رأس فی المرجئة متعصب لبنی أمیة مبغض لعلی علیه السلام بل مبغض للنبی صلی الله علیه وآله! وكان یقرأ لخلفاء بنی أمیة القصائد فی هجاء النبی! وقد قتله العباسیون فی ثورتهم.. ومع ذلك فهو معتمدٌ عند ابن المدینی شیخ البخاری ویقول عنه قتل مظلوماً، ومعتمدٌ عند البخاری فقد روی عنه فی الأدب المفرد وكذلك عند مسلم والنسائی وابن ماجة والترمذی وأبی داود!

قال فی تهذیب التهذیب:۳/۸۳: خالد بن سلمة بن العاص بن هشام بن المغیرة المخزومی أبو سلمة، ویقال أبو المقسم المعروف بالفأفاء الكوفی، أصله حجازی، روی عن عبدالله البهی وعیسی وموسی ابنی طلحة بن عبید الله، وسعید بن المسیب وأبی بردة بن أبی موسی والشعبی وغیرهم. وعنه أولاده عكرمة ومحمد وعبد الرحمن، والسفیانان، وشعبة، ومسعر، وزائدة، وزكریاء بن أبی زائدة وابنه یحیی بن زكریاء، وحماد بن زید، وغیرهم.. وحدث عنه عمرو بن دینار، ویحیی بن سعید الأنصاری، وهما أكبر منه.

قال البخاری عن ابن المدینی له نحو عشرة أحادیث.

وقال أحمد وابن معین وابن المدینی ثقة، وكذا قال ابن عمار ویعقوب بن شیبة والنسائی.

وقال أبو حاتم شیخ یكتب حدیثه.

وقال ابن عدی: هو فی عداد من یجمع حدیثه، ولا أری بروایته بأساً.

وذكره ابن حبان فی الثقات.

وقال ابن سعد: هرب من الكوفة إلی واسط لما ظهرت دعوة بنی العباس، فقتل مع ابن هبیرة.

وقال محمد بن حمید عن جریر: كان الفأفأ رأساً فی المرجئة، وكان یبغض علیاً.

وقال یعقوب بن شیبة: یقال إن بعض الخلفاء قطع لسانه ثم قتله، ذكره علی بنالمدینی یوماً فقال: قتل مظلوماً.

وقال أبو داود عن الحسن بن علی الخلال: سمعت یزید بن هارون یقول دخلت المسودة واسط سنة ۱۳۲ فنادی منادیهم بواسط: الناس آمنون إلاـ ثلاثة: العوام بن حوشب، وعمر بن ذر، وخالد بن سلمة المخزومی. فأما خالد فقتل، وأما العوام فهرب وكان یحرض علی قتالهم، وكان عمر بن ذر یقص بهم ویحرض علی قتالهم عندنا بواسط. له عند مسلم حدیث واحد.

قلت: وقع فی صحیح البخاری ضمناً حیث قال فی الحیض وقالت عائشة كان رسول الله(ص)یذكر الله علی كل أحیانه، فإن مسلماً أخرجه من طریق خالد بن سلمة.

هذا وذكر ابن المدینی فی العلل الكبری أن الفأفاء لم یسمع من عبد الله بن عمر، وذكر ابن عائشة: أنه كان ینشد بنی مروان الأشعار التی هجی بها المصطفی (ص)!!. انتهی.

ومنهم: الحمانی، الذی روی عنه البخاری ومسلم وأبو داود والترمذی وابن ماجة.. قال فی تهذیب التهذیب:۶/۱۰۹: عبد الحمید بن

عبد الرحمن الحمانى أبو يحيى الكوفى ولقبه بشمين. أصله خوارزمى. روى عن يزيد بن أبى بردة، والأعمش، والسفيانين، وأبى حنيفة وجماعة. وعنه أبو بكر ومحمد بن خلف الحدادى، والحسن بن على الخلال، وأحمد بن عمر الوكيعى، وأبو كريب، وموسى بن عبد الرحمن المسروقى، وأبو بكر وعثمان ابنا أبى شيبة، وسفيان بن وكيع، والحسين بن يزيد الكوفى، ومحمد بن عبد بن ثعلبة، ويحيى بن موسى خت، وعمرو بن على الفلاس، وأبو سعيد الأشج، والحسن بن على بن عفان العامرى، وغيرهم. قال ابن معين: ثقة.

وقال أبو داود: كان داعية فى الإرجاء!!

وقال النسائى: ليس بقوى، وقال فى موضع آخر: ثقة، وذكره ابن حبان فى الثقات. وقال ابن عدى: هو وابنه ممن يكتب حديثه. قال هارون الحمال مات سنة اثنتين ومائتين. قلت: وفيها أرخه ابن قانع وزاد فى جمادى الأولى وهو ثقة.

وقال ابن سعد وأحمد: كان ضعيفاً. وقال العجلى: كوفى ضعيف الحديث مرجئ. وقال البرقى: قال ابن معين: كان ثقة، ولكنه ضعيف العقل!.انتهى.

ومنهم: شعيب بن اسحاق مولى بنى أمية الذى روى عنه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة.. قال فى تهذيب التهذيب:۴/۳۰۴: شعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن راشد الدمشقى الأموى، مولى رملة بنت عثمان، أصله من البصرة. روى عن أبيه وأبى حنيفة وتمذهب له، وابن جريج والأوزاعى، وسعيد بن أبى عروبة، وعبيد الله بن عمرو، وهشام بن عروة، والثورى وغيرهم. وعنه ابن ابنه عبد الرحمن بن عبد الصمد بن شعيب، وداود بن رشيد، والحكم بن موسى، وأبو النضر الفراديسى، وعمرو بن عون، وإبراهيم بن موسى الرازى، وإسحاق بن راهويه، وسويد بن سعيد، وأبو كريب محمد بن العلاء، وهشام بن عمار، وغيرهم.

وحدث عنه الليث بن سعد، وهو فى عداد شيوخه.

قال أبو طالب عن أحمد: ثقة ما أصح حديثه وأوثقه.

وقال أبو داود: ثقة وهو مرجئ، سمعت أحمد يقول: سمع من سعيد بن أبيعروبة بآخر رمق.

وقال هشام بن عمار عن شعيب: سمعت من سعيد سنة ۱۴۴

وقال ابن معين ودحيم والنسائى: ثقة.

وقال أبو حاتم: صدوق.

وقال الوليد بن مسلم: رأيت الأوزاعى يقربه ويدنيه.

قال دحيم: ولد سنة ۱۸ ومات سنة ۱۸۹ وكذا أرخه ابن مصفى وزاد فى رجبوفيها أرخه غير واحد. ووقع فى الكمال سنة ۹۸ وهو وهم. قلت: وفى سنة ۸۹ أرخه ابن حبان فى الثقات، ونقل أبو الوليد الباجى عن أبى حاتم قال: شعيب ابن اسحاق ثقة مأمون. انتهى.

ومنهم: الغنوى الذى روى عنه مسلم والأربعة..قال فى تهذيب التهذيب: ۱/۴۱۱: بشير بن المهاجر الغنوى الكوفى، رأى أنس بن مالك، وروى عن عبد الله بن بريدة والحسن البصرى وعكرمة وغيرهم. وعنه ابن المبارك، ووكيع، وابن نمير، والثورى، وجعفر بن عون، وأبو نعيم، وخلاد بن يحيى، وغيرهم... وقال العجلى: كوفى ثقة، وقال العقيلى: مرجئ متهم متكلم فيه. وقال الساجى: منكر الحديث عنده. انتهى.

وقد سجل ابن شاذان هذا التناقض على أصحاب الصحاح فقال فى الإيضاح /۵۰۲: ومن جهة أخرى تروون عن المرجئة ويروون عنكم وتروون عن القدرية ويروون عنكم وتروون عن الجهمية ويروون عنكم فتقبلون منهم بعض أقاويلهم وتردون عليهم بعضها، فلا الحق أنتم منه على ثقة، ولا الباطل أنتم منه على يقين وأنتم عند أنفسكم أهل السنة والجماعة.

حب المستشرقين للمرجئة و حزنهم عليهم

قال الدكتور حسن إبراهيم فى كتابه تاريخ الإسلام:۱/۴۱۶ عن المرجئة:

وهى طائفة المرجئة التى ظهرت فى دمشق حاضرة الأمويين بتأثير بعض العوامل المسيحية خلال النصف الثانى من القرن الأول الهجرى.

وقد سميت هذه الطائفة المرجئة من الإرجاء هو التأخير، لأنهم يرجئون الحكم على العصاة من المسلمين إلى يوم البعث. كما يتحرجون عن إدانة أى مسلم مهما كانت الذنوب التى اقترفها....

وهؤلاء هم فى الحقيقة كتلة المسلمين التى رضيت حكم بنى أمية، مخالفين فى ذلك الشيعة والخوراج. ومع هذا فإنهم يتفقون فى العقيدة إلى حد ما مع طائفة المحافظين وهى أهل السنة، وإن كانوا ـ كما يرى فون كريمر ـ قد ألانوا من شدة عقائد هؤلاء السنيين باعتقادهم (أنه لا يخلد مسلم مؤمن فى النار) وعلى العموم فهم يضعون العقيدة فوق العمل.

وكانت آراؤهم تتفق تماماً مع رجال البلاط الأموى ومن يلوذ به، بحيث لا يستطيع أحد من الشيعيين أو الخوارج أن يعيش بينهم، فى الوقت الذى تمكن فيه المسيحيون وغيرهم من المسلمين أن ينالوا الحظوة لديهم، أو يشغلوا المناصب العالية!. انتهى.

ويمكنك ملاحظة التناقض بين ما ذكره الدكتور والمستشرقون عن تقوى المرجئة وتحرجهم عن إدانة أى مسلم مهما كانت الذنوب التى اقترفها وحكمهم عليه بأنه من أهل الجنة بحكم عقيدتهم، وبين تقواهم فى أنهم كانوا يتعايشون مع الحكام الأمويين والنصارى واليهود ولا يتعايشون مع من خالفهم من المسلمين.

ولعل السبب فى ذلك أن الحكام الأمويون أساتذتهم فى عملية إسقاط المحرمات، بينما اليهود والنصارى أساتذتهم فى نظرية إسقاط المحرمات!!

ثم قال الدكتور حسن إبراهيم:

وبزوال الدولة الأموية أفل نجم طائفة المرجئة ولم تصبح بعد حزباً مستقلاً، ومع ذلك فقد ظهر من بينهم أبو حنيفة صاحب المذهب المشهور. انتهى.

ولكن حكمه بزوال المرجئة مع أسيادهم الأمويين غير دقيق، لانهم سقطوا سياسياً لا ثقافياً، فقد بقيت أفكارهم ورواياتهم وعقائدهم فى مصادر المسلمين..ويكفى دليلاً على ذلك اتهام أبى حنيفة وغيره بأنهم منهم..فإن خط المرجئة عاد إلى النفوذ والحكم بقرار من الدولة العباسية لكى تواجه به أهل البيت (عليهم السلام)

غاية الأمر أن اسمهم صار الأشعرية والحنابلة وأهل الحديث وأهل السنة، فإن أكثرية هؤلاء من المرجئة!

ويكفى دليلاًـ على ذلك أن كبار علمائهم لا يستطيعون التفريق بين رأيهم فى الشفاعة وبين رأى المرجئة، وأن إطاعتهم للعباسيين كإطاعة المرجئة للأمويين!

بل يمكن القول إنه بعد زوال العباسيين وكثير من الفرق لم ينته المرجئة، لأن أساس مذهبهم ومنبع أفكارهم الأحاديث التى دخلت الصحاح كما رأيت، ومن أراد أن يأخذ بها ويلتزم بلوازمها فلاـ بد له أن يكون مرجئاً ويقول بسقوط المحرمات عملياً، ويكتفى بالشهادتين كما مر فى توسيع الشفاعة!!

وأخيراً فقد نقل الدكتور المذكور تأسف المستشرق فون كريمر على ضياع تاريخ المرجئة بعد زوالهم قال فى:۱/۴۱۸:

ويقول فون كريمر: ومما يؤسف له كثيراً أنه ليس لدينا غير القيل من الأخبار الصحيحة عن هذه الطائفة، فقد استمروا طوال ذلك العصر وذاقوا حلوه ومره، وقد ضاعت جميع المصادر التاريخية العربية عن الأمويين، حتى أن أقدم المصادر التاريخية التى وصلت إلينا إنما ترجع إلى عهد العباسيين، ومن ثَمَّ كان لزوماً علينا أن نستقى معلوماتنا عن المرجئة من تلك الشذرات المبعثرة فى مؤلفات كتاب العرب فى ذلك العصر الثانى. انتهى.

وهو تأسف ظاهره علمى وواقعه البكاء على المرجئة لما اشتهر عنهم وعن الأمويين من تفضيلهم التعايش مع المسيحيين واليهود على التعايش مع من خالفهم من المسلمين..وهو تأسف يجعلنا نلمس صدق قول الإمام محمد الباقر عليه السلام عن المرجئة بأنهم أشبه

باليهود من الليل بالليل، وذلك لجرأتهم على إسقاط قانون العقوبة الالهى، وقولهم إن المسلم مهما ارتكب من جرائم فلن تمسه النار حتى أياماً معدودة، فليس غريباً أن يحبهم ويتأسف عليهم المستشرقون من اليهود والنصارى!

المرجئة والجبرية شقيقان لاب و أم

مع أن مذهب المرجئة مذهبٌ فى الثواب والعقاب ولا علاقة له بالقضاء والقدر والجبر والتفويض..ومع أن النسبة بين المرجئة وبين القدرية والمفوضة عمومٌ من وجه، لأن المرجئ فى الأعمال قد يكون مفوضاً أو قدرياً، كما أن القدرى والمفوض قد يكون مرجئاً أو غير مرجئ..

ولكن ذلك كله فى مقام الإثبات والنظرية، أما فى مقام الثبوت والتطبيق فالأعم الأغلب فى المرجئة أنهم قدرية جبرية، والسبب فى ذلك أن الأحاديث التى استندوا إليها فى القول بالإرجاء أو (تشبثوا) بها على حد تعبير اللكنوى رافقتها أحاديث الجبر التى تنسب أفعال الإنسان إلى الله تعالى وتحمله مسؤوليتها، لكى ترفعها عن الإنسان، كما رأيت فى أحاديث توسيع الشفاعة وفناء النار!

وبما أن مسائل القضاء والقدر متعددة، لذا نكتفى هنا بإعطاء تصور كلى عنها ليتضح ارتباطها بموضوع الشفاعة والإرجاء فنقول:

ورد تعريف القدر الإلهى فى نص بديع عن الإمام الرضا عليه السلام بأنه (الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء) كما سيأتى. وقد وقع الخلاف بين المسلمين فى مسائله العديدة، وتكونت على أساس آرائهم مذاهبهم العقائدية.

قال السيد الطباطبائى فى هامش الكافى:۱/۱۵۷:

واعلم أن البحث عن القضاء والقدر كان فى أول الأمر مسألة واحدة ثم تحول ثلاث مسائل أصلية الأولى: مسألة القضاء وهو تعلق الإرادة الإلهية الحتمية بكل شئ والأخبار تقضى فيها بالإثبات...

الثانية: مسألة القدر وهو ثبوت تأثير ماله تعالى فى الأفعال والأخبار تدل فيها أيضاً على الإثبات.

الثالثة: مسألة الجبر والتفويض والأخبار تشير فيها إلى نفى كلا القولين وتثبت قولاً ثالثاً وهو الأمر بين الأمرين لا ملكاً لله فقط من غير ملك للإنسان ولا بالعكس بل ملكاً فى طول ملك وسلطنة فى ظرف سلطنة.

واعلم أيضاً أن تسمية هؤلاء بالقدرية مأخوذة مما صح عن النبى صلى الله عليه وآله (إن القدرية مجوس هذه الأمة الحديث) فأخذت المجبرة تسمى المفوضة بالقدرية لأنهم ينكرون القدر ويتكلمون عليه والمفوضة تسمى المجبرة بالقدرية لأنهم يثبتون القدر. والذى يتحصل من أخبار أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أنهم يسمون كلتا الفرقتين بالقدرية ويطلقون الحديث النبوى عليهما.

أما المجبرة فلانهم ينسبون الخير والشر والطاعة والمعصية جميعاً إلى غير الإنسان كما أن المجوس قائلون بكون فاعل الخير والشر جميعاً غير الإنسان وقوله عليه السلام فى هذا الخبر مبنى على هذا النظر.

وأما المفوضة فلانهم قائلون بخالقين فى العالم هما الإنسان بالنسبة إلى أفعاله والله سبحانه بالنسبة إلى غيرها كما أن المجوس قائلون بإله الخير وإله الشر وقوله عليه السلام فى الروايات التالية (لا جبر ولا قدر) ناظر إلى هذا الإعتبار. انتهى.

ونضيف إلى ما ذكره السيد الطباطبائى رحمه الله: مسألة البداء، وهى هل أن تقدير الله تعالى فى كل الأمور حتمى عليه، فلا يمكنه تغيير شئ منه، لأنه فرغ من الأمر على حد تعبير بعض المسلمين، أو لأن يده مغلولة على حد تعبير اليهود..أم أن القدر مفتوح له تعالى، وله الحق والقدرة على البداء والتغيير كما يشاء، لأنه فرغ من الأمر ولم يفرغ منه على حد تعبير أهل البيت (عليهم السلام).

القدرية المفوضة (الذين ينفون القدر)

محور الخلاف فى مسألة القدر هو: سلطة الله تعالى على أفعال الإنسان وحركة الطبيعة والكون، وفعله فيها.

فالذين ينفون هذه السلطة يسمون (المفوضة) لانهم يزعمون أن الإنسان مفوضٌ فى أعماله، ولا دخل لله تعالى ولا لسلطته فيها.

وقد يكون المفوضة مؤمنين بوجود الله تعالى، ولكنهم يقولون إنه فوض ذلك إلى الإنسان وقوانين الطبيعة..

وقد يكونون ملحدين دهريين أو مشككين، ويعبر عنهم بالمفوضة أيضاً، لانهم ينفون سلطة الله تعالى وفاعليته فى أفعال الإنسان وحركة الطبيعة.

وهم فى عصرنا فئات الماديين من الملحدين والطبيعيين وأكثر العلمانيين، وبعض المتأثرين بالثقافة الغربية من المسلمين.

والتفويض فى القدر مرفوض كلياً عند أهل البيت (عليهم السلام) ومنه التفويض الذى يذهب إليه أكثر المعتزلة أيضاً. قال فى شرح المواقف: ۸/۱۴۶: وقالت المعتزلة أى أكثرهم: هى (الأفعال الإختيارية) واقعة بقدرة العبد وحدها على سبيل الإستقلال بلا إيجاب بل باختيار.

وقال الكلينى فى الكافى:۱/۱۵۷:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار، عن يونس بن عبد الرحمن قال: قال لى أبو الحسن الرضا عليه السلام:

يا يونس، لا تقل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول إبليس!

فإن أهل الجنة قالوا: الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

وقال أهل النار: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين.

وقال إبليس: رب بما أغويتنى.

فقلت: والله ما أقول بقولهم ولكنى أقول: لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقدروقضى.

فقال: يا يونس ليس هكذا، لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى.

يايونس تعلم ما المشيئة؟

قلت: لا.

قال: هى الذكر الأول.

فتعلم ما الإرادة؟

قلت: لا.

قال: هى العزيمة على ما يشاء.

فتعلم ما القدر؟

قلت: لا.

قال: هو الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء.

قال ثم قال: والقضاء هو الإبرام وإقامة العين.

قال: فاستأذنته أن أقبل رأسه وقلت: فتحت لى شيئاً كنت عنه فى غفلة. انتهى.

وفى مجمع الزوائد:۷/۲۰۵:

عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم. رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح وغيره وضعفه جماعة. انتهى. ورواه البيهقى فى سننه:۱۰/۲۰۲ وقال: أخرجه أبو داود فى كتاب السنن هكذا. انتهى.

فهذان النصان يردَّان على القدرية المفوضة.

وينبغى الالتفات إلى أن اسم المرجئة لا يستعمل فى الأحاديث فى ضد معناه، بينما يستعمل اسم القدرية للمؤمن بالقدر ولمنكر القدر.. ويعرف ذلك من سياق الكلام.

القدرية الجبرية (الذين يثبتون القدر)

أما الـذين يثبتون فعل الله تعالى فى حركـة الكون وأفعال الإنسان فيسـمون (القدريـة) لانهم يؤمنون بوجود سـلطة لله تعالى على أفعال الإنسان وحركة الطبيعة بشـكل من الإشـكال، وهؤلاء منهم من يفرط فى إثبات الفعل الإلهى فى أفعال الإنسان فينسـبون أفعال الإنسان إلى الله تعالى نسبةً كاملة فيسمون (الجبرية) وهم أكثر المرجئة، ولعلهم أكثر إخواننا السنة، وإن لم يصرحوا بذلك.. والسبب فى ذلك وجود أحاديث ثبتت عندهم عن الخليفة عمر ومن تبعه من الصـحابة توجب القول بذلك، وهى نقطة التقاء شديدة بينهم وبين المرجئة وقد أشـرنا إلى أن السـبب فى جبرية المرجئة أن أحاديث الارجاء التى صحت عندهم رافقتها أحاديث الجبر مرافقة الأخت لأختها، بل كانت نفسها فى بعض الأحيان..ومن هنا قلنا إن الارجاء والجبر أخوان شقيقان لأب وأم.

قال فى شرح المواقف:۸/۱۴۶:

المقصـد الأول فى أن أفعال العباد الإختياريـة واقعـة بقدرة الله سـبحانه وتعالى وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها بل الله سـبحانه أجرى عـادته بأن يوجـد فى العبـد قـدرةً واختياراً، فإذا لم يكن هناك مانعٌ أوجـد فيه فعله المقـدور مقارناً لهما، فيكون فعل العبـد مخلوقاً لله إبـداعاً وإحـداثاً، ومكسوباً للعبـد، والمراد بكسـبه إياه مقارنته لقـدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مـدخل فى وجوده سوى كونه محلاً له! وهذا مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى.انتهى.

وأقـدم الأحاديث فى الجبر مروية عن الخليفة عمر وكعب الأحبار، وقد تقدم عدد منها فى توسـيع الشـفاعة وفناء النار، ونذكر فيما يلى بعضها:

روى أحمد فى مسنده:۱/۲۹:

عن ابن عمر عن عمر رضى الله عنهما أنه قال للنبى (ص): أرأيت ما نعمل فيه أقد فرغ منه أو فى شئ مبتدأ أو أمر مبتدع؟ قال: فيما قد فرغ منه. فقـال عمر ألا نتكل؟ فقال: إعمل يا ابن الخطاب فكل ميسـر، أما من كان من أهل السـعادة فيعمل للسـعادة، وأما أهل الشـقاء فيعمل للشقاء!

ورواه فى:۲/۷۷، ونحوه فى الترمذى:۴/۳۵۲ ونحوه الحاكم:۲/۴۶۲ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورواه فى مجمع الزوائـد:۷/۱۹۴ عن أبى بكر وعن عمر وقـال: رواه البزار ورجـاله رجال الصـحيح. ورواه فى كنز العمال بعـدة روايات فى:۱/۱۲۸ وص ۳۳۹

ورواه البخارى بصيغة أخرى تذكر أن الله تعالى يتحمل مسؤولية خطيئة آدم عليه السلام، عيناً كما فى التوراة!..قال فى صحيحه:۴/۱۳۱ عن أبى هريرة: قال قال رسول الله (ص): احتـج آدم وموسـى فقال له موسـى: أنت آدم الـذى أخرجتك خطيئتك من الجنـة؟ فقال له آدم: أنت موسـى الـذى اصـطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومنى على أمر قـدر على قبل أن أخلق؟ فقال رسول الله (ص): فحج آدم موسى مرتين! انتهى.

ورواه بصـيغة أخرى أيضـاً فيها تعنيفٌ لادم قال فى:۷/۲۱۴ فيهـا (فقـال له موسـى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنـة)، وروى نحوه أيضاً فى:۸/۲۰۳

فهذه النصوص الصحيحة عندهم تقول بالجبر فى أفعال الإنسان، وفى تكوين الكون معاً.

القدر عند أهل البيت: لا جبر و لا تفويض

أما مذهب أهل البيت (عليهم السـلام) فهو يثبت القدر ويؤمن بسلطة الله تعالى على أفعال الإنسان وفعله فيها، ولكنه يقول لا تصح نسبة المعصية إليه تعالى وإن كان الأقدار عليها منه تعالى، أما نسبتها التى تستلزم تحمل مسؤوليتها فهى لفاعلها الذى هو الإنسان..

فالإنسان فی هـذا المذهب لیس مجبوراً فی أفعاله الاختیاریهٔ ولا مفوضاً إلیه، ولا مجرد مجری لأفعاله کمجری النهار، بل حاله من نوع آخر یوجـد فیه القدر الالهی بشـکل کامل لصـغیر الأمور وکبیرها ویوجد فیه حریهٔ الإنسان ومسؤولیته. وهذا معنی (لا جبر ولا تفویض ولکن أمر بین أمرین).

وقد أکد أهل البیت (علیهم السلام) علی هذا النوع من القدر، وقاوموا المفوضهٔ لإنکارهم سلطان الله تعالی علی صغیر الأمور وکبیرها. کما قاوموا القائلین بالجبر فی أفعال الإنسان لانهم ینسبون المعاصی إلی الله تعالی، وینسبون إلیه الظلم بمجازاهٔ الإنسان علیها! وکذلک القائلین بالجبر فی الخلق والتکوین والتخطیط، لأنهم یریدون تصویر الکون بأنه آلهٔ وضع الله مخططها وأطلقها ولا یمکنه البداء والتغییر والتبدیل فیها وهم الیهود الذین قالوا (یَدُ اللهِ مَغْلُولَهٌ) والمسلمون الذین قلدوهم فقالوا (فرغ من الأمر).

روی الصدوق فی معانی الأخبار/۱۸:

عن أبی عبد الله علیه السلام أنه قال فی قول الله عز وجل: وَقَالَتِ الْیَهُودُ یَدُ اللهِ مَغْلُولَهٌ، لم یعنوا أنه هکذا ولکنهم قالوا: قد فرغ من الأمر فلا یزید ولا ینقص، فقال الله جل جلاله تکذیباً لقولهم: غُلَّتْ أیدیهم ولُعِنُوا بما قالو بل یداه مبسوطتان ینفق کیف یشاء. ألم تسـمع الله عز وجل یقول: یَمْحُواْ اللهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْکِتَابِ.

وقال الحویزی فی تفسیر نور الثقلین:۲/۵۱۴:

فی عیون الأخبـار فی باب مجلس الرضا علیه السـلام مع سـلیمان المروزی قال الرضا علیه السـلام بعـد کلام طویل لسـلیمان: ومن أین قلت ذلک وما الـدلیل علی أن إرادته علمه؟ وقـد یعلم ما لا یریـده أبداً وذلک قوله تعالی: وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِی أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ فهو یعلم کیف یذهب به ولا یذهب به أبداً؟

قال سلیمان: لأنه قد فرغ من الأمر فلیس یزید فیه شیئاً.

قال الرضا علیه السلام: هذا قول الیهود، فکیف قال: أدعونی أستجب لکم؟

قال سلیمان: إنما عنی بذلک أنه قادر علیه!

قـال: أفیعـد بما لا یفی به؟! فکیف قال: یزیـد فی الخلق ما یشاء؟ وقال عز وجل: یَمْحُواْ اللهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِنْـدَهُ أُمُّ الْکِتَابِ، وقـد فرغ من الأمر؟!

فلم یَحِرْ جواباً.

وفی هذا المجلس أیضاً قال الرضا علیه السلام:

یا سلیمان إن من الأمور أموراً موقوفهٔ عند الله تعالی، یقدم منها ما یشاء ویؤخر ما یشاء.

یا سلیمان إن علیاً علیه السلام کان یقول: العلم علمان، فعلم علمه الله ملائکته ورسلهفإنه یکون ولا یکذب نفسه ولا ملائکته ورسله.

وعلم عنده مخزونٌ لم یطلع علیه أحداً من خلقه، یقدم منه ما یشاء ویؤخر مایشاء، ویمحو ما یشاء ویثبت ما یشاء. انتهی.

وبـذلک یتضـح أن البداء الذی یؤکد أهل بیت النبی صـلی الله علیه وآله علی أنه جزءٌ من الإسـلام، وأنه ما عبد الله بشـئ کما عبد به، إنما هو نفی الجبریهٔ علی الله تعالی، ونفی زعم الیهود أن یده مغلولهٔ بحجهٔ أنه فرغ من الأمر!

ویتضح منه أن الذین یشنعون علی الشیعهٔ بعقیدهٔ البداء..لم یفهموها!

ردهٔ فعل الخوارج علی توسیع الدولهٔ للشفاعهٔ

من الواضـح للباحث أن بـذور تفکیر الخوارج ولـدت فی عهـد الخلیفـهٔ عمر، وکانت تأخـذ شـکل اعتراضات علی عدم تطبیق الخلیفهٔ للقرآن، کما نلاحظ فی أسئلهٔ الوفد المصری (الدر المنثور:۲/۱۴۵)

ثم نمت فی عهد الخلیفهٔ عثمان..

ثم أخذت شكل اتجاه فكرى فى فهم الدين، وشكل حزب سياسى معارض فى عهد الإمام على عليه السلام ثم استمرت مذهباً وحزباً مسلحاً فى معارضة الأمويين والعباسيين وتكفيرهم وقتالهم..

ومن أبرز صفات الخوارج الفكرية: جمودهم فى فهم الدين، وميلهم إلى إصدار الأحكام الكلية بدون شروط ولا ـ تفاصيل ولا استثناءات، وتكفيرهم من خالفهم من فرق المسلمين، وفتواهم بهدر دمائهم ووجوب جهادهم.

وهذا المنحى الذهنى يقع فى الجهة المضادة لمذهب المرجئة الذى تتبناه السلطة، المنحى المتساهل فى أداء الواجبات وترك المحرمات، المفرط فى تأميل الناس بالشفاعة والجنة مهما عصوا.. ماعدا المعارضين للدولة طبعاً.

لقد ساعد مذهب الإرجاء الدولة وأتباعها فى تخفيف المسؤولية المشددة فى القرآن و السنة على الحكام، ولكنه سبب ردات فعل فى الأمة فظهرت فئات تنكر أصل الشفاعة التى تتذرع بها الدولة، وتكذب كل أحاديثها وتؤول كل آياتها..ولم يكن ذلك منحصراً بالخوارج، وإن اشتهروا به.

بل تدل روايات السنيين على أن ردود الفعل على توسيع الشفاعة بدأت من زمن الخليفة عمر، ولكنه لم يستطع أن يؤدب أصحابها بالسوط، إما لأنه لم يعرفهم بالضبط، أو لسبب آخر، فخطب محذراً منهم بشدة!

قال فى مجمع الزوائد:۷/۲۰۷:

عن ابن عباس قال: خطب عمر بن الخطاب فحمد الله وأثنى عليه فقال: ألا إنه سيكون من بعدكم قوم يكذبون بالرجم وبالدجال وبالشفاعة!

وروى نحوه فى مسند أحمد:۱/۲۳ وفى الدر المنثور:۳/۶۰: عن سعيد بن منصور والبيهقى عن ابن عباس وفى كنز العمال:۱/۳۸۷ وج ۵/۴۲۹ وص ۴۳۱ وفيه (قال أمر عمر بن الخطاب منادياً فنادى أن الصلاة جامعة، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال...).

ويظهر من النص التالى أن بنى أمية أفرطوا فى التأكيد على الشفاعة أيضاً، ففى فردوس الأخبار للديلمى:۱/۱۱۶ ح ۲۵۴: عن معاوية: إشفعوا إلى تؤجروا، فإن الرجل ليسألنى الحاجة فأرده كى تشفعوا له فتؤجروا! انتهى.

أما الخوارج فقد ثبت أنهم كانوا يقولون: إن مرتكب المعصية الكبيرة أو الصغيرة كافر، وإذا مات ولم يتب فهو مخلد فى النار، وأنه لا شفاعة لاحد أبداً ولا خروج من النار!

وأول من تصدى لرد مقولتهم الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ثم تبعهم غيرهم.

قال البرقى فى المحاسن:۱/۱۸۴:

عن على بن أبى حمزة قال: قال رجل لابى عبد الله عليه السلام: إن لنا جاراً من الخوارج يقول: إن محمداً صلى الله عليه وآله يوم القيامة همه نفسه فكيف يشفع؟! فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو يحتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

وقال العياشى فى تفسيره:۲/۳۱۴:

عن عبيد بن زرارة قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن المؤمن هل له شفاعة؟ قال: نعم، فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد يومئذ؟ قال: نعم إن للمؤمنين خطاياً وذنوباً، وما من أحد إلا ويحتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يومئذ.

قال: وسأله رجل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد ولد آدم ولا فخر؟ قال: نعم، يأخذ حلقة باب الجنة فيفتحها فيخر ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفع أطلب تعط، فيرفع رأسه ثم يخر ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفع واطلب تعط، ثم يرفع رأسه فيشفع فيشفع، ويطلب فيعطى.

وفى تفسير القمى:۲/۲۰۱:

قال: حدثنى أبى، عن ابن أبى عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبى العباس المكبر قال: دخل مولى لامرأة على بن الحسين عليه السلام

علی أبی جعفر علیه السلام یقال له أبو أیمن فقال: یا أبا جعفر یغرون الناس ویقولون شفاعهٔ محمد شفاعهٔ محمد؟!

فغضب أبو جعفر علیه السلام حتی تربَّدَ وجهه، ثم قال: ویحک یا أبا أیمن! أغرَّک أن عفَّ بطنک وفرجک؟! أما لو قد رأیت أفزاع القیامهٔ لقد احتجت إلی شفاعهٔ محمد صلی الله علیه وآله! ویلک! فهل یشفع إلا لمن وجبت له النار؟!

ثم قال: ما أحد من الأولین والآخرین إلا وهو محتاج إلی شفاعهٔ محمد صلی الله علیه وآله یوم القیامهٔ.

ثم قال أبو جعفر علیه السلام: إن لرسول الله صلی الله علیه وآله الشفاعهٔ فی أمته، ولنا الشفاعهٔ فی شیعتنا، ولشیعتنا الشفاعهٔ فی أهالیهم.

ثم قال: وإن المؤمن لیشفع فی مثل ربیعهٔ ومضر، فإن المؤمن لیشفع حتی لخادمه ویقول: یارب حق خدمتی کان یقینی الحر والبرد.

ورواه فی بحار الأنوار:۸/۳۸ وفی تفسیر نور الثقلین:۴/۱۰۲ و۳۳۴

وفی الأدب المفرد للبخاری/۲۲۴:

عن طلق بن حبیب قال: کنت أشد الناس تکذیباً بالشفاعهٔ فسألت جابراً فقال: یا طلق سمعت النبی یقول: یخرجون من النار بعد الدخول.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۶/۲۸۶:

وأخرج ابن مردویه عن صهیب الفقیر قال: کنا بمکهٔ ومعی طلق بن حبیب، وکنا نری رأی الخوارج، فبلغنا أن جابر بن عبد الله یقول فی الشفاعهٔ فأتیناه فقلنا له: بلغنا عنک فی الشفاعهٔ قول الله مخالف لک فیها فی کتابه! فنظر فی وجوهنا فقال: من أهل العراق أنتم؟! قلنا نعم، فتبسم وقال: وأین تجدون فی کتاب الله؟ قلت: حیث یقول: ربنا إنک من تدخل النار فقد أخزیته، ویریدون أن یخرجوا من النار وما هم بخارجین منها، وکلما أرادوا أن یخرجوا منها من غم أعیدوا فیها، وأشباه هذا من القرآن.

فقال: أنتم أعلم بکتاب الله أم أنا؟ قلنا بل أنت أعلم به منا. قال: فوالله لقد شهدت تنزیل هذا علی عهد رسول الله(ص)وشفاعهٔ الشافعین، ولقد سمعت تأویله من رسول الله(ص)وإن الشفاعهٔ لنبیه فی کتاب الله، قال فی السورهٔ التی تذکر فیها المدثر: مَا سَلَکَکُمْ فِی سَقَرَ؟ قَالُوا لَمْ نَکُ مِنَ الْمُصَلِّینَ الآیهٔ. ألا ترون أنها حلت لمن مات لم یشرک بالله شیئاً؟!

وفی تفسیر الطبری:۴/۱۴۱:

عن الأشعث الحملی قال قلت للحسن: یا أبا سعید أرأیت ما تذکر من الشفاعه حق هو؟ قال: نعم حق.

وفی فتح القدیر للشوکانی:۵/۵۶۷:

وأخرج بن المنذر عن طریق حرب بن شریح قال: قلت لأبی جعفر محمد بن علی بن الحسین: أرأیت هذه الشفاعهٔ التی یتحدث بها أهل العراق أحقٌّ هی؟ قال: إی والله.

وفی دلائل النبوهٔ للبیهقی:۱/۲۵:

عن شبیب بن أبی فضالهٔ المالکی: لما بنی مسجد الجامع ذکروا عند عمران بن حصین الشفاعهٔ فقال رجل من القوم: إنکم تحدثونا بأحادیث لم نجد لها أصلاً فی کتاب الله، وعمران یقول أنتم أخذتم هذا الشأن منا، وأخذنا نحن عن نبی الله.

وفی الجواهر الحسان للثعالبی:۱/۳۵۶:

قوله تعالی: إِنَّ اللَّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ... قالت المعتزلهٔ: إذا کان صاحب کبیرهٔ فهو فی النار ولا بد، وقالت الخوارج إذا کان صاحب کبیره أو صغیره فهو فی النار مخلد.

وفی تطهیر الجنان لإبن حجر/۳۸:

إن قلت: فی هذا الحدیث (کل ذنب عسی الله أن یغفره إلا رجل یموت کافراً أو یقتل مؤمناً متعمداً) دلیل للمعتزلهٔ والخوارج قبحهم الله تعالی علی أن الکبیرهٔ لا تغفر؟

قلت: لا دلیل لهم فیها أبداً، لقوله تعالی: وَمَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِیهَا، لوجوب حملها علی المستحل... بدلیل قوله

تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وهو مخصص أيضاً بقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا... قد ضل... فرقٌ من فرق الضلالة القائلون بأن مرتكب الكبيرة إذا مات بلا توبة يخلد، وهؤلاء المعتزلة والخوارج، والفرق بينهما إنما هو من حديث إن الميت فاسقاً هل هو كافر أو لا مؤمن ولا كافر؟ فالخوارج على الأول والمعتزلة على الثانى.

وفى مقالات الإسلاميين للأشعرى:۱/۱۲۴:

وأما الوعيد فقول المعتزلة فيه وقول الخوارج قولٌ واحد، لأنهم يقولون أن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم فى النار خالدون.

وفى مقالات الإسلاميين: ۱/۸۶ ـ ۸۷:

وأجمعوا (الخوارج) على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات، فإنها لاتقول ذلك. وأجمعوا أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجدات.

والأزارقة (من الخوارج) تقول إن كل كبيرة كفر، وإن الدار دار كفر يعنون دار مخالفيهم، وإن كل مرتكب معصية كبيرة ففى النار خالداً مخلداً، ويكفرون علياً (رض)فى التحكيم.

وقال فى شرح المواقف:۴ جزء ۸/۳۳۴:

إن مرتكب الكبيره من أهل الصلاة... مؤمن... ذهب الخوارج إلى أنه كافر، والحسن البصرى إلى أنه منافق، والمعتزلة إلى أنه مؤمن ولا كافر.

وقال الرازى فى تفسيره:۱ جزء ۳/۲۳۸:

إن المعصية عند المعتزلة وعندنا لا توجب الكفر، أما عندنا فلان صاحب الكبيرة مؤمن، وأما عند المعتزلة فلانه وإن خرج عن الإيمان فلم يدخل فى الكفر، وأما عند الخوارج فكل معصية كفر.

وقال الرازى فى تفسيره:۶ جزء ۱۲/۵:

قالت الخوارج: كل من عصى الله فهو كافر... احتجوا بهذه الآية (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ...) وقالوا إنها نص فى أن كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله، فوجب أن يكون كافراً.

وقال الرازى فى:۱۵ جزء ۳۰/۲۳۹:

إن الخوارج احتجوا بهذه الآية (إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) على أنه لا واسطة بين المطيع والكافر قالوا: لأن الشاكر هو المطيع والكفور هو الكافر، والله تعالى نفى الواسطة وذلك يقتضى أن يكون كل ذنب كفراً.

وقال النووى فى شرح مسلم:۱ جزء ۱/۲۱۸:

قال القاضى عياض: اختلف الناس فيمن عصى الله من أهل الشهادتين، فقالت المرجئة: لا تضره المعصية، وقالت الخوارج: تضره ويكفر بها، وقالت المعتزلة: يخلد فى النار، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن..

وقال المجلسى فى بحار الأنوار:۸/۶۲:

وقال النووى فى شرح صحيح مسلم: قال القاضى عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلًا، ووجوبها سمعاً بصريح الآيات وبخبر الصادق، وقد جاءت الآثار التى بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة فى الآخرة لمذنبى المؤمنين، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها. ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم فى تخليد المذنبين فى النار، واحتجوا بقوله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ وأمثاله وهى فى الكفار.

وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها فى زيادة الدرجات فباطل، وألفاظ الأحاديث فى الكتاب وغيره صريحة فى بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار.

(راجع شرح مسلم للنووى:۲ جزء ۳/۳۵)

وفى شرح مسلم للنووى:٢ جزء ٣/٥٠:

رأى الخوارج.. أنهم يرون أن أصحاب الكبائر يخلدون فى النار.

وفى إرشاد السارى للقسطلانى:١/١١٥:

لاـ ينسب إلى الكفر باكتساب المعاصى والإتيان بها إلاـ بالشرك أى بارتكابه، خلافاً للخوارج القائلين بتكفيره بالكبيرة، والمعتزلة القائلين بأنه لا مؤمن ولا كافر.

وفى فتاوى ابن باز:٢/٢٧:

وذهب الخوارج إلى أن صاحب المعصية مخلد فى النار وهو بالمعاصى كافر أيضاً ووافقهم المعتزلة بتخليده فى النار.

وفى فتاوى ابن باز:٣/٣٦٧:

قول أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة... المعاصى التى دون الشرك لا تحبط الأعمال الصالحة ولا تبطل ثوابها..

وفى بحار الأنوار:٨/٣٦٤:

قال العلامة رحمه الله فى شرحه على التجريد: أجمع المسلمون كافة على أن عذاب الكافر مؤبد لا ينقطع، واختلفوا فى أصحاب الكبائر من المسلمين، فالوعيدية على أنه كذلك، وذهبت الإمامية وطائفة كثيرة من المعتزلة والأشاعرة إلى أن عذابه منقطع. والحق أن عقابهم منقطع لوجهين:

الأول، أنه يستحق الثواب بإيمانه لقوله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ.

والإيمان أعظم أفعال الخير فإذا استحق العقاب بالمعصية فإما يقدم الثواب على العقاب وهو باطل بالإجماع، لأن الثواب المستحق بالإيمان دائم على ما تقدم، أو بالعكس وهو المراد، والجمع محال.

الثانى، يلزم أن يكون من عبد الله تعالى مدة عمره بأنواع القربات إليه ثم عصى فى آخر عمره معصية واحدة مع بقاء إيمانه مخلداً فى النار كمن أشرك بالله مدة عمره، وذلك محال لقبحه عند العقلاء. انتهى.

وفى بحار الأنوار:٨/٣٧٠:

وقال شارح المقاصد: اختلف أهل الإسلام فيمن ارتكب الكبيرة من المؤمنين ومات قبل التوبة، فالمذهب عندنا عدم القطع بالعفو ولا بالعقاب بل كلاهما فى مشيئة الله تعالى، لكن على تقدير التعذيب نقطع بأنه لا يخلد فى النار بل يخرج البتة، لا بطريق الوجوب على الله تعالى، بل مقتضى ما سبق من الوعد وثبت بالدليل كتخليد أهل الجنة.

وعند المعتزلة القطع بالعذاب الدائم، من غير عفو ولا إخراج من النار، وما وقع فى كلام البعض من أن صاحب الكبيرة عند المعتزلة ليس فى الجنة ولا فى النار فغلطٌ نشأ من قولهم: إن له المنزلة بين المنزلتين، أى حالة غير الإيمان والكفر.

وأما ما ذهب إليه مقاتل بن سليمان وبعض المرجئة من أن عصاة المؤمنين لا يعذبون أصلاً وإنما النار للكفار تمسكاً بالآيات الدالة على اختصاص العذاب بالكفار مثل: قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى، إن الخزى اليوم والسوء على الكافرين.

فجوابه: تخصيص ذلك العذاب بما يكون على سبيل الخلود.

وأما تمسكهم بمثل قوله عليه السلام: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق، فضعيف، لأنه إنما ينفى الخلود لا الدخول.

لنا وجوه: الأول، وهو العمدة: الآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة البتة، وليس ذلك قبل دخول النار وفاقاً، فتعين أن يكون بعده وهو مسألة انقطاع العذاب، أو بدونه وهو مسألة العفو التام، قال الله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

تبادل المواقع بين الخوارج والمرجئة

يحسن هنا أن نسجل أمراً طريفاً نلاحظه فى عصرنا، وهو تبادل المواقع بين ورثة الخوارج، وورثة الخلافة الأمويين والمرجئة! فورثة الخوارج (الأباضيون) تنازلوا عن العنف الفكرى وسجلوا ليونتهم العقائدية والفقهية تجاه فرق المسلمين..بينما ورثة الخلافة الأموية (التكفير والهجرة والوهابيون) تخلوا عن أفكار الليونة والتسامح، وتبنوا مذهب العنف والشدة، وأفتوا بكفر كل فرق المسلمين، ماعدا فرقتهم! ولعلهم يتخلون أيضاً عن شمول الشفاعة لكل المسلمين ويحصرونها بفرقتهم..كما يشم ذلك من فكرهم!

وهكذا تتغير المواقع الفكرية والسياسية مع العصور من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.. وسبحان من لا يتغير.

المعتزلة مثقفون متوسطون بين الدولة والخوارج

قال ابن ناصر الدين فى توضيح المشتبه:۸/۲۰۴:

ولد واصل سنة ثمانين بالمدينة وكان يجلس إلى الحسن البصرى، فلما ظهر بين أهل السنة القول من الخوارج بتكفير أهل الكبائر، ومن المرجئة بجعلهم إيمان أهل الكبائر كإيمان جبرئيل وميكائيل، أبدع واصل (بن عطاء مولى بنى ضبة) قوله فى المنزلة بين المنزلتين... مات واصل سنة إحدى وثلاثين ومئة.

الصغائر تغفر والكبائر لا تغفر إلا بالتوبة

مقالات الإسلاميين للأشعرى:۱/۲۷۰:

واختلفت المعتزلة.. فى الصغائر والكبائر.. فقال قائلون منهم: كل ما أتى فيه الوعيد فهو كبير، وكل ما لم يأت فيه الوعيد فهو صغير.. وقال جعفر بن ميثر: كل عمد كبير وكل مرتكب لمعصية متعمداً لها فهو مرتكب لكبيرة...

واختلفت المعتزلة فى غفران الصغائر... فقال قائلون: إن الله سبحانه يغفر الصغائر إذا اجتنبت الكبائر تفضلًا.. وقال قائلون: لا يغفر الصغائر إلا بالتوبة.

وقال فى شرح المواقف:۸/۳۰۳:

أوجب جميع المعتزلة والخوارج عقاب صاحب الكبيرة إذا مات بلا توبة، ولم يجوزوا أن يعفو الله عنه، لوجهين: الأول أنه تعالى أوعد بالعقاب على الكبائر وأخبر به أى بالعقاب عليها، فلو لم يعاقب على الكبيرة وعفا لزم الخلف فى وعيده والكذب فى خبره، وإنه محال. الجواب: غايته وقوع العقاب فأين وجوبه الذى كلامنا فيه، إذ لا شبهة فى أن عد الوجوب مع الوقوع لا يستلزم خلفاً ولا كذباً.

قالت المعتزلة والخوارج: صاحب الكبيرة إذا لم يتب عنها مخلد فى النار ولا يخرج منها أبداً. وعمدتهم فى إثبات ما ادعوه دليل عقلى هو أن الفاسق يستحق العقاب بفسقه، واستحقاق العقاب بل العقاب مضرة خالصة لا يشوبها ما يخالفها دائمة لا تنقطع أبداً. واستحقاق الثواب بل الثواب منفعة خالصة عن الشوائب دائمة. والجمع بينهما أى بين استحقاقهما محال، كما أن الجمع بينهما محال.

وقال فى شرح المواقف:۸/۳۳۴:

مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة أى من أهل القبلة مؤمن، وقد تقدم بيانه فى مسألة حقيقة الإيمان وغرضنا هاهنا ذكر مذهب المخالفين والجواب عن شبهتهم: ذهب الخوارج إلى أنه كافر، والحسن البصرى إلى أنه منافق، والمعتزلة إلى أنه لا مؤمن ولا كافر. حجة الخوارج وجوه: الأول قوله تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، فإن كلمة (من) عامة فى كل من لم يحكم بما أنزل، فيدخل فيه الفاسق المصدق. وأيضاً فقد علل كفرهم بعدم الحكم، فكل من لم يحكم بما أنزل الله كان كافراً، والفاسق لم يحكم بما أنزل الله.

قلنا: الموصولات لم توضع للعموم، بل هى للجنس تحتمل العموم والخصوص.

وفى ثمرات الأوراق بهامش المستطرف/۱۳:

المعتزلة طائفة من المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله وأفعال الشر من الإنسان وأن القرآن مخلوق محدث ليس بقديم وان الله تعالى غير مرئى يوم القيامة، وأن المؤمن إذا ارتكب الذنب مثل الزنا وشرب الخمر كان فى منزلة بين منزلتين.

تأويلات أهل السنة للحنفى:۱/۶۳۰:

وقوله تعالى: وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، فيه دليل على أن من السيئات ما يكفرها الصدقة... وهو نقض على المعتزلة لأنهم لا يرون تكفير الكبائر بغير التوبة عنها، ولا التعذيب على الصغائر. فأما إن كانت الآية فى الكبائر فبطل قولهم (لا يكفر بغير التوبة) أو فى الصغائر يبطل قولهم إنها مغفورة، إذ وعدت بالصدقة لأنهم يخلدون صاحب الكبيره فى النار، والله تعالى أطمع له تكفير السيئات بالصدقة.

و صاحب الكبيرة فى النار و لا تشمله الشفاعة

شرح المواقف:۴ جزء ۸/۳۱۲:

أجمعت الأمة على ثبوت أصل الشفاعة المقبولة له عليه الصلاة والسلام، ولكن هى عندنا لأهل الكبائر من الأمة فى إسقاط العقاب عنهم... وقالت المعتزلة: إنما هى لزيادة الثواب لا لدرأ العقاب، لقوله تعالى: وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ، وهو عام فى شفاعة النبى عليه الصلاة والسلام وغيره.

الجواب: أنه لا عموم له فى الاعيان، لأن الضمير لقوم معينين هم اليهود، فلا يلزم أن لا تنفع الشفاعة غيرهم.

تأويلات أهل السنة:۱/۵۹۰:

قال المعتزلة: لا تكون الشفاعة إلا لأهل الخيرات خاصة، الذين لا ذنب لهم أو كان لهم ذنب فتابوا عنه.

تفسير الرازى ۱۱ جزء ۲۲/۱۶۰:

احتجت المعتزلة بقوله تعالى: وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى، على أن الشفاعة فى الآخرة لا تكون لأهل الكبائر، لأنه لا يقال فى أهل الكبائر إن الله يرتضيهم.

تفسير الرازى ۱۱ جزء ۲۲/۱۱۸:

المعتزلة قالوا: الفاسق غير مرضى عند الله تعالى، فوجب أن لا يشفع الرسول (ص) فى حقه لأن هذه الآية (يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ) دلت على أن المشفوع له لابد وأن يكون مرضياً عند الله.

تفسير الرازى:۱۲ جزء ۲۳/۶۶:

أما قوله (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) احتجت المعتزلة بهذه الآية فى نفى الشفاعة.

وقال فى:۱۴ جزء ۲۷/۳۳:

احتج الكعبى بهذه الآية على أن تأثير الشفاعة فى حصول زيادة الثواب للمؤمنين، لا فى إسقاط العقاب عن المذنبين.

وقال فى:۴ جزء ۷/۱۰:

قال القفال: إنه لا يأذن فى الشفاعة لغير المطيعين... وأقول إن هذا القفال عظيم الرغبة فى الإعتزال... ومع ذلك فقد كان قليل الاحاطة بأصولهم. وذلك لأن من مذهب البصريين أن العفو عن صاحب الكبيرة حسن فى العقول.. إلا أن السمع دل... لا يقع، وإذا كان كذلك كان الإستدلال العقلى على المنع من الشفاعة فى حق العصاة خطأ على قولهم.

وفى إرشاد السارى للقسطلانى:۸/۳۴۰:

قوله تعالى: مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ، استدل بهذه الآية المعتزلة على أنه تعالى لا يعفو عن شئ من السيئات.

وفى إرشاد السارى:۹/۴۴۷:

المعصية لا تخرج المسلم عن الإيمان، خلافاً للمعتزلة المكفرين بالذنب، القائلين بتخليد العاصى بالنار.

وفى معجم الادباء للحموى:۹ جزء ۱۷/۸۱:

قال عبدالعزيز بن محمد الطبرى: كان أبو جعفر (الطبرى) يذهب فى جل مذاهبه إلى ما عليه الجماعة من السلف... وكان يذهب إلى مخالفة أهل الاعتزال فى جميع ماخالفوا فيه الجماعة، من القول بالقدر وخلق القرآن وإبطال رؤية الله فى القيامة، وفى قولهم بتخليد أهل الكبائر فى النار، وإبطال شفاعة رسول الله(ص)، وفى قولهم إن استطاعة الإنسان قبل فعله.

وفى طبقات الشافعية للسبكى:۳/۳۴۷:

يصف تحول الأشعرى من الاعتزال إلى خط الدولة (أهل السنة والجماعة) قام على بن اسماعيل بن أبى بشر على الاعتزال أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إماماً... وهو الذى قال: تكافأت عندى الأدلة ولم يترجح عندى شئ على شئ فاستهديت الله فهدانى إلى اعتقاد ما أودعته فى كتبى هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده.. ودفع الكتب التى ألفها على مذاهب أهل السنة للناس.. وأخذ فى نصرة الأحاديث فى الرؤية والشفاعة. انتهى.

هذا وقد تقدمت نصوص عن رأى المعتزلة فى آراء المرجئة والخوارج فى هذا الفصل وفى تعريف الشفاعة فى الفصل الأول.

المزيد من تأثير الإسرائيليات على أحاديث الشفاعة

اتفق الجميع نظريا على أن الشفاعة من مختصات نبينا

قد يستشكل على أحاديث اختصاص الشفاعة بنبينا صلى الله عليه وآله الواردة فى مصادر الفريقين، بأنها تنافى الأحاديث الصحيحة التى تثبت الشفاعة لغير نبينا صلى الله عليه وآله.

والجواب: أن وجه الجمع بين الأحاديث أن باب الشفاعة إنما يفتح يوم القيامة إكراماً لنبينا صلى الله عليه وآله.. وكل من يشفع من الملائكة والأنبياء والأوصياء والعلماء والشهداء والمؤمنين، فإنما يشفع بإجازته وبالسهم الذى يعطيه إياه شفيع المحشر صلى الله عليه وآله!

فلا منافاة بين أحاديث اختصاصه بالشفاعة صلى الله عليه وآله وبين مادل على ثبوتها لغيره من الأنبياء (عليهم السلام) إلا ما دل منها على أن لغيره شفاعة مستقلة أو أنه يشفع قبله كما فى أحاديث الإسرائيليات الآتية.

من لا يحضره الفقيه:۱/۲۴۰:

قال النبى صلى الله عليه وآله: أعطيت خمساً لم يعطها أحدٌ قبلى: جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب، وأحل لى المغنم، وأعطيت جوامع الكلم، وأعطيت الشفاعة. ورواه فى وسائل الشيعة:۲/۴۳۸ وفى سائل الشيعة:۳/۴۲۲ وفى مستدرك الوسائل:۲/۵۲۹

علل الشرائع:۱/۱۲۷:

حدثنا أبوالحسين محمد بن على بن الشاه قال: حدثنا أبوبكر محمد بن جعفر بن أحمد البغدادى بآمد قال: حدثنا أبى قال: حدثنا أحمد بن السخت قال: حدثنا محمد بن الأسود الوراق عن أيوب بن سليمان عن حفص بن البخترى عن محمد بن حميد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

أنا أشبه الناس بآدم وإبراهيم أشبه الناس بى خلقه وخلقه.

وسمانى الله من فوق عرشه عشرة أسماء وبين الله وصفى وبشرنى على لسان كل رسول بعثه الله إلى قومه.

وسمانى ونشر فى التوراة باسمى وبث ذكرى فى أهل التوراة والإنجيل وعلمنى كتابه ورفعنى فى سمائه وشق لى إسماً من أسمائه فسمانى محمداً وهو محمود.

وأخرجنی فی خیر قرن من أمتی وجعل اسمی فی التوراة أحید فبالتوحید حرم أجساد أمتی علی النار.

وسمانی فی الانجیل أحمد فأنا محمود فی أهل السماء.

وجعل أمتی الحامدین وجعل اسمی فی الزبور ماحی محی الله عز وجل بی من الأرض عبادة الأوثان.

وجعل اسمی فی القرآن محمداً فأنا محمود فی جمیع القیامة فی فصل القضاء لا یشفع أحد غیری.

وسمانی فی القیامة حاشراً یحشر الناس علی قدمی.

وسمانی الموقف أوقف الناس بین یدی الله عز وجل.

وسمانی العاقب أنا عقب النبیین لیس بعدی رسول.

وجعلنی رسول الرحمة ورسول الملاحم والمقتفی قفیت النبیین جماعة وأنا المقیم الکامل الجامع ومن علی ربی وقال لی یا محمد صلی الله علیک فقد أرسلت کل رسول إلی أمته بلسانها وأرسلتک إلی کل أحمر وأسود من خلقی ونصرتک بالرعب الذی لم أنصر به أحداً وأحللت لک الغنیمة ولم تحل لاحد قبلک وأعطیتک لک ولأمتک الأرض کلها مسجداً وترابها طهوراً وأعطیتک ولأمتک التکبیر وقرنت ذکرک بذکری حتی لا یذکرنی أحد من أمتک إلا ذکرک مع ذکری فطوبی لک یا محمد ولأمتک.

تفسیر القمی:۱/۱۹۴:

ثم قال حکایة عن قریش: وقالوا لولا أنزل علیه ملک، یعنی رسول الله صلی الله علیه وآله، ولو أنزلنا ملکاً لقضی الأمر ثم لا ینظرون، فأخبر عز وجل أن الآیة إذا جاءت والملک إذا نزل ولم یؤمنوا هلکوا، فاستعفی النبی صلی الله علیه وآله من الآیات رأفةً ورحمةً علی أمته، وأعطاه الله الشفاعة.

صحیح البخاری:۱/۸۶:

جابر بن عبد الله أن النبی(ص)قال: أعطیت خمساً لم یعطهن أحد قبلی: نصرت بالرعب مسیرة شهر، وجعلت لی الأرض مسجداً وطهوراً، فأیما رجل من أمتی أدرکته الصلاة فلیصل، وأحلت لی الغنائم ولم تحل لأحد قبلی، وأعطیت الشفاعة، وکان النبی یبعث إلی قومه خاصة وبعثت إلی الناس عامة.

ورواه أیضاً فی ص:۱ جزء ۱/۱۱۳ وج ۲ جزء ۲/۱۰۵ ونحوه فی مسلم:۲/۶۳ وفی سنن النسائی:۱/۲۰۹ وفی سیرة ابن هشام:۲/۲۳۴ وفی مسند أحمد: ۵/۱۴۹.

وفی:۴/۴۱۷ منه:

عن أبی موسی قال قال رسول الله (ص): أعطیت خمساً: بعثت إلی الأحمر والأسود، وجعلت لی الأرض طهوراً ومسجداً، وأحلت لی الغنائم ولم تحل لمن کان قبلی، ونصرت بالرعب شهراً، وأعطیت الشفاعة ولیس من نبی إلا وقد سأل شفاعة وإنی أخبأت شفاعتی ثم جعلتها لمن مات من أمتی لم یشرک بالله شیئاً. ونحوه فی:۱/۳۰۱ وفی الدر المنثور:۳ ص۲۰۴ وج ۵/۲۳۷ وسنن الدارمی:۱/۳۲۲ وسنن البیهقی:۹/۴ وتفسیر الطبری:۳/۲ وصفة الصفوة لابن الجوزی جزء ۱ و۲/۷۶ وتفسیرالمنار لرشید رضا: ۹/۳۰۰

ولکن الهیثمی ضعف روایته فی مجمع الزوائد:۸/۲۵۹ فقال:

ابن یزید قال قال رسول الله (ص): فضلت علی الأنبیاء بخمس: بعثت إلی الناس کافة، ودخرت شفاعتی لأمتی، ونصرت بالرعب شهراً أمامی وشهراً خلفی، وجعلت لی الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لی الغنائم ولم تحل لاحد قبلی. رواه الطبرانی وفیه إسحاق بن عبد الله بن أبی فروة وهو متروک.

نبینا أول شافع یوم القیامة

فی مصادرنا نصوص واضحة صریحة فی أن نبینا صلی الله علیه وآله هو خطیب المحشر والشفیع الأول قبل الأنبیاء، بل هو شفیع الأنبیاء

صلوات الله علیهم جمیعاً.. وقد تقدم بعضها آنفاً وفی تفسیر قوله تعالی (عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا) وفی بعضها أن الله تعالی قد أذن لنبینا صلی الله علیه وآله بالشفاعة وهو فی الدنیا فلا یحتاج إلی إذن یوم القیامة.

فی تفسیر القمی:۲/۲۰۱:

قال: حدثنی أبی، عن ابن أبی عمیر، عن معاویة بن عمار، عن أبی العباس المکبر قال: دخل مولی لامرأة علی بن الحسین علیه السلام علی أبی جعفر علیه السلام یقال له أبو أیمن فقال: یا أبا جعفر یغرون الناس ویقولون شفاعة محمد شفاعة محمد فغضب أبو جعفر علیه السلام حتی تربد وجهه ثم قال: ویحک یا أبا أیمن أغرک أن عف بطنک وفرجک! أما لو قد رأیت أفزاع القیامة لقد احتجت إلی شفاعة محمد صلی الله علیه وآله! ویلک فهل یشفع إلا لمن وجبت له النار ثم قال: ما أحد من الأولین والآخرین إلا وهو محتاج إلی شفاعة محمد صلی الله علیه وآله یوم القیامة.

ثم قال أبو جعفر علیه السلام: إن لرسول الله صلی الله علیه وآله الشفاعة فی أمته ولنا الشفاعة فی شیعتنا ولشیعتنا الشفاعة فی أهالیهم.

ثم قال: وإن المؤمن لیشفع فی مثل ربیعة ومضر فإن المؤمن لیشفع حتی لخادمه ویقول: یا رب حق خدمتی کان یقینی الحر والبرد.

ورواه فی بحار الأنوار:۸/۳۸ وفی تفسیر نور الثقلین:۴/۳۳۴، وقد تقدم ذلک فی الرد علی الخوارج.

الصحیفة السجادیة:۲/۲۹۰:

اللهم أنزل محمداً فی أشرف منازل الأبرار، اللهم اجعل محمداً أول شافع وأول مشفع، وأول قائل وأنجح سائل... اللهم أحسن عنا جزاءه، وعظم حباءه، وأکرم مثواه، وتقبل شفاعته فی أمته، وفی من سواهم من الأمم، واجعلنا ممن تشفعه فیه، واجعلنا برحمتک ممن یرد حوضه یوم القیامة. ونحوه فی المقنعة/۴۱۱

الصحیفة السجادیة:۲/۳۰:

اللهم فارفعه بما کدح فیک إلی الدرجة العلیا من جنتک، حتی لا یساوی فی منزلة، ولا یکافأ فی مرتبة، ولا یوازیه لدیک ملک مقرب، ولا نبی مرسل، وعرفه فی أهله الطاهرین وأمته المؤمنین من حسن الشفاعة أجل ما وعدته، یا نافذ العدة، یا وافی القول، یا مبدل السیئات بأضعافها من الحسنات، إنک ذو الفضل العظیم. ونحوه فی المقنعة/۱۲۵

تهذیب الأحکام:۳/۱۲۱:

اللهم إنی أسألک من فضلک بأفضله. اللهم واجعل محمداً صلی الله علیه وآله أدنی المرسلین منک مجلسا، وأفسحهم فی الجنة عندک منزلاً وأقربهم الیک وسیلة، واجعله أول شافع وأول مشفع، وأول قائل وأنجح سائل، وابعثه المقام المحمود الذی یغبطه به الأولون والاخرون یا أرحم الراحمین.

تأویل الآیات:۲/۳۷:

قال علی بن إبراهیم: روی عن أبی عبد الله علیه السلام أنه قال: لا یقبل الله الشفاعة یوم القیامة لأحد من الأنبیاء والرسل حتی یأذن فی الشفاعة لرسول الله صلی الله علیه وآله فإن الله قد أذن له فی الشفاعة من قبل یوم القیامة فالشفاعة له ولأمیر المؤمنین وللائمة من ولده ثم بعد ذلک للأنبیاء (علیهم السلام) أجمعین. (ورواه فی تفسیر القمی:۲/۲۰۱ ونحوه فی تفسیر نور الثقلین: ۴/۳۳۴).

بحار الأنوار:۱۶/۳۲۶:

الأمالی: أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن مهدی، عن ابن عقدة، عن الحسن بن جعفر بن مدرار، عن عمه طاهر، عن الحسن بن عمار، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن علی علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: أنا سید ولد آدم یوم القیامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع (أمالی ابن الشیخ ۱۷۰).

بحار الأنوار:۱۶/۳۰۴:

عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا. عسی من الله واجبة، والمقام بمعنی البعث فهو مصدر من غیر جنسه، أی یبعثک یوم القیامة بعثاً

أنت محمود فيه، ويجوز أن يجعل البعث بمعنى الإقامة أى يقيمك ربك مقاماً يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة يشرف فيه على جميع الخلائق يسأل فيعطى ويشفع فيشفع، وقد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذى يشفع فيه للناس، وهو المقام الذى يعطى فيه لواء الحمد فيوضع فى كفه وتجتمع تحته الأنبياء والملائكة، فيكون صلى الله عليه وآله أول شافع وأول مشفع.

بحار الأنوار:۸/۴۷:

تفسير العياشى: عن عيص بن القاسم عن أبى عبد الله عليه السلام إن أناساً من بنى هاشم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشئ وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذى جعله للعاملين عليها فنحن أولى به فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يابنى عبدالمطلب إن الصدقة لا تحل لى ولا لكم، ولكنى وعدت الشفاعة ـ ثم قال: والله أشهد أنه قد وعدها ـ فما ظنكم يا بنى عبد المطلب إذا أخذت بحلقة الباب أترونى مؤثرا عليكم غيركم؟ ثم قال: إن الجن والإنس يجلسون يوم القيامة فى صعيد واحد، فإذا طال بهم الموقف طلبوا الشفاعة فيقولون: إلى من؟ فيأتون نوحاً فيسألونه الشفاعة فقال: هيهات قد رفعت حاجتى، فيقولون: إلى من إلى إبراهيم، فيأتون إلى إبراهيم فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قدر رفعت حاجتى، فيقولون: إلى من فيقال: إيتوا موسى فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قد رفعت حاجتى، فيقولون إلى من؟ فيقال إيتوا محمداً، فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقوم مدلاً حتى يأتى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب ثم يقرعه، فيقال: من هذا؟ فيقول: أحمد فيرحبون ويفتحون الباب، فإذا نظر إلى الجنة خر ساجداً يمجد ربه بالعظمة، فيأتيه ملك فيقول: إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فيرفع رأسه، فيدخل من باب الجنة فيخر ساجداً ويمجد ربه ويعظمه فيأتيه ملك فيقول: إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فيقوم فما يسأل شيئاً إلا أعطاه إياه.انتهى.

وقد تقدمت الأحاديث بهذا المضمون، وهى محل اتفاق فى مصادر الطرفين، وفيها دلالة على أن نبينا صلى الله عليه وآله هوأول من يتقدم للشفاعة يوم القيامة.

الاحاديث الموافقة لمذهبنا فى مصادر السنيين

فى مصادر السنيين نوعان من الأحاديث فى هذا الموضوع: فمنها ما يوافق مصادرنا، وقد روته صحاحهم كالذى رواه ابن ماجة:۲/۷۲۴: عن الطفيل بن أبى بن كعب، عن أبيه أن رسول الله(ص)قال: إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، غير فخر.

والذى رواه مسلم فى:۱/۱۳۰:

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): أنا أول الناس يشفع فى الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً...

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة...

أنس بن مالك قال النبى (ص): أنا أول شفيع فى الجنة، لم يصدَّق نبى من الأنبياء ما صدِّقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد.

وروى فى:۷/۵۹:

عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص): أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع. انتهى.

وفى سنن الترمذى:۵/۲۴۸:

عن ابن عباس قال: جلس ناسٌ من أصحاب رسول الله(ص)ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً إن الله اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ من إبراهيم خليلاً. وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليماً. وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه. وقال آخر: آدم اصطفاه الله. فخرج عليهم فسلم وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليل

الله وهو كذلك، وموسى نجى الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فحر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر. هذا حديث غريب. انتهى. وروى نحوه ابن ماجه: ۲/۱۴۴۰ وأحمد فى:۳/۲

وفى سنن الدارمى:۱/۲۶:

عن أنس قال قال رسول الله (ص): أنا أولهم خروجاً، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مشفعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا. الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدى، وأنا أكرم ولد آدم على ربى.

وفى فردوس الأخبار: ۱/۸۰ ح ۱۲۴:

أنس بن مالك: أنا أول شفيع يوم القيامة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، إن من الأنبياء لمن يأتى يوم القيامة ما معه مصدق غير واحد. انتهى.

وفى شعب الإيمان للبيهقى:۲/۱۳۲ وص ۱۷۹:

أبو هريرة قال قال رسول الله (ص): أنا سيد ولد آدم، وأول شافع وأول مشفع.

وفى شعب الإيمان/۱۸۱:

عن أنس قال: سمعت النبى (ص) يقول: إنى أول الناس تنشق الأرض عن جمجمتى يوم القيامه، وأنا أول من يدخل الجنة... ونحوه فى تهذيب الكمال: ۱۵/۴۲۵ وج ۲۲/۵۵۱ وسير أعلام النبلاء:۸/۲۹۳ وكنز العمال: ۱۱/۴۰۴ فما بعدها بروايات متعددة، وفى:۱۴/۳۹۳ فما بعدها. وفيه فى:۱۱/۴۳۵: أنا سيد المرسلين إذا بعثوا وسابقهم إذا وردوا، ومبشرهم إذا أيسوا، وإمامهم إذا سجدوا، وأقربهم مجلساً إذا اجتمعوا، أتكلم فيصدقنى، وأشفع فيشفعنى، وأسأل فيعطينى.

وفى الدر المنثور:۴/۹۳:

وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك (رض) قال وأول ما يأذن الله عزوجل له يوم القيامة فى الكلام والشفاعة محمد(ص)فيقال له قل تسمع وسل تعطه قال: فيخر ساجداً فيثنى على الله ثناء لم يثن عليه أحد فيقال إرفع رأسك...

وفى سيرة ابن كثير:۱/۱۹۵:

فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبى الحسن بن أبى الحديد... عن ابن عباس قال: سألت رسول الله(ص)فقلت: فداك أبى وأمى أين كنت وآدم فى الجنة؟ قال: فتبسم حتى بدت نواجذه، ثم قال: كنت فى صلبه وركب بى السفينة فى صلب أبى نوح، وقذف بى فى صلب أبى إبراهيم، لم يلتق أبواى على سفاح قط، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة، صفياً مهذباً، لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما، وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام عهدى، ونشر فى التوراة والانجيل ذكرى، وبين كل نبى صفتى تشرق الأرض بنورى والغمام بوجهى، وعلمنى كتابه وزادنى شرفاً فى سمائه، وشق لى اسماً من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد وأحمد، ووعدنى أن يحبونى بالحوض والكوثر، وأن يجعلنى أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجنى من خير قرن لامتى، وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

فتاوى ابن باز:۱/۱۸۷:

قال رسول الله: أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة، وأنا أول شافع وأول مشفع. انتهى.

الاحاديث المتأثرة بالاسرائيليات فى مصادر السنيين

والنوع الثانى من أحاديث السنيين: أحاديث تجعل الشفاعة أولاً لابراهيم، ثم لموسى، ثم لعيسى (عليهم السلام) وتجعل نبينا الشفيع

الرابع عليهما السلام!!

روى الحاكم فى المستدرك:۴/۴۹۶ حديثاً طويلاً عن الدجال ويأجوج ومأجوج وأشراط الساعة والقيامة والشفاعة، وصححه على شرط الشيخين، وفيه أمورٌ وتفصيلاتٌ غير معقولة، جاء فيه:

عن أبى الزعراء قال كنا عند عبد الله بن مسعود (رض) فذكر عنده الدجال فقال عبد الله بن مسعود: تفترقون أيها الناس لخروجه على ثلاث فرق، فرقة تتبعه وفرقة تلحق بأرض آبائها بمنابت الشيح، وفرقة تأخذ شط الفرات يقاتلهم ويقاتلونه حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام، فيبعثون اليهم طليعة فيهم فارس على فرس أشقر وأبلق قال فيقتتلون فلا يرجع منهم بشر....

قال: ثم تقوم الساعة على شرار الناس ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه. والصور قَرْنٌ، فلا يبقى خلق فى السماوات والأرض إلا مات إلا من شاء ربك...

قال: ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فينطلق كل نفس إلى جسدها حتى يدخل فيه ثم يقومون فيحيون حياة رجل واحد قياماً لرب العالمين. قال: ثم يتمثل الله تعالى إلى الخلق فيلقاهم فليس أحد يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له يتبعه، قال فيلقى اليهود فيقول من تعبدون؟ قال فيقولون نعبد عزيراً قال هل يسركم الماء؟ فيقولون نعم، إذ يريهم جهنم كهيئة السراب! قال ثم قرأ عبد الله: وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً، قال ثم يلقى النصارى فيقول من تعبدون؟ فيقولون المسيح، قال فيقول هل يسركم الماء؟ قال فيقولون نعم، قال فيريهم جهنم كهيئة السراب! ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً. قال: ثم قرأ عبد الله: وقفوهم إنهم مسؤولون.

قال: ثم يتمثل الله تعالى للخلق حتى يمر على المسلمين قال فيقول من تعبدون؟ فيقولون نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، فينتهرهم مرتين أو ثلاثاً فيقول من تعبدون؟ فيقولون نعبد الله ولا نشرك به شيئاً. قال فيقول هل تعرفون ربكم؟ قال فيقولون سبحانه إذا اعترف لنا عرفناه! قال فعند ذلك يكشف عن ساق فلا ـ يبقى مؤمن إلا خر لله ساجداً، ويبقى المنافقون ظهورهم طبقاً واحداً كأنما فيها السفافيد! قال فيقولون: ربنا فيقول قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سالمون.

قال ثم يأمر بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس كقدر أعمالهم زمراً كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم كأسرع البهائم، ثم كذلك حتى يمر الرجل سعياً ثم مشياً، ثم يكون آخرهم رجلاً يتلبط على بطنه!

قال فيقول أى رب لماذا أبطأت بى؟ فيقول لم أبطئ بك، إنما أبطأ بك عملك.

قال ثم يأذن الله تعالى فى الشفاعة فيكون أول شافع روح القدس جبريل عليه الصلاة والسلام، ثم إبراهيم خليل الله، ثم موسى، ثم عيسى عليهما الصلاة والسلام قال: ثم يقوم نبيكم رابعاً، لا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه، وهو المقام المحمود الذى ذكره الله تبارك وتعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا.

قال فليس من نفس إلا وهى تنظر إلى بيت فى الجنة أو بيت فى النار...

قال: ثم يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله.

قال ثم يقول الله: أنا أرحم الراحمين فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق برحمته، قال ثم يقول: أنا أرحم الراحمين، قال ثم قرأ عبدالله: مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، قال فعقد عبد الله بيده أربعاً ثم قال: هل ترون فى هؤلاء من خير؟ ما ينزل فيها أحد فيه. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

ورواه البيهقى فى البعث والنشور/۳۲۶ والديلمى فى فردوس الأخبار: ۱/۵۴ وص ۸۰ والنيسابورى فى الوسيط ج۴/۳۸۷ وابن منظور فى مختصر تاريخ دمشق:۱ جزء ۲/۱۷۰. وغيرهم.

أما الهيثمى فقد روى فى مجمع الزوائد:۹/۳۱ حديث أنه صلى الله عليه وآله أول شافع، ووصفه لأنه موضوع، وقال عن بعض طرقه

فی:۸/۲۵۴ (وفیه صالح بن عطاء بن خباب ولم أعرفه وبقیة رجاله ثقات)

ولکنه فی نفس الوقت ردَّ الحدیث الذی صححه الحاکم علی شرط الشیخین فی ج ۱۰/۳۳۰ وقال (رواه الطبرانی وهو موقوف، مخالف للحدیث الصحیح وقول النبی: أنا أول شافع)! فیبدو أنه اطلع علی طریق آخر صحیح للحدیث، غیر الطریقین اللذین ضعفهما. ولکنا لم نطلع علیه.

البخاری یفضل أنبیاء بنی إسرائیل علی نبینا

أما البخاری فقد روی فی تاریخه الذی ألفه قبل صحیحه أن نبینا صلی الله علیه وآله هو الشفیع الأول، وتوقف فی روایة أنه الشفیع الرابع، لوجود ما یعارضها.

قال فی تاریخه:۴/۲۸۶:

عن جابر بن عبد الله: قال النبی (ص): أنا قائد المسلمین، ولا فخر، وأنا خاتم النبیین ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر.

وقال فی تاریخه:۵/۲۲۱:

عبد الله بن هانی أبو الزعراء الکوفی سمع ابن مسعود (رض) سمع منه سلمة بن کهیل یقال عن أبی نعیم إنه الکندی روی عن ابن مسعود (رض) فی الشفاعة: ثم یقوم نبیکم رابعهم والمعروف عن النبی (ص): أنا أول شافع. ولا یتابع فی حدیثه. انتهی.

ولکنه فی صحیحه لم یرو هذه الروایة ولا غیرها مما ینص علی أن نبینا صلی الله علیه وآله أول شافع!

نعم، روی أن الشفاعة من مختصات نبینا صلی الله علیه وآله دون الأنبیاء (علیهم السلام):

قال فی:۱/۱۱۳:

جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص): أعطیت خمساً لم یعطهن أحد من الأنبیاء قبلی: نصرت بالرعب مسیرة شهر، وجعلت لی الأرض مسجداً وطهوراً وأیما رجل من أمتی أدرکته الصلاة فلیصل، وأحلت لی الغنائم، وکان النبی یبعث إلی قومه خاصة وبعثت إلی الناس کافة، وأعطیت الشفاعة. انتهی.

وروی فی:۵/۲۲۶:

روایة الشفاعة المعروفة فی المصادر وأن الأنبیاء (علیهم السلام)یهابون التقدم للشفاعة للخلق، ویطلبون من نبینا صلی الله علیه وآله أن یشفع إلی الله تعالی فیتقدم ویشفع.. وهی تدل علی أنه صلی الله علیه وآله الشفیع الأول، قال فیها: إذهبوا إلی محمد فیأتون محمداً فیقولون یا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبیاء وقد غفر الله لک ما تقدم من ذنبک وما تأخر، إشفع لنا إلی ربک، ألا تری إلی مانحن فیه! فأنطلق فآتی تحت العرش فأقع ساجداً لربی عز وجل ثم یفتح الله علیَّ من محامده وحسن الثناء علیه شیئاً لم یفتحه علی أحد قبلی، ثم یقال یا محمد إرفع رأسک، سل تعطه واشفع تشفع.انتهی.

والی هنا یبدو أنه لامشکلة..

ولکن البخاری روی فی صحیحه ما یعارض ذلک، ویجعل درجة نبی الله موسی علیه السلام فی درجة نبینا صلی الله علیه وآله أو أفضل منه! فقد روی أن النبی صلی الله علیه وآله نهی المسلمین أن یفضلوه علی موسی، وقال إنه عندما یبعث من قبره یجد موسی جالساً عند العرش قبله!!

قال البخاری فی صحیحه:۷/۱۹۳:

عن أبی هریرة قال: استبَّ رجلان، رجلٌ من المسلمین ورجلٌ من الیهود، فقال المسلم: والذی اصطفی محمداً علی العالمین، فقال الیهودی والذی اصطفی موسی علی العالمین، قال فغضب المسلم عند ذلک فلطم وجه الیهودی، فذهب الیهودی إلی رسول الله(ص)فأخبره بما کان من أمره وأمر المسلم، فقال رسول الله (ص): لا تخیرونی علی موسی، فإن الناس یصعقون یوم القیامة فأکون

أول من یفیق، فإذا موسى باطشٌ بجانب العرش، فلا أدرى أكان موسى فیمن صعق فأفاق قبلى؟ أو كان ممن استثنى الله؟! انتهى.

ورواه فی صحیحه فی سبعة مواضع أخرى على الأقل! فی:۳/۸۹، وج ۴/۱۲۶، وج ۵/۱۹۶، وج ۶/۳۴، وج ۸/۴۸، وص ۱۷۷، وص ۱۹۲، وهی روایاتٌ متفاوتة فی دلالتها على تفضیل موسى، ولكن مجموعها كاف فی الدلالة علیه، مهما حاول الشراح تأویلها!

فقد نصت الروایة المذكورة كما رأیت على نهی النبی صلى الله علیه وآله عن تفضیله على موسى، ووردت هذه العبارة (لا تخیرونی على موسى) فی روایة البخاری الأخرى:۷/۱۹۳ وفی:۸/۱۹۲ وكذا فی مسلم:۷/۱۰۱، وسنن أبی داود:۲/۴۰۷، وأحمد:۲/۲۶۴. وورد فی روایة:۵/۱۹۶ (قال لا تخیرونی من بین الأنبیاء)

كما نصت على أن موسى علیه السلام مستثنى دون نبینا صلى الله علیه وآله من الصعقة التی یقول الله تعالى عنها: وَنُفِخَ فِی الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِی السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِی الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِیهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِیَامٌ یَنْظُرُونَ. الزمر: ۶۸، وهذا امتیازٌ له على جمیع الأنبیاء! وروى مثلها فی:۸/۱۹۲.

وجاء فی:۸/۱۷۷:

(فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش) وزاد فی:۵/۱۹۶ وج ۸/۴۸ (فلا أدرى أفاق قبلى، أم جُزِیَ بصعقة الطور)

وفی:۵/۱۹۶:

(قال إنی أول من یرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش) وفی روایة أخرى فی غیر البخاری أن النبی صلى الله علیه وآله أول ما ینفض رأسه من التراب یرى موسى جالساً عند العرش!!

قد یقال: إن روایة البخاری لا تدل على أن موسى أفضل من نبینا صلى الله علیه وآله لأنها تنص على أن استثناءه من الصعقة إنما هو بسبب صعقته فی الطور ولا علاقة له بالأفضلیة.

والجواب: أن الروایة واردةٌ أساساً فی مقام بیان أفضلیة موسى، أو بالأقل عدم أفضلیة نبینا علیه، فهذا هو موضوع الخلاف بین المسلم والیهودی، وهو موضوع الحدیث، وموضوع النهی المزعوم من النبی صلى الله علیه وآله عن تفضیله على موسى!!

وقد یقال: لو سلمنا أن الروایة تدل على مساواة موسى لنبینا صلى الله علیه وآله أو أفضلیته علیه، فهی لا تدل على أن موسى هو الشفیع الأول.

والجواب: أن مقام الشفاعة الأول إنما أعطی لنبینا صلى الله علیه وآله بسبب أنه أفضل الأنبیاء صلوات الله علیهم جمیعاً، فإذا ثبت أن موسى أفضل منه، فلا یبعد أن یكون هو رئیس المحشر وشفیعه.. الخ.

وقد حاولت بعض الروایات أن تحل المسألة مع الإسرائیلیات حلًا سلمیاً، فتجعل الافضلیة لموسى، وتحتفظ بدرجة الشفیع الأول لنبینا صلى الله علیه وآله كالتی رواها الطبری فی تفسیره:۲۴/۲۰ قال: عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبی الله قال: أتانی ملكٌ فقال یا محمد إختر نبیاً ملكاً أو نبیاً عبداً، فأومأ الیَّ أن تواضع، قال نبیاً عبداً، قال فأعطیت خصلتین: أن جعلت أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، فأرفع رأسی فأجد موسى آخذاً بالعرش، فالله أعلم أصُعِقَ بعد الصعقة الأولى، أم لا. انتهى.

ولكنها على أی حال محاولاتٌ فی مصلحة تصدیق الاسرائیلیات التی لا نثق بها!

ومن جهة أخرى.. فإن تأویل الروایات الواردة فی موسى على نبینا وآله وعلیه السلام حتى لو أمكن فهو لا یحل المشكلة، لأنه توجد فی صحاح إخواننا ومصادرهم روایات مشابهة عن كبار أنبیاء بنی إسرائیل، فهی تفضلهم على نبینا صلى الله علیه وآله أو تجعلهم فی درجته، فلا بد من معالجتها جمیعاً!

ویحاول العلماء السنیون حل المشكلة بالتأویلات والإحتمالات البعیدة، حتى لا یقعوا فی محذور رد الأحادیث الصحیحة أو تكذیب رواتها.. والدخول فی هذا البحث یخرجنا عن موضوعنا، وإن كان من بحوث السیرة المهمة، لكن نكتفی بذكر نماذج من هذه الأحادیث:

فمنها حديث الحاكم المتقدم الصحيح على شرط الشيخين، الذى يعطى الشفاعة فى الموحدين ليعقوب عليه السلام قبل نبينا صلى الله عليه وآله بحجة أن يعقوب هو الذبيح!!

ومنها حديث البخارى المتقدم فى:۴/۱۳۳ حيث جاء فيه (فإنه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذٌ بالعرش، فلا أدرى أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلى. ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى!) ومثله فى مسلم:۷/۱۰۰

وفى البخارى:۴/۱۲۵:

عن ابن عباس عن النبى(ص)قال: لا ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى، ونسبه إلى أبيه.

وفى:۴/۱۳۲:

عن ابن عباس أيضاً، عن النبى(ص)قال: لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس، زاد مسدد يونس بن متى. ونحوه فى:۴/۱۳۲ و:۴/۱۳۳ و:۵/۱۸۵ وص ۱۹۳ بروايتين، وفى:۸/۲۱۳

وقد صرحت رواية مسلم:۷/۱۰۲ بأنه حديث قدسى!! وأنه يشمل كل الناس حتى نبينا صلى الله عليه وآله قال:

عن النبى(ص)أنه قال يعنى الله تبارك وتعالى: لا ينبغى لعبد لى ـ وقال ابن المثنى لعبدى ـ أن يقول أنا خير من يونس بن متى عليه السلام)! وروى نحوه فى/۱۰۳

أما ابن ماجة فقد شدد على الموضوع فروى فى:۲/۱۴۲۸ عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال (ومن قال: أناخير من يونس بن متى فقد كذب!. فى الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

وروى نحو ما فى البخارى أبو داود فى سننه:۲/۴۰۶ والترمذى ج۱/۱۱۸ وج ۵/۵۱

وعلل أفضلية يونس فى كنز العمال:۱۲/۴۷۶:

فروى عن عدة مصادر، عن على، عن النبى(ص)قال: لا ينبغى لأحد ـ وفى لفظ لعبد ـ أن يقول أنا خيرٌ من يونس بن متى، سبح الله فى الظلمات!

أما رواياتهم عن نبى الله داود عليه السلام فقد تكون أكثر صراحةً بتفضيله على نبينا صلى الله عليه وآله!!

ففى مجمع الزوائد:۸/۲۰۶:

عن أبى الدرداء قال: وكان رسول الله(ص)إذا ذكر داود(ص)قال: كان أعبد البشر. رواه البزار فى حديث طويل وإسناده حسن.

وفى كنز العمال:۱۲/۴۷۶:

عن ابن عساكر، عن أنس أن رجلاًـ قال للنبى (ص): يا خير الناس، قال: ذاك إبراهيم! قال: يا أعبد الناس، قال: ذاك داود!!.

وفى:۳/۶۷۱ (إن أخى داود كان أعبد البشر)

وفى صحيح البخارى:۶/۳۱ ونحوه فى:۴/۱۳۵:

قال سألت مجاهداً عن سجدة(سورة) (ص) فقال سألت ابن عباس: من أين سجدت (يعنى لماذا) فقال: أو ما تقرأ: ومن ذريته داود وسليمان أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده، فكان داود ممن أُمِرَ نبيكم(ص)أن يقتدى به، فسجدها رسول الله(ص)!!

ونفس المشكلة تجدها فى رواياتهم عن يحيى عليه السلام، فقد روى الهندى فى كنز العمال:۱۱/۵۲۱ عن مسند أحمد وطبقات ابن سعد وغيرهما، عن ابن عباس: ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة، إلا يحيى بن زكريا، فإنه لم يهم بها ولم يعملها)

وفى كنز العمال:۱۱/۵۲۲ عن ابن عساكر: لاـ ينبغى لاحد أن يقول أنا خير من يحيى بن زكريا، ما همَّ بخطيئة ولا جالت فى صدره امرأة.

والنتيجة: أنه لابد للباحث من القول بأن روايات بنى اسرائيل وجدت طريقها إلى مصادر إخواننا السنيين فى عقيدة الشفاعة، وبقيت

ضعيفة فى بعض الحالات، ولكنها فى حالات أخرى صارت إلى صفِّ الروايات الإسلامية وبستواها من الصحة.. وأحياناً صارت أقوى منها وحلت محلها!!

احسن تصور فی مصادر السنیین عن شفاعة نبینا

حاول القاضى عياض فى كتابه (الشفا) أن يقدم أفضل صورة عن شفاعة النبى صلى الله عليه وآله ولذلك لم يتقيد بروايات الصحاح، وجمع روايات لم يصححوها وجرَّدها من كثير من الإسرائيليات التى تفضل أنبياء بنى إسرائيل على نبينا، كما جرَّد بعض رواياتها من تجسيم الإسرائيليات، وبقى فى بعضها، ولم يجردها من التهم التى تضمنتها لادم وإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) عندما يطلب الناس منهم الشفاعة يوم القيامة فيتكلمون عن خطاياهم وجرائمهم التى لم تغفر! فجاءت صورة عياض قريبة إلى أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، وكانت أحسن تصور قدمها عالمٌ سنيٌّ عن شفاعة النبى صلى الله عليه وآله.

وفيما يلى مقتطفات من كلامه من/۲۱۶ وما بعدها:

وعن أبى هريرة سئل عنها رسول الله(ص)يعنى قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، فقال: هى الشفاعة.

وروى كعب بن مالك عنه (ص): يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل، ويكسونى ربى حلة خضراء، ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما وذكر حديث الشفاعة قال: فيمشى حتى يأخذ بحلقة الجنة، فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله (ص): إنى لقائم المقام المحمود، قيل وما هو؟ قال: ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه...!

وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير: سمعت بمقام محمد يعنى الذى يبعثه الله فيه: قال قلت نعم، قال: فإنه مقام محمد المحمود، الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار، وذكر حديث الشفاعة فى إخراج الجهنميين.

وفى رواية أنس وأبى هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم فى حديث بعض قال (ص): يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا. ومن طريق آخر عنه ماج الناس بعضهم فى بعض، وعن أبى هريرة: وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون.....

وفى رواية: فآتى تحت العرش فأخر ساجداً، وفى رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها، إلا أنه يلهمنيها الله، وفى رواية: فيفتح الله علىَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى...

وفى رواية قتادة عنه قال فلا أدرى فى الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى من وجب عليه الخلود...

ومن طريق زياد النميرى عن أنس أن رسول الله(ص)قال: أنا أول من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، ومعى لواء الحمد يوم القيامة، وأنا أول من تفتح له الجنة ولا فخر، فآتى فآخذ بحلقة الجنة، فيقال من هذا؟ فأقول محمد، فيفتح لى فيستقبلنى الجبار تعالى! فأخر ساجداً...

وفى رواية أنس سمعت رسول الله(ص)يقول: لاشفعن يوم القيامة لأكثر مما فى الأرض من حجر وشجر.

فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الاثار أن شفاعته(ص)ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها، من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحاجر، ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه، وذلك قبل الحساب، فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف، ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة وحذيفة، وهذا الحديث أتقن، فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة...

ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا ـ إله إلا ـ الله. وليس هذا

لسواه(ص)...

وفی/۲۰۷:

أورد القاضی عیاض أحادیث فی أن نبینا صلی الله علیه وآله هو الشفیع الأول قبل غیره من الأنبیاء منها:

أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطیبهم إذا أنصتوا، وأنا شفیعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا، لواء الکرم بیدی وأنا أکرم ولد آدم علی ربی ولا فخر، ویطوف علیَّ ألف خادم کأنهم لؤلؤ مکنون.

وعن أبی هریرة: وأکسی حلةً من حلل الجنة، ثم أقوم عن یمین العرش لیس أحد من الخلائق یقوم ذلک المقام غیری.

وعن أبی سعید الخدری قال قال رسول الله (ص): أنا سید ولد آدم یوم القیامة، وبیدی لواء الحمد ولا فخر، وما نبی یومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائی، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

وعن ابن عباس رضی الله عنهما: أنا حامل لواء الحمد یوم القیامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من یحرک حلق الجنة فیفتح لی فأدخلها فیدخل معی فقراء المؤمنین ولا فخر، وأنا أکرم الأولین والاخرین ولا فخر.

وعن أنس (رض) قال قال النبی (ص): أنا سید الناس یوم القیامة، وتدرون لم ذلک؟ یجمع الله الأولین والآخرین.. وذکر حدیث الشفاعة.

وفی حدیث آخر: أما ترضون أن یکون إبراهیم وعیسی فیکم یوم القیامة، ثم قال إنهما فی أمتی یوم القیامة، أما إبراهیم فیقول أنت دعوتی وذریتی فاجعلنی من أمتک، وأما عیسی فالأنبیاء إخوة بنو علات أمهاتهم شتی، وإن عیسی أخی لیس بینی وبینه نبی، وأنا أولی الناس به...

قوله أنا سید الناس یوم القیامة: هو سیدهم فی الدنیا ویوم القیامة ولکن أشار(ص)لإنفراده فیه بالسؤدد والشفاعة دون غیره، إذ لجأ الناس إلیه فی ذلک فلم یجدوا سواه. والسید هو الذی یلجأ الناس إلیه فی حوائجهم، فکان حینئذ سیداً منفرداً من بین البشر لم یزاحمه أحد فی ذلک ولا ادعاه. انتهی.

والنتیجة أن روایات الشفیع الأول فی مصادر السنیین متعارضة بشکل لا یمکن الجمع بینها فلا بد من ترجیح طائفة منها وإسقاط الأخری، ولا شک فی أن الأرجحیة للطائفة الموافقة لأحادیث أهل البیت (علیهم السلام) وللعقل، المخالفة للیهود.

مسألتا: الذبیح و أول من یکسی کسوة الجنة یوم القیامة

یوجد مسألتان علی الأقل ترتبطان بمسألة الشفیع الأول، تغلب فیهما الإسرائیلیات فی مصادر السنیین یناسب أن نتعرض لهما باختصار، خاصة أن شفاعة إسحاق وإبراهیم (علیهما السلام) وردت فی روایاتهما:

الأولی منهما فی تعیین الذبیح المذکور فی القرآن، وهل هو إسحاق أوإسماعیل؟

والثانیة فی أول من یکسی کسوة الجنة یوم القیامة، هل هو إبراهیم أم نبینا صلی الله علیهما وآلهما!

المسألة الأولی

رأی الشیعة أن الذبیح هو اسماعیل علیه السلام کما سیأتی.

وقالت الیهود إن الذبیح هو إسحاق ولیس اسماعیل.

قال السید جعفر مرتضی فی (الصحیح) من السیرة:۲/۴۷:

السؤال الذی یلح فی طلب الإجابة علیه هو: من أین جاء هذا الأمر الغریب: أن الذبیح هو إسحاق؟

والجواب: هو ما قاله ابن کثیر وغیره (إنما أخذوه والله أعلم من کعب الأحبار أو من صحف أهل الکتاب، ولیس فی ذلک حدیث صحیح عن المعصوم حتی نترک من أجله ظاهر الکتاب. [۱] .

فاليهود إذن قد أرادوا ترويج عقيدتهم بين المسلمين، وتخصيص هذه الفضيلة بجدهم إسحاق حسب زعمهم. ولكن اليهود أنفسهم قد فاتهم أن التوراة المتداولة نفسها متناقضة في هذا الأمر، فإنها في حين تقول (خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق. وإذهب إلي أرض المريا وأصعده هناك محرقة على..الخ. [۲] فقد عبرت هنا بكلمة وحيدك الدالة على أن إسحاق هو أكبر ولد إبراهيم، ولكنها تعود فتكذِّب نفسها وتنص على أن إسحاق لم يكن وحيداً وإنما ولِدَ وعمرُ إسماعيل أربعة عشر سنة. انتهى.

أما السنيون فقد تحيروا تحيراً شديداً في من هو الذبيح، وروت مصادرهم روايات (صحيحة) متناقضة! فقد روى الحاكم مثلاً عدة روايات في أن الذبيح المذكور في القرآن هو اسماعيل، وصحح بعضها على شرط الشيخين!

قال الحاكم في: ۲/۴۳۰:

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لابْرَاهِيمَ، قال من شيعة نوح إبراهيم على منهاجه وسنته. بلغ معه السعي: شب حتى بلغ سعيه إبراهيم في العمل. فلما أسلما: ما أمرا به.

وتله للجبين: وضع وجهه إلي الأرض فقال لا ـ تذبحني وأنت تنظر عسى أن ترحمني فلا ـ تجهز علي، إربط يدي إلي رقبتي ثم ضع وجهي على الأرض، فلما أدخل يده ليذبحه فلم يحرك المدية حتى نودي: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فأمسك يده ورفع.

قوله فديناه بذبح عظيم: بكبش عظيم متقبل. وزعم ابن عباس أن الذبيح اسمعيل، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

وقال في:۲/۵۵۴:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الذبيح اسمعيل. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

وروى في الصفحة التي بعدها:

عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المفدى اسمعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود. انتهى.

ثم روى الحاكم عدة روايات في أن الذبيح هو إسحاق، وأنه هو الذي يشفع للموحدين! ولم يذكر فيها شيئاً عن شفاعة نبينا صلى الله عليه وآله وصحح بعضها أيضاً على شرط الشيخين! قال في:۲/۵۵۷ عن إحدى رواياته: قال الحاكم: سياقة هذا الحديث من كلام كعب بن ماتع الأحبار، ولو ظهر فيه سندٌ لحكمتُ بالصحة على شرط الشيخين، فإن هذاإسنادٌ صحيحٌ لا غبار عليه!

وقال في/۵۵۹:

حدثنا إسمعيل بن الفضل بن محمد الشعراني، ثنا جدي، ثنا سنيد بن داود، ثنا حجاج بن محمد، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الاحوص، عن عبد الله قال عبد الله قال: الذبيح إسحاق. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وحدثنا محمد بن عمرو الأويسي، عن أبي الزبير، عن جابر (رض) قال: لما رأى إبراهيم في المنام أن يذبح إسحاق أخذ بيده. فذكره بطوله... قال الحاكم: وقد ذكره الواقدي بأسانيده. وهذا القول عن أبي هريرة، وعبد الله بن سلام، وعمير بن قتادة الليثي، وعثمان بن عفان، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، والله أعلم. وقد كنت أرى مشائخ الحديث قبلنا وفي سائر المدن التي طلبنا الحديث فيها، وهم لا ـ يختلفون أن الذبيح إسمعيل، وقاعدتهم فيه قول النبي (ص): أنا ابن الذبيحين، إذ لا خلاف أنه من ولد إسمعيل، وأن الذبيح الآخر أبوه الادنى عبد الله بن عبد المطلب. والان فإني أجد مصنفي هذه الأدلة يختارون قول من قال إنه إسحاق. انتهى.

فقد بين الحاكم أنه يوجد عند السنيين اتجاهان في تعيين الذبيح: قول بأنه اسماعيل، وهو الاتجاه الشعبي عند الناس وعند مشايخ الحديث الاكثر تقديساً للنبي صلى الله عليه وآله واختلاطاً بالناس، ولم يكن عندهم شكٌّ ولا خلافٌ بأن الذبيح اسماعيل.

وقول بأنه إسحاق، وهو اتجاه (مصنفي هذه الأدلة) أي مجموعات الأحاديث التي أمرت دولة الخلافة بتصنيفها، وكانت تكتبها على

دفاتر وتبعث بها إلى الآفاق، ومن راجع قصص دفاتر الزهرى والعلماء الذين صنفوا الحديث برعاية الدولة، يعرف أن مقصود الحاكم هؤلاء المصنفين! ثم أشار الحاكم إلى أن هذه الأحاديث أوجبت عليه أن يتوقف فيما هو مشهور عند مشائخ الحديث، وأن يميل إلى اتجاه المصنفين، وأن الذبيح إسحاق وليس إسماعيل!

ثم أورد رواية عن وهب ابن منبه (اليهودى المقبول فى مصادرهم) تؤكد أن الذبيح إسحاق وأنه هو شفيع الموحدين!! قال الحاكم:

عن وهب بن منبه قال: حديث إسحاق حين أمر الله إبراهيم أن يذبحه: وهب الله لإبراهيم إسحاق فى الليلة التى فارقته الملائكة، فلما كان ابن سبع أوحى الله إلى إبراهيم أن يذبحه ويجعله قرباناً، وكان القربان يومئذ يتقبل ويرفع، فكتم إبراهيم ذلك إسحاق وجميع الناس وأسرَّه إلى خليل له، فقال العازر الصديق وهو أول من آمن بابراهيم وقوله، فقال له الصديق: إن الله لا يبتلى بمثل هذا مثلك ولكنه يريد أن يجربك ويختبرك، فلا تسوأن بالله ظنك فإن الله يجعلك للناس إماماً ولا حول ولا قوة لابراهيم وإسحاق إلا بالله الرحمن الرحيم. فذكر وهب حديثا طويلًا إلى أن قال وهب: وبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لقد سبق إسحاق الناس إلى دعوة ما سبقها إليه أحد! ويقومن يوم القيامة فليشفعن لأهل هذه الدعوة، وأقبل الله على إبراهيم فى ذلك المقام فقال:

إسمع منى يا إبراهيم أصدق الصادقين. وقال لاسحاق: إسمع منى يا أصبر الصابرين، فإنى قد ابتليتكما اليوم ببلاء عظيم لم أبتل به أحداً من خلقى، ابتليتك يا إبراهيم بالحريق فصبر صبراً لم يصبر مثله أحد من العالمين، وابتليتك بالجهاد فىَّ وأنت وحيدٌ وضعيفٌ فصدقت وصبرت صبراً وصدقاً لم يصدق مثله أحد من العالمين، وابتليتك يا إسحاق بالذبح فلم تبخل بنفسك ولم تعظم ذلك فى طاعة أبيك، ورأيت ذلك هنيئاً صغيراً فى الله كما يرجو من أحسن ثوابه وييسر به حسن لقائه، وإنى أعاهدكما اليوم عهداً لا أحبسن به: أما أنت يا إبراهيم فقد وجبت لك الجنة علىَّ فأنت خليلى من بين أهل الأرض دون رجال العالمين، وهى فضيلة لم ينلها أحد قبلك ولا أحد بعدك، فخرَّ إبراهيم ساجداً تعظيماً لما سمع من قول الله متشكراً لله.

وأما أنت يا إسحاق فتمنَّ علىَّ بما شئت، وسلنى واحتكم، أوتك سؤلك.

قال: أسألك يا إلهى أن تصطفينى لنفسك، وأن تشفعنى فى عبادك الموحدين، فلا يلقاك عبدٌ لا يشرك بك شيئاً إلا أجرته من النار.

قال له ربه: أوجبت لك ما سألت وضمنت لك ولأبيك ما وعدتكما على نفسى، وعداً لا أخلفه، وعهداً لا أحبسن به، وعطاء هنيئاً ليس بمردود. انتهى.

والنتيجة أن الحاكم يشهد بأن الروايات القائلة بأن الذبيح اسماعيل صحيحة ومشهورة عند مشائخ الحديث وعامة الناس.

ويشهد أيضاً بأن الروايات القائلة بأن الذبيح إسحاق صحيحة أيضاً عند أهل المصنفات، وهو يرجحها مع أنها مخالفة للمشهور!

لكن يبقى السؤال: من أين جاء هذان الاتجاهان فى المسألة!

أما البخارى فقد تهرب فى صحيحه من تعيين الذبيح ولكنه اختار فى تاريخه أنه إسحاق وليس إسماعيل رغم وجود عدة روايات صحيحة على شرطه تقول إنه اسماعيل ومن البعيد جداً أنه لم يرها!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۸۲:

وأخرج عبد بن حميد والبخارى فى تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب قال: الذبيح إسحاق. انتهى.

بل يمكن القول إن البخارى اختار فى صحيحه أيضاً أن الذبيح إسحاق لأن الرواية اليتيمة التى رواها عن الموضوع اقتطعها وانتقاها من رواية مجاهد المتقدمة فى مستدرك الحاكم، وقد حذف منها أن الذبيح اسماعيل!!

قال البخارى فى صحيحه:۸/۷۰:

باب رؤيا إبراهيم وقوله تعالى: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَا بُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى... قال مجاهد: أسلما:

سلما ما أمرا به، وتله: وضع وجهه بالأرض. انتهى.

ولابـد أن البخارى لم يرتض رأى مجاهـد فى أصل هذه الرواية وغيرها بأن الذبيح اسـماعيل، ولذلك حذفه من تفسيره للايات الذى نقله عنه! ولكنه لم يشير إلى ما فعل مع الأسف!

ومما يدل على أن رأى مجاهد القاطع بأن الذبيح اسماعيل: ما رواه السيوطى فى الدر المنثور: ۵/۲۸۰ قال:

وأخرج سـعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبى حاتم من طريق مجاهد ويوسف بن ماهك عن ابن عباس رضـى الله عنهما قال: الذبيح اسمعيل عليه السلام.

وأخرج عبـد بن حميـد وابن جرير من طريق يوسف بن مهران وأبى الطفيـل عن ابن عباس رضـى الله عنهما قال: الذبيـح اسـمعيل عليه السلام.

وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير قالا: الذى أراد إبراهيم عليه السلام ذبحه اسمعيل عليه السلام.

وأخرج ابن جرير عن الشعبى ومجاهد والحسن ويوسف بن مهران ومحمد بن كعب القرظى مثله. انتهى.

وأما مسـلم، فلم نجد فيه رواية تعين الذبيح! ولو كان يرى أنه إسـماعيل لذكره، لوجود روايات عديدة صـحيحة على شرطه فى ذلك، ومن البعيد أنه لم يرها! فلا بد أنه كالبخارى والحاكم رجح أن الذبيح إسحاق.

أما لماذا فعل أصحاب المصنفات والصحاح ذلك؟

ولماذا أسقطوا الأحاديث الصحيحة بأن الذبيح اسماعيل!

فالجواب: أنهم فعلوه لحاجة فى نفس يعقوب!!

والحاجـة الـتى فى نفس يعقوب هنـا: أن قريشـاً تبنت القول بـأن الذبيـح هو إسـحاق حـتى لا ـ تضـطر إلى الإـعتراف بحـديث (أنـا ابن الـذبيحين) لأـن هـذا الحـديث يعطى لعبـد المطلب مقاماً شبيهاً بمقام إبراهيم عليه السـلام وأنه كان ولياً ملهماً كالأنبياء وأن الله تعالى امتحنه فأمره بذبـح أحـد أبنائه.. وإذا اعترفت بـذلك، فإن حق الحكم بعد النبى يجب أن يكون فى ذرية عبد المطلب دون غيرهم من بيوتات قريش وقبائلها!!

فالأفضل للقرشيين فى تصورهم أن يقولوا إن عبد المطلب وأبا طالب وكل أسرة النبى الماضين، كانوا كفاراً وأنهم فى النار، وأن ورثة سلطان النبى صلى الله عليه وآله هم جيل قريش الذين عاصروه من جميع قبائل قريش الثلاث والعشرين!

ولهـذا نجـد أن شـخص (الخليفة) يتدخل فى هذا الموضوع ويصير راوياً، ويقول إن النبى لم يقل إنه ابن الذبيحين، ولكن بدوياً فقيراً تقرب إليه بهذه العبارة، فتبسم لها النبى صلى الله عليه وآله! وقد كان تبسمه اشتباهاً ورأياً رآه من عنده ولم ينزل عليه به وحى!!

روى الحاكم فى المستدرك:۲/۵۵۴ عن: عبد الله بن سـعيد الصـنابحى قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبى سفيان فتذاكر القوم اسمعيل وإسـحاق بن إبراهيم فقال بعضـهم: بل إسحاق الذبيح فقال معاوية: سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله فأتاه الاعرابى فقال: يا رسول الله خلفت البلاـد يابسـة والمـاء يابسـاً هلـك المال وضاع العيال فعـد على بما أفاء الله عليك يابن الـذبيحين فتبسم رسول الله ولم ينكر عليه!!

فقلنـا يـا أميرالمؤمنين وما الـذبيحان قال إن عبـد المطلب لما أمر بحفر زمزم نـذر لله إن سـهل الله أمرها أن ينحر بعض ولـده فأخرجهم فأسـهم بينهم فخرج السـهم لعبـد الله فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بنى مخزوم وقالوا: أرض ربك وافـد ابنك. قال ففـداه بمائة ناقة فهو الذبيح واسمعيل الثانى. انتهى.

وفى ظنى أن الراوى تصرف فى القسم الأخير من كلام معاويـة، لأنه فى القسم الأول نفى مسألـة الذبيـح من أصـلها! ولا بـد أن تكون بقية حديث معاوية فى نفى الذبيحين بلسان معاوية أو عن لسان النبى صلى الله عليه وآله!

لقـد التقت مصـلحة القرشـيين فى هـذه المسألـة مع مصـلحة اليهود! وكعب الأحبار وجماعته حاضـرون لاغتنام هـذه الفرصة، ليثبتوا أن

الذبیح اسحاق، ولیس إسماعیل، وینقضوا علی الشفاعة للموحدین فیأخذوها من النبی صلی الله علیه وآله، ویجعلوها لاسحاق!!

ویتضح عمل کعب فی الموضوع من الروایة التالیة التی رواها عبد الرزاق فی تفسیره:۲/۱۲۳ عن الزهری عن القاسم بن محمد فی قوله: إنی أری فی المنام أنی أذبحک، قال: اجتمع أبو هریرة وکعب فجعل أبو هریرة یحدث کعباً عن النبی (ص) وجعل کعب یحدث أبا هریرة عن الکتب! فقال: أبو هریرة قال النبی (ص): إن لکل نبی دعوة مستجابة وإنی خبأت دعوتی شفاعة لامتی یوم القیامة فقال له کعب: أنت سمعت هذا من رسول الله! قال نعم.

قال کعب: فداه أبی وأمی أفلا أخبرک عن إبراهیم إنه لما رأی ذبح ابنه إسحاق قال الشیطان: إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهما أبدا فخرج إبراهیم بابنه لیذبحه فذهب الشیطان فدخل علی سارة فقال: أین ذهب إبراهیم بابنک قالت: غدا به لبعض حاجته فقال: إنه لم یغد به لحاجة إنما ذهب لیذبحه. قالت: ولم یذبحه! قال: یزعم أن ربه أمره بذلک! قالت: فقد أحسن أن یطیع ربه فی ذلک فخرج الشیطان فی أثرهما فقال للغلام أین یذهب بک أبوک قال لحاجته قال إنما یذهب بک لیذبحک! قال لم یذبحنی قال یزعم أن ربه أمره بذلک! قال والله لئن کان أمره بذلک لیفعلن. قال فترکه ولحق بإبراهیم فقال: أین غدوت بابنک فقال لحاجة قال: فإنک لم تغد به لحاجة إنما غدوت لتذبحنه! قال ولم أذبحه قال تزعم أن ربک أمرک بذلک! قال: فوالله لئن کان أمرنی بذلک لافعلن. قال: فترکه ویئس أن یطاع. انتهی.

وروی الطبری فی تاریخه:۱/۱۸۷:

روایة معاویة وعدة روایات عن کعب الأحبار فی أن الذبیح إسحاق، ومنها روایة عبد الرزاق بألفاظ مشابهة وزاد فیها: فلما أخذ إبراهیم إسحاق لیذبحه وسلم إسحاق أعفاه الله وفداه بذبح عظیم قال إبراهیم لإسحاق قم أی بنی فإن الله قد أعفاک فأوحی الله إلی إسحاق إنی أعطیک دعوة أستجیب لک فیها قال إسحاق: اللهم فإنی أدعوک أن تستجیب لی أیما عبد لقیک من الأولین والآخرین لا یشرک بک شیئاً فأدخله الجنة. انتهی.

وبذلک یقول لنا کعب: إن الذبیح هو إسحاق جد الیهود ولیس جد العرب، ثم إنکم تزعمون أن محمداً یشفع فی الموحدین، وقد سبقه إلی ذلک إسحاق فلم یبق معنی لشفاعة نبیکم!

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۲۸۲:

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حمید وابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم والحاکم وصححه والبیهقی فی شعب الإیمان عن کعب (رض) أنه قال لابی هریرة: ألا أخبرک عن اسحاق قال بلی قال: لما رأی إبراهیم أن یذبح إسحاق... وذکر شفاعة اسحاق للموحدین بنحو روایة الطبری المتقدمة!

وقال ابن خلدون فی تاریخه:۲/۳۸:

واختلف فی ذلک الذبیح من ولدیه، فقیل اسمعیل وقیل اسحاق وذهب إلی کلا القولین جماعة من الصحابة والتابعین فالقول باسمعیل لابن عباس وابن عمر والشعبی ومجاهد والحسن ومحمد بن کعب القرظی وقد یحتجون له بقوله صلی الله علیه وسلم: أنا ابن الذبیحین ولا تقوی الحجة به لأن عم الرجل قد یجعل أباه بضرب من التجوز لا سیما فی مثل هذا الفخر!!

ویحتجون أیضاً بقوله تعالی: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَآءِ إِسْحَاقَ یَعْقُوبَ ولو کان ذبیحاً فی زمن الصبا لم تصح البشارة بابن یکون له لأن الذبح فی الصبا ینافی وجود الولد ولا تقوم من ذلک حجة لأن البشارة إنما وقعت علی وفق العلم بأنه لا یذبح وأنما کان ابتلاء لإبراهیم.

والقول بإسحاق للعباس وعمر وعلی وابن مسعود وکعب الأحبار وزید بن أسلم ومسروق وعکرمة وسعید بن جبیر وعطاء والزهری ومکحول والسدی وقتادة. انتهی.

وینبغی الإلتفات هنا إلی أن أصل القول بأن الذبیح إسحاق من شخصین حسب روایة ابن خلدون وغیره:

الأول: الخليفة عمر مؤسس الخلافة القرشية وصاحب مشروع عزل بنى هاشم عن الخلافة.

والثاني: كعب الأحبار حامل راية الثقافة الإسرائيلية.

وقد ذكر الرواة المؤيدون للخلافة القرشية اسم على والعباس، ورووا عنهما أن الذبيح إسحاق لأنهما من أولاد عبد المطلب، ومن المناسب الإحتجاج بشهادتهما لسلب هذه المنقبة العظيمة عن عبد المطلب، التى تجعله بنص الرسول صلى الله عليه وآله إبراهيم الثانى! ويظهر أن قريشاً وكعباً لم يستطيعوا إقناع جمهور المسلمين بمقولتهم المخالفة لظاهر القرآن، ولا إسكات بنى هاشم ومنهم ابن عباس بأن الذبيح هو إسحاق، وإن رووا ذلك عنهم، فقد بقى عوام المسلمين مع ظاهر القرآن وفطرتهم، وبقيت روايات أهل البيت الصريحة، وروايات ابن عباس التى تقدمت فى مستدرك الحاكم: ۲/۵۵۵: قال: المفدى إسمعيل وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود. انتهى. بقى كل ذلك يتحدى رواة الخلافة القرشية واسرائيلياتها!

[۱] البداية والنهاية:۱/۱۶۱ و۱۵۹ وراجع السيرة الحلبية:۱/۳۸ عن ابن تيمية.

[۲] سفر التكوين: الإصحاح ۲۲ الفقرة ۱ ـ ۳۳ ولتراجع سائر فقرات الإصحاح أيضاً.

رأى أهل البيت

تؤكد مصادر أهل البيت(عليهم السلام) أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وقد قوى العلماء رواياته وضعفوا رواية أن الذبيح إسحاق حتى صار ذلك من مختصات مذهبنا.. ففى تفسير القمى:۲/۲۲۶: قال: وحدثنى أبى عن صفوان بن يحيى وحماد عن عبدالله بن المغيرة عن ابن سنان عن أبى عبد الله عليه السلام قال سألناه عن صاحب الذبح فقال: اسماعيل. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أنا ابن الذبيحين يعنى اسماعيل وعبد الله بن عبد المطلب.

وفى تفسير التبيان:۸/۵۱۷:

واختلفوا فى الذبيح فقال ابن عباس وعبد الله بن عمر ومحمد بن كعب القرطى وسعيد بن المسيب والحسن فى إحدى الروايتين عنه والشعبى: إنه كان إسماعيل وهو الظاهر فى روايات أصحابنا ويقويه قوله بعد هذه القصة وتمامها: وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين فدل على أن الذبيح كان اسماعيل. ومن قال: إنه بشر بنبوة إسحاق دون مولده فقد ترك الظاهر لأن الظاهر يقتضى البشارة بإسحاق دون نبوته.

ويدل أيضاً عليه قوله: فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ولم يذكر اسماعيل. فدل على أنه كان مولوداً قبله.

وأيضاً فإنه بشره بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب فكيف يأمره بذبحه مع ذلك؟ وأجابوا عن ذلك بأن الله لم يقل إن يعقوب يكون من ولد إسحاق.

وقالوا أيضاً يجوز أن يكون أمره بذبحه بعد ولادة يعقوب. والأول هو الاقوى على ما بيناه. وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: أنا ابن الذبيحين ولا خلاف أنه كان من ولد اسماعيل والذبيح الآخر عبد الله أبوه. انتهى.

وفى تفسير نور الثقلين:۴/۴۲۱:

فى أمالى شيخ الطائفة قدس سره بإسناده إلى سليمان بن يزيد قال: حدثنا على بن موسى قال: حدثنى أبى عن أبيه عن أبى جعفر عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال: الذبيح اسماعيل عليه السلام.

وفى مهج الدعوات فى دعاء مروى عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله: يا من فدى اسماعيل من الذبح.

وفى مستدرك الوسائل:۱۶/۹۸:

وفى العيون: عن أحمد بن الحسن القطان عن أحمد بن محمد بن سعيد الكوفى عن على بن حسن بن فضال عن أبيه قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن معنى قول النبى صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين قال: يعنى إسماعيل بن إبراهيم الخليل (عليهما

السلام) وعبد الله بن عبدالمطلب... إلی أن قال: وأما الآخر فإن عبدالمطلب کان تعلق بحلقة باب الکعبة ودعا الله عز وجل أن یرزقه عشرة بنین ونذر لله عز وجل أن یذبح واحداً منهم متی أجاب الله دعوته فلما بلغوا عشرة قال: قد وفی الله تعالی لی فلافین لله عز وجل فأدخل ولده الکعبة وأسهم بینهم فخرج سهم عبد الله.. الخبر.

ابن شهر آشوب فی المناقب: تصور لعبد المطلب أن ذبح الولد أفضل قربة لما علم من حال اسماعیل فنذر أنه متی رزق عشرة أولاد ذکوراً أن ینحر أحدهم فی الکعبة شکراً لربه فلما وجدهم عشرة قال لهم: یا بنی ما تقولون فی نذری فقالوا: الأمر إلیک ونحن بین یدیک..الخبر. انتهی.

بحث فی إیمان عبدالمطلب و روایة أنا ابن الذبیحین

نظراً لاهمیة هذه المسألة وارتباطها بشفاعة النبی وشخصیة أبیه وجده صلی الله علیه وآله.. نستعرضها بشکل موجز، ونبین ظلامة عبد المطلب فی مصادر السنیین:

فقد روت مصادرهم بأسانید صحیحة عن لسان أصدق الصادقین الناطق بإلهام رب العالمین صلی الله علیه وآله، نقاطاً ملفتة فی مدح عبد المطلب، توجب الإعتقاد بأن شخصیته شخصیة ربانیة، وتوجب رفض الروایات التی تعارضها وتتهمه بالشرک وعبادة الأصنام!

فمن هذه الأحادیث:

أنه عندما انهزم المسلمون فی حنین وترکوا نبیهم صلی الله علیه وآله بین سهام الکفار ورماحهم وسیوفهم فی أشد ظروف الخطر، ولم یبق معه إلا ـ الملائکة وعلی وبعض بنی هاشم..ترجل صلی الله علیه وآله للحرب وافتخر علی الکفار بأمرین: نبوته، وأنه ابن عبد المطلب وباهاهم بذلک بین یدی الله تعالی وقاتلهم!

والنبی العادی لا یفتخر بجده وآبائه إذا کانوا کفاراً، فکیف بسید الأنبیاء والمرسلین وأتقی الموحدین صلی الله علیه وآله!

قال البخاری فی صحیحه:۵/۹۸:

عن أبی إسحاق قال سمعت البراء وجاءه رجل فقال: یا أبا عمارة أتولیت یوم حنین! فقال أما أنا فأشهد علی النبی(ص)أنه لم یول ولکن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن وأبو سفیان بن الحرث (بن عبد المطلب) آخذ برأس بغلته البیضاء (وهو) یقول:

أنا النبی لا کذب أنا ابن عبد المطلب

وقال البخاری فی:۳/۲۲۰:

قال: لا والله ما ولی النبی(ص)، ولکن ولی سرعان الناس، فلقیهم هوازن بالنبل، والنبی(ص)علی بغلته البیضاء، وأبو سفیان بن الحر ث آخذ بلجامها، والنبی(ص)یقول:

أنا النبی لا کذب أنا ابن عبد المطلب

وقال فی:۴/۲۸:

فلما غشیه المشرکون نزل فجعل یقول:

أنا النبی لا کذب أنا ابن عبد المطلب

قال: فما رؤی من الناس یومئذ أشد منه! ورواه مسلم فی:۵/۱۶۸ و ۱۶۹

وقال البخاری فی صحیحه:۴/۱۶۱:

باب من انتسب إلی آبائه فی الإسلام والجاهلیة. وقال ابن عمرو وأبو هریرة عن النبی (ص): إن الکریم ابن الکریم ابن الکریم بن الکریم یوسف بن یعقوب بن إسحاق بن إبراهیم خلیل الله. وقال البراء عن النبی (ص): أنا ابن عبد المطلب.

ومن هذه الأحادیث:

ما دل أن الله تعالى جعل فى شريعته الخالدة مالية خاصة لأبناء عبد المطلب إلى يوم القيامة، فحرم عليهم الصدقات لأنها أوساخ الناس، وجعل لهم بـدلها الخمس. وإن شـخصاً يكون فى ذريته أبرار وأخيار بهـذا المسـتوى إلى يوم القيامـة، يسـتبعد أن يكون مشـركاً عابداً للأصنام!

قال النسائى فى سننه:۷/۱۳۴:

عن مجاهـد قال الخمس الـذى لله وللرسول كان للنبى(ص)وقرابته لا يأكلون من الصدقـة شـيئاً... قال الله جل ثناؤه: واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

وقال أبو داود فى سننه:۲/۲۶:

حدثنا حسين بن على العجلى، ثنا وكيع، عن الحسن بن صالح، عن السدى، فى ذى القربى قال: هم بنو عبد المطلب.

وقال النسائى:۵/۱۰۵:

باب استعمال آل النبى(ص)على الصدقـة... أخبرنا عمرو بن سواد بن الأسود بن عمرو عن ابن وهب قال حدثنا يونس عن ابن شـهاب عن عبدالله بن الحرث بن نوفل الهاشـمى أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب أخبره أن أباه ربيعة بن الحرث قال لعبد المطلب بن ربيعـة بن الحرث والفضـل بن العبـاس بن عبـد المطلب ائتيا رسول الله(ص)فقولا له استعملنا يا رسول الله على الصـدقات، فأتى على بن أبى طالب ونحن على تلك الحال فقال لهما: إن رسول الله(ص)لا يسـتعمل منكم أحـداً على الصدقـة، قال عبد المطلب: فانطلقت أنا والفضل حتى أتينا رسول الله(ص)، فقال لنا: إن هذه الصدقة إنما هى أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد!

وفى صحيح مسلم:۳/۱۱۸:

عن النبى صـلى الله عليه وآله قال: إن الصدقـة لاتنبغى لآل محمـد، إنما هى أوساخ الناس... وقال أيضاً: ثم قال رسول الله (ص): أدعوا لى محمية بن جزء، وهو رجل من بنى أسد كان رسول الله(ص)استعمله على الأخماس. انتهى.

ونحوه فى سنن أبى داود:۲/۲۸ ومسند أحمد:۴/۱۶۶ والبيهقى فى سننه:۷/۳۱ ـ وشبهه فى:۶/۳۳۸

وروى إحدى رواياته الحاكم فى المستدرك:۳/۴۸۴وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وروى نحوه فى كنز العمال:۶/۴۵۸ بعدة روايات.

ومعنى قوله ادعوا لى محميـة: أدعوا لى المسؤول عن الأخمـاس التى هى شـرعاً لبنى عبـد المطلب، حتى أعطى هؤلاء منها. وهو يـدل على أن النبى صـلى الله عليه وآله نفذ فى حياته الحكم الشـرعى فى الخمس، وجعل له مسؤولاً هو محمية بن جزء، ولكن ذلك انتهى بوفاته، ولم يبق له أثرٌ عند خلفاء قريش!

وقد يشـكل على هذا التشـريع الإسـلامى: بأنه قد أسـس الطبقية فى المجتمع الإسـلامى، وجعل أسـرة النبى صلى الله عليه وآله من بنى هاشم وعبـد المطلب، أسـرة مميزة اجتماعياً ومالياً، بل ومترفعة على غيرها، فهى لا تأكل من أموال بيت المال التى تتجمع من الزكوات والضرائب لأنها أوساخ الناس، بل لها ماليتها الخاصة فى موارد الدولة.

وقـد اختلف الفقهاء فى موارد مالية بنى عبد المطلب هذه، فحصـرها فقهاء الخلافة القرشـية بغنائم الحرب وجعلوا خمسـها لذوى قربى النبى من بنى هاشم..وعمموها فقهاء الشـيعة لكل مايغنم فى الحرب والكسب، مما زاد على مصارف المسـلم السنوية.. فقد يقال إن هذه الاموال تشكل ميزانية دولة فكيف يجعلها الله تعالى لاسرة النبى صلى الله عليه وآله؟!

والجواب: أولاً، أن الخمس ليس لأغنياء بنى هاشم، بل هو مختص بفقرائهم المؤمنين.

وثانياً، إن الاهتمام بالفقراء من أسـر الأنبياء والنابغين أمر حضارى، فلو أن مجلس العموم البريطانى مثلاً أقرَّ قانوناً بإعطاء أبناء آينشتاين من أموال الدولـة مـا يكفى لمعيشـة فقراءهم، بسـبب أنهم من ذريـة عالم نابغ، ويؤمل أن ينبغ منهم آخرون..لرأى فيه المعترضون على الخمس الإسلامى عملاً عصرياً صحيحاً، واهتماماً جيداً من دولة متحضرة!

فما هو الإشكال فى أن تهتم الشريعة الخاتمة بذرية سيد الأنبياء وأسرته صلى الله عليه وآله وتجعل لهم ميزانية من أزكى الموارد، لمن كان منهم مؤمناً محتاجاً.

وثالثاً، إن الذى يشكل على تشريع الخمس لال النبى صلى الله عليه وآله عليه أن يرجع إلى القرآن ليرى ما هو أعظم من الخمس، فإن نبينا صلى الله عليه وآله هو الوحيد من بين الأنبياء الذى أوجب الله تعالى على أمته إعطاءه أجراً على تبليغ الرسالة، وجعل هذا الأجر: مودة آله فقال (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) ولذا أفتى كل فقهاء المذاهب بنفاق الناصبى الذى يكره آل النبى صلى الله عليه وآله، وأفتى بعضهم بكفره!

إن المتأمل فى آيات القرآن وتاريخ الأديان، لا ـ مفر له من القول بأن الله تعالى من الأصل قد اختار الأنبياء وأسرهم لتبليغ الدين الإلهى، وإقامة الحكم به فى المجتمعات البشرية. فالاسرة المختارة أساسٌ فى نظام الدين الإلهى، ولكنها أسرة مصطفاة من الله العليم بشخصيات عباده، الحكيم فى اختيار أنبيائه وأوليائه.. لا ـ كالاسر التى يختارها الناس بأهوائهم، أو بعلمهم المحدود، أو الأسر التى تتسلط بالقوة وتفرض نفسها على الناس!

قال الله تعالى: إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. آل عمران ۳۳ ـ ۳۴

وقال عن جمهرة أسر الأنبياء:

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ ـ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ. الأنعام: ۸۳ ـ ۸۹

وقال عن دعاء زكريا بالذرية الطيبة:

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. آل عمران: ۳۸

وقال عن ذرية نبينا صلى الله عليه وآله وكثرتهم:

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِىَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ. الرعد: ۳۷ – ۳۸

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ. الكوثر: ۱–۳

وقال عن دعاء الملائكة للذريات المؤمنة:

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. غافر: ۷ ـ ۹

وقال عن نظام الذرية والاسر فى الآخرة أيضاً:

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلوةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ. الرعد: ۲۲–۲۴

مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ

شَيْ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ. الطور: ۲۰ ـ ۲۱ انتهى.

فنظام الأسرة والذرية نظام طبيعى فى بنى آدم، وقد أقره الله تعالى واستفاد منه فى الدين الإلهى.

وإذا كانت البشرية قد عانت الويلات والمآسى وأنواع الظلم والاضطهاد من نظام الاسر الفاسدة المتجبرة.. فإن ذلك يرجع إلى فساد تلك الأسر ولا يصح أن يكون سبباً لرفض بنية الأسرة وفكرتها.. فهذه البنية تختزن إيجابيات كبرى لحمل الرسالة واستمرارها كما أن فيها خطر سلبيات كبرى أيضاً وأن تتحول إلى ملك عضوض.. وقد تحدث القرآن عن الأجيال التى فسدت من أسر الأنبياء وأتباعهم فقال تعالى:

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا. فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا. إلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا. مريم: ۵۸ ـ ۶۰

لكن عندما يختار الله تعالى أسرة كأسرة نبينا صلى الله عليه وآله ويصطفيها فليس معناه أنه يختار كل أفرادها على علاتهم بل معناه أنه يختارها بصورة عامة بسبب علمه بأنه سيوجد منها أفراد معصومون يختارهم لهداية الأمة وقيادتها.

ولو فكرت فيما نقلته الصحاح من قول النبى صلى الله عليه وآله فى حديث الثقلين (ولقد أخبرنى اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) لما وجدت له معنى إلاـ أن الله تعالى أخبر نبيه بأنه سيكون من عترته شخص معصوم يواصل خط نبوته فى كل عصر إلى يوم القيامة! فالاختيار لبنى عبد المطلب كليٌّ عام لانهم معدن النبى صلى الله عليه وآله ومعدن الأئمة من عترته (عليهم السلام) ولأنهم الأفضل بالمقايسة مع غيرهم من الأسر، فهى أقلهم سلبيات وأكثرهم إيجابيات.. وهو اختيار ترافقه تشريعات حازمة شرعها الله تعالى بشأنهم تتلخص بما يلى:

أن المودة والاحترام لجميع بنى هاشم، بشرط الإسلام والإيمان.

أن الخمس لفقرائهم المؤمنين بمقدار كفايتهم وتمشية أمور معيشتهم.

أن وجوب الإطاعة فقط لاولى الأمر المعصومين منهم (عليهم السلام) الذين هم الأئمة الإثنا عشر لاغير.. وقد تقدم فى الفصل الثامن تفسير آية المصطفين الذين أورثهم الله الكتاب بعد نبينا صلى الله عليه وآله، وأنهم محصورون فى ذرية فاطمة الزهراء عليها السلام، وأن الصالحين منهم ثلاثة أنواع: سابق بالخيرات وهم الأئمة (عليهم السلام) ومقتصد وظالم لنفسه.

ومن الأمور الطريفة أن الذين ينتقدون الشيعة لتمسكهم بمودة أهل البيت وولايتهم (عليهم السلام) ويقولون إن مذهب التشيع مذهب أسرى، ينسون أنهم أسريون أكثر منا! فنحن نعتقد أن الخلافة فى هذه الأمة إلى يوم القيامة مخصوصة فى ذرية النبى عملاً بنصه صلى الله عليه وآله..بينما هم يقولون إن النبى صلى الله عليه وآله لم ينص على أحد، وبعضهم يقول إنه على أن الخلافة فى قريش إلى يوم القيامة، لأنهم قبيلة النبى صلى الله عليه وآله.

فنحن أسريون بالنص، وهم قبليون بغير نص، أو بنص!

ونطاق ولائنا نحن لبنى هاشم وعبد المطلب بصورة عامة، ولإثنى عشر إماماً منهم بصورة خاصة.. بينما نطاق ولائهم لبضع وعشرين قبيلة، هم مجموعة قبائل قريش، ومنهم أئمة الشرك، والكفر، والنفاق!

وقد روينا ورووا أن علياً عليه السلام بعد أن فرغ من مراسم تغسيل النبى والصلاة عليه ودفنه صلى الله عليه وآله بلغه أن بعض زعماء قريش ذهبوا إلى السقيفة حيث كان رئيس الأنصار مريضاً، واحتجوا على الأنصار بأنهم قوم النبى صلى الله عليه وآله وعشيرته وأولى منهم بسلطانه! فقال على عليه السلام فيما قال: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة!!

وغرضنا هنا أن نوضح أن جميع المسلمين ماعدا من شذ قد أجمعوا على أن نظام الحكم فى الإسلام بعد النبى صلى الله عليه وآله إما أن يكون أسرياً مخصوصاً بعترته عليهما السلام، أو قبلياً مخصوصاً بقبائل قريش الثلاث والعشرين أو الخمس والعشرين.

فنحن نقول إنه نظامٌ أسرى بالنص واختيار الله تعالى كما قال (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ)، والسنة يقولون إنه نظامٌ قبلى باختيار الناس لكن من داخل قريش، ولا يجب أن يكون الحاكم عندهم من أسرة النبى عليه السلام، بل لعله يستحبون أن يكون من غيرها!

ومن الأحاديث والنصوص الدالة على إيمان عبد المطلب:

ما ثبت فى الحديث والتاريخ من كرامات بل معجزات لعبد المطلب، فى حملة أبرهة لهدم الكعبة تدل على توحيده وإيمانه ويقينه، وعلى أنه كان يعرف أن الله تعالى سيرسل عليهم طيراً أبابيل، وكان يرسل بعص أولاده إلى الجبل لينظروا هل جاء سرب الطيور من قبل البحر!

ورووا كذلك مخاطبته للفيل وجواب الفيل له بالاشارة بأنه لن يدخل إلى محيط الكعبة... إلى آخر ما اتفق عليه المؤرخون والمحدثون مما لا يمكن أن يصدر إلا عن ولى مقرب!

ومن هذه الأحاديث والنصوص:

ما دل على الكرامة التى أكرمه الله بها بأن أعاد نبع زمزم على يده وما رافق ذلك من آيات فقد كان الله تعالى أكرم بهذا النبع جده اسماعيل وأمه هاجر ثم نضب وعفى على مر الزمن حتى أعاده الله تعالى على يد عبد المطلب عن طريق الرؤيا الصادقة التى لا تكون إلا للأنبياء والاوصياء وكبار الأولياء.

ومن هذه الأحاديث والنصوص:

ما دل على معرفته بنبوة حفيده صلى الله عليه وآله، واهتمامه الخاص به ورعايته المميزة له فى طفولته وصباه، وتوصيته به إلى أرشد أبنائه أبى طالب، وإخباره إياه بأمره... إلى آخر ما اتفق عليه المؤرخون والمحدثون، مما لا يمكن أن يصدر إلا عن ولى مقرب!

ومن هذه الأحاديث والنصوص:

ما دل على المكانة الدينية التى كانت لعبد المطلب فى قلوب قبائل العرب وجماهير ها والتى لم يكن لاحد مثلها حتى لرؤساء قبائلهم... كل ذلك مع حسد قريش له وعمل رؤسائها للحط من مكانته خاصة بنو عبد الدار أصحاب لواء قريش الذين قادوا معركة بدر وبنو المغيرة الذين كان يرأسهم أبو جهل وبنو أمية الذين كان يرأسهم صخر.

وقد نصت مصادر التاريخ على هذه المكانة وأن طابعها كان تقديساً دينياً غير وثنى بل مرتبطاً بالكعبة وزمزم وإسماعيل وإبراهيم (عليهم السلام). ويلاحظ ذلك من مواقف عقلاء العرب وأصحاب الاذهان الحرة منهم واحترامهم للنبى صلى الله عليه وآله باعتباره ابن عبدالمطلب لأن عبد المطلب عندهم وارث أمجاد اسماعيل وإبراهيم وبركتهما!

روى النسائى فى سننه:۴/۱۲۴:

عن أبى هريرة قال بينما النبى(ص)مع أصحابه (إذ) جاء رجل من أهل البادية قال: أيكم ابن عبد المطلب

قالوا: هذا الامغر المرتفق. قال حمزة: الامغر الأبيض مشرب حمرة.

فقال: إنى سائلك فمشتد عليك فى المسألة.

قال: سل عما بدا لك.

قال: أسألك بربك ورب من قبلك ورب من بعدك آلله أرسلك.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنشدك به آلله أمرك أن تصلى خمس صلوات فى كل يوم وليلة.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنشدك به آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنشدك به آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من إثنى عشر شهراً.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنشدك به آلله أمرك أن يحج هذا البيت من استطاع إليه سبيلا.

قال: اللهم نعم.

فقال: فإنى آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة. انتهى.

ورواه البخارى مختصراً فى صحيحه:١/٢٣وأبوداود فى سننه:١/١١٧ـ ١١٨ ويفهم من هذا النص أن لعبدالمطلب وأولاده مكانة خاصة فى قلوب المتفكرين من العرب..بل يشير النص التالى فى صحيح البخارى إلى أن أولاد بنى عبد المطلب لهم مميزات نورانية خاصة. ففى:٥/١٤٠: أن على بن أبى طالب (رض)خرج من عند رسول الله(ص)فى وجعه الذى توفى فيه فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله(ص)فقال أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا وإنى والله لارى رسول الله(ص)سوف يتوفى من وجعه هذا إنى لاعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت...!! ورواه البخارى أيضاً فى:٧/١٣٦

ومن هذه الأحاديث والنصوص:

ما دل على العاطفة النبوية الجياشة التى كانت تفيض من قلب نبينا صلى الله عليه وآله على بنى هاشم وبنى عبد المطلب وذريتهما وأحاديث ذلك كثيرة صحيحة مليئة بالدلالات لمن تأملها وجرد ذهنه عن ستار التلقين القرشى ضد عبد المطلب.

قال البخارى فى صحيحه:٢/٢٠٤:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم النبى(ص)مكة استقبله أغيلمة بنى عبد المطلب فحمل واحداً بين يديه وآخر خلفه.. ورواه فى:٧/٦٧

فهل كانت هذه العاطفة النبوية والحفاوة المحمدية بأطفال كافرين! أم بأطفال آباؤهم طلقاء أسلموا لتوهم تحت السيف!

كلا بل كانت عاطفة على غصون شجرة مباركة يحملون إرث أجدادهم الأنبياء والأوصياء، ولم يظهر منهم إلى الآن انحراف عنها!!

وروى البخارى أن النبى صلى الله عليه وآله تعمد فى حجة الوداع أن يوعى الأمة على ظلم قريش للنبوة، ولكل بنى هاشم وعبد المطلب!

قال البخارى فى:٢/١٥٨:

عن أبى هريرة (رض) قال قال النبى(ص)من الغد يوم النحر وهو بمنى: نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر. يعنى بذلك المحصب، وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى عبد المطلب أو بنى المطلب، أن لا ـ يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبى (ص). انتهى.

ثم لاحظ ذلك التعبير النبوى الملى بالعاطفة والحنان والإيمان بنوعية أبناء عبدالمطلب المميزة حيث قال صلى الله عليه وآله كما حديث الكافى الآتى (فما ظنكم يا بنى عبدالمطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة أترونى مؤثراً عليكم غيركم!).

ويؤيده ما رواه ابن شبة فى تاريخ المدينة:٢/٢٦٤ قال:

حدثنا أبوحذيفة قال حدثنا سفيان عن أبيه عن أبى الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء العباس (رض) إلى رسول الله(ص)فقال: إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذى صنعت! فقال رسول الله (ص): لن يبلغوا الخير أو قال الإيمان حتى يحبوكم لله ولقرابتى أيرجو سؤلهم شفاعتى عن مراد ولا يرجو بنو عبد المطلب شفاعتى انتهى. وروى نحوه غيره.

ومن هذه الأحاديث:

ما دل على أن أولاده سادة أهل الجنة هم بنو عبد المطلب السبعة من بنى عبدالمطلب! فقد روى ابن ماجة فى سننه:٢/١٣٦٨: حدثنا هدية بن عبدالوهاب ثنا سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن على بن زياد اليمامى عن عكرمة بن عمار عن إسحاق بن عبدالله بن أبى

طلحة عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله(ص)يقول: نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى. انتهى. وهو حديث صحيح عند إخواننا السنة وقد أورنا مصادره وطرقه العديدة فى معجم أحاديث الإمام المهدى عليه السلام فزادت على مئة مصدر. وصحح العديد منها علماء الجرح والتعديل.

إن المجموعة الواحدة من هذه النصوص تكفى الباحث السوى الذهن، لأن يعيد النظر فى الأحكام التى أصدرتها الخلافة القرشية وفقهاؤها على عبد المطلب..! فكيف بهذه المجموعات الثمانية مجتمعة، ومثلها معها!

وإذا أنهار البناء القرشئ ضد عبد المطلب، انهارت الجدران القرشية الأخرى وانكشفت محاصرتهم الجديدة لبنى هاشم وبنى عبد المطلب..التى أحكموها أكثر من محاصرتهم لهم فى شعب أبى طالب، لانهم فعلوها هذه المرة باسم الإسلام فطالت قروناً، وعمت أجيالاً، إلا من رحم ربك من أصحاب البصائر!

عبدالمطلب علیه سیماء الأنبیاء و بهاء الملوک

اتفقت أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) على أن عبد المطلب رضوان الله عليه مؤمن بالله الواحد الاحد على ملة جده إبراهيم ولى من أولياء الله ملهم بواسطة الملائكة والرؤية الصادقة.. بل يحتمل الناظر فى هذه الأحاديث أن عبد المطلب كان من الأنبياء وأنه كان مأموراً أن يعبد ربه على دين إبراهيم ويأمر أولاده بذلك.

وقد روت ذلك مصادرنا وبعض مصادر السنيين قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۹۸: وأخرج ابن أبى عمر العدنى فى مسنده والبزار وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن مجاهد فى قوله: وتقلبك فى الساجدين قال: من نبى إلى نبى حتى أخرجت نبياً. انتهى.

قال المجلسى فى بحار الأنوار:۳۱/۱۵۵:

روى عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: يبعث الله عبد المطلب يوم القيامة وعليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك.

وروى الكلينى فى الكافى:۴/۵۸:

عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبدالجبار ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعاً عن صفوان بن يحيى عن عيص بن القاسم عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن أناساً من بنى هاشم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشئ وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذى جعله الله للعاملين عليها فنحن أولى به فقال رسول صلى الله عليه وآله الله: يا بنى عبد المطلب إن الصدقة لا تحل لى ولا لكم ولكنى قد وعدت الشفاعة ـ ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: والله لقد وعدها ـ فما ظنكم يا بنى عبد المطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة أترونى مؤثرا عليكم غيركم!

ثم قال: إن الجن والإنس يجلسون يوم القيمة فى صعيد واحد فإذا طال بهم الموقف طلبوا الشفاعة فيقولون: إلى من فيأتون نوحا فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قد رفعت حاجتى فيقولون إلى من فيقال: إلى إبراهيم فيأتون إلى إبراهيم فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قد رفعت حاجتى فيقولون إلى من فيقال: إيتوا موسى فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قد رفعت حاجتى فيقولون: إلى من فيقال: إيتوا عيسى فيأتونه ويسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قد رفعت حاجتى فيقولون: إلى من فيقال إيتوا محمداً فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقوم مدلاً حتى يأتى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب ثم يقرعه فيقال: من هذا؟ فيقول: أحمد فيرحبون ويفتحون الباب فإذا نظر إلى الجنة خر ساجداً يمجد ربه ويعظمه فيأتيه ملك فيقول: إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيرفع رأسه فيدخل من باب الجنة فيخر ساجداً ويمجد ربه ويعظمه فيأتيه ملك فيقول: إرفع رأسك وسل تعط وأشفع تشفع فيقوم فما يسأل شيئاً إلا أعطاه إياه. ورواه فى تهذيب الأحكام:۴/۵۸ وتفسير العياشى:۲/۹۳ وتفسير نور الثقلين:۲/۲۳۵ ووسائل الشيعة:۶/۱۸۵ ومستدرك الوسائل:۷/۱۱۹ وتفسير نور الثقلين: ۳/۲۱۰

هـذا وقـد تكفلت مصادر الحـديث والتفسـير عنـدنا بإثبات إيمان عبـد المطلب وجميع آباء النبى صـلى الله عليه وآله، وقـد وافقنا على ذلک عدد من العلماء السنيين منهم السيوطى والفخر الرازى والشعرانى.. وغيرهم.

آراء شيعية مخالفة للمشهور في الذبيحين

رأى الشيخ الصدوق بأن إسحاق ذبيح أيضا

من لا يحضره الفقيه: ۲/۲۳۰: وسئل الصادق عليه السلام عن الذبيح من كان فقال: إسماعيل عليه السلام لأن الله عز وجل ذكر قصته فى كتابه ثم قال: وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين.

وقد اختلفت الروايات فى الذبيح فمنها ما ورد بأنه إسـماعيل ومنها ما ورد بأنه إسـحاق ولا سبيل إلى رد الأخبار متى صح طرقها وكان الذبيـح إسـماعيل لكن إسـحاق لما ولـد بعـد ذلک تمنى أن يكون هو الـذى أمر أبوه بـذبحه وكان يصبر لأمر الله عز وجل ويسـلم له كصبر أخيه وتسليمه فينال بذلک درجته فى الثواب فعلم الله عز وجل ذلک من قبله فسماه بين ملائكته ذبيحاً لتمنيه لذلک وقد ذكرت إسناد ذلک فى كتاب النبوة متصلاً بالصادق عليه السلام. انتهى.

وقال الجزائرى فى هامش تفسير القمى: ۱/۳۵۱:

قال جدى السـيد الجزائرى رحمه الله فى قصـص الأنبياء: اختلف علماء الإسـلام فى تعيين الذبيح هل هو إسـماعيل أو إسـحاق فذهبت الطائفة المحقة من أصـحابنا وجماعة من العامة إلى أنه اسماعيل والأخبار الصحيحة دالة عليه مع دلالة غيرها من الآيات ودلائل العقل. وذهبت طائفة من الجمهور إلى أنه إسحاق وبه أخبار واردة من الطرفين وطريق تأويلها إما أن تحمل على التقية وأما حملها على ما قاله الصدوق صار ذبيحاً بالنية والتمنى... حمل رحمه الله قول النبى صلى الله عليه وآله (أنا ابن الذبيحين) على ذلک.

أقول: إن بعض الروايات المعتبرة كرواية هذا التفسـير وغيره آب عن الحمل فإنها مصـرحة بذبح إسـحاق حقيقة لا مجازاً وفداه بكبش فعليه لا مجال إلى ما ذهب إليه الصدوق رحمه الله من الحمل فإما أن تحمل هذه الروايات كما قال جدى رحمه الله على التقية أو على تعدد الواقعة. انتهى.

ملاحظة: إن الشـيخ الصدوق رحمه الله صـحت عنده رواية أن الذبيح هو إسماعيل ورواية أنه إسحاق بالمجاز وصحت عنده رواية نذر عبد المطلب ذبح ولده عبد الله وقول النبى صلى الله عليه وآله (أنا ابن الذبيحين) ففسره بأنه ابن الذبيحين من وجهين: أى من جهة عبد الله واسـماعيل ومن جهـة اسـماعيل وإسـحاق. وقـد صـرح بذلک فى آخر كلامه فى الخصال. ولكن كلامه جاء متداخلاً فالتبس الأمر على الجزائرى وعلى الغفارى وتصوراً أنه يفسره بالوجه الثانى فقط ويرفض الوجه الأول!

وروايته التى استند عليهـا فى أن إسـحاق ذبيـح مجازى روايـة عاميـة من نوع روايات معاصـره الحاكم النيسابورى. ولو صـحت لتعين ترجيـح الموافق لمذهب أهل البيت (عليهم السـلام) على الموافق لليهود والنواصب. أو حملها كما ذكر السـيد الجزائرى على التقية من الحكام خاصة أن المسألة كانت مطروحة فى دار الخلافة فى المدينة وفى قصور الخلافة فى الشام كما رأيت من رواياتها.

محاولة أحد المعاصرين تفسير الذبيحين بإسماعيل و إسحاق

من لا يحضره الفقيه: ۳/۸۹:

روى حمـاد بن عيسـى عمن أخـبره عن حريز عن أبى جعفر عليه السـلام قـال: أول من سـوهم عليه مريم بنت عمران وهـو قـول الله عز وجل: وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ والسـهام سـتة ثم استهموا فى يونس عليه السلام لما ركب مع القوم فوقعت السـفينة فى اللجة فاسـتهموا فوقع السهم على يونس ثلاث مرات قال: فمضى يونس عليه السلام إلى صدر السفينة فإذا الحوت فاتح فاه

فرمی نفسه.

ثم کان عند عبد المطلب تسعة بنین فنذر فی العاشر إن رزقه الله غلاماً أن یذبحه فلما ولد عبد الله لم یکن یقدر أن یذبحه ورسول الله صلی الله علیه وآله فی صلبه فجاء بعشر من الإبل فساهم علیها وعلی عبد الله فخرجت السهام علی عبد الله فزاد عشراً فلم تزل السهام تخرج علی عبد الله ویزید عشراً فلما أن خرجت مائة خرجت السهام علی الإبل فقال عبد المطلب: ما أنصفت ربی فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت علی الإبل فقال: الان علمت أن ربی قد رضی فنحرها. انتهی.

وقال الأستاذ علی أکبر غفاری فی تعلیقه علی هذا الحدیث:

جاءت هذه القصة فی کثیر من کتب الحدیث من الطریقین، واشتهرت بین الناس وأرسلها جماعة من المؤلفین إرسال المسلمات، ونقلوها فی مصنفاتهم دون أی نکیر، وهی کما تری تضمنت أمراً غریباً بل منکراً لا یجوز أن ینسب إلی أحد من أوساط الناس والسذج منهم، فضلاً عن مثل عبدالمطلب الذی کان من الأصفیاء وهو فی العقل والکیاسة والفطنة علی حد یکاد أن لا یدانیه أحد من معاصریه، وقد یفتخر النبی صلی الله علیه وآله مع مقامه السامی بکونه من أحفاده وذراریه ویباهی به القوم ویقول:

أنا النبی لا کَذِبْ أنا ابن عبد المطلب

وفی الکافی روایات تدل علی عظمته وجلالته وکمال إیمانه وعقله ودرایته ورئاسته فی قومه، ففی المجلد الأول منه/۴۴۶ فی الصحیح عن زرارة عن أبی عبد الله علیه السلام قال: یحشر عبد المطلب یوم القیامة أمة وحده، علیه سیماء الأنبیاء وهیبة الملوک. یعنی إذا حشر الناس فوجاً فوجاً یحشر هو وحده، لأنه کان فی زمانه منفرداً بدین الحق من بین قومه، کما قاله العلامة المجلسی رحمه الله. وفی حدیث آخر رواه الکلینی أیضاً مسنداً عن الصادق علیه السلام قال: یبعث عبد المطلب أمة وحده علیه بهاء الملوک وسیماء الأنبیاء، وذلک أنه أول من قال بالبداء.

وفی الحسن کالصحیح عن رفاعة عن أبی عبد الله علیها السلام قال: کان عبدالمطلب یفرش له بفناء الکعبة لا یفرش لاحد غیره، وکان له ولد یقومون علی رأسه فیمنعون من دنا منه... إلی أمثالها الکثیر الطیب کلها تدل علی کمال إیمانه وعقله وحصافة رأیه..وإن أردت أن تحیط بذلک خبراً فانظر إلی تاریخ الیعقوبی المتوفی فی أواخر القرن الثالث، وما ذکر من سننه التی سنها وجاء بها الإسلام مثل تحریمه الخمر، والزنا، ووضع الحد علیه، وقطع ید السارق، ونفی ذوات الرایات، ونهیه عن قتل المؤودة، ونکاح المحارم، وإتیان البیوت من ظهورها، وطواف البیت عریاناً وحکمه بوجوب الوفاء بالنذر، وتعظیم الأشهر الحرم، وبالمباهلة بمائة إبل فی الدیة. ثم تأمل کیفیة سلوکه مع أبرهة صاحب الفیل فی تلک الغائلة المهلکة المهدمة، کیف حفظ بحسن تدبیره وسدید رأیه قومه ودماءهم وأموالهم من الدمار والبوار، دون أی مؤونة، وقال: أنا رب الإبل ولهذا البیت رب یمنعه، مع أن الواقعة موحشة بحیث تضطرب فی أمثالها قلوب أکثر السائسین.

فإذا کان الأمر کذلک فکیف یصح أن یقال: إنه نذر أن یذبح سلیله وثمرة مهجته وقرة عینه قربة إلی الله سبحانه، وأن یتقرب بفعل منهی عنه فی جمیع الشرایع، والقتل من أشنع الأمور وأقبحها، والعقل مستقل بقبحه بل یعده من أعظم الجنایات، مضافاً إلی کل ذلک أن النذر بذبح الولد قرباناً للمعبود من سنن الوثنیین والصابئین، وقد ذکره الله تعالی فی جملة ما شنع به علی المشرکین، وقال فی کتابه العزیز بعد نقل جمل من بدعهم ومفتریاتهم: وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ. الأنعام: ۱۳۷

وهذا غیر مسألة الوأد المعروف الذی کان بنو تمیم من العرب یعلمون به، فإن المفهوم من ظاهر لفظ الأولاد أعم من المذکور منهم والبنات، والوأد مخصوص بالبنات، وأیضاً غیر قتلهم أولادهم من إملاق أو خشیته، بل هو عنوان آخر یفعلونه علی سبیل التقرب إلی الإلهة.

فإن قیل: لعله کان مأموراً من جانب الله سبحانه کما کان جده إبراهیم علیه السلام مأموراً؟ قلنا: هذا التوجیه مخالف لظاهر الروایات،

فإنه صرح فی جمیعها بأنه نـذر مضافاً إلی أنه لو کان مأموراً فلا محیص له عنه ویجب علیه أن یفعله کما أمر، فکیف فـداه بالابل ولم لم یقل فی جواب من منعه کما فی الروایات: إنی مأمور بذلک.

وبالجملـة فی طرق هـذه القصـة وما شاکلها مثل خبر (أنا ابن الذبیحین) رواه جماعة کانوا ضـعفاء أو مجهولین أو مهملین، أو علی غیر مـذهبنا مثل أحمد بن سـعید الهمدانی المعروف بابن عقدة، وهو زیدی جارودی أو أحمد بن الحسن القطان، وهو شـیخ من أصـحاب الحـدیث عامی ویروی عنه المؤلف فی کتبه بدون أن یردفه بالترضـیة،مع أن دأبه أن یتبع مشایخه بها إن کانوا إمامیة، وکذا محمد بن جعفر بن بطـة الذی ضـعفه ابن الولید وقال: کان مخلطاً فیما یسـنده، وهکذا عبد الله بن داهر الأحمری وهو ضـعیف کما فی الخلاصـة والنجاشـی، وأبو قتـادة ووکیع بن الجراح وهمـا من رجال العامـة ورواتهم ولا یحتـج بحـدیثهم إذا کان مخالفاً لاصول المـذهب، وإن کانوا یسندون خبرهم إلی أئمة أهل البیت (علیهم السلام).

وإنک إذا تتبعت أسانیـد هـذه القصـة وما شابهها ما شـککت فی أنها من مفتعلات القصاصـین ومخترعاتهم نقلها المحدثون من العامة لجرح عبد المطلب ونسبة الشرک والعیاذ بالله إلیه، رغماً للامامیة حیث أنهم نزهوا آباء النبی صلی الله علیه وآله عن دنس الشرک.

ویؤیـد ذلـک أن کثیراً من قـدماء مفسـریهم کالزمخشـری والفخر الرازی والنیشابوری وأضـرابهم، والمتأخرین کالمراغی وسـید قطب وزمرة کبیرة منهم، نقلوا هـذه القصـة أو أشاروا إلیها عنـد تفسـیر قوله تعالی: وَکَذَلِکَ زَیَّنَ لِکَثِیرٍ مِنَ الْمُشْرِکِینَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ، وجعلوا عبد المطلب مصداقاً للایة انتصاراً لمذهبهم الباطل فی اعتقاد الشرک فی آباء النبی صلی الله علیه وآله وأجداده.

قال العلامـة المجلسـی رحمه الله: اتفقت الإمامیـة رضوان الله علیهم علی أن والـدی الرسول صـلی الله علیه وآله وکل أجداده إلی آدم علیه السـلام کـانوا مسـلمین بـل کـانوا من الصـدیقین إمـا أنبیاء مرسـلین أو أوصـیاء معصومین ثم نقل عن الفخر الرازی أنه قال: قالت الشـیعة إن أحـداً من آبـاء الرسول صـلی الله علیه وآله وأجـداده مـا کـان کافراً. ثم قال: نقلت ذلک عن إمامهم الرازی لیعلم أن اتفاق الشیعة علی ذلک کان معلوماً بحیث اشتهر بین المخالفین.

وإن قیل: لا ملازمة بین هذا النذر وبین الشرک، ویمکن أن یقال إن نذر عبدالمطلب کان لله، وأما المشرکون فنذروا لالهتهم.

قلت: ظاهر الآیة أن النذر بذبح الولد من سـنن المشـرکین دون الموحدین، فالناذر إما مشـرک أو تابع لسنن الشرک وجلَّت ساحة عبد المطلب أن یکون مشـرکاً والعیاذ بالله أو تابعاً لسـنن المشـرکین، والإصـرار بتصحیح أمثال هذه القصص مع نکارتها کثیراً ما یکون من الغفلة عما جنته ید الإفتعال.

ثم اعلم أن المصـنف رضوان الله تعـالی علیه لم یحتـج بهـذا الخبر فی حکم من الأحکـام، إنمـا أورده فی هـذا الکتـاب طرداً للبـاب، ویکون مراده جواز القرعة فقط وهو ظاهر من الخبر. انتهی.

ثم کرر الاستاذ الغفاری رأیه فی:۴/۳۶۸ فقال:

قال المصـنف رحمه الله فی الخصال (۲۷/ باب الإثنین) قـد اختلفت الروایات فی الذبیـح، فمنها ما ورد بأنه اسـماعیل لکن اسـحاق لما ولـد بعـد ذلک تمنی أن یکون هو الـذی أمر أبوه بذبحه فکان یصبر لأمر الله ویسـلم له کصبر أخیه وتسـلیمه، فینال بذلک درجته فی الثواب، فعلم الله عز وجل ذلک من قلبه فسماه بین الملائکة ذبیحاً، لتمنیه لذلک. انتهی.

أقول: علی هذا فالمراد بالذبیحین إسماعیل وإسحاق: أحدهما ذبیح بالحقیقة والآخر ذبیح بالمجاز، مع أن کلیهما لم یذبحا بعد. وتقدم فیه کلام: ۳/۸۹ والإشـکال بأن إسحاق کان عما له دون أب ممنوع لأن إطلاق الاب علی العم شایع، وفی روایة سلیمان بن مهران عن الصادق علیه السـلام فی قول النبی صـلی الله علیه وآله: أنا ابن الـذبیحین یریـد بـذلک العم، لأن قد سـماه الله عز وجل أبا فی قوله: أَمْ کُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ یَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِیهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَکَ وَإِلَهَ آبَائِکَ إِبْرَاهِیمَ وَإِسْمَاعِیلَ وَإِسْحَاقَ. وکان اسـماعیل عم یعقوب فسـماه الله فی هـذه الموضع أباً، وقـد قال النبی صـلی الله علیه وآله: العم والـد. فعلی هذا الأصل أیضاً یطرد قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین أحدهما ذبیح بالحقیقة والآخر ذبیح بالمجاز. انتهی.

والجواب على ما ذكره الأستاذ الغفارى:

أولًا: أن الرواية التى استدل بها الصدوق على أن اسحاق ذبيحٌ أيضاً مجازاً، عامية ضعيفة، وقد ضعف سندها الأستاذ الغفارى نفسه من حيث لايدرى كما سترى!

ثم إن إطلاق العم على الأب فى اللغة وإن كان أمراً شائعاً، ولكن لا ـ ينطبق على قول القائل (أنا ابن فلان) مفتخراً أو مباهياً، لأن المتبادر منه الإفتخار بعمود نسبه من آبائه وأن منهم ذبيحين قربانين لله تعالى، لا من أعمامه، وإلا لقال: أنا من قوم فيهم ذبيحان أو من آل إبراهيم آل الذبيحين.

كما أن إطلاق اسم الذبيح المجازى على إسحاق أيضاً ضعيف لغةً، لأن كلمة (الذبيح) لا تصدق إلا على من قصدوا ذبحه لله تعالى قصداً عملياً حقيقياً ورضى به، ولو كان يكفى لإطلاقها مجازاً أن الشخص قد أحب ذلك ونواه كما فى إسحاق، لصح أن تطلق على كل آباء النبى أو جلهم، بل على كثير من المؤمنين، لأن أكثر الأنبياء والاوصياء والمؤمنين يحبون مقام إسماعيل وينوون أن لو كانوا مكانه لقبلوا بما قبل به.

فارتكاب المجاز فى معنى الإبن وجعله العم، ثم ارتكاب المجاز فى الذبيح وجعله من يحب أن يكون ذبيحاً.. خلاف الظاهر جداً، وهو يكاد يفرغ الكلمة من هدفها بل من معناها!

ثانياً: لعل الغفارى لم يطلع على تاريخ القربان لله تعالى فى الشرائع الإلهية السابقة، فقد كان عامة الناس يقدمون قرابين من الانعام، وكان من المشروع أن يقدم كبار المؤمنين أحد أولاده قرباناً لله تعالى، وعلى أساسه كان منام إبراهيم صلى الله عليه وآله.. ولم يثبت نسخ هذا التشريع قبل الإسلام.

فالمشركون لم يخترعوا القربان لأوثانهم، وإنما أخذوه من الأديان وجعلوه لآلهتهم المزعومة بدل الله تعالى. وما عابه الله تعالى عليهم من قتلهم أولادهم وتقديمهم إياهم قرابين لآلهتهم، إنما عاب فيه شركهم وتقربهم للأوثان.

ثالثاً: إن وجود عبد المطلب فى مجتمع وثنى يتقرب إلى الأصنام بالقرابين وقد يذبح أحدهم ولده قرباناً لصنمه.. وإعلان عبد المطلب أنه على ملة أبيه إبراهيم صلى الله عليه وآله، وإحيائه عدداً من سننها، وما جرى فى عهده من حفظ الله تعالى لكعبة إبراهيم فى حادثة الفيل، وإعادة ماء زمزم المفقود على يده... كل ذلك يساعد على فهم نذر عبد المطلب أنه إذا رزقه الله عشرة أولاد أن يذبح أحدهم قرباناً لله تعالى على ملة إبراهيم، ويجعل هذا النذر أمراً طبيعياً مشروعاً فى ذلك الوقت، بل دعوةً لعَبَدَة الأصنام أن يعبدوا رب البيت رب إبراهيم، ويقدموا له قرابينهم، ولا يقدموها لأصنامهم.

أما لماذا نذر عبد المطلب ذلك، ولماذا عزم على تنفيذ نذره جدياً فشاور أولاده فأطاعوه، وأقرع بينهم فرست القرعة على عبدالله، وقال لأبيه كما قال إسماعيل.. ثم كيف تحلل من عبد المطلب من نذره بطريقة القرعة بين ذبح ولده أو نحر الإبل.. فهى إشكالات واردة. وجوابها: أنها واردة على شريعتنا لا ـ على شريعة إبراهيم وعبد المطلب. وهى واردة عندنا لعدم معرفتنا بتفاصيل الحادث وبالمستند الشرعى الذى استند عليه عبد المطلب فى نذره وطريقة وفائه به.

ولكن معرفتنا بشخصية عبد المطلب وإيمانه العميق، تكفى للقول بأنه لم يكن يقدم على نذره ثم على التحلل منه بالقرعة إلا بحجة بينة من ربه تعالى.

ويكفينا لإثبات هذه الصفة فى شخصيته، حادثتا زمزم والفيل حيث ظهر للناس على نحو اليقين أنه كان يتلقى أوامره من ربه عز وجل! فما المانع أن تكون قصة نذر ولده من هذه الإلهامات، خاصة أن الولد الذى رست عليه القرعة هو والد النبى صلى الله عليه وآله الذى أعطاه الله تعالى ما أعطى جده إسماعيل من شرف الرضا بأن يذبحه أبوه قرباناً لله تعالى، ثم فداه الله بطريقة ألهمها لأبيه ليعطيه شرف أبوة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله.

هذا، وقد روى الدكتور شوقى ضيف فى تاريخ الأدب العربى/۴۱ ط دار المعارف المصرية، أن المنذر بن ماء السماء ملك المناذرة

المعاصر لعبد المطلب، والذی کان أعظم ملک وثنی فی العرب، قد أسر ابن الحارث بن شمر ملک الغساسنة النصرانی فی حربه معه، فذبحه قرباناً للعزی!!

فلعل نذر عبد المطلب أن یذبح واحداً من أولاده لرب البیت سبحانه، کان تعزیزاً لدین ابراهیم، ورداً علی عمل المنذر، وإبطالاً لتأثیر عمله فی تعزیز مکانة صنم العزی!

وأخیراً، فإن نذر عبد المطلب رضوان الله علیه لم یکن ارتجالاً ـ بل امتد وقته طویلاً ـ فقد ذکرت الروایات أنه کان فی أیام رؤیته الصادقة فی حفر زمزم، وکان له ولدٌ واحدٌ، فنذر إن رزقه الله عشرة أولاد وکبروا أن یذبح واحداً منهم قرباناً لله تعالی.. وقد یکون نذره تحقق بعد عشرین سنة أو ثلاثین!

رابعاً: إن خصوم عبد المطلب أحرص الناس علی أن یجدوا له مذمة أو منقصة، وقد رأیت فی روایة الحاکم المتقدمة أن معاویة ذکر نذر عبد المطلب، وأنه کان نذراً لله تعالی مرتبطاً بأمر الله له بحفر زمزم (قال إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ینحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بینهم فخرج السهم لعبد الله، فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بنی مخزوم وقالوا: أرضِ ربک وافدِ ابنک).

فقد کان الأمر بحفر زمزم أمراً من الله تعالی وقد انکشفت صحته.. وهذا یقرب أن یکون النذر لله تعالی بأمره سبحانه، ویشیر إلیه أن عبد المطلب أخذ أولاده العشرة إلی داخل الکعبة وأقرع بینهم فخرجت القرعة علی عبد الله ورضی عبد الله بها واستعد للذبح مختاراً، وقرر عبد المطلب تنفیذ ذلک کما قرر جده إبراهیم..ولکن أسرته ومحبیه من قریش وأخوال عبد الله طلبوا منه أن یرضی ربه بفدائه، فتریث عبد المطلب یومه حتی أمره الله بطریقته التی کان یتلقی بها أن یقرع بین عبد الله وبین فدائه من الإبل، ویزید فی عدد الفداء حتی تخرج القرعة علیه فیفدیه به.

إنه لو کان فی عمل عبد المطلب منقصة لشنعوا بها علیه، ولکنها کرامة زادت من مکانته فی حیاته، وذکرت له باحترام وإجلال حتی من أعدائه بعد وفاته.

بل زادت من تفکیر الناس الوثنیین بإله إبراهیم وعبد المطلب، وهیأتهم للدعوة إلی عبادته بدل أصنامهم.

خامساً: لقد وقع الغفاری فی اشتباهین کبیرین: أولهما أنه جعل سند روایة الذبیح المجازی لروایة نذر عبد المطلب وضعفها بسببه! فإن ابن داهر وأبا قتادة ووکیع لم یردوا فی سند روایة النذر عن الإمام الرضا علیه السلام، بل وردوا فی روایة أن الذبیح المجازی إسحاق! وقد التبس الأمر علیه لأن الصدوق ذکر مضمونها قبل سندها، فیکون الأستاذ الغفاری قد ضعف دلیله متصوراً أنه ضعف روایة نذر عبد المطلب! ولیس فی روایة النذر ممن ضعفهم الغفاری إلا ـ القطان الذی قال فیه (ویروی عنه المؤلف فی کتبه بدون أن یردفه بالترضیة) فإن کان هذا مستنده فی التضعیف فقد قال فی طرائف المقال/۱۵۵ عن القطان هذا (کثیراً ما یروی عنه الصدوق مترضیاً)!

ولو سلمنا ضعفه، فإن روایته المعتضدة بالشهرة التی سنذکر طرفاً منها والمخالفة للیهود والخط القرشی المعادی لعبد المطلب، والمؤیدة بتصحیح عدد من العلماء منهم الصدوق.. لهی جدیرة بالقبول.

والإشتباه الثانی الذی وقع فیه الاستاذ الغفاری أنه حسب أن روایة الإمام الصادق علیه السلام تتعلق بإطلاق الاب علی العم وترتبط بموضوع الذبیحین، مع أنها لا علاقة لها بالعم والأب، وإنما استشهد الصدوق علی ذلک بالآیة وبقول النبی صلی الله علیه وآله: العم أب. ویتضح الأمر من ملاحظة النص بتمامه وهو فی الخصال للصدوق کما یلی:

قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعید الکوفی قال: حدثنا علی بن الحسن بن علی بن فضال عن أبیه قال: سألت أبا الحسن علی بن موسی الرضا (علیهما السلام) عن معنی قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین قال: یعنی إسماعیل بن إبراهیم الخلیل (علیهما السلام) وعبد الله بن عبد المطلب. أما إسماعیل فهو الغلام الحلیم الذی بشر الله به إبراهیم: فلما بلغ معه السعی قال یا بنی إنی أری فی المنام أنی أذبحک فانظر ماذا تری قال یا أبت

افعل ما تؤمر (ولم یقل له یا أبت افعل ما رأیت) ستجدنی إن شاء الله من الصابرین فلما عزم علی ذبحه فداه الله بذبح عظیم بكبش أملح یأكل فی سواد ویشرب فی سواد وینظر فی سواد ویمشی فی سواد ویبول ویبعر فی سواد وكان یرتع قبل ذلك فی ریاض الجنة أربعین عاماً وما خرج من رحم أنثی وإنما قال الله عز وجل له كن فكان لیفدی به إسماعیل فكل ما یذبح بمنی فهو فدیة لإسماعیل إلی یوم القیامة فهذا أحد الذبیحین.

وأما الآخر فإن عبد المطلب كان تعلق بحلقة باب الكعبة ودعا الله عز وجل أن یرزقه عشرة بنین ونذر لله عز وجل أن یذبح واحداً منهم متی أجاب الله دعوته فلما بلغوا عشرة أولاد قال: قد وفی الله لی فلافین لله عز وجل فأدخل ولده الكعبة وأسهم بینهم فخرج سهم عبد الله أبی رسول الله صلی الله علیه وآله وكان أحب ولده إلیه ثم أجالها ثانیة فخرج سهم عبد الله ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبد الله فأخذه وحبسه وعزم علی ذبحه فاجتمعت قریش ومنعته من ذلك واجتمع نساء عبدالمطلب یبكین ویصحن فقالت له ابنته عاتكة: یا أبتاه أعذر فیما بینك وبین الله عز وجل فی قتل ابنك: قال: فكیف أعذر یا بنیة فإنك مباركة قالت: إعمد إلی تلك السوائم التی لك فی الحرم فاضرب بالقداح علی ابنك وعلی الإبل وأعط ربك حتی یرضی. فبعث عبدالمطلب إلی إبله فأحضرها وعزل منها عشراً وضرب السهام فخرج سهم عبد الله فما زال یزید عشراً عشراً حتی بلغت مائة فضرب فخرج السهم علی الإبل فكبرت قریش تكبیرة ارتجت لها جبال تهامة فقال عبد المطلب لا حتی أضرب بالقداح ثلاث مرات فضرب ثلاثاً كل ذلك یخرج السهم علی الإبل فلما كان فی الثالث اجتذبه الزبیر وأبو طالب وإخوانه من تحت رجلیه فحملوه وقد انسلخت جلدة خده الذی كان علی الأرض وأقبلوا یرفعونه ویقبلونه ویمسحون عنه التراب وأمر عبدالمطلب أن تنحر الابل بالحسرة ولا یمنع أحد منها وكانت مائة.

وكانت لعبد المطلب خمس سنن أجراها الله عز وجل فی الإسلام: حرم نساء الآباء علی الأبناء وسن الدیة فی القتل مائة من الإبل وكان یطوف بالبیت سبعة أشواط ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وسمی زمزم لما حفرها سقایة الحاج ولولا أن عبد المطلب كان حجة وأن عزمه علی ذبح ابنه عبد الله شبیه بعزم إبراهیم علی ذبح ابنه إسماعیل لما افتخر النبی صلی الله علیه وآله بالإنتساب إلیهما لأجل أنهما الذبیحان فی قوله علیه السلام: أنا ابن الذبیحین.

والعلة التی من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعیل هی العلة التی من أجلها رفع الذبح عن عبد الله وهی كون النبی صلی الله علیه وآله والأئمة (علیهم السلام) فی صلبهما فببركة النبی والأئمة صلی الله علیه وآله رفع الله الذبح عنهما فلم تجر السنة فی الناس بقتل أولادهم ولولا ذلك لوجب علی الناس كل أضحی التقرب إلی الله تعالی ذكره بقتل أولادهم وكل ما یتقرب الناس به إلی الله عز وجل من أضحیة فهو فداء لإسماعیل إلی یوم القیامة.

قال مصنف هذا الكتاب أدام الله عزه: قد اختلف الروایات فی الذبیح فمنها ما ورد بأنه إسماعیل ومنها ما ورد بأنه إسحاق ولا سبیل إلی رد الأخبار متی صح طرقها وكان الذبیح إسماعیل لكن إسحاق لما ولد بعد ذلك تمنی أن یكون هو الذی أمر أبوه بذبحه فكان یصبر لأمر الله ویسلم له كصبر أخیه وتسلیمه فینال بذلك درجته فی الثواب فعلم الله عز وجل ذلك من قلبه فسماه الله عز وجل بین ملائكته ذبیحاً لتمنیه لذلك. وحدثنا بذلك محمد بن علی البشاری القزوینی (رض) قال: حدثنا المظفر بن أحمد القزوینی قال: حدثنا محمد بن جعفر الكوفی الأسدی عن محمد بن إسماعیل البرمكی عن عبدالله بن داهر عن أبی قتادة الحرانی عن وكیع بن الجراح عن سلیمان بن مهران عن أبی عبدالله الصادق جعفر بن محمد (علیهما السلام).

وقول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین یرید بذلك العم لأن العم قد سماه الله عز وجل أبا فی قوله أم كنتم شهداء إذ حضر یعقوب الموت إذ قال لبنیه ما تعبدون من بعدی قالوا نعبد إلهك وآله آبائك إبراهیم وإسماعیل وإسحاق. وكان إسماعیل عم یعقوب فسماه الله فی هذا الموضع أبا وقد قال النبی صلی الله علیه وآله: العم والد.

فعلی هذا الأصل أیضاً یطرد قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین أحدهما ذبیح بالحقیقة والاخر ذبیح بالمجاز واستحقاق الثواب علی النیة والتمنی فالنبی صلی الله علیه وآله هو ابن الذبیحین من وجهین علی ما ذكرناه. انتهی.

وأورده فى البحار:۱۲/۲۲ عن العيون والخصال.

وفى هـذا النص أمور متعـددة تكفى للرد على رأى الاسـتاذ الغفارى حفظه الله فى إنكار قصـة نـذر عبـد المطلب.. ومن هذه الأمور أن الصدوق حكم بصحة الرواية من عنوانها الذى وضعه لها.

ومنها قوة حجج الإمام الرضا عليه السلام فيها وسنذكر بعضها.

ومنها أن الصدوق قبل تفسير الذبيحين بعبد الله واسماعيل من وجه، وبإسماعيل وإسحاق من وجه آخر، كما صرح فى آخر كلامه.

والواقع أن نقطة الضعف الوحيدة فيها هى اعتماد الصدوق رحمه الله على رواية الذبيح بالمجاز العامية.. والتى ضعفها الغفارى، والحمد لله!

سادساً: ولو أن المحقق الغفارى تأمل فى قول الإمام الرضا عليه السـلام فى رواية الصدوق (ولولا أن عبد المطلب كان حجة وأن عزمه على ذبـح ابنه عبـد الله شبيهٌ بعزم إبراهيم على ذبـح ابنه إسـماعيل، لمـا افتخر النبى صـلى الله عليه وآله بالإنتسـاب إليهمـا لاجـل أنهما الذبيحان فى قوله عليه السلام: أنا ابن الذبيحين.

والعلـة التى من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسـماعيل هى العلة التى من أجلها رفع الذبح عن عبد الله، وهى كون النبى صـلى الله عليه وآله والأئمة (عليهم السـلام) فى صـلبهما.. فببركة النبى والأئمة صـلى الله عليه وآله رفع الله الذبح عنهما، فلم تجر السنة فى الناس بقتل أولادهم) لعرف أن إشـكاله على نـذر عبـد المطلب يرد بعينه على إبراهيم صـلى الله عليه وآله لأنهما عملان من نوع واحد، غاية الأمر أن إبراهيم أمر بالذبـح فى المنام وأمر بالفـداء بالوحى. ومادام عبـد المطلب لانعرف كيف أمر بنـذر الذبح والفداء، ولكن نعرف أنه حجة وعمله صحيح، ولا بد أنه كان عنده حجة شرعية على نذره وفدائه.

وحينئـذ فمـا يجاب به عن عمل إبراهيم، يجاب به عن عمل عبـد المطلب بلا فرق، فلا معنى لاسـتظهار أن ذبـح الولـد كان من عادات المشركين، ولا معنى للقول بأنه لو كان عبد المطلب نذر ذلك فلماذا لم يقدم عليه... الخ.

سابعـاً: إن مـا ذكره حفظه الله من ملاحظـات روائيـة ليس شاملاًـ ولا مقنعاً، والظاهر أنه لم يطلع على مصادر روايـة (أنا ابن الـذبيحين) وطرقها، واشـتهارها عنـد الشيـعة من العصـر الأول، بل عند السـنة أيضاً حتى أن فقهاءهم أخذوا بها، وإن لم يأخذ بها أهل صـحاحهم، وممن صـححها من الاحناف أبو بكر الكاشانى فى بدائع الصـنائع:۵/۸۵ قال (ودليل ما قلنا الحـديث وضـرب من المعقول. أما الحديث فقول النبى عليه الصـلاة والسـلام: أنـا ابن الـذبيحين أراد أول آبـائه من العرب وهو سـيدنا اسـماعيل عليه الصـلاة والسـلام وآخر آبائه حقيقـة وهو عبـدالله بن عبـد المطلب سـماهما عليه الصـلاة والسـلام ذبيحين ومعلوم أنهما ما كانا ذبيحين حقيقـة فكانا ذبيحين تقـديراً بطريق الخلافة لقيام الخلاف مقام الأصل. انتهى.

وقال ابن كثير فى السيرة النبوية:۱/۱۸۴:

(وهو ابن عبد الله وكان أصغر ولد أبيه عبد المطلب وهو الذبيح الثانى المفدى بمائة من الإبل كما تقدم). انتهى.

وفى اطمئنانى أن المتتبع يجد لهذا الحديث طرقاً أخرى سواء فى مصادرنا أو فى مصادر السـنيين، ويجد المزيد ممن صححه من علماء الفريقين.

اول من يكسى كسوة الجنة

ذكرت بعض الروايـات أن النـاس يخرجـون من قبـورهم عريـاً يـوم القيامـة ثم يكسون على حسب عملهم. ولكن الظـاهر أن المقصود بحديث أول من يكسى هنا ليس الكسوة من العرى، بل كسوة الجنة كما ورد فى النص.

وقـد ادعى اليهود أن إبراهيم أول من يكسـى كسوة الجنـة يوم القيامة..ولا أظن أن هذه المسألة كانت مطروحة فى ثقافتهم، ولكن لما رأوا المسـلمين يروون عـن نـبيهم صـلى الله عليـه وآلـه أنـه رئيس المحشـر، والشـفيع الأول، وخطيـب الأنبيـاء، وأول من يكسـى يوم

القيامة..ادعى اليهود أن أول من يكسى إبراهيم، وروى ذلك أحبارهم الذين أسلموا (؟) عن رسول الله صلى الله عليه وآله!! وأخذها عنهم من أخذها من الرواة فدخلت فى مصادر المسلمين وثقافتهم، وساعد عليها أن إبراهيم هو جد النبى صلى الله عليهما وآلهما، وأن من المعقول أن يكون إكرام الله تعالى للجد قبل إكرام الابن.

وقد اختار البخارى أن أول من يكسى إبراهيم وليس محمداً صلى الله عليهما وآلهما!قال فى صحيحه:۴/۱۱۰:

ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى(ص)قال: إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ: كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين. وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم وإن أناسا من أصحابى يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابى أصحابى فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم! فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً ما دمت قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم إلى قوله الحكيم. انتهى.

ورواه أيضاً فى:۴/۱۴۲ وروته بقية الصحاح وغيرها بألفاظ متقاربة مثل الترمذى فى:۴/۳۸ والنسائى:۴/۱۱۷ والدارمى:۲/۳۲۵ وفيه (فيكون أول من يكسى إبراهيم يقول الله تعالى: إكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم أكسى على أثره)

وروى نحوه فى أحمد:۱/۳۹۸ ورواه أيضاً موجزاً فى:۱/۲۲۳ وص ۲۲۹ ورواه السيوطى فى الدر المنثور:۱/۱۱۶ عن أبى نعيم فى الحلية وابن أبى شيبة وأحمد. ورواه فى:۲/۲۳۱ عن البيهقى فى الأسماء والصفات، وفى:۴/۱۹۷ عن أحمد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن ابن مسعود

ورواه فى:۳/۲۸۴:

وفيه من تجسيمات اليهود لله تعالى (قال ذاك يوم ينزل الله فيه على كرسيه يئط فيه كما يئط الرحل الجديد من تضايقه وهو كسعة ما بين السماء والأرض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم يقول الله اكسوا خليلى).

وقد حاول القسطلانى فى إرشاد السارى:۵/۳۴۳ أن يخفف من وقع الحديث على المسلمين فقال (ولا يلزم من تخصيص إبراهيم بأولية الكسوة هنا أفضليته على نبينا (ص) لأن حلة نبينا (ص) أعلى وأكمل وكم لنبينا (ص) من فضائل مختصه به لم يسبق إليها ولم يشارك فيها ولو لم يكن له سوى خصوصية الشفاعه العظمى لكفى). انتهى.

ولعل القسطلانى رأى أن اليهود أخذوا الشفاعة فى الموحدين من نبينا صلى الله عليه وآله وأعطوها لإسحاق عليه السلام! وصارت حديثاً صحيحاً على شرط الشيخين كما تقدم فى مستدرك الحاكم!

ومن المؤكد أنه رأى الأحاديث التى تنفى أن تكون الشفاعة خصوصيةً لنبينا صلى الله عليه وآله، ورأى الروايات التى تفضل أنبياء بنى اسرائيل حتى يونس ويحيى على نبينا صلى الله عليه وآله، لأن البخارى رواها وشرحها القسطلانى وفسرها!

والذى يدخل فى بحثنا هنا أن نعرف لماذا وافقت الحكومة القرشية اليهود من فى تقديمهم إبراهيم على نبينا صلى الله عليه وآله فى الكسوة وفى الشفاعة، وتبناها رواتهم؟!

يتوقف الجواب على التأمل فى النص الذى روته صحاحهم، فقد تضمن موضوعين: أولهما أن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم. والثانى أن بعض الصحابة يؤمر بهم إلى النار، لانهم انحرفوا وكفروا بمجرد وفاة النبى صلى الله عليه وآله. ولم يبين الحديث العلاقة بين الموضوعين! وبما أن النبى صلى الله عليه وآله أفصح من نطق بالضاد وقد أوتى جوامع الكلم، وكلامه دائماً مترابط.. فلا بد أن تكون فى الحديث حلقة مفقودة.. عن عدم كسوة بعض الصحابة مثلاً فما هى!

هذه الحلقة تجدها فى مصادر السنيين مجزأة، ولكنك تجدها فى أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) مجتمعة، لأنها تذكر نص النبى صلى الله عليه وآله على أن علياً يوم القيامة هو أول ينشق عنه قبره بعد النبى صلى الله عليه وآله وهو أول من يصافحه، وهو أول من يكسى بعده، وهو حامل لوائه لواء الحمد، وهو وزيره فى المحشر، وهو الساقى على حوض النبى صلى الله عليه وآله

قال القاضى النعمانى فى شرح الأخبار:۲/۴۷۵:

فی حدیث وصیهٔ النبی صلی الله علیه وآله لعلی علیه السلام: یا علی أنا أکرم ولد آدم ولا فخر، ولیس بینی وبین ربی حجاب إلا النور، وأول من یکسی کسوهٔ الجنهٔ ولا فخر، وأول من یؤذن له فی الکلام ولا فخر، وأول من یؤذن له فی السجود ولا فخر، وأول من یؤذن له فی الشفاعهٔ ولا فخر، وأول من یسعی نوره أمامه ولا فخر.

وقال الصدوق فی من لا یحضره الفقیه:۴/۳۷۴:

یا علی: إن الله تبارک وتعالی أعطانی فیک سبع خصال: أنت أول من ینشق عنه القبر معی، وأنت أول من یقف علی الصراط معی، وأنت أول من یکسی إذا کسیت، ویحیی إذا حییت، وأنت أول من یسکن معی فی علیین، وأنت أول من یشرب معی من الرحیق المختوم الذی ختامه مسک. انتهی. ورواه فی الخصال/۳۴۲

وروی محمد بن عباس فی تأویل الآیات:۲/۶۵۷:

یا علی أول من تنشق عنه الأرض محمد ثم أنت، وأول من یحیی محمد ثم أنت، وأول من یکسی محمد ثم أنت. فانکب علی علیه السلام ساجداً وعیناه تذرفان بالدموع. انتهی.

وقال ابن شهر آشوب فی مناقب آل أبی طالب:۳/۲۶: قال الحمیری:

یدعو النبی فیکسوه ویکرمه رب العباد إذا ما أحضر الأمم

ثم الوصی فیکسی مثل حلته خضراء یرغم منها أنف من رغم

وله أیضاً:

علیٌّ غداً یدعی ویکسوه ربه ویدنوه منه فی رفیع مکرم

فإن کنت منه حیث یکسوه راغماً وتبدی الرضی کرهاً من الان فارغم

وقال أعرابی:

إن رسول الله یعطی لوا ء الحمد علیاً حین یلقاه

یدعی فیعطی کسوهٔ المصطفی وعن یمین العرش مثواه. انتهی.

فحدیث الکسوهٔ یوم القیامهٔ فیه إذن سهم لعلی علیه السلام، فلا عجب إذا قفزت عنه قبائل قریش.

لکن السهم الأکبر لعلی والاخطر علی قریش أنه هو الساقی علی حوض النبی صلی الله علیه وآله وهو الذی یذود الذین قال عنهم البخاری (وإن أناساً من أصحابی یؤخذ بهم ذات الشمال) وقال عنهم فی:۸/۸۶ (قال أنا علی حوضی انتظر من یرد علی فیؤخذ بناس من دونی فأقول أمتی فیقول لا تدری مشوا علی القهقری). انتهی.

وقال عنهم مسلم فی:۷/ ۶۸ ـ ۷۰ (قال رسول الله (ص) أنا فرطکم علی الحوض ولأنازعن أقواما ثم لأغلبن علیهم، فأقول یارب أصحابی أصحابی! فیقال إنک لا تدری ما أحدثوابعدک!!... قال لاذودن عن حوضی رجالاً کما تذاد الغریبهٔ من الإبل) ونحوه فی:۱/ ۱۵۰

وقد صرحت أحادیث أخری بأن الذائد عن حوض النبی صلی الله علیه وآله هو علی علیه السلام، من ذلک ما رواه الحاکم وصححه قال فی:۳/۱۳۸:

عن علی بن أبی طلحهٔ قال: حججنا فمررنا علی الحسن بن علی بالمدینهٔ ومعنا معاویهٔ بن حدیج فقیل للحسن إن هذا معاویهٔ بن حدیج الساب لعلی فقال علی به فاتی به فقال أنت الساب لعلی فقال: ما فعلت فقال والله إن لقیته وما أحسبک تلقاه یوم القیامهٔ لتجده قائماً علی حوض رسول الله صلی الله علیه وآله یذود عنه رایات المنافقین بیده عصا من عوسج! حدثنیه الصادق المصدوق صلی الله علیه وآله وقد خاب من افتری. هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه. انتهی.

وروی الدیلمی فی فردوس الأخبار:۵/ ۴۰۸ ح ۸۳۱۴ عن أبی سعید:

یا علی أنت یوم القیامهٔ بیدک عصاً من الجنهٔ تذود بها المنافقین!!

وروی فی مناقب آل أبی طالب:۲/۱۲-۱۴ عن الفائق للزمخشری:

أن النبی قال لعلی: أنت الذاید عن حوضی یوم القیامهٔ، تذود عنه الرجال کما یذاد الأصید. البعیر الصادی أی الذی به الصید والصید داء یلوی عنقه.

ونقل فی المناقب قول حسان بن ثابت:

له الحوض لا شک یحبی به فمن شاء أسقی برغم العدی

ومن ناصبَ القوم لم یسقه ویدعو إلی الورد للأولی

وقول الحمیری:

أؤمل فی حبه شربهًٔ من الحوض تجمع أمناً ورَیَّ

إذا ما وردنا غداً حوضه فأدنی السعید وذاد الشقی

متی یدن مولاه منه یقل رِدِ الحوض واشرب هنیئاً مری

وإن یدن منه عدوٌّ له یذده علی مکاناً قصیا. انتهی.

وعلی هذا فذکر کسوهٔ النبی صلی الله علیه وآله أولاً وعلی ثانیاً علیه السلام، وأنه یذود الصحابهٔ المنحرفین عن الحوض، حدیث لیس فی مصلحهٔ القرشیین، لأن معناه أن موقف علی هو الصحیح وموقف من یعارضه خطأ..فالأسلم لهم الأخذ بحدیث یکسی إبراهیم أولاً والنبی ثانیاً، لأنه لیس فیه ذکر لعلی!

وهکذا التقت مصلحهٔ قریش مع مصلحهٔ الیهود.. وصار حدیث کعب الأحبار أسلم طریق للتخلص من علی بن أبی طالب حتی لو صححه الحاکم، ولم یروه الشیخان!

وهکذا یدون الخلفاء السنهٔ، کما یکتب الحکام التاریخ!!

شفاعهٔ الملائکهٔ والأنبیاء والعلماء والشهداء

من مصادرنا

قال الحمیری فی قرب الاسناد/۶۴:

عن مسعدهٔ بن صدقهٔ قال: حدثنی جعفر بن محمد عن أبیه عن آبائه: أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال: ثلاثهٔ یشفعون إلی الیوم القیامهٔ فیشفعهم: الأنبیاء، ثم العلماء، ثم الشهداء. انتهی.

ورواه فی مستدرک الوسائل:۱۱/۲۰ وتفسیر نور الثقلین:۵/۲۶۴

من لا یحضره الفقیه:۴/۳۹۹:

إذا کان یوم القیامهٔ جمع الله عز وجل الناس فی صعید واحد، ووضعت الموازین فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فیرجح مداد العلماء علی دماء الشهداء.

علل الشرائع للصدوق:۲/۳۹۴:

عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إذا کان یوم القیامهٔ بعث الله عز وجل العالم والعابد، فإذا وقفا بین یدی الله عز وجل قیل للعابد: انطلق إلی الجنهٔ، وقیل للعالم قف تشفَّع للناس بحسن تأدیبک لهم.

تفسیر الإمام العسکری ۷/۳۴۴:

وقـال على بن موسـى الرضا (عليهما السـلام): يقال للعابـد يوم القيامـة: نعم الرجل كنت، همتك ذات نفسك وكفيت الناس مؤنتك، فادخـل الجنـة. إلاـ إن الفقيه من أفـاض على النـاس خيره، وأنقـذهم من أعـدائهم، ووفر عليهم نعم جنـان الله، وحصل لهم رضوان الله تعالى. ويقال للفقيه: يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادى لضعفاء محبيه ومواليه، قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك، فيقف فيـدخل الجنـة ومعه فئاماً وفئاماً حتى قال عشـراً، وهم الـذين أخذوا عنه علومه، وأخذوا عمن أخذ عنه، إلى يوم القيامة، فانظروا كم فرقٌ ما بين المنزلتين!

وروى المجلسـى فى البحار حديثاً يدل على أن العالم الذى يشـفع يوم القيامة ليس من العلماء السبعة المذمومين.. قال فى بحار الأنوار ۸/۳۰۷: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن من العلماء من يحب أن يخزن علمه ولا يؤخذ عنه، فذاك فى الدرك الاسفل من النار.

ومن العلماء من إذا وعظ أنف، وإذا وعظ عنف، فذاك فى الدرك الثانى من النار.

ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوى الثروة، ولا يرى له فى المساكين، فذاك فى الدرك الثالث من النار.

ومن العلماء من يـذهب فى علمه مـذهب الجبابرة والسـلاطين، فإن رد عليه شـئ من قوله أو قصـر فى شـئ من أمره غضب، فذاك فى الدرك الرابع من النار.

ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه ويكثر به حديثه، فذاك فى الدرك الخامس من النار.

ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول: سـلونى ولعله لا يصـيب حرفاً واحـداً والله لا يحب المتكلفين، فذاك فى الدرك السادس من النار.

ومن العلماء من يتخذ علمه مروةً وعقلاً، فذلك فى الدرك السابع من النار (نقلاً عن الخصال:۲/۷).

وفى تفسير التبيان:۹/۶۵:

وقوله: ماللظـالمين من حميم ولاـ شـفيع يطـاع، نفىٌ من الله أن يكون للظـالمين شـفيع يطاع، ويحتمل أن يكون المراد بالظالمين الكفار فهؤلاء لا يلحقهم شـفاعة شافع أصـلاً، وإن حملنا على عموم كل ظالم من كافر وغيره جاز أن يكون إنما أراد نفى شـفيع يطاع، وليس فى ذلـك نفى شـفيع يجاب، ويكون المعنى: إن الـذين يشـفعون يوم القيامـة من الأنبياء والملائكـة والمؤمنين إنما يشـفعون على وجه المسألة إليه والاستكانة إليه، لا أنه يجب على الله أن يطيعهم فيه.

تفسير التبيان:۹/۴۲۹:

قوله تعالى: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَوَاتِ لا تُغْنِى شَـفَاعَتُهُمْ شَـيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى... يقول الله تعالى مخبراً بأن كثيراً من ملائكة السـموات لا تغنى شـفاعتهم، أى لا تنفع شفاعتهم فى غيرهم بإسقاط العقاب عنهم شيئاً، إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء أن يشفعوا فيه ويطلق لهم ذلك ويرضى ذلك.

وقيل: إن الغرض بـذلك الإنكار على عبـدة الأوثان وقولهم إنها تشـفع لا الملك، إذا لم تغن شـفاعته شـيئاً فشـفاعة من دونه أبعـد من ذلك. وفى ذلك التحذير من الإتكال على الشفاعة لأنه إذا لم تغن شفاعة الملائكة كانت شفاعة غيرهم أبعد من ذلك.

ولا ينافى ما نـذهب إليه من أن النبى صـلى الله عليه وآله والأئمـة والمؤمنين يشـفعون فى كثير من أصـحاب المعاصـى فيسـقط عقابهم لمكان شفاعتهم، لأن هؤلاء عندنا لا يشفعون إلا بإذن من الله ورضاه، ومع ذلك يجوز أن لا يشفعوا فيه، فالزجر واقع موقعه.

تفسير التبيان:۷/۲۰۹:

قوله تعـالى: يَوْمَئِـذٍ يَتَّبِعُونَ الـدَّاعِىَ لا عِوَجَ لَهُ وَ خَشَـعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْـمَعُ إِلا هَمْسًا. يَوْمَئِـذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَـةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِىَ لَهُ قَوْلا... أخبر الله تعالى أن ذلك اليوم لا تنفع شـفاعة أحد فى غيره، إلا شـفاعة من أذن الله له أن يشفع ورضى قوله فيها، من الأنبياء والأولياء والصديقين والمؤمنين.

مجمع البحرين:۴/۴۶۷:

وفى الحديث: الساعى بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة بالإيجاب، أى القبول، يعنى أن الله تعالى يثبت لهم الشفاعة.

دعائم الإسلام:۱/۳۴۳:

روينا عن رسول الله (ص) أنه قال: كل مؤمن من أمتى صديق شهيد، ويكرم الله بهذا السيف من شاء من خلقه، ثم تلا قول الله عز وجل: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

دعائم الإسلام:۱/۲۱۷:

وعن على عليه السلام أنه قال: المريض فى سجن الله ما لم يشك إلى عواده، تمحى سيئآته. وأى مؤمن مات مريضاً مات شهيداً، وكل مؤمن شهيد، وكل مؤمنة حوراء، وأى ميتة مات بها المؤمن فهو شهيد، وتلا قول الله جل ذكره: والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم.

من مصادر السنيين

تاريخ البخارى:۹/۳۷:

عن أبى بكرة عن النبى(ص)قال: يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فيتقاذع بهم جنبتا الصراط تقاذع الفراش فى النار: ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء والصالحين فيشفعون، ويخرجون فيشفعون ويرجون فيشفعون فيجابون.

سنن النسائى:۲/۲۲۹:

عن عطاء بن يزيد قال كنت جالساً إلى أبى هريرة وأبى سعيد فحدث أحدهما حديث الشفاعة والآخر منصت، قال: فتأتى الملائكة فتشفع وتشفع الرسل، وذكر الصراط قال قال رسول الله (ص): فأكون أول من يجيز، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه، وأخرج من النار من يريد أن يخرج، أمر الله الملائكة والرسل أن تشفع فيعرفون بعلاماتهم أن النار تأكل كل شئ من ابن آدم إلا موضع السجود، فيصب عليهم من ماء الجنة، فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل.

سنن ابن ماجة:۲/۷۲۴:

عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله (ص): يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء.

ورواه البيهقى فى شعب الإيمان:۲/۲۶۵ والديلمى فى فردوس الأخبار:۵/۴۲۸ وكنز العمال:۱۰/۱۵۱ وتهذيب الكمال:۲۲/۵۵۱ وتهذيب التهذيب:۸/۱۹۵ ومجمع الزوائد:۱۰/۳۸۱ راجع أيضاً سنن البيهقى:۹/۱۶۴

سنن الترمذى:۴/۴۶:

عن أبى سعيد أن رسول الله(ص)قال: إن من أمتى من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة. هذا حديث حسن.

مسند أحمد:۳/۲۰:

عن أبى سعيد الخدرى عن النبى(ص)قال قد أعطى كل نبى عطية فكل قد تعجلها وإنى أخرت عطيتى شفاعة لأمتى، وإن الرجل من أمتى ليشفع للفئام من الناس فيدخلون الجنة، إن الرجل ليشفع للقبيله وإن الرجل ليسشفع للعصبة، وإن الرجل ليشفع للثلاثة، وللرجلين، وللرجل.

مجمع الزوائد:۱۰/۳۸۰:

باب شفاعة الصالحين. وعن أبى برزة قال سمعت رسول الله(ص)يقول: إن من أمتى لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر وإن من أمتى لمن يعظم للنار حتى يكون ركناً من أركانها. رواه أحمد ورجاله ثقات...

وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة. رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

وعن أنس عن رسول الله(ص)قال: سلك رجلان مفازة أحدهما عابد والآخر به رهق، فعطش العابد حتى سقط فجعل صاحبه ينظر إليه وهو صريع فقال والله لئن مات هذا العبد الصالح عطشاً ومعى ماء لا أصيب من الله خيراً وإن سقيته مائى لأموتن فاتكل على الله وعزم ورش عليه من مائه وسقاه من فضله قال فقام حتى قطع المفازة قال فيوقف الذى به رهق يوم القيامة للحساب فيؤمر به إلى النار فتسوقه الملائكة فيرى العابد فيقول يا فلان أما تعرفنى قال فيقوب من أنت قال أنا فلان الذى آثرتك على نفسى يوم المفازة قال فيقول بلى أعرفك قال فيقول للملائكة قفوا ويجى حتى يقف ويدعو ربه فيقول يا رب قد تعرف يده عندى وكيف آثرنى على نفسه يا رب هبه لى قال فيقول: هو لك ويأخذ بيده فيدخله الجنة. رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أبى ظلال القسملى قد وثقه ابن حبان وغيره وضعفه غير واحد.

فردوس الأخبار للديلمى:۱/۳۹۶:

ابن عباس: إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد: أدخل الجنة وتنعم بعبادتك، وقيل للعالم هاهنا فاشفع لمن أحببت فإنك لا تشفع لأحد إلا شفعت، فقام مقام الأنبياء. ورواه فى كنز العمال:۱۰/۱۳۶ وص ۱۷۳ وص ۲۵۶

مجمع الزوائد:۵/۲۹۳:

قال رسول الله (ص): إن للشهيد عند الله عز وجل ست خصال: أن يغفر له فى أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين زوجه من الحور العين، ويشفع فى سبعين إنساناً من أقاربه. رواه أحمد هكذا قال مثل ذلك، والبزار والطبرانى إلا أنه قال سبع خصال وهى كذلك، ورجال أحمد والطبرانى ثقات.

وعن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص): الشهيد يغفر له فى أول كل دفقة من دمه، ويزوج حوراوين ويشفع فى سبعين من أهل بيته، والمرابط إذا مات فى رباطه كتب له أجر عمله إلى يوم القيامة، وأتى عليه ريح برزقه، ويزوج سبعين حوراء، وقيل له قف فاشفع إلى أن يفرغ من الحساب ـ قلت روى ابن ماجة بعضه ـ رواه الطبرانى فى الأوسط عن شيخه بكر بن سهل الدمياطى، قال الذهبى مقارب الحديث وضعفه النسائى. انتهى. وروى عدداً من هذه الروايات فى مجمع الزوائد ۲/۹۸ وص ۱۱۵ وج ۴/۳۹۸ وص ۴۰۱ وص ۴۰۵ وص ۴۱۰

الدر المنثور:۶/۲۴:

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة، قال: عيسى وعزير والملائكة. إلا من شهد بالحق قال كلمة الإخلاص. وهم يعلمون أن الله حق...

وأخرج عبد بن حميد وعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة فى قوله: إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ، قال: الملائكة وعيسى وعزير فإن لهم عند الله شفاعة.

الدر المنثور:۴/۹۴:

وأخرج الحاكم فى الكنى عن حماد (رض) قال: سألت إبراهيم عن هذه الآية: ربما يود الذين كفروا كانوا مسلمين، قال: حدثت أن أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من أهل الإسلام ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبيين: اشفعوا لهم فيشفعون لهم فيخرجون حتى أن إبليس ليتطاول رجاء أن يدخل معهم، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

تفسير الطبرى:۲۵/۶۲:

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك ولا يملك عيسى وعزيز والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركين لشفاعة عند الله لاحد إلا من شهد بالحق فوحد الله وأطاعه... وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبره أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من الله الشفاعة عنده لأحد، إلا من شهد بالحق.. ويعنى بذلك أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه

لهم بها، كما قال جل ثناؤه: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، فأثبت جل ثناؤه للملائكة وعيسى وعزيز ملكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان، باستثنائه الذى استثناه.

تفسير الطبرى:۲۷/۳۷:

وقوله: وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً يقول تعالى ذكره: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا، عند الله لمن شفعوا له شيئاً إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم، بالشفاعه لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى، يقول ومن بعد أن يرضى لملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له، فتنفعه حينئذ شفاعتهم..

تفسير الرازى:۴ جزء ۷/۱۱:

هؤلاء المذكورون فى هذه الآية (عْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) يحتمل أن يكونوا هم الملائكة وسائر من يشفع يوم القيامه من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين.

الجواهر الحسان للثعالبى:۱/۳۵۱:

فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعلموا خيراً قط.

الأنساب:۵/۶۲۳:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله (ص): سبعة لهم شفاعة كشفاعة الأنبياء: المؤذن، والإمام، والشهيد وحامل القرآن، والعالم، والمتعلم، والتائب.

ما يوجب أمل المسلم بشفاعة إخوانه المؤمنين له

الكافى:۲/۲۴۸:

عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن عبد الله عن خالد العمى عن خضر بن عمرو عن أبى عبد الله عليه السلام: المؤمن مؤمنان: مؤمن وفى لله بشروطه التى شرطها عليه فذلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وذلك من يشفع ولا يشفع له وذلك ممن لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة.

ومؤمن زلت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفأته الريح انكفأ وذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا والآخرة ويشفع له وهو على خير.

وروى نحوه فى الكافى:۲/۱۸۸ وفى تفسير نور الثقلين:۱/۵۱۴ وج ۴/۲۶۰

الكافى:۶/۳:

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إن أولاد المسلمين موسومون عند الله شافع ومشفع فإذا بلغوا اثنتى عشرة سنة كانت لهم الحسنات فإذا بلغوا الحلم كتبت عليهم السيئات.

الكافى:۸/۱۰۱:

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن على بن فضال عن على بن عقبة عن عمر بن أبان عن عبدالحميد الوابشى عن أبى جعفر عليه السلام قال... وإن المؤمن ليشفع لجاره وماله حسنة فيقول: يا رب جارى كان يكف عنى الأذى فيشفع فيه فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربك وأنا أحق من كافى عنك فيدخله الجنة وماله من حسنة! وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم.

وسائل الشيعة:۸/۴۰۷:

وعن إبراهيم بن الغفارى عن جعفر بن إبراهيم عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: أكثروا من الأصدقاء فى الدنيا فإنهم ينفعون

فی الدنیا والآخرة أما فی الدنیافحوائج یقومون بها وأما فی الآخرة فإن أهل جهنم قالوا: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِینَ وَلا صَدِیقٍ حَمِیم.

وعن أحمد بن إدریس عن أحمد بن محمد عن بعض أصحابه قال: قال أبو عبدالله علیه السلام: استكثروا من الأخوان فإن لكل مؤمن دعوة مستجابة وقال: استكثروا من الأخوان فإن لكل مؤمن شفاعة. وقال: أكثروا من مؤاخاة المؤمنین فإن لهم عند الله یداً یكافئهم بها یوم القیامة.

مستدرک الوسائل:۸/۳۲۳:

وقال علی بن أبی طالب علیه السلام: علیكم بالاخوان فإنهم عدة فی الدنیا والآخرة ألا تسمعون إلی قوله تعالی: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِینَ وَلا صَدِیقٍ حَمِیم.

بحار الأنوار:۸/۴۱:

ثواب الأعمال: أبی عن محمد بن یحیی عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبی ولاد عن میسر عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إن المؤمن منكم یوم القیامة لیمربه الرجل له المعرفة به فی الدنیا وقد أمر به إلی النار والملک ینطلق به قال: فیقول له: یا فلان أغثنی فقد كنت أصنع إلیک المعروف فی الدنیا وأسعفک فی الحاجة تطلبها منی فهل عندک الیوم مكافاة فیقول المؤمن للملک المؤكل به: خل سبیل قال: فیسمع الله قول المؤمن فیأمر الملک أن یجیز قول المؤمن فیخلی سبیله. (المصدر/۱۶۷)

من مصادر السنیین

تاریخ البخاری:۶/۵۳۳:

روی وكیع عن محمد بن قیس قال: أدنی أهل الجنة منزلة الذی یشفع فی الرجل من أهل بیته.

مسند أبی یعلی:۲/۲۹۲:

حدثنا أبوبكر حدثنا محمد بن بشر حدثنا زكریا بن أبی زائدة حدثنی عطیة عن أبی سعید عن النبی(ص)قال: من أمتی من یشفع للرجل وأهل بیته فیدخلون الجنة بشفاعته.

فردوس الأخبار للدیلمی:۱/۱۰۵:

أنس بن مالک: أكثروا من المعارف من المؤمنین، فإن لكل مؤمن شفاعة عند الله یوم القیامة.

الدر المنثور:۶/۸:

وأخرج ابن جریر من طریق قتادة عن أبی إبراهیم اللخمی فی قوله: وَیَزِیدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ قال یشفعون فی إخوان إخوانهم.

تفسیر الطبری:۲۵/۱۸:

قوله تعالی: وَیَزِیدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ... وقیل إن ذلک الفضل الذی ضمن جل ثناؤه أن یزیدهموه هو أن یشفعهم فی إخوان إخوانهم، إذا هم شفعوا فی إخوانهم فشفعهوا فیهم.

تفسیر الطبری:۲۹/۱۰۵:

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِینَ، یقول فما یشفع لهم الذین شفعهم الله فی أهل الذنوب.. وفی هذه الآیة دلالة واضحة علی أن الله مشفع بعض خلقه فی بعض.

هامش طبقات المحدثین بأصبهان:۲/۳۴۶:

عن أبی أمامة عن النبی (ص) قال: إن ذراری المسلمین یوم القیامة تحت العرش شافع مشفع.

الإیمان لابن تیمیة/۱۱۵:

أبو الحسن الأشعری نصر قول جهم فی الإیمان مع أنه نصر المشهور من أهل السنة فی أنه یستثنی فی الإیمان فیقول: أنا مؤمن إن شاء

الله لأنه نصر مذهب أهل السنة فی أنه لا یکفر أحد من أهل القبلة ولا یخلدون فی النار وتقبل منهم الشفاعة ونحو ذلک.

فتاوی الالبانی/۲۸۶:

سؤال: هل تارک الصلاة کافر ولا ینفعه أی عمل؟

جواب: نحن قلنا إن إخواننا کانوا یصلون ویصومون إلی آخره، فیأذن الله عز وجل بأن یشفع لهم فیشفعون، ثم یشفعون لوجبة أخری.

شفاعة القرآن، والکعبة، والحجاج، والزوار

و اصناف أخری من الناس...

وردت فی مصادر الفریقین أحادیث عن شفاعة القرآن، وصرح بعضها بأن القرآن یتجسد یوم القیامة علی صورة إنسان وملک نورانی، ویتکلم مع أهل المحشر.

وقد ورد فی أحادیث البعث والقیامة والحساب والجنة والنار، من طرق الجمیع ما یدل علی تجسد القرآن، وتجسد بعض الأعمال، والأمور والأمکنة والأزمنة..

وقد کان هذا الأمر صعب التصدیق بل صعب التصور فی العصور السابقة، أما فی عصر الذرة والجینات فقد عرف الناس حقائق مدهشة من خلق الله تعالی وقوانینه، وصار الإیمان بضبط أعمال الإنسان وتجسدها فی هذه الدنیا أمراً معقولاً فضلًا عن عالم الآخرة!

شفاعة القرآن

فی نهج البلاغة:۲/۹۱:

واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذی لا یغش، والهادی الذی لا یضل، والمحدث الذی لا یکذب.

وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزیادة أو نقصان: زیادة فی هدی أو نقصان فی عمی.

واعلموا أنه لیس علی أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنی، فاستشفوه من أدوائکم، واستعینوا به علی لأوائکم، فإن فیه شفاء من أکبر الداء، وهو الکفر والنفاق والغی والضلال.

فاسألوا الله به، وتوجهوا إلیه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنه ما توجه العباد إلی الله بمثله.

واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدق، وإنه من شفع له القرآن یوم القیامة شفع فیه، ومن محل به القرآن یوم القیامة صدق علیه، فإنه ینادی مناد یوم القیامة: ألا إن کل حارث مبتلی فی حرثه وعاقبة عمله، غیر حَرَثَةِ القرآن، فکونوا من حرثه وأتباعه، واستدلوه علی ربکم، واستنصحوه علی أنفسکم، واتهموا علیه آراءکم، واستغشوا فیه أهواءکم. العملَ العملِ، ثم النهایةَ النهایة. انتهی.

وفی الکافی:۲/۵۹۶–کتاب فضل القرآن:

علی بن محمد، عن علی بن العباس، عن الحسین بن عبد الرحمن، عن سفیان الحریری، عن أبیه، عن سعد الخفاف، عن أبی جعفر علیه السلام قال: یا سعد تعلموا القرآن، فإن القرآن یأتی یوم القیامة فی أحسن صورة نظر إلیها الخلق، والناس صفوف عشرون ومائة ألف صف، ثمانون ألف صف أمة محمد صلی الله علیه وآله وأربعون ألف صف من سائر الأمم، فیأتی علی صف المسلمین فی صورة رجل فیسلِّم، فینظرون إلیه ثم یقولون: لا إله إلا الله الحلیم الکریم، إن هذا الرجل من المسلمین نعرفه بنعته وصفته، غیر أنه کان أشد اجتهاداً منا فی القرآن، فمن هناک أعطی من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه، ثم یجاوز حتی یأتی علی صف الشهداء، فینظرون إلیه ثم یقولون: لا إله إلا الله الرب الرحیم، إن هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته، غیر أنه من شهداء البحر، فمن هناک أعطی من البهاء والفضل ما لم نعطه، قال: فیتجاوز حتی یأتی علی صف شهداء البحر فی صورة شهید، فینظر إلیه شهداء البحر فیکثر تعجبهم

یقولون: إن هذا من شـهداء البحر نعرفه بسـمته وصـفته، غیر أن الجزیره التی أصیب فیها كانت أعظم هولاً من الجزیرة التی أصبنا فیها، فمن هنـاك أعطی من البهـاء والجمـال والنور مـا لم نعطه، ثم یجـاوز حتی یـأتی صف النبیین والمرسـلین فی صورة نبی مرسل، فینظر النبیون والمرسـلون إلیه، فیشـتد لذلک تعجبهم ویقولون: لا إله إلا الله الحلیم الكریم، إن هذا النبی مرسل نعرفه بسـمته وصفته، غیر أنه أعطی فضـلًا كـثیراً، قـال: فیجتمعـون فیـأتون رسـول الله صـلی الله علیه وآله فیسألونه ویقولـون: یـا محمـد من هـذا؟ فیقول لهم: أو ما تعرفونه؟ فیقولون ما نعرفه، هذا ممن لم یغضب الله علیه، فیقول رسول الله صلی الله علیه وآله: هذا حجة الله علی خلقه.

فیسلم ثم یجاوز حتی یأتی علی صف الملائكة فی سورة ملک مقرب، فتنظر إلیه الملائكة فیشتد تعجبهم، ویكبر ذلک علیهم لما رأوا من فضـله، ویقولون: تعالی ربنا وتقدس إن هذا العبد من الملائكه نعرفه بسـمته وصفته، غیر أنه كان أقرب الملائكة إلی الله عز وجل، مقاماً، فمن هنـاک ألبس من النـور والجمـال مـا لم نلبس، ثم یجـاوز حـتی ینتهی إلی رب العزة تبـارک وتعـالی، فیخر تحت العرش، فینـادیه تبـارک وتعـالی: یـاحجتی فی الأرض وكلامی الصادق الناطق، إرفع رأسک وسل تعط واشـفع تشـفع، فیرفع رأسه، فیقول الله تبارک وتعالی: كیف رأیت عبادی؟ فیقول: یا رب منهم من صاننی وحافظ علی ولم یضیع شـیئاً، ومنهم من ضـیعنی واستخف بحقی وكـذب بی وأنـا حجتـک علی جمیع خلقـک، فیقول الله تبـارک وتعالی: وعزتی وجلالی، وارتفاع مكانی لاثیبن علیک الیوم أحسـن الثواب، ولأعاقبن علیک الیوم ألیم العقاب.(ورواه فی وسائل الشیعة:۴/۲۱۳)

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن النوفلی، عن السكونی، عن أبی عبدالله، عن آبائه (علیهم السلام) قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: أیها الناس إنكم فی دار هدنـة، وأنتم علی ظهر سـفر، والسـیر بكم سریع، وقـد رأیتم اللیل والنهار والشـمس والقمر یبلیان كل جدید، ویقربان كل بعید، ویأتیان بكل موعود، فأعدوا الجهاز لبعد المجاز.

قـال: فقام المقـداد بن الأسود فقال: یا رسول الله وما دار الهدنـة؟ قال: دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست علیكم الفتن كقطع اللیل المظلم، فعلیكم بالقرآن فإنه شافع مشفع، وماحلٌ مصـدق، ومن جعله أمامه قادة إلی الجنـة، ومن جعله خلفه ساقه إلی النار، وهو الـدلیل یـدل علی خیر سبیل، وهو كتاب فیه تفصیل وبیان وتحصیل، وهو الفصل لیس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنیق وباطنه عمیق، له نجوم وعلی نجومه نجوم، لا تحصـی عجائبه ولا تبلی غرائبه، فیه مصابیـح الهـدی، ومنار الحكمـة، ودلیل علی المعرفة لمن عرف الصـفة.. فَلْیَجُلْ جَال بصره، ولیبلغ الصفة نظره، ینج من عطب، ویتخلص من نشب، فإن التفكر حیاة قلب البصیر، كما یمشیٔ المستنیر فی الظلمات بالنور، فعلیكم بحسن التخلص وقلة التربص. انتهی.

ورواه فی وسائل الشیعة:۴/۲۱۸ وفی تفسیر نور الثقلین:۴/۱۳

وفی صحیح مسلم:۲/۱۹۷:

عن أبی أمامـة الباهلی قال سـمعت رسول الله(ص)یقول: إقرؤوا القرآن، فإنه یأتی یوم القیامـة شـفیعاً لاصـحابه. إقرأوا الزهراوین البقرة وسـورة آل عمران، فإنهمـا تأتیـان یـوم القیامـة كأنهمـا غمامتـان أو كأنهمـا غیایتـان، أو كأنهمـا فرقـان من طیر، صـوافٌّ تحاجـان عن أصـحابهما. إقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا یستطیعها البطلة. قال معاویة بلغنی أن البطلة السحرة. انتهی. ورواه أحمد فی:۵/۲۴۸ - ۲۴۹

وفی مستدرک الحاكم:۱/۵۵۴:

عن عبدالله بن عمرو (رض) أن رسول الله (صـلی الله علیه وآله) قال: الصـیام والقرآن یشفعان للعبد، یقول الصیام رب إنی منعته الطعام والشـهوات بالنهار فشـفعنی فیه، ویقول القرآن: منعته النوم باللیل فیشـفعان. هذا حدیث صـحیح علی شـرط مسـلم ولم یخرجاه. انتهی. ورواه أحمد فی مسنده:۲/۱۷۴ وقال عنه فی مجمع الزوائد:۱۰/۳۸۰: رواه أحمد وإسناده حسن علی شعف فی ابن لهیعة وقد وثق. وقال فی عنه الدر المنثور:۱/۱۸۲: وأخرج أحمـد وابن أبی الدنیا فی كتاب الجوع والطبرانی والحاكم وصـححه عن عبد الله بن عمرو. ورواه الدیلمی فی فردوس الأخبار: ۲/۵۶۸ ح ۳۶۳۱ وكنز العمال:۸/۴۴۴

وفی مستدرک الحاکم:۱/۵۶۸:

عن معقل بن یسار (رض) قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: إعملوا بالقرآن، أحلوا حلاله وحرموا حرامه، واقتدوا به ولا تکفروا بشئ منه، وما تشابه علیکم منه فردوه إلی الله وإلی أولی الأمر من بعدی کیما یخبروکم.

وآمنوا بالتوراهٔ والإنجیل والزبور، وما أوتی النبیون من ربهم.

ولیسعکم القرآن وما فیه من البیان، فإنه شافع مشفع وماحل مصدق. ألا ولکل آیهٔ نور یوم القیامهٔ، وإنی أعطیت سورهٔ البقرهٔ من الذکر الأول، وأعطیت طه وطواسین والحوامیم من ألواح موسی، وأعطیت فاتحهٔ الکتاب من تحت العرش. هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه. وروی نحوه فی:۳/۵۷۸ ورواه فی کنز العمال:۱/۱۹۰

وفی مسند أحمد:۵/۳۴۸:

عن عبدالله بن بریدهٔ عن أبیه عن النبی صلی الله علیه وآله قال: إن القرآن یلقی صاحبه یوم القیامهٔ حین ینشق عنه قبره کالرجل الشاحب، فیقول له هل: تعرفنی؟ فیقول ما أعرفک! فیقول له: هل تعرفنی؟ فیقول ما أعرفک! فیقول: أنا صاحبک القرآن الذی أظمأتک فی الهواجر، وأسهرت لیلک، وإن کل تاجر من وراء تجارته، وإنک الیوم من وراء کل تجارهٔ، فیعطی الملک بیمینه، والخلد بشماله، ویوضع علی رأسه تاج الوقار، ویکسی والداه حلتین، لا یقوم لهما أهل الدنیا، فیقولان بم کسینا هذه؟ فیقال بأخذ ولدکما القرآن! ثم یقال له: إقرأ واصعد فی درجهٔ الجنهٔ وغرفها، فهو فی صعود ما دام یقرأ هذاً کان أو ترتیلًا. وروی نحوه فی الدر المنثور: ۶/۲۷۷:عن ابن أبی شیبهٔ وابن الضریس عن مجاهد

وفی الدر المنثور:۳/۵۶:

وأخرج ابن أبی شیبهٔ وأحمد فی الزهد، وابن الضریس، ومحمد بن نصر، والطبرانی عن ابن مسعود قال: إن هذا القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلی الجنهٔ، ومن جعل خلفه ساقه إلی النار. انتهی. وروی نحوه فی کنز العمال:۱/۵۵۲ ونحوه فی:۱/۵۱۶ و/۵۱۹ و: ۲/۲۹۲ عن ابن مسعود وکذا فی فردوس الأخبار:۳/۲۸۱ ح ۴۷۱۰ وفی المعجم الکبیر للطبرانی:۹/۱۳۲

وفی کنز العمال:۱۴/۳۹۰:

عن فردوس الأخبار عن أبی هریرهٔ: الشفعاء خمسهٔ: القرآن، والرحم، والأمانهٔ، ونبیکم، وأهل بیته.

وفی سنن الدارمی:۲/۴۳۰:

عن أبی هریرهٔ یقول: إقرؤوا القرآن، فإنه نعم الشفیع یوم القیامهٔ، إنه یقول یوم القیامهٔ: یا رب حلِّه حلیهَٔ الکرامهٔ، فیحلی حلیهٔ الکرامهٔ، یا رب أکسه کسوهٔ الکرامهٔ، فیکسی کسوهٔ الکرامهٔ، یا رب ألبسه تاج الکرامهٔ، یا رب إرض عنه، فلیس بعد رضاک شئ.

عن ابن عمر قال: یجی القرآن یشفع لصاحبه یقول: یا رب لکل عامل عمالهٔ من عمله، وإنی کنت أمنعه اللذهٔ والنوم فأکرمه، فیقال: أبسط یمینک فیملا ـ من رضوان الله، ثم یقال أبسط شمالک فیملا من رضوان الله، ویکسی کسوهٔ الکرامهٔ، ویحلی حلیهٔ الکرامهٔ، ویلبس تاج الکرامهٔ.

عن أبی صالح قال: القرآن یشفع لصاحبه فیکسی حلهٔ الکرامهٔ، ثم یقول: رب زده، فیکسی تاج الکرامه، قال فیقول رب زده فآته، یقول: رضائی.

قال أبو محمد: قال وهیب بن الورد: إجعل قراءتک القرآن علماً ولا تجعله عملًا.

وفی سنن الدارمی:۲/۴۳۳:

عن ابن مسعود کان یقول: یجیء القرآن یوم القیامهٔ فیشفع لصاحبه، فیکون له قائداً إلی الجنهٔ، ویشهد علیه، ویکون سائقاً به إلی النار.

وفی الدر المنثور:۱/۱۸:

وأخرج أبو عبید وأحمد وحمید بن زنجویه فی فضائل القرآن ومسلم وابن الضریس وابن حبان والطبری وأبوذر الهروی فی فضائله

والحاكم والبيهقى فى سننه عن أبى أمامة الباهلى قال: سمعت رسول الله(ص)يقول: إقرؤا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لاصحابه. انتهى.

ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير:۸/۱۱۸

وقد بالغ بعضهم فى شفاعة القرآن حتى جعلها أعظم من شفاعة النبى صلى الله عليه وآله! قال السبكى فى طبقات الشافعيه:۶/۳۰۱ نقلاً عن إحياء الدين للغزالى: ما من شفيع أعظم عند الله منزلة من القرآن!

شفاعة سور القرآن و آياته

روت مصادر الشيعة والسنة أحاديث كثيرة فى فضل سور القرآن وآياته، وشفاعتها لمن قرأها أو حفظها أو علمها أو تعلمها أو عمل بها، أو إعطائه حق الشفاعة بسبب ذلك.. ويطول الكلام لو أردنا استعراض هذه الأحاديث لكثرتها وضعف سند بعضها أو متنه.. لذا نكتفى بتقديم نماذج منها من مصادر الفريقين:

ففى وسائل الشيعة:۴/۱۹۹:

عن أبى بصير، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: لا تدعوا قراءة سورة الرحمن والقيام بها، فإنها لا تقر فى قلوب المنافقين، وتأتى بها يوم القيامة فى صورة آدمى فى أحسن صورة وأطيب ريح، حتى تقف من الله موقفاً لا يكون أحد أقرب إلى الله منها، فيقول لها: من الذى كان يقوم بك فى الحياة الدنيا ويدمن قراءتك؟ فتقول: يا رب فلان وفلان، فتبيض وجوههم، فيقول لهم: إشفعوا فيمن أجبتم، فيشفعون حتى لا يبقى لهم غاية ولا أحد يشفعون له، فيقول لهم: أدخلوا الجنة واسكنوا فيها حيث شئتم.

عن أبى عبدالله عليه السلام قال: من قرأ التغابن فى فريضة كانت شفيعة له يوم القيامة، وشاهد عدل عند من يجيز شهادتها، ثم لا يفارقها حتى يدخل الجنة.

وفى تفسير نور الثقلين:۲/۲:

فى كتاب ثواب الأعمال بإسناده إلى أبى عبدالله عليه السلام قال: من قرأ سورة الأعراف فى كل شهر، كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فلا تدعوا قراءتها، فإنها تشهد يوم القيامة لمن قرأها.

وفى مصباح الكفعمى عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها جعل الله بينه وبين إبليس ستراً، وكان آدم عليه السلام شفيعاً له يوم القيامة. (ورواه فى فردوس الأخبار: ۴/۳۴ ح ۸ ۵۵۹)

وفى مستدرك الوسائل:۴/۳۵۱:

وعنه صلى الله عليه وآله قال: ومن قرأ سورة الممتحنة، كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة.

وفى مستدرك الوسائل:۴/۳۳۵:

وقال صلى الله عليه وآله: من قرأ آية الكرسى مرة، محى اسمه من ديوان الاشقياء، ومن قرأها ثلاث مرات، استغفرت له الملائكة، ومن قرأها أربع مرات شفع له الأنبياء، ومن قرأها خمس مرات كتب الله اسمه فى ديوان الابرار، واستغفرت له الحيتان فى البحار ووقى شر الشيطان، ومن قرأها سبع مرات أغلقت عنه أبواب النيران، ومن قرأها ثمانى مرات فتحت له أبواب الجنان، ومن قرأها تسع مرات كفى هم الدنيا والآخرة، ومن قرأها عشر مرات نظر الله إليه بالرحمة، ومن نظر الله إليه بالرحمة فلا يعذبه.

وفى مستدرك الوسائل:۴/۳۲۳:

عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إن لكل شئ قلباً وقلب القرآن يس، فمن قرأ يس فى نهاره قبل أن يمسى، كان فى نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسى، ومن قرأها فى ليلة قبل أن ينام وكَّل به ألف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم، ومن كل آفة وإن مات فى يومه أدخله الله الجنة... ثم يقول له الرب تعالى: إشفع عبدى اشفعك فى جميع ما تشفع، وسلنى عبدى أعطك جميع ما

تسأل، فیسأل ویعطی ویشفع فیشفع، ولاـ یحاسب فیمن یحاسب، ولا یـذل مع من یـذل، ولا یبکت بخطیئته ولا بشیء من سوء عمله، ویعطی کتاباً منشوراً فیقول الناس بأجمعهم: سبحان الله ما کان لهذا العبد خطیئة واحدة، ویکون من رفقاء محمد صلی الله علیه وآله.

وفی مستدرک الوسائل:۶/۳۵۶:

عن أبی هریرة قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: یصلی لیلة السبت أربع رکعات، یقرأ فی کل رکعة الحمد مرة وآیة الکرسی ثلاث مرات، وقل هو الله أحد مرة، فإذا سلم، قرأ فی دبر هـذه الصلاة آیة الکرسی ثلاث مرات، غفر الله تبارک وتعالی له ولوالدیه، وکان ممن یشفع له محمد صلی الله علیه وآله.

وفی سنن ابن ماجة:۲/۵۲۵:

عن أبی هریرة عن النبی(ص)قال: إن سورة فی القرآن، ثلاثون آیة، شفعت لصاحبها حتی غفر له: تَبَارَکَ الَّذِی بِیَدِهِ الْمُلْکُ.

ورواه أبو داود:۱ ص۳۱۶ والترمذی:۴/۲۳۸ والحاکم:۱/۵۶۵ وأحمد: ۲/۲۹۹ وکنز العمال:۱/۵۸۳ وص ۵۹۴ وفردوس الأخبار: ۲/۴۷۰ ح ۳۳۱۸

وفی سنن الدارمی:۲/۴۵۴:

عن خالد بن معدان قال: إقرؤا المنجیة، وهی أ. ل. م. تَنْزِیلُ، فإنه بلغنی أن رجلًا کان یقرؤها ما یقرأ شیئاً غیرها، وکان کثیر الخطایا، فنشرت جناحها علیه، وقالت: رب اغفر له، فإنه کان یکثر قراءتی، فشفعها الرب فیه وقال: أکتبوا له بکل خطیئة حسنة، وارفعوا له درجة.

وفی سنن الدارمی:۲/۴۵۹:

عن سعید بن المسیب یقول إن نبی الله(ص)قال: من قرأ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ عشر مرات بنی له بها قصر فی الجنة، ومن قرأها عشرین مرة بنی له بها قصران فی الجنة، ومن قرأها ثلاثین مرة بنی له بها ثلاثة قصور فی الجنة. فقال عمر بن الخطاب: والله یا رسول الله إذن لنکثرن قصورنا! فقال رسول الله (ص): الله أوسع من ذلک.

وفی الدر المنثور:۶/۲۴۷:

وأخرج الدیلمی عن أنس مرفوعاً قال: یبعث رجل یوم القیامة لم یترک شیئاً من المعاصی إلا رکبها، إلا أنه کان یوحد الله، ولم یکن یقرأ من القرآن إلاـ سورة واحدة، فیؤمر به إلی النار، فطار من جوفه شیء کالشهاب، فقالت: اللهم إنی مما أنزلت علی نبیک(ص)، وکان عبدک هذا یقرؤنی، فما زالت تشفع، حتی أدخلته الجنة، وهی المنجیة: تبارک الذی بیده الملک.

وفی فردوس الأخبار:۴/۳۰ ح ۵۵۸۷:

أبو الدرداء: من قرأ مائتی آیة فی کل یوم، شفع فی سبع قبور حول قبره، وخفف الله عز وجل عن والدیه، وإن کانا مشرکین. ورواه فی کنز العمال:۱/۵۳۷ ۲۴۰۸ عن ابن أبی داود فی المصاحف والدیلمی.

شفاعة القرآن لمن یتعلمه و یعلمه

فی سنن ابن ماجة:۱/۷۸:

عن علی بن أبی طالب قال قال رسول الله (ص): من قرأ القرآن وحفظه أدخله الله الجنة، وشفعه فی عشرة من أهل بیته، کلهم قد استوجب النار.

ورواه أحمد فی مسنده:۱/۱۴۸ وفی:۱/۱۴۹ عن علی أیضاً، ورواه الترمذی فی:۴/۲۴۵ عن علی علیه السلام أیضاً ورواه البیهقی فی شعب الإیمان: ۲/۳۲۸ وص ۳۲۹ وص ۵۵۲ وکنز العمال:۱/۵۲۱ وروی الخطیب فی تاریخ بغداد:۱۱/۳۹۵ نحوه عن عائشة.

وفی مسند أحمد:۳/۴۴۰:

عن سهل، عن أبيه، عن رسول الله(ص)أنه قال: من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة. ومن قرأ القرآن فأكمله وعمل بما فيه، ألبس والديه يوم القيامة تاجاً هو أحسن من ضوء الشمس في بيوت من بيوت الدنيا لو كانت فيه، فما ظنكم بالذى عمل به!

كما روت المصادر ذم من يتعلم القرآن للدنيا، ففي سنن النسائي:۶/۲۳:

عن أبي هريرة فقال له قائل من أهل الشام: أيها الشيخ حدثني حديثاً سمعته من رسول الله(ص)قال: نعم سمعت رسول الله(ص)يقول: أول الناس يقضى لهم يوم القيامة ثلاثة: رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمة فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال فلان جرئ فقد قيل! ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار!

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم! وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل! ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب كما أردت أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال كذبت، ولكن ليقال إنه جواد، فقد قيل! ثم أمر به فسحب على وجهه فألقى في النار!

ورواه الحاكم في المستدرك: ۱/۱۰۷ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة. انتهى.

شفاعة الكعبة لمن زاره

في الدر المنثور:۱/۱۳۷:

وأخرج ابن مردويه والإصبهاني في الترغيب والديلمي عن جابر قال قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة زفت الكعبة البيت الحرام إلى قبري، فتقول: السلام عليك يا محمد، فأقول وعليك السلام يا بيت الله، ما صنع بك أمتي بعدي؟ فتقول: يا محمد من أتاني فأنا أكفيه وأكون له شفيعاً، ومن لم يأتني فأنت تكفيه وتكون له شفيعاً.

وروى في مستدرك الوسائل:۸/۴۰ رواية أخرى في تجسد الكعبة وشفاعتها أشبه من رواية السيوطي بالإسرائيليات وإن كان موضوعها الكعبة الشريفة! قال:

عن وهب بن منبه أنه قال: مكتوب في التوراة: إن الله تعالى يبعث يوم القيامة سبعمائة ألف ملك، ومعهم سلاسل من الذهب ليأتوا بالكعبة إلى عرصات القيامة، فيأتون بها بسلاسل الذهب إلى موقف القيامة فيقول لها ملك: يا كعبة الله سيري، فتقول: لا أذهب حتى تقضى حاجتي، فيقول ما حاجتك؟ إلى أن قال ما حاجتك سلي حتى تعطي؟ فتقول: إلهي عبادك العصاة، أتوا إليَّ من كل فج عميق، شعثاً غبراً وخلفوا أهليهم وأولادهم وبيوتهم، وودعوا أحباءهم وأصحابهم لزيارتي وأداء المناسك كما أمرت، إلهي فاشفع لهم لتؤمنهم من الفزع الأكبر، فاقبل شفاعتي واجعلهم في كنفي.

فينادي ملك: إن فيهم أصحاب الكبائر والمصرين على الذنوب، المستحقين النار! فتقول الكعبة: أنا أشفع في أهل الكبائر، فيقول الله تعالى: قبلت شفاعتك وقضيت حاجتك، فينادي ملك: ألا من كان من أهل الكعبة فليخرج من بين أهل الجمع، فيخرج جميع الحاج من بينهم، ويحتوشون الكعبة بيض الوجوه آمنون من الجحيم، يطوفون حول الكعبة، وينادون لبيك، فينادي ملك: يا كعبة الله سيري، فتسير الكعبة وتنادي: لبيك اللهم لبيك لبيك، إن الحمد والملك والنعمة لك لا شريك لك لبيك، وأهلها يتبعونها. انتهى.

وقد روت المصادر أحاديث في شفاعة الحجر الأسود أعزه الله تعالى، كالذى في الدر المنثور:۱/۱۳۶ عن عائشة: قالت: قال رسول الله (ص): أشهدوا هذا الحجر خيراً، فإنه يأتي يوم القيامة شافع مشفع، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه. وقد رواه في مجمع الزوائد:۳/۲۴۲ وفي كنز العمال:۱۲/۲۱۷.

وورد في مصادر الطرفين أن الحجر الأسود ملكٌ من ملائكة الجنة، وأنه شهد على ميثاق بني آدم، ثم أنزله الله تعالى مع آدم إلى الأرض، ولا يتسع المجال لبحث ذلك.

شفاعة حجاج بيت الله الحرام

في الكافي:۴/۲۵۵:

محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عيسى، عن زكريا المؤمن، عن إبراهيم بن صالح، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الحاج والمعتمر وفد الله، إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم، وإن شفعوا شفعهم، وإن سكتوا ابتدأهم، ويعوضون بالدرهم ألف درهم. (وفي نسخة ألف ألف درهم) ورواه في وسائل الشيعة:۸/۶۸ وروى أحاديث متعددد عن استحقاق الحاج للجنة.

وفي من لا يحضره الفقيه:۲/۲۱۷:

ومن حج أربعين حجة قيل له: اشفع فيمن أحببت، ويفتح له باب من أبواب الجنة، يدخل منه هو ومن يشفع له.

وفي وسائل الشيعة:۸/۹۲:

عن زكريا الموصلي كوكب الدم، قال: سمعت العبد الصالح عليه السلام يقول: من حج أربعين حجة، قيل له: إشفع فيمن أحببت، ويفتح له باب من أبواب الجنة، يدخل منه هو ومن يشفع له.

وفي سائل الشيعة:۹/۵۱۲:

وقال علي بن الحسين (عليهما السلام): الساعي بين الصفا والمروة، تشفع له الملائكة، فيشسفع فيه بالإيجاب.

وفي مجمع الزوائد:۳/۲۱۱:

الحاج يشفع في أربعمائة أهل بيت، أو قال من أهل بيته، ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. ورواه في كنز العمال:۵/۱۴ وفي الدر المنثور:۱/۲۱۰

وفي ذكر أخبار أصبهان:۱/۱۴۸:

عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله (ص): إذا كان عشية يوم عرفة أشرف الرب عز وجل من عرشه إلى عباده فيقول: يا ملائكتي أنظروا إلى عبادي شعثاً غبراً، قد أقبلوا يضربون إلى من كل فج عميق، أشهدكم أني قد شفعت محسنهم في ميسئهم، وأني قد غفرت لهم جميع ذنوبهم، إلا التبعات التي بينهم وبين خلقي. قال: فإذا أتوا المزدلفة وشهدوا جمعاً، ثم أتوا منى فرموا الجمار وذبحوا وحلقوا ثم زاروا البيت، قال: يا ملائكتي أشهدكم أني قد شفعت محسنهم في مسيئهم، وأني غفرت لهم جميع ذنوبهم، وأني قد خلفتهم في عيالاتهم، وأني قد استجبت لهم جميع ما دعوا به، وأني قد غفرت لهم التبعات التي بينهم وبين خلقي، وعليَّ رضاء عبادي.

وفي مجمع الزوائد:۳/۲۷۵:

عن أنس بن مالك قال: كنت قاعداً مع رسول الله(ص)في مسجد منى، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما عليه ودعيا له دعاء حسناً فقالا ـ يا رسول الله جئنا لنسألك، فقال: إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت، وإن شئتما أسكت وتسألاني فعلت؟ فقالا ـ أخبرنا يا رسول الله نزدد إيماناً أو يقيناً ـ الشك من إسماعيل قال لا أدري أيهما قال إيماناً أو يقيناً ـ فقال الأنصاري للثقفي: سل رسول الله(ص)، فقال الثقفي: بل أنت فسله فإني أعرف لك حقك، فسأله فقال: أخبرني يا رسول الله.

قال: جئت تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام، ومالك فيه، وعن طوافك بالبيت وما لك فيه، وعن ركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما، وعن طوافك بالصفا والمروة وما لك فيه، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه، وعن رميك الجمار ومالك فيه، وعن نحرك ومالك فيه، وعن حلقك ورأسك ومالك فيه، وعن طوافك بالبيت بعد ذلك يعني طواف الافاضة.

قال: والذي بعثك بالحق عن هذا جئت أسألك.

قال: فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام، لا ـ تضع ناقتك خفاً ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة وحط عنك به خطيئة

ورفعک درجة، وأما رکعتاک بعد الطواف کعتق رقبة من بنی إسماعیل.

وأما طوافک بین الصفا والمروة بعد ذلک، کعتق سبعین رقبة.

وأما وقوفک عشیة عرفة، فإن الله تبارک وتعالی یهبط إلی السماء الدنیا یباهی بکم الملائکة، یقول هؤلاء عبادی جاؤوا شعثاً شفعاء من کل فج عمیق، یرجون رحمتی ومغفرتی، فلو کانت ذنوبکم کعدد الرمل وکعدد القطر وکزبد البحر لغفرتها!

أفیضوا عبادی مغفوراً لکم ولمن شفعتم له...

وروی بعضه فی کنز العمال:۵/۷۱ وروی فی/۷۴:

ما من مسلم یقف عشیة عرفة بالموقف فیستقبل القبلة ثم یقول: لا إله إلا الله وحده لا شریک له له الملک وله الحمد بیده الخیر وهو علی کل شئ قدیر، مائة مرة ثم یقرأ أم الکتاب مائة مرة، ثم یقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له وأن محمداً عبده ورسوله مائة مرة، ثم یسبح الله مائة مرة فیقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أکبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم یقرأ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ مائة مرة، ثم یقول: اللهم صل علی محمد وعلی آل محمد کما صلیت علی إبراهیم وآل إبراهیم إنک حمید مجید وعلینا معهم مائة مرة، إلا قال الله تعالی: یا ملائکتی ما جزاء عبدی هذا سبحنی وهللنی وکبرنی وعظمنی ومجدنی ونسبنی وعرفنی وأثنی علی وصلی علی نبیی.. إشهدوا یا ملائکتی أنی قد غفرت له وشفعته فی نفسه، ولو شاء أن یشفع فی أهل الموقف لشفعته. (هب وابن النجار والدیلمی عن جابر) قال أبو بکر بن مهران الحافظ: تفرد به عبدالرحمن بن محمد المحاربی عن محمد بن سوقة وقال (هب): هذا متن غریب ولیس فی إسناده من نسب إلی الوضع.انتهی.

وقد أوردنا عدداً من أحادیث عرفة فی المجلد الثانی، فی أحادیث النزول وغیرها، ونقدنا مافیها من تجسید!

شفاعة النبی الخاصة لزوار قبره

فی الکافی:۴/۵۴۸:

أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبان عن السدوسی عن أبی عبدالله علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من أتانی زائراً کنت شفیعه یوم القیامة. ورواه فی تهذیب الأحکام ج۶ ص۴

وفی تفسیر نور الثقلین:۱/۵۴۱:

علی بن محمد بن بندار عن إبراهیم بن إسحاق عن محمد بن سلیمان الدیلمی عن أبی حجر الاسلمی عن أبی عبدالله علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من أتی مکة حاجاً ولم یزرنی إلی المدینة جفوته یوم القیامة ومن أتانی زائراً وجبت له شفاعتی ومن وجبت له شفاعتی وجبت له الجنة. ورواه فی من لا یحضره الفقیه:۲/۵۶۵ وفی تهذیب الأحکام:۶/۴ وفی وسائل الشیعة:۱۰/۲۶۱

وروی فی الوسائل:۱۰/۲۶۳:

عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبیه أن النبی صلی الله علیه وآله قال: من زارنی حیاً أو میتاً کنت له شفیعاً یوم القیامة.

وفی المقنعة للمفید/۴۵۷:

روی عن الصادق علیه السلام، عن آبائه، عن أمیرالمؤمنین صلوات الله علیهم قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من زارنی بعد موتی کان کمن هاجر إلیَّ فی حیاتی، فإن لم تستطیعوا فابعثوا إلیَّ بالسلام، فإنه یبلغنی.

وقال علیه السلام: من أتانی زائراً، کنت شفیعه یوم القیامة.

وفی مستدرک الوسائل:۱۰/۱۸۵:

القطب الراوندی فی لب اللباب: عن النبی صلی الله علیه وآله أنه قال: من زار قبری وجبت له شفاعتی، ومن زارنی میتاً فکأنما زارنی حیاً.

وعنه صلی الله علیه وآله أنه قال: من زار قبری حلت له شفاعتی.

وفی سنن الدار قطنی:۲/۲۷۸ ح ۱۹۴:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): من زار قبری وجبت له شفاعتی.

ورواه الذهبی فی تاریخ الإسلام:۱۱/۲۱۲ ورواه بنص آخر: من زارنی بعد موتی وجبت شفاعتی.

وفی هامش طبقات المحدثین بأصبهان:۲/۱۶۷ ونحوه فی:۱/۵۵:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): من جاءنی زائراً لم تنزعه حاجة إلا زیارتی، کان حقاً علی الله أن أکون له شفیعاً یوم القیامة. انتهی.

وقد اقتصرنا من أحادیث زیارة قبره صلی الله علیه وآله علی ما ورد فیه ذکر الشفاعة، وسنورد بقیة أحادیثها فی محلها إن شاء الله تعالی، مع الجواب علی شبهة الوهابیین فی تحریمهم زیارة القبور وخیرها وأشرفها قبر سید المرسلین صلی الله علیه وآله!

هذا وقد تقدم ذکر عدد من الاصناف الذین یستحقون الشفاعة فتشملهم، أو یعطیهم الله تعالی حق الشفاعة بغیرهم ویقبل شفاعتهم، فی الفصل السادس (حدود الشفاعة) وهم أنواع عدیدة.

وکل هذه الأحادیث تدل علی أن شفاعة المؤمنین حقیقةٌ مسلَّمَةٌ عند الجمیع، فلا عجبَ أن تکون شفاعة الأئمة الأطهار من عترة النبی أعظم من جمیع الشفاعات بعد شفاعة جدهم، وأشمل وأکمل، صلی الله علیه وعلیهم، ورزقنا شفاعتهم.

تم المجلد الثالث من کتاب العقائد الإسلامیة

ویلیه المجلد الرابع إن شاء الله تعالی، وأوله بحث شفاعة أهل البیت علیهم السلام

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَبَّع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة للتحرِّی الحاسوبیّ" – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم

الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثیةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مرکز
القائمیة
اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹